مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
Princess Nora Bint Abdul Rahman University

مجلة
العلوم الشرعية واللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

علمية ـ دورية ـ محكمة

تصدر عن

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

السنة الثالثة
المجلد الثالث ـ العدد الأول
ربيع الآخر ١٤٣٩هـ ـ يناير ٢٠١٨م

المراسلات

- توجه جميع المراسلات وطلبات الاشتراك إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

(مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية)

ص. ب: 84428 الرمز البريدي: 11671

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الرياض – المملكة العربية السعودية

- هاتف: 118236802 (966+) - فاكس: 118220011 (966+)
- هاتف سكرتير المجلة: 118236783 (966+)
- واتس آب: 559988838 (966+)
- موقع المجلة: http://www.pnu.edu.sa/arr/Deanships/Research/Shariah-Arabic
- البريد الإلكتروني: (info.m.pnu@gmail.com) & (vgs-jssal@pnu.edu.sa)
- المجلة في التويتر: @Jssalpnu
- المجلة في الفيس بوك: https://www.facebook.com/jssal.pnu
- المجلة في الانستقرام: https://www.instagram.com/Jssalpnu

- ثمن العدد (30) ريالاً سعودياً، أو ما يعادله بالعملة الأجنبية، يضاف إليها أجور البريد.

- © ٢٠١٦ (١٤٣٧هـ) جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخة بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من رئيس تحرير المجلة.

الرقم الدولي المعياري: (ردمد: ١٦٥٨ ـ ٧٢٦X :ISSN)

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٣٧٦٩ بتاريخ ١٤٣٧/٤/٢١هـ

❋ ❋ ❋

الهيئة الاستشارية

- **أ. د. شريفة بنت أحمد الحازمي.**
  أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
  بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

- **أ. د. صالح بن محمد العقيل.**
  أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية
  رئيس تحرير مجلة الدراسات العقدية

- **أ. د. علي بن عبد الله الصياح.**
  أستاذ الحديث بجامعة الملك سعود
  رئيس تحرير مجلة الدراسات الإسلامية

- **أ. د. أنور عليان أبو سويلم.**
  أستاذ الأدب والنقد القديم بجامعة مؤتة، الأردن
  رئيس تحرير مجلة علوم اللغة العربية سابقاً

- **أ. د. عبد الرحمن بودرع.**
  أستاذ اللغويات العربية، ولسانيات النص وتحليل الخطاب
  بجامعة عبد المالك السعدي، تطوان - المغرب

❋ ❋ ❋

هيئة التحرير

- **أ.د. شريفة بنت أحمد الحازمي (رئيسة التحرير).**
  أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **د. نوال بنت ناصر السويلم (مديرة التحرير).**
  أستاذ الأدب المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. د. يوسف بن مسلم أبو العدوس.**
  أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بجامعة اليرموك
- **أ. د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل.**
  أستاذ الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- **أ. د. البندري بنت عبد العزيز العجلان.**
  أستاذ النحو والصرف بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. د. نوال بنت إبراهيم الحلوة.**
  أستاذ اللغويات بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. د. ناهدة بنت عطا الله الشمروخ.**
  أستاذ الفقه بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. د. مي بنت محمد الحربي.**
  أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. د. جمال نور الدين إدريس.**
  أستاذ أصول الفقه بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل
- **د. نورة بنت عبد الله الحساوي.**
  أستاذ الحديث المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- **أ. سديم بنت مرزوق الحربي (سكرتيرة التحرير).**
  باحث علمي بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

التعريف بالمجلة

مجلة (علمية ـ دورية ـ محكمة) تعنى بنشر البحوث في مجالات العلوم الشرعية واللغة العربية، تصدر مرتين كل عام في شهري (يناير ـ مايو) عن جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات العلوم الشرعية واللغة العربية؛ الذي يتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، أو الإنجليزية أو أي لغة أخرى في المجالات العلمية الآتية: البحوث الأصيلة، والمراجعات العلمية، وتقارير البحوث، والمراسلات العلمية القصيرة، وتقارير المؤتمرات والندوات، وعروض الكتب والرسائل العلمية ونقدها.

❋ ❋ ❋

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤيــة:

أن تكون مجلة رائدة في مجال نشر البحوث المحكمة في العلوم الشرعية واللغة العربية، ومضمنة في قواعد البيانات الدولية المرموقة.

الرسالة:

نشر البحوث المحكمة في مجالات العلوم الشرعية، واللغة العربية وفق معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهداف:

١ – تكوين مرجعية علمية للباحثين في مجالات العلوم الشرعية، واللغة العربية.

٢ – المحافظة على هوية الأمة والاعتزاز بقيمها من خلال نشر الأبحاث المُحكمة الرصينة التي تسهم بتطوير المجتمع وتقدمه.

٣ – تلبية حاجة الباحثين محلياً وإقليمياً وعالمياً للنشر في ميدان العلوم الشرعية، واللغة العربية.

❋ ❋ ❋

قواعد وضوابط النشر

أولاً: شروط البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (50) صفحة (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
- تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية وتتضمن (عنوان البحث، اسم الباحث، التخصص العام والدقيق، بيانات التواصل معه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (250) كلمة، ويتضمن (موضوع البحث، أهدافه، منهجه، أهم النتائج، أهم التوصيات) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (6) كلمات.
- هوامش الصفحة تكون (3 سم) من (أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار)، ويكون تباعد الأسطر مفرداً.
- يستخدم خط (Traditional Arabic) للغة العربية بحجم (16) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (13) أبيض للحاشية والمستخلص، وبحجم (10) أبيض للجداول والأشكال، وأسود لرأس الجداول والتعليق.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (11) أبيض للمتن وأسود للعناوين، وبحجم (9) أبيض للحاشية والمستخلص، وبحجم (8) أبيض للجداول والأشكال، وأسود لرأس الجداول والتعليق.

ثانياً: عناصر البحث:

يُنظم الباحث بحثه وفق مقتضيات (منهج البحث العلمي) كالتالي:

١/ مقدمة تتضمن (موضوع البحث، مشكلته، حدوده، أهدافه، منهجه، إجراءاته، خطة البحث).

٢/ الدراسات السابقة – إن وجدت – وإضافته العلمية عليها.

٣/ تقسيم البحث إلى أقسام وفق (خطة البحث) بحيث تكون مترابطة.

٤/ عرض فكرة محددة في كل قسم تكوِّن جزءاً من الفكرة المركزية للبحث.

٥/ يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.

٦/ خاتمة تتضمن أهم (النتائج)، و(التوصيات).

ثالثاً: توثيق البحث:

- توثيق الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في التوثيق.
- يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

١/ إذا كان المرجع (كتاباً): (عنوان الكتاب. فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فاسم المحقق – إن وجد –. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسم الناشر، فسنة النشر). مثال: الجامع الصحيح. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

٢/ إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): (عنوان الرسالة. فالاسم الأخير للباحث، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة). مثال: يعقوب بن شيبة السدوسي آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل. المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

٣/ إذا كان المرجع (مقالاً من دورية): (عنوان المقال. فالاسم الأخير للمؤلف، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد، (فرقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... إلى ص...). مثال: الإمام عفان بن مسلم الصفار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد. المطيري، علي بن عبدالله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ص (٣٥ – ٨٥).

- إضافة بعض الاختصارات إن لم يوجد لها أي بيان في بيانات المرجع، وهي كالتالي:
  - بدون مكان النشر = د. م
  - بدون اسم الناشر = د. ن
  - بدون رقم الطبعة = د. ط
  - بدون تاريخ النشر = د. ت
- نظام التوثيق المعتمد في المجلة بالنسبة للمراجع الأجنبية هو نظام (جامعة شيكاغو).

رابعاً: إجراءات البحث:

- يقوم الباحث بتعبئة النماذج الإلكترونية الخاصة به وإرسال بحثه عبر بريد المجلة الإلكتروني: (info.m.pnu@gmail.com).
- إرسال البحث عبر بريد المجلة يُعد تعهداً من الباحث/الباحثين بأن البحث لم يسبق تحكيمه، ولم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
- لهيئة تحرير المجلة حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- في حال قبول البحث للنشر يتم إرسال خطاب للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار) للباحث.
- في حال (قبول البحث للنشر) تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة لمدة عام.
- إرسال البحث عبر بريد المجلة يُعد قبولاً من الباحث لـ(شروط النشر في المجلة)، ويلتزم بإجراء التعديلات في مدة لا تتجاوز شهر من تاريخ استلامه لها، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- في حال (نشر البحث) يمنح الباحث نسختين مجانيتين من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، وعشر نسخ من مستلات بحثه.

❋ ❋ ❋

المحتويات

العنوان

- افتتاحية العدد (رئيسة تحرير المجلة) ١٧

البحوث والدراسات

- دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة تفسيرية»
  أ. د. مي بنت محمد هلال الحربي ٢١
- مهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية
  د. عواطف بنت علي الجنوبي ١٣٥
- الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصَبِر «رواية ودراية»
  د. ليلى بنت سعيد السابر ٢٢٩
- منظمة شهود يهوه أصولهم ومبادئهم
  د. سعاد بنت محمد السويد ٢٩٩
- ما لم تألف له العرب نظيراً من كلم الرسول صلى الله عليه وسلم
  د. تهاني بنت محمد الصفدي ٣٤٩
- صيغة أفعل التفضيل مؤولة بمشتق دراسة في الشواهد الآراء
  د. عبدالله حسن أحمد الذنيبات ٤٥١
- دراسة حجاجية لخطب الشيخ سعود الشريم (خطبة مفهوم الحرية نموذجا)
  د. ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة ٥١٣

❋ ❋ ❋

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد..

تعد المجلات العلمية المحكمة رافداً من روافد البحث العلمي المهمة التي تدعو إلى الإجادة البحثية من خلال تطبيق منهجية علمية رصينة تخدم العملية البحثية برمتها؛ وتعلي من شأن البحث والباحث العلمي معًا..

وقد خطت (مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية) خطوات رائدة في هذا المجال وحققت حضورًا علميًّا قويًّا منذ صدور عددها الأول في شهر ربيع الأول من عام ١٤٣٧هـ؛ الأمر الذي نعمل على استمراره والمضي به قُدُمًا نحو التطوير والتميز والريادة من خلال تقديم الأبحاث العلمية النوعية المحكمة التي تحقق أعلى مستويات الجودة والكفاءة في مجال النشر العلمي.

وأسرة التحرير الجديدة إذ تقدم للباحثين والمهتمين العدد الخامس من هذه المجلة يطيب لها أن تتقدم بالشكر والثناء الوافر لجميع من أسهم في إخراج هذه المجلة الرائدة؛ والشكر لكل من بذل لإخراج هذا العدد منها ليطل علينا بثوبه القشيب فينضم إلى بقية أعداد المجلة بباقة من البحوث العلمية المتنوعة والنافعة بإذن الله تعالى..

والله وليّ التوفيق.

رئيسة تحرير المجلة

أ. د. شريفة بنت أحمد الحازمي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الآداب

❋ ❋ ❋

البحوث والدراسات

دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

«دراسة تفسيرية»

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد

أ. د. مي بنت محمد هلال الحربي

أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

mmalharbi@pnu.edu.sa

دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة تفسيرية»

المستخلص: إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وكان أمة قانتاً لله حنيفاً فرغبت أن يكون موضوع بحثي: «دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم» دراسة تفسيرية، وقد قسمت البحث إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها خطة البحث وأهميته، والتمهيد: وفيه معنىٰ الدعاء لغة واصطلاحاً، وفي المباحث التسعة تناولت دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم فاستغفاره لأبيه كان وعداً وعده إبراهيم أباه طمعاً في إيمانه، ولكن لما أصر أبوه علىٰ الشرك تبرأ منه، وترك الاستغفار له، وحرص إبراهيم عليه السلام علىٰ الدعاء بالذرية الصالحة، وقد بدأ في ذلك قبل ولادتهم، ودعاء الله بأن يهبه الحكمة، ويلحقه بالصالحين، وأن يجعل له لسان صدق في الآخرين، وطلب الإمامة لبعض ذريته حينما بُشر بها، ويتضح من دعائه رغبته الصادقة في بقاء «الإسلام» فيمن بعده إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحرص أن يبعث الله في ذريته رسولاً منهم يتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة، ودعا لمكة بالأمن وأن يرزق أهله من الثمرات وأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، ورجح المصلحة الدينية علىٰ المصلحة الدنيوية حينما أسكن بعض ذريته في «واد غير ذي زرع» وذلك لإقامة الصلاة وعبادة الله، ومن الأمور التي حرص خليل الرحمن علىٰ وقاية ذريته منها عبادة الأصنام لأنها سبب ضلال كثير من الناس، وحرص إبراهيم عليه السلام علىٰ إشراك ابنه «إسماعيل» في عمل الخير «بناء البيت»، وتنزيه إبراهيم عليه السلام عن الشك والشبهات حاول أعداء الحنيفية أن يلصقوها به، ورؤية إبراهيم عليه السلام كيفية إحياء الموتىٰ آية من الله علىٰ صدقه في دعوته، وأنه نبي رسول.

الكلمات المفتاحية: دعاء، إبراهيم، استغفار، أواه، فصرهن، إسماعيل.

* * *

The Duaa of Ibrahim-peace be upon him- in The Quran; An Interpretive Study

Abstract: Ibrahim - peace be upon him - is one of the *ulu'l-azm* of our Prophets. He was a community in himself; he was obedient to Allah and turned to him exclusively. I thus decided that my research 'Ibrahim's *Duaa* in The Quran' would be a study of *tafseer*, and have divided this paper into an introduction, a preface, nine parts, and a conclusion.

The introduction: contains the importance of this research and the research plan.

The preface: contains the meaning of *duaa'* linguistically and scientifically.

As to the nine parts, they deal with the *duaa*' of Ibrahim - peace be upon him -; him seeking forgiveness for his father was a promise made by Ibrahim - pbuh - in hopes that his father would believe, but when his father insisted on shirk, Ibrahim - pbuh - disowned his father and stopped seeking forgiveness for him.

Ibrahim - pbuh - also made *duaa'* for good offspring before the birth of his children. And his *duaa'* to Allah to grant him wisdom and join him with the righteous, and to grant him true renown among posterity. Ibrahim - pbuh - also sought *imamah* for his offspring after receiving glad tidings of the same.

Ibrahim sincerity in making *duaa'* for the continuance of Islam until Allah inherits this earth and its inhabitants is also very evident. He also prayed for his descendants that Allah will rise up from among them a messenger who shall recite the revelations to them and teach them the book and wisdom. Ibrahim - pbuh - also made *duaa'* for the peace and security of Makkah, and that Allah will provide for its people and turn the hearts of people towards them. He also made preference to religious interests over worldly interests when he settled some of his descendants in a barren valley so they may perform Salah and worship Allah.

Ibrahim - pbuh - too sought to protect his descendants from worshiping idols as it is the root cause of people being misled. He was also keen on his son Ismael's participation in the building of the Kaa'bah.

Purifying Ibrahim - pbuh - from doubt and all other matters attributed to him by the enemies of *hanafiyyah*.

Ibrahim's - pbuh - witnessing how Allah brings the dead back to life is a sign from Allah about his truthfulness in his *da'wah*, and that he is a prophet and a messenger.

Keywords: *Duaa'*- Ibrahim- seeking forgiveness- tender hearted- tame- Ismail.

❊ ❊ ❊

المقدمة

أحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن الدعاء نعمة كبرىٰ من نعم الله علىٰ عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة.

والتوجه إلىٰ الله ﷻ بالدعاء يدل علىٰ افتقار العبد إلىٰ مولاه، وعلىٰ اعترافه بضعفه وحاجته إلىٰ معونة ربه القوي العزيز، لذا يعتبر الدعاء عبادة لله ﷻ.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه. هم أكرم من توجه إلىٰ الله ﷻ بالدعاء، ودعاؤهم من أفضل الأدعية وأرجاها بالقبول.

وإبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وكان أمة قانتاً لله حنيفاً فرغبت أن يكون موضوع بحثي: «دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم» دراسة تفسيرية.

وقد قسمت البحث إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة.

- **المقدمة: وفيها خطة البحث وأهميته.**
- **التمهيد: معنىٰ الدعاء لغة، واصطلاحاً.**

- **المبحث الأول: دعاء إبراهيم لأبيه.**
- **المبحث الثاني: دعاء إبراهيم بطلب الولد الصالح.**
- **المبحث الثالث: دعاء إبراهيم ربه أن يهبه الحكمة ويلحقه بالصالحين وأن يجعل له ذكرا جميلا من بعده.**
- **المبحث الرابع: دعاء إبراهيم ربه أن يجعل الإمامة في ذريته من بعده.**
- **المبحث لخامس: دعاء إبراهيم ربه حال بنائه البيت الحرام.**
- **المبحث السادس: دعاء إبراهيم بالأمن والرزق لأهل مكة.**
- **المبحث السابع: دعاء إبراهيم بأن يجنبه الله وبنيه عبادة الأصنام.**
- **المبحث الثامن: دعاء إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلىٰ البيت الحرام.**
- **المبحث التاسع: دعاء إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتىٰ.**
- **الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوجيهات.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**

منهج البحث:

١ – كتابة الآيات بالرسم العثماني.

٢ – عزوت الآيات إلىٰ سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٣ – خرجت الأحاديث، مكتفيه بالصحيحين أو أحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرجته باختصار من غيرهما.

٤ - ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

٥ - عزوت الأقوال إلىٰ أصحابها ووثقتها من كتبهم، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرىٰ.

٦- لم أرتب الآيات التي اشتملت علىٰ دعاء إبراهيم عليه السلام حسب ترتيب المصحف وإنما حسب ورودها في المباحث.

❊ ❊ ❊

التمهيد

معنى الدعاء لغة، واصطلاحاً

معنىٰ الدعاء:

١ - الدعاء لغة: مصدر من دعا يدعو دعاء ودعوة، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دعاء، كما تقول: سمعت صوتاً، وكما تقول: اللهم اسمع دعائي[١].

والدعاء واحد الأدعية، وأصله دُعَاو؛ لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمِزتْ[٢].

والدَّعْوىٰ اسم لما يدعيه، والدعوىٰ تَصْلحُ أن تكون في معنىٰ الدُّعاءَ، لو قلت اللهم أشركنا في صالح دُعاء المسلمين أو دعوىٰ المسلمين جاز، والدَّعوة: المرّة الواحدة من الدعاء[٣].

ويقال: دعوتُه إذا سألتُه وإذا استغثته والدعاء إلىٰ الشيء: الحث علىٰ قصده، والدَّعوىٰ الدُّعاءُ[٤].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٣٣٧) مادة (دعا).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٣٣٧) مادة (دعا)، لسان العرب (١٤/ ٢٥٨) مادة (دعا).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٢٥٨) مادة (دعا).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ١٧٠).

والـدعاءُ: الرغبـة إلـىٰ الله تعـالىٰ، دعـا دعـاءً ودَعْـوىً وتـداعَوْا عليـه: تجمعوا، ودعاه ساقه، والنبي ﷺ داعِي الله، ويطلق علىٰ المؤذن[1].

٢- معنىٰ الدعاء اصطلاحـًا:

قال أبو سليمان الخطـابي[2] رحمه الله: الـدعاء استدعاء العبـد ربـه ﷻ العنايـة، واسـتمداده إيـاه المعونـة، وحقيقتـه إظهـار الافتقـار إليـه، والتـبرؤ مـن الحـول والقوة[3].

وعرّفه السعدي[4] رحمه الله: (الابتهـال إلـىٰ الله تعـالىٰ بالسؤال، والرغبـةُ فيما عنده من الخير، والتضرع إليه في تحقيق المطلوب وإدراك المأمول)[5].

---

(١) القاموس المحيط (٤/ ٤٧٤) مادة (دعاء).

(٢) أبـو سـليمان الخطـابي: أحمـد بـن محمـد بـن إبـراهيم بـن الخطـاب الخطـابي البـستي، أبو سليمان، محدث، لغوي، فقيه، أديب، ولد سنة ٣١٩هـ، وتـوفي سنة ٣٨٨هـ، لـه عـدة مصنفات. سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٥)، شذرات الذهب (٣/ ١٢٧).

(٣) شأن الدعاء (ص:٤).

(٤) السعدي هو: أبـو عبـد الله عبـدالرحمن بـن ناصـر بـن عبـدالله آل سـعدي، ولـد في عنيـزة في القصيم عام (١٣٠٧هـ)، عاش يتيمـًا، سـمع مـن إبـراهيم بـن جاسـر، ومحمـد الـشنقيطي، وسمع منه محمد الـصالح بـن عثيمين، وعبـد الله البسام، كـان عالمـًا فاضـلاً زاهـداً، مـن تصانيفه (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القواعـد الحسان لتفسير القـرآن)، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر: مقدمة تفسير تيسير الكريم الـرحمن (ص:٧)، معجـم المـؤلفين (١٣/ ٣٩٦).

(٥) معذرة المؤمنين إلىٰ رب العالمين في الدعاء والأذكار (ص:٢٨).

وقال الشوكاني[1]: «معنىٰ الدعاء حقيقة وشرعاً هو الطلب»[2].

وعرّف أيضاً: «شعور القلب بالحاجة إلىٰ عناية الله تعالىٰ فيما يطلب، وصدق التوجه فيما يرغب»[3].

ومن التعاريف: «الابتهال إلىٰ الله – تعالىٰ – بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير، والتضرع إليه في تحقيق المطلوب، والنجاة من المرهوب»[4].

وتكاد هذه التعاريف تكون متوافقة فيما بينها وبين المعنىٰ اللغوي، فهي تحمل معنىٰ الاستغاثة وطلب العون من الله لجلب الخير، أو دفع الشر ولا تخرج عن الطلب والسؤال والعبادة.

❊ ❊ ❊

(١) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح الشوكاني الخولاني، ثم الصنعاني، أبو عبدالله، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، أديب، نحوي، ولد سنة ١١٧٣هـ، من تصانيفه: فتح القدير، البدر الطالع لمجالس القرن السابع، وغيرها كثير، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٥٤١)، البدر الطالع (٢/ ٢١٤).

(٢) فتح القدير (٤/ ٤٩٨).

(٣) تفسير المنار (٢/ ١٤).

(٤) انظر: الدعاء للشيخ عبد الله الخضري (ص:١٠).

المبحث الأول

دعاء إبراهيم عليه السلام واستغفاره لأبيه

دل القرآن الكريم على أن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه، قال تعالى: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء:٨٦)، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ (إبراهيم:٤١)، وقال تعالى حكاية عنه في سورة مريم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ﴾ (مريم:٤٧)، وقال: ﴿ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ ﴾ (الممتحنة:٤).

وسوف أتناول كل آية على حدة.

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ (مريم:٤٧).

سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ (مريم:٤٢ - ٤٥).

ففي هذه الآيات برزت حكمة إبراهيم الخليل في أجلى صورها حيث

خاطب أباه بأسلوب رقيق رفيق وناداه ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ إيماء إلىٰ أنه مخلص له النصيحة[1].

قال الزمخشري[2]: «انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب معه الكلام في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن»[3].

وكان من حكمته أنه صارح أباه بأنه يدعوه إلىٰ توحيد الله وطاعته علىٰ أساس من العلم الشرعي الذي أوحاه الله إليه، وأنه بدعوته تلك إنما أراد له الخير، ثم حذره من عبادة الشيطان، وعبادته لكونه يطيعه في عبادة الأصنام[4].

ثم قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٢٤).

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) من العلماء بالتفسير والدين واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرىٰ خوارزم) وسافر إلىٰ مكة فجاور بها زمناً، فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلىٰ الجرجانية (من قرىٰ خوارزم) فتوفي بها. من أشهر كتبه «الكشاف» و«أساس البلاغة». انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ١٨٦)، الأعلام (٧/ ٢١٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٢٣).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٤٠)، التحرير والتنوير (١٦/ ٤٦).

(مريم:٤٥) حيث تأدب مع والده إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتىٰ بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب، ورتب علىٰ مس العذاب ما هو أكبر وهو ولاية الشيطان، وصدر كل نصيحة بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ توصلاً إليه واستعطافاً، وهذه المناصحات تدل علىٰ شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه، والطمع في هدايته قضاء لحق الأبوة وإرشاداً إلىٰ الهدىٰ[1].

ومع هذا اللطف والرفق من إبراهيم قابل أبوه وعظه بالسفاهة، حيث هدده بالضرب والشتم، وقابل رفقه في قوله «يا أبت» بالعنف، حيث لم يقل له «يا بني» بل قال: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ (مريم:٤٦)[2] فما كان رد إبراهيم علىٰ تهديد أباه، إلا أن قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾ (مريم:٤٧)، وفيه أقوال:

القول الأول: قال الجمهور: هذا بمعنىٰ المسالمة لا بمعنىٰ التحية، أي: أمنة مني لك. علىٰ طريقة مقابلة السيئة بالحسنة[3].

---

(١) انظر: البحر المحيط (١٦/ ٢٤٠).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ١٩٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٩٨)، الكشاف (٤/ ٢٥)، المحرر الوجيز (٤/ ١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١١)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٢)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٣)، روح المعاني (١٦/ ٥٨٢).

القول الثاني: قِيل هذا سلام هجران ومفارقة[1].

القول الثالث: وقيل سلام بر ولطفٍ[2].

هذا ويظهر لي من هذه الأقوال، القول الأول، وهو قول الجمهور أليق بما كان عليه إبراهيم عليه السلام من اللطف ولين الجانب في دعوته لأبيه، وهو ما رجحه الطبري[3]، حيث قال: «سلام عليك يا أبت، يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت»[4].

وقال ابن كثير[5]: «ومعنىٰ قول إبراهيم لأبيه سلام عليك، يعني أما أنا فلا

---

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٩٨)، الكشاف (٤/ ٢٥)، التفسير الكبير (٢١/ ١٩٥)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١١).

(٣) الطبري: محمد بن جرير بن زيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد سنة ٢٢٤هـ، في آحد طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، من مصنفاته «تاريخ الطبري» و«جامع البيان في تفسير القرآن» انظر: لسان الميزان لابن حجر (٥/ ١٠٠)، الأعلام (٦/ ٦٩).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٠٨).

(٥) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوير القرشي الدمشقي ابن الفداء، عماد الدين (٧٠١ - ٧٧٤هـ) حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرىٰ الشام وانتقل مع أخ له إلىٰ دمشق عام (٧٠٦) ورحل في طلب العلم، من أشهر كتبه (البداية والنهاية)، و(تفسير القرآن العظيم). انظر: البدر الطالع (١/ ١٥٣)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، الأعلام (١/ ٣٢٠).

ينالك مني مكروه، ولا أذىٰ وذلك لحرمة الأبوة»[1]، ثم وعد أباه بالاستغفار له وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الإيمان بالله وإفراده بالعبادة[2].

فقال: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ ﴾ (مريم:٤٧).

واستغفار إبراهيم لأبيه إنما كان قبل ورود النهي، أو لموعدة وعدها إياه، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ (التوبة:١١٤).

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾. يقال: حفي بالرجل حَفَاوة وحِفاوة أحْتَفىٰ: بالغ في إكرامه وتحفَّيت به تَحفِّيًا، المبالغة في إكرامه، والتحفّىٰ: الكلام واللقاء الحسن ويقال: خَفَىٰ فلان بفلان إذا برَّه وألطفه[3].

(الحفىٰ) المبتهل المتلطف، وهذا شكر من إبراهيم لنعم الله عليه[4].

وحفيًا فعيل من الحفاوة، وهي المبالغة في السؤال عن الشخص، والعناية في أمره[5] وللمفسرين في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ ثلاثة أقوال:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٢٦)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٢).

(٣) انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٧)، مادة (حفا).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٩).

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ٤٠٤).

القول الأول: لطيفاً[1].

القول الثاني: رحيماً[2].

القول الثالث: باراً عودني منه الإجابة إذا دعوته[3].

ثم لما علم إبراهيم رفضُ أبيه للدعوة وتهديده له بالرجم الأمر الذي جعل الخليل يعلن عن عزمه بأنه سيقاطع أباه ومن سار على دربه في طريق الضلال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا** ﴾ (مريم:٤٨).

يقال عَزَل الشيء يَعْزله عَزْلاً: نحاه جانباً فتنحى، واعْتَزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم[4].

والمعنى أي أفارقكم في المكان وأفارقكم في طريقتكم أيضاً وأبعد عنكم وأتشاغل بعبادة ربي[5].

وقد أظهر إبراهيم العزم على اعتزالهم وأنه لا يتوانى في ذلك ولا يأسف له إذا كان في ذات الله تعالى[6].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٨)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر: زاد المسير (٥/ ١٦٦)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٩٨)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٣).

(٤) انظر: لسان العرب (١١/ ٤٤٠) مادة (عزل).

(٥) التفسير الكبير (٢١/ ١٩٦).

(٦) التحرير والتنوير (١٦/ ٥٠).

﴿ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأصنام[1].

وفي معنىٰ ﴿ تَدْعُونَ ﴾ قولان[2]:

أحدهما: تعبدون، والثاني: أن المعنىٰ وما تدعونه ربـًا.

﴿ وَأَدْعُواْ رَبِّي ﴾ أي: أعبده[3]. ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾.عسىٰ ترج، وفي ضمنه خوف شديد[4]، وفيه تواضع لله، وهضم للنفس[5].

﴿ شَقِيًّا ﴾. الشقاء والشَّقاوة، بالفتح: ضد السعادة، والشَّقاء، الشدة والعسرة، ويقال شاقيت ذلك الأمر بمعنىٰ عانيته[6].

والمعنىٰ أرجو أن لا أشقىٰ بعبادة ربي، كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام؛ لأنها لم تنفعهم ولا تجيب دعاءهم[7].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٩)، زاد المسير (٥/ ٦٦).

(٢) ذكر القولان ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٦٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٩٨)، تفسير الطبري (١٦/ ١٠٩)، زاد المسير (٥/ ١٦٦)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٤)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٣)، روح المعاني (٦/ ٥٨٥).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ١٩)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٣).

(٥) انظر: الكشاف (٤/ ٢٦)، التفسير الكبير (٢١/ ١٩٦).

(٦) انظر: لسان العرب (١٤/ ٤٣٨) مادة (شقا).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٩٨)، الكشاف (٤/ ٢٦)، زاد المسير ٥/ ١٦٦، التفسير الكبير (٢١/ ١٩٦)، البحر المحيط (٦/ ٢٤٣).

الآية الثانية:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء:٨٦).

لم يكن إبراهيم عليه السلام ينسىٰ أباه من الاستغفار كلما توجه إلىٰ الله بالدعاء فسبق هذه الآية دعاؤه لنفسه في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (الشعراء:٨٢ - ٨٥).

فلما فرغ من طلب السعادات الدنيوية والأخروية لنفسه طلبها لأشد الناس التصاقًا به وهو أبوه[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ ﴾ فيه قولان:

القول الأول: أن أباه وعده في الظاهر أن يؤمن به فاستغفر له لهذا، فلما بان أنه لا يفي بما قال تبرأ منه[2].

فطلبه للمغفرة مشروط بالإسلام، وطلب المشروط يتضمن طلب الشرط، فحاصله أنه دعا بالإسلام، وكان أبوه قد وعده بذلك[3].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٩)، البحر المحيط (٧/ ٣٣)، روح المعاني (١٩/ ١٣٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/ ٥٥)، المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٥)، تفسير البغوي (٣/ ٣٩٠)، التفسير الكبير (٢٤/ ١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٤)، تفسير النسفي (٣/ ١٨٧).

(٣) البحر المحيط (٧/ ٣٣).

القول الثاني: قال بعض أهل العلم: واغفر لأبي، أي: جنايته علي، كأنه أسقط حقه وعفا عنه[1].

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾.تعليل لطلبه المغفرة لوالده وهو كونه من الضالين أي من المشركين الضالين عن طريق الهداية.

والضال من الضّلالة والضَّلال وهو ضد الهُدىٰ والرَّشاد[2].

﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾. الخزي: خَزِيَ الرجل لحقه انكسار إما مِن نفسه وإما من غيره، فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية، والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف، ومصدره الخزي ورجل خِزىٰ[3].

والإخزاء من الخزي وهو الهوان، ومن الخزاية وهي الحياء[4].

وسأل المغفرة لأبيه قبل سؤال أن لا يخزيه الله يوم القيامة لأنه أراد أن لا يلحقه يومئذ شيء ينكسر منه خاطره وقد اجتهد في العمل المبلّغ لذلك واستعان الله علىٰ ذلك، وما بقيت له حزازة إلا حزازة كفر أبيه فسأل المغفرة له

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/ ٥٥).

(٢) لسان العرب (١١/ ٣٩١)، مادة (ضلل).

(٣) انظر: المفردات (ص:١٤٧).

(٤) انظر: الكشاف (٤/ ٣٩٩)، تفسير النسفي (٣/ ١٨٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٣)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥٠)، روح المعاني (١٩/ ١٣٠).

لأنه إذا جيء بأبيه مع الضالين لحقه انكسار ولو كان قد استجيب له بقية دعواته، فكان هذا آخر شيء تخوف منه لحاق مهانة نفسه من جهة أصله لا من جهة ذاته[1].

وقال القرطبي: «أي لا تفضحني علىٰ رؤوس الأشهاد أو لا تعذبني يوم القيامة»[2]، وقيل: «لا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم»[3].

ولقد استجاب الله للخليل إبراهيم هذا الدعاء فلم يخزه في الآخرة بل جعله من الصالحين كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النحل:١٢٢).

أما ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «يلقىٰ إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالىٰ إني حرمت الجنة علىٰ الكافرين»[4].

وحديث النبي ﷺ: «إن إبراهيم يلقىٰ أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة»[5].

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٥٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٤).

(٣) الكشاف (٤/ ٣٩٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨/ ٣٥٧) (فتح الباري).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨/ ٣٥٧)،=

والغبرة هي القترة وهي لون الأغبر وهو شبيه بالغبار، والغبراء الأرض[1].

فإنه لا يتضمن خزياً لإبراهيم عليه السلام وذلك من وجوه:

١ - أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام:١٦٤).

فإذا كان قد نزل بوالد إبراهيم ما حل به من العذاب واستحق النار بكفره وضلاله فإن إبراهيم عليه السلام لا يعتبر متأثراً بذلك الخزي.

٢ - أنه يستحيل علىٰ الخليل إبراهيم عليه السلام أن يطلب من ربه خلف وعده في الكافرين وقبول شفاعة أوليائه في المشركين كما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ (المدثر:٤٨). بل قد جاء عن الخليل أنه تبرأ من الكفر وأهله وهو بهذه البراءة مستمر عليها في الدارين كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف:٢٦) كما أوضح الله سبحانه وتعالى أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ (التوبة:١١٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (الشعراء:٨٨).

﴿ يَوْمَ ﴾ بدل من يوم يبعثون[2] جيء به تأكيداً للتهويل وتمهيداً لما يعقبه

=وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٦/ ٤٤٥) (فتح الباري).

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٧٦٤)، مادة (غبر)، (٢/ ٧٨٥)، مادة (قبر).

(٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (٢/ ١٦٨)، الفريد في=

من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي لا ينفع مال وإن كان مصروفاً إلىٰ وجوه البر والخيرات، ولا بنون وإن كانوا صُلحاء مستحقين لشفاعة أحد، إلا من أتىٰ الله بقلب سليم[1].

وذكر البنين لأنه جرىٰ ذكر والد إبراهيم، أي: لم ينفعه إبراهيم[2].

﴿ وَلَا بَنُونَ ﴾ الأعوان: لأن الابن إذا لم ينفع فغيره متىٰ ينفع[3].

وقيل: المعنىٰ يوم لا ينفع شيء من محاسن الدنيا وزينتها، واقتصر علىٰ ذكر المال والبنين لأنهما معظم المحاسن والزينة[4].

وفي قوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ تأييد لكون استغفاره عليه السلام لأبيه طلباً لهدايته إلىٰ الإيمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافراً مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لأنه من باب الشفاعة[5].

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه في ذلك اليوم لا ينفع المال والبنون أحداً من العباد. ﴿ إِلَّا

=إعراب القرآن المجيد (٣/ ٦٥٨).

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥١)، روح المعاني (١٩/ ١٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٤).

(٣) المرجع السابق، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣)، فتح القدير (٤/ ١٠٦)، روح المعاني (١٩/ ١٣٠).

(٤) روح المعاني (١٩/ ١٣٠)، وانظر: البحر المحيط ٧(/ ٣٣).

(٥) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥١)، روح المعاني (١٩/ ١٣٠).

﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. سليم: السَّلمُ والسّلامة العري من الآفات الظاهرة والباطنة[1]، السليم: القلب الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له كالعليم والقدير، وأيضاً فإنه ضد المريض والعليل[2].

وخُص القلب بالذكر، لأنه إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح[3].

قال السعدي ﷺ: «القلب السليم، معناه الذي سلم من الشرك والشك، والإصرار علىٰ البدعة والذنوب، ويلزم من سلامة ما ذكر، اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم والتعيين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تبعاً لما جاء عن الله»[4].

الآية الثالثة:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة:١١٤).

سبق هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (التوبة:١١٣).

---

(١) المفردات (ص:٢٣٩).

(٢) انظر: التفسير القيم (ص:٣٩٤).

(٣) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٥٩٣).

سبب نزول هذه الآية:

نزلت في شأن أبي طالب حين احتضر فوعظه النبي ﷺ وقال: «أي عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، وكان بالحضرة أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقالا له: «يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال أبو طالب: يا محمد لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدي لأقررت بها عينك، ثم قال أنا علىٰ ملة عبد المطلب، ومات، فنزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (القصص:٥٦) فقال رسول الله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك «فكان يستغفر له حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فترك الاستغفار له[1].

قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ معطوفة علىٰ جملة ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ إذ كان شأن ما لا ينبغي لنبينا محمد عليه السلام أن لا ينبغي لغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام لأن معظم أحكامهم متحدة إلا ما خص به نبينا من زيادة الفضل[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت (٣/ ٢٦٣) «فتح الباري»، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع، وهو الغرغرة، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين (١/ ٢٤٤ - ٢٤٥) «صحيح مسلم بشرح النووي».

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٥).

وما ورد من استغفار إبراهيم قد يثير تعارضاً بين الآيتين، فلذلك تصدىٰ القرآن للجواب عنه في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ** ﴾ وفيه القولان[1]:

القول الأول: أن يكون الواعد أبا إبراهيم عليه السلام، والمعنىٰ أن أباه وعده أن يؤمن، فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر له لأجل أن يحصل هذا المعنىٰ، فلما تبين له أنه لا يؤمن وأنه عدو لله تبرأ منه، وترك ذلك الاستغفار.

القول الثاني: أن يكون الواعد إبراهيم عليه السلام، وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

ويظهر لي من هذين القولين، القول الثاني، ويدل عليه قراءة الحسن «وعدها أباه» بالباء الموحدة[2].

قوله تعالىٰ: ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾ (التوبة:١١٤).

والبيان الكشف عن الشيء وهو أعمُّ من النطق مُختص بالإنسان ويُسمَّىٰ

---

(١) ذكر القولان البغوي في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٤٦)، والرازي في التفسير الكبير (١٦/ ١٦٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٤)، البحر المحيط (٥/ ١٣٩)، التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٥).

(٢) وهي قراءة حماد الراوية، وابن السميفع، وابن نهيك، ومعاذ القاري. انظر: الكشاف (٣/ ٩٨)، البحر المحيط (٥/ ١٣٩)، روح المعاني (١١/ ٤٩).

ما بُيِّن به بياناً[1].

وفي السبب الذي تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله القولان[2]:

القول الأول: أن الله عرفه ذلك بالوحي، وعند ذلك تبرأ منه.

القول الثاني: بموت أبيه علىٰ الكفر.

ويظهر لي من القولين القول الأول. وهو أن الله عرفه ذلك بالوحي.

قال أبو السعود عن القول الأول: «والأول هو الأنسب بقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ فإن وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت»[3].

﴿تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾. يقال بَرئَ إذا تخلص، وبَرئَ إذا تنزه وتباعد، وبَرئَ إذا أعذر وأنذر[4].

ومعناه أي تنزه عن الاستغفار له، وتجانب كل التجانب، وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره[5].

---

(١) المفردات (ص:٦٩). مادة (بان).

(٢) ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٩١)، والرازي في التفسير الكبير (١٦/ ١٦٧)، وأبو حبان في البحر المحيط (٧/ ٣٣)، وأبو السعود في تفسيره (٤/ ١٠٧)، والألوسي في روح المعاني (١٩/ ١٢٩).

(٣) تفسير أبي السعود (٥/ ١٠٧)، وانظر: روح المعاني (١١/ ٥٠).

(٤) لسان العرب (١/ ٣٣)، مادة (برأ).

(٥) تفسير أبي السعود (٥/ ١٠٧)، روح المعاني (١١/ ٥٠).

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾. استئناف ثناء علىٰ إبراهيم[1].

قال الراغب: «الأواه الذي يكثر التأوه وهو أن يقول أوَّه، وكل كلام يدل علىٰ حزن يقال له التأوه، ويعبر بالأواه عمن يظهر خشية الله تعالىٰ»[2].

ولعل مراد الراغب بقوله: «يظهر خشية الله» غلبته علامات الخشية من كثرة التوجع والتأوه، لا إن ذلك بباعث من الرياء والسمعة.

وقيل: معنىٰ كون إبراهيم عليه السلام أواهًا، كلما ذكر لنفسه تقصيراً وذكر له شيء من شدائد الآخرة كان يتأوه إشفاقًا من ذلك واستعظامًا له[3].

وقد تنوعت آراء المفسرين في التعريف بالأواه فقال بعضهم إنه الذي يذكر الله في الأرض القفر، وقيل الذي يذكر الله من غير تقييد، وقيل هو الذي يكثر التلاوة، وقيل إنه الفقيه، وقيل المتضرع الخاشع، وقيل هو الشفيق، وقيل إنه المعلم للخير[4].

﴿ حَلِيمٌ ﴾ الحلمُ ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام، قال تعالىٰ: ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم ﴾ (الطور:٣٢) قيل معناه عقولهم وليس

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٦).

(٢) المفردات (ص:٣٢).

(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٦٨).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٤)، فتح القدير (٢/ ٤١١).

الحلمُ في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل[1].

والحليم: الكثير الحلم، وهو الذي يصفح عن الذنوب، ويصبر على الأذى[2].

ومن هنا نقول أن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه ولقومه أعطت مفهوم ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ حقيقة، حيث لا يكون لين في موقف يحتاج إلى شدة، ولا يكون شدة في موقف يحتاج إلى لين، إنه تحكم في النفس وضبط لها، حيث تمتاز الدعوة بالرفق واللين والسماحة والالتجاء الدائم إلى الله بالدعاء بأساليب شتى مقرونًا بالتضرع والخشوع.

وهاتان الصفتان من أهم الصفات التي يحتاجها الداعي إلى الله حيث يشعر المدعو بلين جانب الداعي ورفقه وحرصه على المدعو ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

(١) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٢/ ٣٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٦)، تفسير النسفي (٢/ ١٤٨) تفسير أبي السعود (٤/ ١٠٨)، فتح القدير (٢/ ٤١١).

(٢) انظر: فتح القدير (٢/ ٤١١).

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤).

نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين عن الاستغفار للمشركين اقتداء بإبراهيم عليه السلام في ذلك، وأمرهم بالاقتداء بخليله إبراهيم عليه السلام في التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله، فجعل ﷺ إبراهيم أسوة.

قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.الأسوة والإسْوَةَ كالْقِدوةَ والْقُدْوَةِ وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتِّباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا وإن سارًّا وإن ضارّاً[1].

ويقال هو أسوتك، أي أنت مثله وهو مثلك، وجمع الأسوة أسىٰ، فالأسوة اسم لكل ما يقتدىٰ به[2].

﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾. اختلف في الذين معه علىٰ قولين:

القول الأول: أنهم الأنبياء.

القول الثاني: أصحاب إبراهيم من المؤمنين.

ويترجح لي القول الأول. قال ابن عطية[3]: (وهذا القول أرجح لأنه لم

(١) المفردات (ص:١٨).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٢٦٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٦).

(٣) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحازني، الغرناطي، أبو محمد، (٤٨١ - ٥٤٢هـ) مفسر وفقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث،=

يُرد أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحته نمروذاً)[1][2].

قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الممتحنة:٤).

قال الإمام الطبري: «يقول الله تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ في هذه الأمور التي ذكرناها: من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. يقول تعالىٰ ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرؤوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء يؤمنوا بالله وحده ويتبرؤوا من عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء»[3].

=وله شعر، ولي قضاء المرية. من أشهر كتبه: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». انظر: الأعلام (٣/ ٢٨٢)، تاريخ قضاة الأندلس (ص:١٠٩).

(١) نمروذ: نمروذ بن كرش بن كنعان بن حام بن نوح، تمرد علىٰ ربه، وكان من محاولته إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار حين دعاه إلىٰ توحيد الله، ولما تطاول عتوه وتمرده مع إملاء الله له فيما ذكر أربعمائة عام، لا تزيده حجج الله إلا تماديًا، عذبه الله بأضعف خلقه بعوضة سلطها عليه. انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ١٤٨).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٧٣).

وفي هذه الآية بيان للمؤمنين وإرشاد لهم إلىٰ عدم الدعاء للمشركين بالمغفرة لأن ذلك ليس بنافع لهم ماداموا مقيمين علىٰ الشرك والله لا يغفر أن يشرك به، ولكن يدعو لهم بالهداية وبالتوفيق للإيمان والإسلام. ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في ذكر دعوته لأمه بالإسلام وقد كانت مشركة وطلبه من النبي ﷺ أن يدعو لها، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اهد أم أبي هريرة»[1] فاستجاب الله دعوته وهدىٰ أم أبي هريرة.

ويجوز كذلك الدعاء لهم بالرزق أو الغيث تأليفاً لقلوبهم، وذلك لما طلب من النبي ﷺ أن يستسقي لمضر فاستسقىٰ لهم[2].

وهذا من الإحسان الذي ذكره الله في حق الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين. ولم يخرجوهم من ديارهم طمعاً في هدايتهم وتأليفاً لقلوبهم وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وحكاية قول إبراهيم لأبيه: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ﴾ أي: لا أغني عنك من عذاب الله إن عصيته وأشركت به[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه (١٦/ ٥٢) (صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٨/ ٤٣٤) (فتح الباري).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٣٠)، تفسير الطبري (٢٨/ ٧٤)، التفسير الكبير (٢٩/ ٢٦١).

وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة:٤ - ٥).

وهو من جملة الأسوة الحسنة، ويجوز أن يكون المعنىٰ: «قولوا ربنا، أمراً من الله تعالىٰ للمؤمنين بأن يقولوه، وتعليماً منه لهم تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار، والاقتداء وقومه في البراءة منهم، وتنبيهاً علىٰ الإنابة إلىٰ الله والاستعاذة من فتنة أهل الكفر، والاستغفار مما فرط منهم»[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ﴾. «المتوكل علىٰ الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولا يتوكل علىٰ غيره»[2].

والمعنىٰ: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك[3].

﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾. النوب رجوع الشيء مرة بعد أخرىٰ، والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل، والمعنىٰ: أي رجعنا إلىٰ طاعتك ومرضاتك

(١) تفسير الكشاف (٦/ ٩١)، وانظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٢٦١)، البحر المحيط (٨/ ٣٥٦).

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٣٤) مادة (وكل).

(٣) المفردات (ص:٥٠٨).

وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون[1].

﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي المعاد في الدار الآخرة[2].

وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالىٰ[3].

وإعادة النداء بقولهم (ربنا) إظهار للتضرع مع كل دعوة من الدعوات الثلاث[4].

قال تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾. الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالىٰ ومن العبد كالبليَّة والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتىٰ كان من الله يكون علىٰ وجه الحكمة، ومتىٰ كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك[5].

والفتنة الامتحان والاختبار[6].

وإبراهيم عليه السلام حين دعا ربه قائلاً: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ لم

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٨).

(٣) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣١).

(٥) المفردات (ص:٣٧٢).

(٦) الصحاح (٦/ ٢١٧٥)، مادة (فتن).

يرد بدعائه هذا ألا يبتليه ربه ويمتحنه فقد خضع للابتلاء والامتحان من ربه حتىٰ أتم ما ابتلاه الله به صابراً محتسباً حيث أثنىٰ الله عليه بذلك وأكرمه من فضله بأن جعله إماماً للناس كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ (البقرة:١٢٤)، وهذا لا يمنع أن يسأل إبراهيم عليه السلام ربه العافية من كل شر، وإنما الذي طلبه إبراهيم من ربه هنا ألا يسلط عليه الكافرين حتىٰ يتمكنوا من صرفه عن الحق أو صرف أحد من أتباعه أو طلب أن لا تختل أمور دينهم بسبب الذين كفروا، أي بمحبتهم والتقرب منهم.

قال الطبري: «يقول تعالىٰ مخبراً عن قيل إبراهيم الخليل والذين معه: يا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجحدوا وحدانيتك، وعبدوا غيرك، بأن تسلطهم علينا فيروا أنهم علىٰ حق، وأنا علىٰ باطل، فتجعلنا بذلك فتنة لهم»[1].

وحقق الله لنبيه عليه السلام السلامة من فتنة الكافرين وذلك في أعظم مشهد عرفه التاريخ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء:٦٩).

﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾. أعقبوا دعواتهم التي تعود إلىٰ إصلاح دينهم، في الحياة الدنيا بطلب ما يصلح أمورهم في الحياة الآخرة وما يوجب رضي الله عنهم في الدنيا فإن رضاه يفضي إلىٰ عنايته بهم بتسيير أمورهم في الحياتين، وللإشعار بالمغايرة

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٧٤).

بين الدعوتين عطفت هذه الواو ولم تعطف التي قبلها[1].

ومعنىٰ قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾. أي الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه[2].

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة[3].

فبعزتك وحكمتك انصرنا علىٰ أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا[4].

الآية الخامسة:

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ (إبراهيم:٤١).

هذا الدعاء الصادر من إبراهيم عليه السلام يبين لنا أن المؤمن مهما وصل بدرجته عند الله ومهما عمل من الأعمال الصالحة فإنه بحاجة إلىٰ مغفرة الله وعفوه ورحمته وهذا ما نجده في دعاء إبراهيم، وأيضاً مما نبه إليه نبينا محمد ﷺ بقوله: «لن ينجي أحداً منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا إن يتغمدني برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٨)، روح المعاني (٢٨/ ٣٥٨).

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٦).

الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[1].

وفي هذا الدعاء بيان بأن الإنسان مهما اجتهد في عمل الخير فإنه يكون عرضة للتقصير.

فقول إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي ﴾ أي ما فرط من ترك الأولىٰ في باب الدين، وغير ذلك، مما لا يسلم منه بشر[2].

﴿ وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾. فإن قيل كيف جاز له أن يستغفر لوالديه والمعروف أن والده مات كافراً فالجواب عنه بالآتي:

أن أمه كانت مؤمنة[3] وقيل لعلها ماتت قبل نبوءته[4]، وكان إبراهيم عليه السلام لم ييأس من إيمان والده ولم تتبين له عداوته لله[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (١١/ ٣٠٠) (فتح الباري)، ومسلم بنحوه، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمل بل برحمة الله تعالىٰ (١٧/ ١٥٩) (صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) انظر: البحر المحيط ٥/ ٥٥٨، تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)، فتح القدير (٣/ ١١٣)، روح المعاني (٢٨/ ٣١٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٨)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٩)، التفسير الكبير (١٩/ ١١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)،=

ويؤيده قراءة (ولوالدي) بالتوحيد يعني أباه وحده[1].

وقيل أراد بوالديه آدم وحواء[2].

وقيل كان ذلك بشرط الإسلام[3].

ويظهر لي أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه.

قال الطبري: «هذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما، وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم»[4].

=فتح القدير (٣/ ١١٣).

(١) هي قراءة سعيد بن جبير. انظر الكشاف (٣/ ٣٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥) تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)، روح المعاني (١٣/ ٣١٠)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير القرآن لأبي المظفر (٣/ ١٢١)، زاد المسير ٤/ ٢٧١، التفسير الكبير (١٩/ ١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، تفسير النسفي (٢/ ٢٦٥).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٩)، التفسير الكبير (١٩/ ١١٠)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ١٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)، روح المعاني (١٣/ ٣١٠).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٨).

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كافة من ذريته وغيرهم، وللإيذان باشتراك كل المؤمنين في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة[1].

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ أي يثبت ويتحقق محاسبة أعمال المكلفين علىٰ وجه العدل[2].

* * *

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)، وانظر: فتح القدير (٣/ ١١٣).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤)، فتح القدير (٣/ ١١٣)، روح المعاني (١٣/ ٣١٠).

المبحث الثاني
دعاء إبراهيم عليه السلام بطلب الولد الصالح

قال تعالىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات:١٠٠).

سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه ولداً صالحاً وفي هذا الدعاء لفتتان:

١- أن هذا الدين يراعي الفطرة التي فطر الله الناس عليها من حب الولد الذي هو قرة عين العبد، وسلوة قلبه وزينة حياته كما في قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (آل عمران:١٤). وقوله تعالىٰ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦).

٢- أن إبراهيم عليه السلام نظر إلىٰ الدعوة بحاجة إلىٰ من يحمل همها وينشرها من بعده فطلب الولد الصالح لذلك.

قال الزجاج: «الأولىٰ أن يحمل علىٰ ميراث الأنبياء؛ لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم»[1].

والمعنىٰ أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغير أحكامه علىٰ ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦١).

يأمنه علىٰ أمته، ويرث نبوته وعمله لئلا يضيع الدين[1].

يدل علىٰ ذلك قول الرسول ﷺ «لا نورث ما تركناه فهو صدقة»[2].

قال النووي: «والصواب ما حكيناه عن الجمهور أن جميع الأنبياء لا يورثون، والمراد بقصة زكريا وداود وراثة النبوة وليس المراد حقيقة الإرث؛ بل قيامه مقامه وحلوله مكانه والله أعلم»[3].

فهذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام وما قصده من طلب الولد تتفق دعوات المرسلين في طلب الذرية لهذا الغرض النبيل وهو أن يخلفوهم لنشر الدعوة، وذلك لأن نفوس الأنبياء لا تطمع إلا لمعالي الأمور وصالح الدين، وما سوىٰ ذلك فهو تبع له.

قال القاضي البيضاوي[4] مبينًا الحكمة في طلبه أولاد صالحين: «يعينني

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب قرض الخمس، باب رقم (١) (٦/ ٢٢٨)، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» (١٢/ ٧٦) (صحيح مسلم بشرح النووي).

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٢/ ٨١).

(٤) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي ناصر الدين، أبوسعيد، قاضي عالم بالفقه والتفسير والمنطق والحديث، توفي بتبريز، من مصنفاته «أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير»، «شرح مصابيح السنة للبغوي سماه تحفة الأبرار» انظر: معجم المؤلفين (٦/ ٩٨)، طبقات الشافعية لابن قاضي شبه (٢/ ٢٢٠).

علىٰ الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة»[1].

وقوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي ﴾ فيه الإيمان بأن وجود الولد وصلاحه منة ربانية وهبة من الله المتفرد بالتصرف والتدبير في هذا الكون لا شريك له.

قال ابن منظور: «الهبةُ: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سُمي صاحبها وهابًا، وكل ما وُهب لك من ولد وغيره فهو موهوب»[2].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. أي هب لي بعض الصالحين، يريد الولد، لأن لفظ الهبة غلب في الولد، وإن كان جاء في الأخ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (مريم:٥٣)[3].

ووصفه بأنه من الصالحين لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحًا فإن صلاح الأبناء قُرة عين للآباء، ومن صلاحهم برُّهم بوالديهم[4].

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام نجده قرن دعاءه من ربه عز وجل للأولاد بأن يكونوا صالحين، وذلك قبل وجودهم، والولد بهذه الصفة ينفع أبويه في الدنيا والآخرة.

إن فاقدي الصلاح من الأولاد يكونون مصدر تأسف وحسرة وضيق

---

(١) تفسير البيضاوي (٢/ ٢٩٨)، وانظر: تفسير أبي السعود (٧/ ١٩٩)، روح المعاني (٢٣/ ١٦٣).

(٢) لسان العرب (١/ ٨٠٣)، مادة (وهب).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٦/ ١٣٢)، البحر المحيط (٧/ ٤٩١)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٢).

لآبائهم، بل قد يكونون وبالاً عليهم في الدنيا والآخرة. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن:١٤). ربنا هب لنا جميعاً أولاداً صالحين.

وقد استجاب الله تعالىٰ لإبراهيم الخليل عليه السلام دعاءه كما قال سبحانه عقب الآية السابقة مباشرة: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات:١٠١).

يقال للخبر السَّارِّ البشارة والبشرىٰ[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ جمع فيه بشارات ثلاث أنه غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليماً[2].

وأي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات:١٠٢)[3].

وهذا الابن الذي بشر به هو إسماعيل عليه السلام. قال ابن كثير: «وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق

---

(١) المفردات (ص:٤٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٢)، تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، الكشاف (٥/ ٢٢٠)، التفسير الكبير (٢٦/ ٣٢)، تفسير النسفي (٤/ ٢٤)، البحر المحيط (٧/ ٤٩١)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٩٩)، فتح القدير (٤/ ٤٠٣)، روح المعاني (٢٣/ ١٦٣).

(٣) انظر: الكشاف (٥/ ٢٢٠)، التفسير الكبير ٢٦/ ٣٢، تفسير النسفي (٤/ ٢٤)، البحر المحيط (٧/ ٤٩١)، تفسير أبي السعود (٧/ ١٩٩)، روح المعاني (٢٣/ ١٦٣).

باتفاق المسلمين وأهل الكتاب»[1].

ولما كانت هبة الولد الصالح منة عظيمة من الله تعالىٰ، ونعمة جليلة من نعمه، كان شكرها وحمد الرب تعالىٰ عليها واجبًا علىٰ العبد وقد وفّىٰ إبراهيم عليه السلام بهذا المقام، كما ذكر الله تعالىٰ عنه ذلك في قوله سبحانه: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾ (إبراهيم:٣٩).

وإنما ذكر قوله: ﴿ **عَلَى ٱلْكِبَرِ** ﴾ لأن المنة في هذا السن أعظم، من حيث أن هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم[2].

فقد وُلد إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة[3].

وقيل بُشر إبراهيم بإسحاق بعد سبع عشرة ومائة سنة[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٤).

(٢) التفسير الكبير (١٩/ ١٠٩).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٢٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، والنسفي في تفسيره (٢/ ٢٦٤)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ١٣)، والألوسي في روح المعاني (١٣/ ٣٠٨).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٣٨)، تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٨)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، الدر ا لمنثور (٥/ ٤٩)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٨).

والذي يظهر لي أن مقدار سن إبراهيم عليه السلام الذي ولد فيه إسماعيل وإسحاق غير معلوم من القرآن ولا من السنة الشريفة، وإنما أعطي إبراهيم عليه السلام هذين الولدين على الكبر والشيخوخة.

﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾.قال ابن القيم: المراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام لأنه سميع لكل مسموع[1].

وجملة ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ تعليل لجملة ﴿ وَهَبَ ﴾ أي وهب ذلك لأنه سميع الدعاء، والسميع مستعمل في إجابة المطلوب كناية، وصيغ بمثال المبالغة أو الصفة المشبهة ليدل على كثرة ذلك وأن ذلك شأنه، فيفيد ذلك أنه وصف ذاتي لله[2].

فهبة الأولاد الصالحين نعمة من الله تعالى، فعلى العبد في ذلك أن يحمد الله ويدعو الله لذريته كما فعل الخليل عليه السلام في قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ (إبراهيم:٣٩ - ٤٠).

وخص الصلاة من بين جملة الدين لفضلها فيه، ومكانها منه، وهي عهد الله عند العباد[3].

(١) تفسير ابن القيم (ص:٢٤٣)، بدائع الفوائد (٣/ ٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧١).

ومن أقام الصلاة كان مقيماً لدينه ملتزماً لأحكامه[1].

ولأنها خير معين بعد الله في تحمل التكاليف الشرعية، ومنها الدعوة إلىٰ الله، ولأنه قدوة يقتدىٰ به في الصلاة وغيرها من سائر الطاعات وقوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

دعا إبراهيم عليه السلام في أمر كان مثابراً عليه متمسكاً به، ومتىٰ دعا الإنسان في مثل هذا فإنما القصد إدامة ذلك الأمر واستمراره[2].

والمعنىٰ: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها[3].

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾. الذرية: اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثىٰ[4].

والمعنىٰ: اجعل بعض ذريتي كذلك، لأن كلمة ﴿ وَمِن ﴾ في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ للتبعيض، وإنما ذكر هذا التبعيض لأنه علم بإعلام الله تعالىٰ أنه يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤)[5].

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾. للمفسرين في قوله دعاء قولان:

---

(١) المرجع السابق، وانظر: تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٢٧).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٣٤٣)، وانظر: روح المعاني (١٣/ ٣٠٩).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٣٨).

(٤) لسان العرب (٤/ ٣٠٤) مادة (ذرر).

(٥) التفسير الكبير (١٩/ ١١٠).

القول الأول: أي: عملي وعبادتي، سمىٰ العبادة دعاء[1].

وجاء في الحديث «الدعاء هو العبادة»[2].

القول الثاني: استجب دعائي[3].

هذا ولا مانع من الجمع بين القولين بمعنىٰ تقبل عبادتي واستجب دعائي.

ومما يجب التنبيه له في هذا المقام أن سيدنا إبراهيم عليه السلام اتخذ السبب مع اللجوء إلىٰ مولاه ﷻ لتحقيق رغبته في أن يكون أولاده مقيمي الصلاة، فلم يقتصر علىٰ أحد الأمرين دون الآخر، وهذا علىٰ خلاف ما يشاهد لدىٰ بعض الناس من دعائهم الله في أن يكون أولادهم ممن يقيمون الصلاة، ولا يهتمون بما عليهم من أمر أولادهم للصلاة، قال تعالىٰ: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ (طه:١٣٢).

اللهم اجعلنا جميعًا علىٰ صراط خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الاهتمام بصلاة أولادنا. إنك سميع مجيب.

❊ ❊ ❊

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٩)، تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٨)، الكشاف ٣/ ٣٨٨، التفسير الكبير (١٩/ ١١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، فتح القدير (٣/ ١١٣)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب الدعاء مخ العبادة (٩/ ٩٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر (٣/ ١٢١)، تفسير البغوي (٣/ ٣٩٠)، تفسير أبي السعود (٥/ ٥٤).

المبحث الثالث

دعاء إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه الحكمة، ويلحقه بالصالحين وأن يجعل له ذكراً جميلاً من بعده

قال تعالىٰ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (الشعراء:٨٣ - ٨٥).

حكمًا: العلم والفقه والقضاء بالعدل وهو مصدر حكم يحكم، ومن هذا قيل للحاكم من الناس حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم[١].

والحكم الذي سأله إبراهيم عليه السلام هو الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق[٢].

وهو معرفة بالله وبحدوده وأحكامه[٣].

وقيل: الحكم هو النبوءة[٤].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١٤١)، مادة (حكم).

(٢) انظر: تفسير النسفي (٣/ ١٨٧)، البحر المحيط ٧/ ٣٢، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/ ٥٤)، تفسير البغوي (٣/ ٣٩٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، فتح القدير (٤/ ٥٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٩٠)، الكشاف (٤/ ٣٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، تفسير النسفي (٣/ ١٨٧)، البحر المحيط (٧/ ٣٢)، تفسير القرآن العظيم=

وهذا القول غير صحيح لأن هذا الدعاء إنما نطق به إبراهيم عليه السلام بعدما وجد من قومه المعارضة الشديدة لدعوته ومعلوم أنه لم يدعهم إلا بعد أن أرسل إليهم.

قال الرازي: «لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لأن النبوة كانت حاصلة، فلو طلب النبوة لكانت النبوة المطلوبة إما عين النبوة الحاصلة أو غيرها، والأول محال لأن تحصيل الحاصل محال، والثاني محال لأنه يمتنع أن يكون الشخص الواحد نبيناً مرتين، بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية وذلك بإدراك الحق»[1].

واستجاب الله دعاءه فأتاه الحكمة والهداية ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٥١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال[2]، وهذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام يدل دلالة واضحة علىٰ حبه للصالحين حتىٰ سأل الله تعالىٰ أن يجمعه بهم في دار الخلود، وهذا عن طريق أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم[3].

=(٣/ ٢٣٨)، فتح القدير (٤/ ١٠٥).

(١) التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٧ - ١٢٨).

(٢) المفردات (ص:٢٨٤).

(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٣٩٩).

وقد اختلف في المراد بالصالحين على قولين:

القول الأول: أنهم الأنبياء والمرسلين[1].

القول الثاني: أنهم أهل الجنة[2].

هذا ويظهر لي القول الثاني؛ لأن الصالحين في الجنة من العباد على العموم، قال الطاهر بن عاشور[3]: «لفظ الصالحين يعم جميع الصالحين من الأنبياء والمرسلين، فيكون قد سأل بلوغ درجات الرسل أولي العزم نوح وهود وصالح والشهداء والصالحين فجعل الصالحين آخراً لأنه يعم»[4].

وقدم ﴿ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ على قوله: ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ لأن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية، لأنه يمكنه أن يعلم الحق، وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن، لأن العلم صفة الروح، والعمل صفة البدن، كما

---

(١) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (٤/ ٥٤)، تفسير البغوي (٣/ ٣٩٠)، تفسير الطبري (٢٠/ ١٠١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، تفسير النسفي (٣/ ١٨٧).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٣٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥٠)، فتح القدير (٤/ ١٠٥).

(٣) الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته (١٢٩٦ - ١٣٩٣هـ) ودراسته بها، له مصنفات من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، «التحرير والتنوير» في تفسير القرآن. انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ١٥٦).

أن الروح أشرف من البدن، كذلك العلم أفضل من العمل»[1].

ولقد أجاب الله دعاءه ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة:١٣٠).

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ (الشعراء:٨٤).

قال ابن عطية:«هو الثناء وخلد المكانة بإجماع من المفسرين»[2].

وقد أجاب الله دعوته فكل أمة تتمسك به وتعظمه وهو علىٰ الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ.

ولقد استجاب الله دعاءه فقال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات:١٠٨ - ١١١).

فبقي له الذكر الجميل علىٰ ألسنة جميع المؤمنين ممن اتبعوا الرسل من بعده وعلىٰ رأسهم محمد ﷺ.

ومما يدل علىٰ ذلك انه ليس يصلي أحد علىٰ النبي ﷺ إلا وهو يصلي علىٰ إبراهيم وخاصة في الصلوات، وعلىٰ المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات[3].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٥)، التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، تفسير النسفي (٣/ ١٧٨)، البحر المحيط ٧/ ٣٣، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٣٨)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٥٠)، روح المعاني (١٩/ ١٢٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣(/ ١١٣).

وقيل المراد بالذكر الحسن: اجعل في ذريتي من يقوم بالحق إلىٰ قيام الساعة فأجيبت الدعوة في محمد ﷺ[1].

قال ابن عطية: «هذا معنىٰ حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم علىٰ اللفظ»[2].

﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾. يتبين من هذا الدعاء أن العمل الصالح لا يوجب دخول الجنة وكذا كون العبد ذا منزلة عند الله، وإلا لاستغنىٰ عليه السلام بطلب الكمال في العلم والعمل، وكذا بطلب الإلحاق بالصالحين عن طلب ذلك[3].

وشبه الجنة بما يورث لأنه الذي يغتنم فشبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا[4].

قال الطبري: «يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة وأسكني ذلك»[5].

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٥)، التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١١٢)، البحر المحيط (٧/ ٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٥).

(٣) انظر: روح المعاني (١٩/ ١٢٩).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٤/ ١٢٩)، البحر المحيط (٧/ ٣٣)، فتح القدير (٤/ ١٠٦).

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ١٠١).

ويشير الطبري بذلك إلىٰ حديث رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات، فدخل النار ورث أهل الجنة منزله. فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠) وقد أجاب الله دعوته فرفع منزلته في جنات النعيم»[1].

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٢/ ١٤٥٣).

المبحث الرابع

دعاء إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل الإمامة في ذريته من بعده

في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ﴾ (البقرة:١٢٤).

هذا النص تضمن أن الله ﷻ تفضل علىٰ إبراهيم وأكرمه بأن جعله إماماً، الإمامُ المُؤتم به إنساناً كأن يقتدىٰ بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك مُحقًّا كان أو مبطلاً وجمعه أئمة[1].

والإمام اسم لمن يؤتم به كالإزار لما يؤتَزر به، أي يأتمون بك في دينك[2].

والمراد بالإمامة هو أن الله جعله نبياً يقتدىٰ به.

قال الرازي: قال أهل التحقيق: المراد من الإمام ههنا النبي[3].

فالمراد هنا أن النبي صاحب شرع متبع، لأنه لو كان تبعاً لرسول، لكان مألوفاً لذلك، فهذه الخاصية لإبراهيم بجعله إماماً للناس، أي قدوة يقتدىٰ به من جاء بعده في الخير، والمقصود بالقدوة ما يقتدىٰ بالخليل فيه من أصول

(١) المفردات (ص:٢٤).

(٢) التفسير الكبير (٤/ ٣٦).

(٣) المرجع السابق.

الاعتقاد والشرائع والأخلاق والمعاملات، أما فروع الشرائع فلكل أمة شريعتها[1]. قال تعالىٰ: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ (المائدة:٤٨).

ومعنىٰ ﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ ﴾ يجوز أن يراد بهم أمته الذين اتبعوه، ويجوز أن يراد به جميع المؤمنين من الأمم، ويكون ذلك في عقائد التوحيد وفيما وافق شرائعهم[2].

ويظهر لي عموم كلمة الناس في جميع المؤمنين من الأمم باعتبار أنه مؤسس الحنيفية وأبو الأنبياء ممن جاء بعده.

قال الرازي: «إن الله لما وعده بأن يجعله إماماً للناس حقق الله تعالىٰ ذلك الوعد فيه إلىٰ قيام الساعة فإن أهل الأديان علىٰ شدة اختلافها ونهاية تنافيها يعظمون إبراهيم عليه السلام ويتشرفون بالانتساب إليه إما في النسب وإما في الدين والشريعة حتىٰ إن عبدة الأوثان معظمين لإبراهيم عليه السلام»[3].

ومما يؤكد هذه الخاصية لإبراهيم عليه السلام أن الله عز وجل أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - والأمر شامل له ولأمته - بأن يتبع ملة إبراهيم: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (النحل:١٢٣).

ومعنىٰ قوله: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾. هذا علىٰ جهة الدعاء والرغبة إلىٰ الله، أي

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٥).

(٢) البحر المحيط (١/ ٤١).

(٣) التفسير الكبير (٤/ ٣٧).

ومن ذريتي يا رب فاجعل.

وقيل: هذا منه علىٰ جهة الاستفهام عنهم، أي: ومن ذريتي يا رب ماذا يكون[1].

ولم يقل وذريتي لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يُقتدىٰ بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأن ذلك ليس من آداب الدعاء[2].

فأجاب الله دعاءه بأن استثنىٰ الظالمين وأقرها في الصالحين. ﴿ **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى** ﴾ أي قال الله تعالىٰ[3].

واختلف في المراد بالعهد علىٰ أقوال منها أنها بمعنىٰ النبوءة، وقيل أنها الإمامة، وقيل الأمان من عذاب الله، وقيل العهد الدين، وقيل معنىٰ الآية لا عهد عليك لظالم أن تطيعه[4].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٠٧)، البحر المحيط (١/ ٥٤٢)، فتح القدير (١/ ١٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٨٦).

(٣) تفسير البغوي (١/ ١١٢)، المحرر الوجيز (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر (١/ ١٣٦)، تفسير البغوي (١/ ١١٢، تفسير الطبري (١/ ٦١١)، المحرر الوجيز (١/ ٢٠٦)، زاد المسير (١/ ١٢٥)، التفسير الكبير (٤/ ٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٠٨)، البحر المحيط (١/ ٥٤٢)، روح المعاني (٢/ ٥١٩).

ويظهر لي أن معنىٰ العهد هو النبوءة.

قال الطبري: «﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ ﴾ في أثر قول الله جل ثناؤه ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته لو كان غير الذي أخبر به أنه أعطاه إياه لكان مبيناً ولكن المسألة لما كانت مما جرىٰ ذكره، اكتفىٰ بالذكر الذي قد مضىٰ من تكريره وإعادته فقال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ ﴾ بمعنىٰ ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس»[1].

والمراد بالظالمين المشركون الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣)، ويشمل العصاة الذين عملوا المعاصي والكبائر[2]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ (الصافات:١١٣).

ولقد أجاب الله تعالىٰ نبيه في قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ (العنكبوت:٢٧) فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه[3].

❊ ❊ ❊

(١) تفسير الطبري (١/ ٦١٠).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٨٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٧).

المبحث الخامس

دعاء إبراهيم عليه السلام ربه حال بنائه البيت الحرام

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧ - ١٢٩).

اشتملت هذه الآيات علىٰ جملة من المطالب التي دعا بها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام لأنفسهما ولذريتهما.

أول ذلك قولهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وهذا دعاء مبارك قالاه حال بنائهما البيت الحرام، فبعد أن أتوا بتلك العبادة مخلصين تضرعوا إلىٰ الله في قبولها وطلب الثواب عليها»[1].

فإبراهيم عليه السلام يبني بيت الله وبأمر من الله ﷻ وهو مشفق ألا يتقبل الله منه.

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «كما حكىٰ الله عن حال المؤمنين

(١) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥٣).

المخلص في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ ﴾ (المؤمنون:٦٠) أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والقرابات ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء في الصحيح عن عائشة عن رسول الله ﷺ»[١].

وهو يشير إلىٰ الحديث الذي فيه سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله عن هذه الآية فقالت: (يا رسول الله، أهم الذين يُذنبون وهم مشفقون؟) فقال: (لا بل هم الذين يُصلون وهم مشفقون، ويصومون وهم مشفقون، ويتصدقون وهم مشفقون أن لا يتقبل منهم)[٢].

ومعنىٰ الآية: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) يقولان ربنا تقبل منا عملنا وطاعتنا إياك وعبادتنا لك في انتهائنا إلىٰ أمرك الذي أمرتنا به في بناء بيتك الذي أمرتنا ببنائه إنك أنت السميع العليم»[٣].

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. هاتان الصفتان مناسبتان هنا غاية التناسب إذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنون (سنن الترمذي) (٨/ ٣١٨)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي عن العمل، سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٠٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٤)، والحاكم كتاب التفسير، باب تحريم المتعة. المستدرك (٣/ ١٥٤)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١)، والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٥٥ - ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٦٣٨).

صدر منهما عمل وتضرع وسؤال، فهو السميع لضراعتهما وتساؤلهما التقبل، وهو العليم بنيتهما في إخلاص عملهما[1].

والثاني: قولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾.

وفائدة تكرير النداء بقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ إظهار الضراعة إلىٰ الله تعالىٰ وإظهار أن كل دعوىٰ من هذه الدعوات مقصودة بالذات، ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلىٰ أخرىٰ فإن الدعوة الأولىٰ لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء[2].

قال الطبري: «يعنيان بذلك واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك»[3].

والمعنىٰ: أدم لنا ذلك، لأنهما كانا مسلمين، ولك تفيد جهة الإسلام، أي لك لا لغيرك[4].

وفي هذا دليل واضح علىٰ حاجة العبد إلىٰ التوفيق والتثبت من ربه في الدوام علىٰ الإسلام والثبات عليه، ومثله هذا ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٥٥٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٠).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٦٣٩).

(٤) البحر المحيط (١/ ٥٥٧)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٦)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٣)، روح المعاني (٢/ ٥٢٩).

يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك)[1].

والثالث: قولهما: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

قال السعدي: «دعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح»[2].

وفي هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام نستشعر مدىٰ محبتهما لله تعالىٰ ولدينه ورغبتهما الصادقة في بقائه فيمن بعدهما إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ابن كثير: «إن من تمام محبة عبادة الله تعالىٰ أنه يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له، ولهذا لما قال الله تعالىٰ لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤)»[3].

وتخصيص إبراهيم عليه السلام ذريته بهذا الدعاء لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة، قال تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم:٦)، ولأن أولاد الأنبياء إذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢) مسند الإمام أحمد. وأخرجه الترمذي، كتاب أبواب الدعوات، باب (يا مقلب القلوب ثبت قلبي) (٩/ ١٨٢)، سنن الترمذي وقال عنه: (هذا حديث حسن).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٣).

صلحوا، صلح بهم غيرهم وشايعوهم علىٰ الخير، ألا ترىٰ أنّ المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا علىٰ السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم»[1].

﴿ وَمِن ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ للتبعيض[2].

وخص بعضهم لأنه تعالىٰ أعلمهما أن في ذريتهما الظالم بقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤)[3].

قال الطبري: أنه أراد بالذرية العرب خاصة[4].

قال ابن عطية: «هذا ضعيف لأن دعوته ظهرت في العرب وغيرهم من الذين آمنوا به»[5].

هذا ويظهر لي أن المراد من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ هو العرب لأنهم من ذريتهما، والمراد بالأمة أمة محمد ﷺ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ ويؤيده معنىٰ الأمة.

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٣٢٢)، التفسير الكبير (٤/ ٥٦)، البحر المحيط (١/ ٥٥٧)، روح المعاني (٢/ ٥٢٩).

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ١/ ٣٧٤، وانظر: الكشاف (١/ ٣٢٢)، البحر المحيط (١/ ٥٥٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٣٩)، المحرر الوجيز (١/ ٢١١)، التفسير الكبير (٤/ ٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٦)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦١)، روح المعاني (٢/ ٥٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٦٣٩).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٢١١).

وقوله: ﴿ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾.قال الراغب: «والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر تسخيراً أو اختياراً وجمعها أمم»[1].

الرابع: قولهما: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾. وقوله: ﴿ وَأَرِنَا ﴾ من رؤية البصر والمعنىٰ أظهرها لأعيننا حتىٰ نراها وقيل من رؤية القلب بمعنىٰ دلني عليه وعرفني مكانه[2].

وقوله: ﴿ مَنَاسِكَنَا ﴾. النُّسك: العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، والنُّسك والنَّسيكة الذبيحة. والمَنْسَك: الموضع الذي تذبح فيه النُّسك[3].

وأصل المَنْسَك في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه، يقال لفلان منسك، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر ولذلك سميت المناسك مناسك، لأنها تُعتاد ويتردد عليها بالحج والعمرة[4].

واختلف العلماء في المراد بالمناسك في الآية فقيل مذابحنا، وقيل مناسك الحج، وقيل جميع المتعبدات وكل ما يُتعبد به إلىٰ الله تعالىٰ يقال له

(١) المفردات (ص:٢٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٤١)، الكشاف (١/ ٣٢٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٧)، البحر المحيط (١/ ٥٥٨).

(٣) انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٩٨) مادة (نسك).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٤٢).

مَنْسَك ومنسك[1].

ويظهر لي من هذه الأقوال أنها بمعنىٰ جميع المتعبدات وكل ما يتعبد به إلىٰ الله. فكلمة المناسك تشمل كل ما يتقرب به العبد لربه كما يدل عليه عموم اللفظ.

قال الرازي: «من المفسرين من حمل المناسك علىٰ الذبيحة فقط، وهو خطأ لأن الذبيحة إنما تسمىٰ نسكًا لدخولها تحت التعبد، ولذلك لا يسمون ما يذبح للأكل بذلك فما لأجله سميت الذبيحة نسكًا،وهو كونه عملاً من أعمال الحج قائم في سائر الأعمال فوجب دخول الكل فيه وإن حملنا المناسك علىٰ ما يرجع إليه أصل هذه اللفظة من العبادة والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ واللزوم لما يرضيه، وجعل ذلك عامًا لكل ما شرعه الله تعالىٰ لإبراهيم عليه السلام فقوله: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي علمنا كيف نعبدك وأين نعبدك وبماذا نتقرب إليك حتىٰ نخدمك به كما يخدم العبد مولاه»[2].

الخامس: قولهما: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. أي وفقنا للتوبة أو اقبلها منا، والتوبة تختلف باختلاف التائبين، فتوبة سائر المسلمين الندم والعزم علىٰ عدم العود ورد المظالم إذا أمكن، ونية الرد إذا لم يمكن، وتوبة

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦)، زاد المسير (١/ ١٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٨)، البحر المحيط (١/ ٥٥٨).

(٢) التفسير الكبير (٤/ ٥٧).

الخواص الرجوع عن المكروهات من خواطر السوء، والفتور في الأعمال، والإتيان بالعبادة علىٰ غير وجه الكمال، وتوبة خواص الخواص لرفع الدرجات، والترقي في المقامات، فإذا كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام طلبا التوبة لأنفسهما خاصة، فالمراد بها ما هو توبة القسم الأخير[1].

وقيل: أراد التثبت والدوام علىٰ تلك الحالة[2] مثل: ﴿ **رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ** ﴾ (البقرة:١٢٨).

وإن كان الضمير شاملاً لهما وللذرية كان الدعاء بها منصرفًا لمن هو من أهلها ممن يصح صدور الذنب منه[3].

وإن قيل إن الطلب للذرية فقط كما تقول برني فلان وأكرمني وأنت تريد في ولدك وذريتك[4].

وذلك إنهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت وأطاعا أرادا أن يسنا للناس أن ذلك الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة[5].

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٥٦٠)، روح المعاني (٢/ ٥٣٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٠)، البحر المحيط (١/ ٥٦٠)، فتح القدير (١/ ١٤٢).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٥٦٠)، روح المعاني (٢/ ٥٣٠).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١١).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٠).

وقيل أنه لما أعلم إبراهيم عليه السلام أن في ذريته من يكون ظالماً عاصياً، طلب في هذه الآية أن يوفق أولئك العصاة المذنبين للتوبة[1].

هذا ولا يمنع أن يكون هذا الدعاء ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ الصادر من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو لأنفسهما ولذريتهما، فلا يمنع من صدور الصغائر في حق الأنبياء سهواً فيما لا علاقة له بالتبليغ، وذلك لأن الأنبياء بشر عصمهم الله في تحمل الرسالة وتبليغها، وهذه العصمة لا تلازمهم في كل أمورهم، فقد تقع منهم المخالفة الصغيرة، بحكم كونهم بشراً، ولكن رحمة الله تتداركهم، فينبههم إلىٰ خطئهم، ويوفقهم للتوبة إليه.

قال ابن تيمية[2]: «القول بأنّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتىٰ إنه قول أكثر أهل العلم... بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»[3].

(١) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٠)، البحر المحيط (١/ ٥٦٠)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦١).

(٢) ابن تيمية: «أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين، وصف بأنه كان محيطاً بالمعرفة النقلية والعقلية، كان صالحاً تقياً زاهداً، وفاته عام (٧٢٨هـ) من أهم مؤلفاته «منهاج السنة». انظر: البدر الطالع (١/ ٦٣)، فوات الوفيات (١/ ٦٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣١٩).

وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للإجابة، وتقديم التوبة للمجاورة، وتأخير الرحمة لعمومها، ولكونها أنسب بالفواصل[1].

وهاتان الصفتان مناسبتان لأنهما دعوا بأن يجعلهما مسلمين ومن ذريتهما أمة مسلمة، وبأن يريهما مناسكهما، وبأن يتوب عليهما. فناسب ذكر التوبة عليهما، أو الرحمة لهما[2].

السادس: قولهما: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٩).

لما دعا إبراهيم عليه السلام ربه بالأمن لمكة وبالرزق لأهلها، وبأن يجعل من ذريته أمة مسلمة، ختم الدعاء بما فيه سعادتهم دنيا وآخرة، وهو بعثة محمد عليه السلام فيهم، شمل دعاؤه لهم الأمن والحكمة والهداية[3].

﴿ رَبَّنَا ﴾ كرر النداء لأنه عطف غرض آخر في هذا الدعاء وهو غرض الدعاء بمجيء الرسالة في ذريته لتشريفهم وحرصاً على تمام هديهم[4].

والمراد بالبعث الإرسال إليهم[5].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (١/ ١٦١)، روح المعاني (٢/ ٥٣٠).

(٢) البحر المحيط (١/ ٥٦٠).

(٣) البحر المحيط (١/ ٥٦١).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٣).

(٥) البحر المحيط (١/ ٥٦١).

﴿ وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾. وفي عود الضمير ﴿ فِيهِمۡ ﴾ قولان[1]:

القول الأول: يعود على الأمة المسلمة.

القول الثاني: يعود على أهل مكة.

ويظهر لي القول الثاني، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ (الجمعة:٢).

والمراد بالرسول: محمد ﷺ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[2]، ولم يبعث الله إلى مكة وما حولها إلا هو ﷺ[3]، وقرأ أبيّ: وابعث فيهم في آخرهم[4].

وعلى ذلك إجماع المفسرين وهو حجة[5].

قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦)، البحر المحيط (١/ ٥٦١)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦١)، روح المعاني (٢/ ٥٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧ - ١٢٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠)، والطبري في تفسيره (١/ ٦٤٣)، والبغوي في تفسيره (١/ ١١٦)، عن حديث العرباض بن سارية مرفوعاً: قال الحاكم صحيح الإسناد.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٦٠)، البحر المحيط (١/ ٥٦١).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١)، البحر المحيط (١/ ٥٦٢)، روح المعاني (٢/ ٥٣١).

(٥) التفسير الكبير (٤/ ٦٠).

قال: «يقول تعالىٰ إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم أي من ذرية إبراهيم وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولاً في الأميين إليهم وإلىٰ سائر الأعجميين من الإنس والجن»[1].

هذا وتفسير ابن كثير للآية بأنها عمت أهل مكة وغيرهم من العرب والعجم لا يتنافىٰ مع دعوة إبراهيم عليه السلام التي دعا بها لأهل مكة ببعثة الرسول منهم وذلك لوجهين:

١ - أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر أن بعثه محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للناس كافة لما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (سبأ:٢٨).

٢ - أن مكة هي أم القرىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ (الشورىٰ:٧) «وإنما بعث الرسول عليه السلام في أهل مكة تشريفاً لهم، فهم يعرفون مولده ومنشأه، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ (آل عمران:١٦٤)، والرسول فيهم ومنهم، لأنه يكون أشفق علىٰ قومه، ويكونون هم أعز به وأشرف وأقرب للإجابة»[2].

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥٩)، البحر المحيط (١/ ٥٦٢).

وقوله: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ﴾. قوله: ﴿ ءَايَـٰتِكَ ﴾ جمع آية، وهي الجملة من جمل القرآن، سميت آية لدلالتها علىٰ صدق الرسول بمجموع ما فيها من دلالة صدور مثلها من أمي لا يقرأ ولا يكتب وما نُسجت عليه من نظم أعجز الناس عن الإتيان بمثله[1].

والمراد بالآيات القرآن لأن الذي كان يتلوه عليهم ليس إلا ذلك فوجب حمله عليه[2]، قال السعدي: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ﴾ «لفظاً وحفظاً وتحفيظاً»[3].

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ القرآن[4].

وقيل إن المراد بالآيات ظاهر الألفاظ، والكتاب معانيها[5].

(والحكمة) الشريعة، وبيان الأحكام[6]. وقيل الحكمة السنة. وقيل فهم

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦)، المحرر الوجيز (١/ ٢١٢)، التفسير الكبير (٤/ ٦٠)، البحر المحيط (١/ ٥٦٢)، فتح القدير (١/ ١٤٤)، التحرير والتنوير (١/ ٧٠٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٦).

(٤) تفسير البغوي (١/ ١١٦)، الكشاف (١/ ٣٢٣)، المحرر الوجيز (١/ ٢١٢)، زاد المسير (١/ ١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١).

(٥) فتح القدير (١/ ١٤٤).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١٢)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦٢).

القرآن، وقيل الحكم والقضاء، وقيل ما لا يعلم إلا من جهة الرسول[1].

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ قال الطبري: «يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان وينميهم ويكثرهم بطاعة الله»[2].

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. العز في الأصل القوة والشدة والغلبة، والعزُّ والعزّة: الرفعة والامتناع ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر[3].

والمعنىٰ: أي الذي لا يقهر ولا يغلب علىٰ ما يريد[4].

(والحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة[5].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٦١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٠)، البحر المحيط (١/ ٥٦٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٦٤٥).

(٣) انظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٤)، مادة (عذر).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١٢)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦٢).

(٥) انظر: المرجعين السابقين، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١).

المبحث السادس

دعاء إبراهيم عليه السلام بالأمن والرزق لمكة المكرمة

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة:١٢٦).

المراد من الآية «دعاء إبراهيم للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة مما يجلب إلىٰ مكة لأنها بلد لا زرع ولا غَرس فيه، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحي وتعذر العيش فيها»[(١)].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ ﴾. قوله: ﴿ ٱجْعَلْ ﴾ لفظة الأمر وهي في حق الله تعالىٰ رغبة ودعاء[(٢)].

﴿ بَلَدًا ءَامِنًا ﴾. المراد بالبلد هاهنا مكة[(٣)]، وقيل الحرم[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير (٤/ ٤٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٠٩)، البحر المحيط (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٤)، زاد المسير (١/ ١٢٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١١٧).

(٤) تفسير البغوي (١/ ١١٤).

﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمنٍ، وأمن البلدة مجاز، والمراد أمن من فيه[1].

وأراد إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء تيسير الإقامة في هذا البلد علىٰ سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام[2].

وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال[3]:

القول الأول: أنه سأله الأمن من القتل.

القول الثاني: من الخسف والقذف.

القول الثالث: من القحط والجدب.

ويظهر لي أن إبراهيم الخليل دعا بكل ما يحصل به الأمن ليتحقق المطلوب من الدعاء وهو كون مكة مكاناً آمناً ليسهل العيش فيها والاستقرار، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، ومكة المكرمة التي فيها بيت الله الحرام أولىٰ بمثل هذا الدعاء، لأن فيها بيت الله الذي فرض الله حجه علىٰ القادرين من عباده، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٤)، الكشاف (١/ ٣٢٠)، المحرر الوجيز (١/ ٢٠٩)، زاد المسير (١/ ١٢٨)، تفسير النسفي (١/ ٧٤)، التفسير الكبير (٤/ ٥٠)، فتح القدير (١/ ١٤١)، روح المعاني (١/ ٥٢٥).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٦).

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ١٢٨)، التفسير الكبير (٤/ ٥٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١١٧)، البحر المحيط (١/ ٥٥٠)، روح المعاني (١/ ٥٢٥).

هذا ودعاء الخليل عليه السلام لمكة المكرمة بأن يجعلها الله بلداً آمناً وأن يرزق أهلها من الثمرات لا يعترض عليه بأن مكة قد حصل فيها أمور تتنافى مع الأمن كما حدث في عهد الحجاج[1] من ضرب الكعبة بالمنجنيق[2]، فإن ذلك يعتبر أمراً طارئاً ربما لم يكن قصده الكعبة وإنما كان قصده خصمه عبد الله بن الزبير[3] ومن كان معه[4].

﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾. دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، ولا ماء، ولا أهل[5].

(١) الحجاج: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام، قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرت جموعه، بين مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) مات بواسط. انظر: معجم البلدان (٨/ ٣٨٢)، وفيات الأعيان (١/ ١٢٣).

(٢) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة، معربة وأصلها بالفارسية (من جي نيك) أي ما أجودني، وهي مؤنثة. انظر: الصحاح (٤/ ١٤٥٥) مادة (المنجنيق).

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن قصي بن كلاب، القرشي الأسدي، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، كان صواماً قواماً، طويل الصلاة عظيم الشجاعة، روى عن النبي أحاديث، وعن أبيه، وعن عمر وعثمان وغيرهم، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: أسد الغابة (٣/ ١٣٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٤٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٤)، تفسير الطبري (١/ ٦٢٨)، المحرر الوجيز (١/ ٢٠٩).

وسؤال إبراهيم الرزق لأهل مكة هو أمر تتطلبه حال الإنسان ليستقر في مكانه ولا يضطر إلىٰ مغادرته في طلب العيش، وتحقيق الرزق للإنسان المسلم يتحقق به أمران مهمان:

الأول: أن يتقوىٰ به علىٰ طاعة الله.

الثاني: أن يستغني به عن غيره، وخاصة إذا كان عدو له.

وطلب إبراهيم الخليل لأهل مكة الرزق في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ** ﴾. فليس مجَّرد أي شيء وإنما أفضل ما يمكن أن يتمناه إنسان في بلدٍ ما وهي الثمرات، فكما نعلم أن ثمرة الشيء هي النفع الصادر عنه، فمثلاً ثمرة العلم هي العمل الصالح، وثمرة العمل الصالح الجنة[1].

ويقال في الدعاء للرجل ثَمّر الله ماله أي نمَّاه[2].

ثم إن «أل» هنا في الثمرات أفادت الاستغراق، أي جميع الثمرات المعروفة لدىٰ الناس. وفي هذا دعاء لهم بالرفاهية حتىٰ لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه[3].

والمعنىٰ ﴿ **وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ** ﴾ أي من أنواعها بأن تجعل تقرب منه قرىٰ يحصل فيها ذلك أو يجيء إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص:٨١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة. (١/ ٣٨٨)، مادة «ثمر».

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٦٩٦).

حتىٰ أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد[1].

﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾. نص من آمن بالدعاء إظهاراً لشرف الإيمان وإبانة لخطره، واهتماماً بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب، وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر، كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب[2]. ولأنه قاس الرزق علىٰ جعل الإمامة في ذريته قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤)[3].

وربّما يكون سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ظنَّ أنه لو دعا لمن كفر أيضاً بالرزق سيكون ذلك سبباً في كثرة الكفار في مكة فتكثر المفسدة والمضَّرة علىٰ الناس الذاهبين إلىٰ الحج فخص المؤمنين بالدعاء لهذا السبب[4].

ولكن رغم ذلك فالرحمة الإلهية تشمل كل شيء، فيأتي الرد في السياق القرآني نفسه إذ يقول تعالىٰ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ أي: وارزق من كفر[5].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٠٩)، تفسير أبي السعود (١/ ١٥٨)، روح المعاني (١/ ٥٢٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (١/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٢٨)، الكشاف (١/ ٣٢٠)، التفسير الكبير (٤/ ٥١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٠)، تفسير النسفي (١/ ٧٤)، البحر المحيط (١/ ٥٥٠)، روح المعاني (١/ ٥٢٥).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥١).

(٥) تفسير النسفي (١/ ٧٤).

﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ في قوله: ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ وقوله: ﴿ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ قراءتان ترتب عليهما اختلاف معنيين:

القراءة الأولىٰ: بصيغة الأمر - أي: فأمتعه بسكون الميم وكسر التاء - تدخل في دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكذلك اضطره، بوصل الألف وفتح الراء، أي دعاء علىٰ من كفر بالمتعة قليلاً في الدنيا ثم الاضطرار إلىٰ عذاب الجحيم[1].

والثانية: ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ بتشديد الميم مع فتحها وتشديد التاء. وبهذا يكون المعنىٰ أن الله ﷻ ردَّ علىٰ سيدنا إبراهيم عليه السلام إنه سيمتع الكافر فترة بقائه في الدنيا فقط[2].

ويظهر لي القراءة الثانية وهي القراءة الصحيحة لما يقتضيه السياق.

قال ابن كثير: (وقرأ بعضهم: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ الآية جعله من تمام دعاء إبراهيم وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبىٰ معناها والله أعلم فإن الضمير في قال راجع إلىٰ الله تعالىٰ في قراءة الجمهور والسياق يقتضيه)[3].

---

(١) نسبت لابن عباس ومجاهد وهي قراءة شاذة. انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٢٩)، الكشاف (١/ ٣٢٠)، البحر المحيط (١/ ٥٥١).

(٢) قراءة الجمهور من السبعة وقرأ ابن عامر مخففة. انظر: النشر ٢/ ٢٢٢، الوافي (٢١١)، الغاية (١٠٨)، التيسير (٧٦)، سراج القاري (٩٨ - ٩٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٥).

والمنفعة هنا قصد بها الرزق وقيل الأمن وقيل بهما إلىٰ خروج محمد ﷺ فيقتله أو يخرجه من مكة إن إقام علىٰ الكفر[1].

فجعل ﷻ رزق الكافر في دار الدنيا قليلاً، إذا كان واقعاً في مدة عمره، وهي مدة واقعة فيما بين الأزل والأبد وهو بالنسبة إليهما قليل جداً، وبين تعالىٰ أن نعمة المؤمن في الدنيا موصولة بالنعمة في الآخرة، بخلاف الكافر فإن نعمته في الدنيا تنقطع عند الموت[2].

﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ الاضطرار هنا يعني شيئين هما:

أولاً: الاضطرار ضد الاختيار وهو حقيقة في كون الفعل صادراً من الشخص من غير تعلق إرادته به[3].

وقيل إن أصله من الضرِّ وهو إدناء الشيء، من الشيء، ومنه ضرة المرأة لقربها منها[4].

وثانياً: أن يُجبر الفاعل علىٰ الفعل بالتهديد والتخويف حتىٰ يفعله بعد ذلك اختياراً[5] مثل قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ (البقرة:١٧٣).

---

(١) انظر: زاد المسير (١/ ١٢٨)، التفسير الكبير (٤/ ٥١).

(٢) التفسير الكبير (٤/ ٥١).

(٣) انظر: روح المعاني (١/ ٥٢٦).

(٤) التفسير الكبير (٤/ ٥١).

(٥) المرجع السابق.

ويظهر لي القول الأول وهو كون الفعل صادراً من الشخص من غير تعلق إرادته به لأن السياق يدل علىٰ قُرب المعنىٰ عن غيره.

وتختتم الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾. فالمخصوص بالذم محذوف لفهم المعنىٰ، أي وبئس المصير النار[1].

الآية الثانية:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ (إبراهيم:٣٥).

قد بيّن المفسرون رحمهم الله فروقًا بين الدعاءين، ومن تلك الفروق ما يلي:

١ - إنّ الدعاء المذكور في سورة البقرة كان قبل بناء الكعبة، والدعاء الموجود في سورة إبراهيم عليه السلام وقع مرة ثانية بعد بناء البيت، واستقرار أهله به[2].

٢ - إن المدعوّ به في سورة البقرة البلدية مع الأمن (أي: اجعل هذا المكان القفر بلداً آمنًا) والمدعوّ به في سورة إبراهيم عليه السلام هو الأمن فقط، رغبةً في استمراره لأنه المقصد الأصلي[3].

٣ - ما ورد في سورة إبراهيم عليه السلام فليس فيه إلا دعاء الأمن، لا طلب

(١) انظر: تفسير النسفي (١/ ٧٤)، البحر المحيط (١/ ٥٥٥)، روح المعاني (١/ ٥٢٧).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥٠)، البحر المحيط (١/ ٥٥٠)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٦)، روح المعاني (١/ ٥٢٤)، التحرير والتنوير (١/ ٦٩٤).

(٣) انظر: فتح القدير (٣/ ١١٢)، روح المعاني (١/ ٥٢٤).

المبالغة منه، وأما ما جاء في سورة البقرة ففيه طلب المبالغة من الأمن[1].

هذا وقد استجاب الله تعالىٰ دعوة خليله عليه السلام هذه. قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت:٦٧).

ولا شك في عظم قدر نعمة الأمن ويتجلىٰ هذا في قول الرسول ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه[2]، معافىٰ في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت[3] له الدنيا»[4].

ولكن لا يقدر هذه النعمة حق قدرها إلا من ابتلي بفقدها، اللهم اجعل بلاد المسلمين بلاداً آمنة مطمئنة، وأدِم الأمن والاستقرار فيها. آمين يا سميع يا مجيب.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٥٠)، روح المعاني (١/ ٥٢٥).

(٢) سِرْبه: المشهور. كسر السين أي في نفسه، وقيل: السرب الجماعة، فالمعنىٰ في أهله وعياله، وقيل بفتح السين أي في مسلكه وطريقه، وقيل بفتحتين أي: في بيته. تحفة الأحوزي (٧/ ٩).

(٣) حيزت: بصيغة المجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم. المرجع السابق (٧/ ١٠).

(٤) أخرجه الترمذي. كتاب الزهد، باب من بات آمنًا في سربه معافىٰ في بدنه (٧/ ٩٣).

المبحث السابع

دعاء إبراهيم عليه السلام بأن يجنبه الله وبنيه عبادة الأصنام

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (إبراهيم:٣٥ - ٣٦).

﴿ وَٱجۡنُبۡنِي ﴾ قال الراغب في تفسيره لهذه الآية، يقال جنّبته عن كذا أي أبعدته، كأنما سأله أن يقوده عن جانب الشرك بألطاف منه وأسباب خفية[1].

والمعنىٰ أي اجعلني جانبًا عن عبادتها[2].

والمراد طلب الثبات والدوام علىٰ ذلك أي ثبتنا علىٰ ما نحن عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام[3].

فإذا كان إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده، وابتلي بكلمات فأتمهن وكسر الأصنام بيده يخاف الشرك ويسأل ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، فما الظن بغيره، وهذه الآية ينبغي أن يقتدىٰ بها في الخوف من

(١) انظر: المفردات (ص:١٠٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٨)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٦٨)، تفسير أبي السعود (٥/ ٥١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٤).

الوقوع في الشرك لمن هو دون الخليل بمراتب.

وأراد بقوله ﴿ وَبَنِيَّ ﴾: بنيه من صُلبه، وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنمًا[1].

قال ابن كثير في تفسير: «ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه، ولوالديه، ولذريته»[2].

﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾. والصنم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن[3].

وهذا القول غير صحيح لأنه عليه السلام لم يرد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله والصنم كالوثن في ذلك[4].

قال ابن منظور: الصَّنم هو الوثن، وهو ما اتخذ إلهًا من دون الله[5].

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾. هذه الجملة تعليل لدعائه لربه[6].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٦)، الكشاف (٣/ ٣٨٣)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١)، تفسير النسفي (٢/ ٢٦٣)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٣)، فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٤٠).

(٣) التفسير الكبير (١٩/ ١٠٥).

(٤) المرجع السابق، وانظر: روح المعاني (١٣/ ٢٩٩).

(٥) لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، مادة «صنم».

(٦) انظر: فتح القدير (٣/ ١١٢)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٠).

وصدرت بالنداء ﴿ رَبِّ ﴾ إظهار للاعتناء به ورغبة في استجابته[1].

والمراد بها الأصنام، وهي لا توصف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلوا بسببها، كانت كأنها أضلتهم[2].

والضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، سواء كان عمداً أو سهواً قليلاً أو كثيراً[3].

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾. قصد بالتبعية هنا السير على ملَّته وأن يكون التابع حنيفًا مسلمًا[4].

﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ قال عليه السلام ذلك مبالغة في بيان اختصاصه به، أو أنه متصل به لا ينفك عنه في أمر الدين[5].

﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. والتعبير بالعصيان للإيذان بأنه عليه السلام

(١) انظر: روح المعاني (١٣/ ٣٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٣٤)، تفسير البغوي (٣/ ٣٦)، الكشاف (٣/ ٣٨٣)، زاد المسير (٤/ ٢٦٨)، التفسير الكبير (١٩/ ١٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٦٨)، تفسير النسفي (٢/ ٢٦٣)، البحر (٥/ ٥٥٣)، فتح القدير (٣/ ١١٢)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٠).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص:٢٩٧).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٧١)، تفسير البغوي (٣/ ٣)، تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٠)، زاد المسير (٤/ ٢٦٨)، تفسير أبي السعود (٥/ ٥١)، فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود (٤/ ٢٦٨)، روح المعاني (٣/ ٣٠٠).

مستمر علىٰ الدعوة، وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا لأنه لم تبلغه الدعوة[1].

وهذا من شفقة الخليل عليه السلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله، والله ﷻ أرحم منه بعباده، لا يعذب إلا من تمرد عليه[2].

وفي الصحيح «أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالىٰ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (إبراهيم:٣٦)، وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة:١١٨) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكىٰ. فقال الله ﷻ: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»[3].

ولا شك أن ذلك لن يكون إلا بكرم الله وغفرانه ورحمته فالله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء[4].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٥١)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم (٣/ ٧٧) (صحيح مسلم بشرح النووي).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:٣٧٠)، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد=

قال ابن عطية: «﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ معناه بتوبتك علىٰ الكفرة حتىٰ يؤمنوا، لا أنه أراد أن الله يغفر لكافر، لكنه حمله علىٰ هذه العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الأدب»[1].

❊ ❊ ❊

=(ص:٣٠٢).

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١).

المبحث الثامن

دعاء إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى البيت الحرام

قال تعالىٰ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (إبراهيم:٣٧ - ٣٨).

استفتح هذا الدعاء بلفظ ﴿ رَّبَّنَآ ﴾ رغبة منه في الإجابة، وإظهاراً للتذلل، والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ، وأتىٰ بضمير جماعة المتكلمين، لأنه تقدم ذكره، وذكر بنيه[1] في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ ﴾ (إبراهيم:٣٥).

﴿ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾، قيل:

إنَّ (مِنْ) هنا للتبعيض[2]، وقيل إنها زائدة[3] - والرأي الأول أرجح لأنه أسكن إسماعيل عليه السلام وهو بعض ولده.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٥٥٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٨، زاد المسير (٤/ ٢٦٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧١)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٤)، فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧١)، فتح القدير (٣/ ١١٢).

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾. يعني: مكة ولم يكن فيها حرث ولا ماء، لأن مكة وادٍ بين جبلين[1].

وفي الآية وصف للوادي بخلو الزَّرع مع أنه كان خاليًا من الماء وقيل في ذلك رأيان[2]:

أولهما: أنه عليه السلام علم من ربه بوجود الماء فيه فيما بعد لذا لم يذكر في الدعاء.

وثانيهما: أنه يكون انتفاء وجود الزّرع يعني انتفاء وجود الماء أيضًا.

وأضاف الزمخشري رأيًا جديداً هو أن المراد (لا يكون فيه شيء من زرع قط، كقوله تعالىٰ: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ (الزمر:٢٨) بمعنىٰ لا يوجد فيه اعوجاج وما فيه إلا الاستقامة لا غير»[3].

﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾. أضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره[4].

وسمي محرمًا لأن الله حرم التعرض له والتهاون به، وجعل ما حوله حرمًا لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنعًا عزيزاً يهابه كل جبار، كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب، أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكه، أو لأنه

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١)، البحر المحيط (٣/ ٣٤١).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٨٥)، وانظر: التفسير الكبير (١٩/ ١٠٧).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧١).

حرّم علىٰ الطوفان، أي منع منه»[1].

﴿ لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ جاء بضمير الجماعة لأن الله تعالىٰ أعلمه عليه السلام بأن ولده إسماعيل عليه السلام سيعقب هناك ويكون له نسل[2].

﴿ لِيُقِيمُواْ ﴾. اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم في هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفع ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم[3].

وقيل إن اللام لام الأمر فيكون الفعل بعدها مجزوماً ويكون المراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل الله تعالىٰ أن يوفقهم لها[4].

وخُصَّت الصلاة هنا من بين سائر العبادات لأنَّها أساس كل العبادات وأفضلها ولأنها سبب لكل خير بعد ذلك[5].

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾. الأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب، عبر به عن

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٨٥)، التفسير الكبير (١٩/ ١٠٧)، البحر المحيط (١/ ٥٥٤)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٤٢)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٤).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٣٨٥)، إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٦٩)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ١٧٠)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٣).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) انظر: البحر المحيط (٥/ ٥٥٤)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٣).

جميع البدن، لأنه أشرف عضو فيه[1].

وسُمِّي القلب فؤاداً لنفاده. مأخوذ من فأد ومنه المُفْتَأد وهو مستوقد النار حيث يُشوىٰ اللَّحم[2].

وقيل هي جمع «وَفْد» أوْفدة فقدَّمت الفاء، وقُلبت الواو ياء فكأنَّه قال واجعل وفوداً من الناس تهوي إليهم[3].

﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾. ﴿ مِّنَ ﴾ للتبعيض،أي: اجعل أفئدة بعض النَّاس تهوي إليهم، ولو قيل أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند، وقال سعيد بن جبير: لحجت إليه اليهود والنصارىٰ والمجوس[4].

﴿ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً[5].

والمقصود بهذا الدعاء تأنيس مكانهم بتردد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم، ومحبة الناس إياهم يحصل معها محبة البلد وتكرير زيارته، وذلك سبب لاستئناسهم به ورغبتهم في إقامة شعائره، فيؤول إلىٰ الدعوة إلىٰ الدين[6].

---

(١) فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٥٤).

(٣) انظر: فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٤٢)، تفسير النسفي (٢/ ٢٦٤)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٤)، روح المعاني (١٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر: الكشاف (٣/ ٣٨٦)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٥).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٤).

قال السعدي ﷺ عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (إبراهيم:٣٧): «فأجاب الله دعاءه، فأخرج من ذرية إسماعيل محمد ﷺ حتىٰ دعا ذريته إلىٰ الدين الإسلامي، وإلىٰ ملة أبيهم إبراهيم، فاستجابوا وصاروا مقيمي الصلاة، وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم، وجعل فيه سراً عجيباً جاذباً للقلوب، فهي تحجه، ولا تقضي منه وطراً علىٰ الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه، وعظم ولعه وتوقُّه، وهذا سر إضافته تعالىٰ إلىٰ نفسه المقدسة»[١].

﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[٢]. لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ (البقرة:١٢٦) اكتفاء بذكر إقامة الصلاة.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾. فإبراهيم عليه السلام طلب تيسير المنافع لأولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات[٣].

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ ﴾. هنا تكرر لفظ ربنا في بداية كل آية للتضرع واللجوء إلىٰ الله ورغبة في استجابة دعائه[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٢٧).

(٢) سبق شرح هذه الآية في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.

(٣) التفسير الكبير (١٩/ ١٠٨).

(٤) انظر: تفسير النسفي (٢/ ٢٦٤)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٦).

﴿ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ ﴾. تقدم ﴿ مَا نُخۡفِي ﴾ علىٰ قوله: ﴿ وَمَا نُعۡلِنُۗ ﴾ للدلالة علىٰ أنهما مستويان في علم الله سبحانه، وظاهر النظم القرآن عموم كل ما لا يظهر وما يظهر من غير تقييد بشيء من ذلك[1].

قال الزمخشري: «تعلم السرَّ كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه، لأنّ غيباً من الغيوب لا يحتجب عنك»[2].

و﴿ مِن ﴾ في قوله: ﴿ مِن شَيۡءٖ ﴾ للاستغراق، كأنه قيل: وما يخفىٰ عليه شيء ما[3].

وذكر السموات والأرض لأنها المشاهدة للعباد، وإلا فعلمه ﷻ محيط بكل ما هو داخل في العالم، وكل ما هو خارج عنه لا يخفىٰ عليه منه خافية[4].

وقوله: ﴿ وَمَا تَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ اختلف في القائل علىٰ قولين[5]:

أحدهما: إن هذا من كلام الله تعالىٰ تصديقاً لإبراهيم عليه السلام.

---

(١) فتح القدير (٣/ ١١٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٣٨٦).

(٣) المرجع السابق، وانظر: تفسير النسفي (٢/ ٢٦٤).

(٤) فتح القدير (٣/ ١١٣).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٨)، الكشاف (٣/ ٣٨٧)، التفسير الكبير (١٩/ ١٠٩)، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٥)، تفسير النسفي (٢/ ٢٦٤)، البحر المحيط (٥/ ٥٥٦)، تفسير أبي السعود (٥/ ٣٥)، فتح القدير (٣/ ١١٣).

والثاني: من كلام إبراهيم عليه السلام، يعني: وما يخفىٰ علىٰ الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان.

ويترجح لي القول الثاني: قال أبو حيان[1] عند تفسيره للآية: «من كلام إبراهيم لاكتناف ما قبله وما بعده بكلام إبراهيم، لما ذكر أنه تعالىٰ عمم ما يخفىٰ هو ومن كنىٰ عنه، تمم جميع الأشياء، وأنها غير خافية عنه تعالىٰ»[2].

❊ ❊ ❊

(١) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين (٦٥٤ - ٧٤٥هـ) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ولد في إحدىٰ جهات غرناطة، ورحل إلىٰ مالقه، وتنقل إلىٰ أن أقام بالقاهرة، وتوفي بها بعد أن كف بصره، من أشهر كتبه «البحر المحيط»، «تحفة الأريب». انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، معجم المؤلفين (١٢/ ١٣٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٥٦).

المبحث التاسع

دعاء إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦٠).

﴿ رَبِّ ﴾ في افتتاح الدعاء بقوله: ﴿ رَبِّ ﴾ حسن استلطاف واستعطاف مبالغة في الإجابة[١].

﴿ أَرِنِى ﴾ سؤال رغبة والمراد بالرؤية هنا الرؤية البصرية[٢].

وسؤاله عليه السلام ربه أن يريه كيفية إحياء الموتىٰ عياناً لم يكن عن شك منه ولكن لما علم ذلك بقلبه وتيقنه، واستدل به علىٰ نمرود في قوله: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة:٢٥٨) طلب من الله رؤية ذلك[٣].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (١/ ٢٥٦)، البحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، روح المعاني (٣/ ٣٦).

(٢) انظر: معاني القرآن لأخفش (١/ ٣٨٣)، الكشاف (١/ ٤٩٢)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٩٧)، وانظر: المراجع السابقة.

(٣) البحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، روح المعاني (٣/ ٣٦).

وسؤاله عليه السلام لينتقل من مرتبة علم اليقين، إلىٰ عين اليقين[1].

وقد قطع النبي ﷺ دابر هذا الشك عن إبراهيم بقوله علىٰ سبيل التواضع: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»[2].

أي نحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرىٰ[3].

وقيل: إن الكلام مع أفعل جاء هنا لنفي المعنىٰ عن الحبيب والخليل عليهما الصلاة والسلام[4].

قال ابن عطية: «الشك يبعد علىٰ من تثبت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوة والخُلة، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً»[5].

وفي سبب سؤاله أقوال[6]:

---

(١) روح المعاني (٣/ ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتىٰ، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) (٨/ ٤٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة (صحيح مسلم بشرح النووي) (٢/ ١٨٣).

(٣) روح المعاني (٣/ ٣٦)، وانظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٥٢).

(٤) روح المعاني (٣/ ٣٦).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٣٥٢).

(٦) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٧)، تفسير الطبري (٣/ ٦٠)، المحرر الوجيز (١/ ٣٥٢)، زاد المسير (١/ ٢٧٢)، التفسير الكبير (٧/ ٣٤)، البحر المحيط (٢/ ٤٧٧)، روح=

أحدها: أنه رأىٰ جيفة تمزقها سباع البر والبحر والهواء.

والثاني: أنه لما بشر بأن الله اتخذه خليلاً أراد أن يدل لهذا السؤال ليجرب صحة الخلة، فإن الخليل يدل بما لا يدل به غيره.

والثالث: أنه لما فارق النمرود وقال له: أنا أحيي وأميت، فكر في تلك الحقيقة والمجاز، فسأل هذا السؤال. والذي يظهر لي أن إبراهيم الخليل واجه من قومه لونًا آخر من الكفر غير الكفر في الألوهية والربوبية، وهو إنكار البعث بعد الموت، ولما كان الاستدلال بالأمور المحسوسة له أثره في نفوس المدعوين ممن لم يؤمنوا بالوحي طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتىٰ، فأجاب الله طلبته، ليكون ذلك آية علىٰ صدقه في دعوته، وأنه نبي رسول.

﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾. الضمير في قال، عائد علىٰ الرب، والهمزة للتقرير، ومعناه: قد آمنت بالإحياء[1].

وقيل المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون أنه عليه السلام كان مؤمنًا بذلك عارفًا به[2].

=المعاني (٣/ ٣٦).

(١) البحر المحيط (٢/ ٤٧٧).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٢)، التفسير الكبير (٧/ ٣٥)، الفريد في إعراب القرآن الكريم (١/ ٥٠٣)، البحر المحيط (٢/ ٤٧٨).

﴿ قَالَ بَلَىٰ ﴾. فقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾ إيجاب لما بعد النفي، معناه بلىٰ آمنت[1].

﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾. الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج. وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد[2].

وأراد بالاطمئنان العلم المحسوس وانشراح النفس به وقد دله الله علىٰ طريقة يرىٰ بها إحياء الموتىٰ رأي العين[3].

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ (البقرة:٢٦٠).

قال ابن كثير: (اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي وإن كان لا طائل تحت تعينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن)[4].

وتخصيص الطير بذلك لأنه أقرب إلىٰ الإنسان باعتبار طلبه المعاش والمسكن، ولأنه أجمع لخواص الحيوان، ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفرقة، ولما فيه من مزيد أجزاء من الريش، ففي إحيائها مزيد ظهور القدرة؛ ولأن من صفته الطيران في السماء، وكان من همة إبراهيم عليه السلام العلو والوصول إلىٰ الملكوت فجعلت معجزته مشاكلة لهمته[5].

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٢)، البحر المحيط (٢/ ٤٧٨).

(٢) المفردات (ص:٣٠٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٥١٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٥).

(٥) انظر: روح المعاني (٣/ ٣٩)، البحر المحيط (٢/ ٤٨٠)، فتح القدير (١/ ٢٨٢).

قال الشوكاني: «وقيل غير ذلك من الأسباب الموجبة لتخصيص الطير، وكل هذا لا تسمن ولا تغني من جوع وليست إلا خواطر أفهام وبوادر أذهان لا ينبغي أن تجعل وجوهاً لكلام الله، وعللا لما يرد في كلامه»[1].

وأمره بالأخذ من الطير: هو إمساكها بيده ليكون أثبت في المعرفة بكيفية الإحياء، لأنه يجتمع عليه حاسة الرؤية، وحاسة اللمس[2].

﴿ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ قرئت بكسر الصاد، وبضمها[3].

وبالكسر معناه: أي قطعهن ومزقهن، وبضم الصاد معناها أملهن إليك ووجههن[4].

والمعنىٰ فيهما: فأملهن واضممهن إليك[5].

وأمره تعالىٰ بضمها إلىٰ نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك[6].

---

(١) فتح القدير (١/ ٢٨٢).

(٢) البحر المحيط (٢/ ٤٨٠).

(٣) قرأ الجمهور من السبعة (فصرهن) بضم الصاد، وقرأ نافع (فصرهن) بكسر الصاد. انظر: النشر (٢/ ٢٣٢)، الحجة في القراءات السبع (ص:١٠١)، الغاية في القراءات العشر (ص:١١٨)، التذكرة في القراءات الثمان (٢/ ٢٧٤)، ا لمستنير في القراءات العشر (٢/ ٦٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٨)، التفسير الكبير (٧/ ٣٧).

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٥٠٤).

(٦) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٤)، التفسير الكبير (٧/ ٣٧)، تفسير النسفي (١/ ١٣٢)، البحر=

﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ﴾ (البقرة:٢٦٠).

قال المفسرون[١]: أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يذبح تلك، وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها علىٰ الجبال، ثم أمر الله ﷻ أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله ﷻ فجعل ينظر إلىٰ الريش يطير إلىٰ الريش والدم إلىٰ الدم واللحم إلىٰ اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلىٰ بعض حتىٰ قام كل طائر علىٰ حدته وأتينه يمشين سعيًا، وجعل كل طائر يجئ ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قدم له غير رأسه يأباه فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته.

قوله: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ ﴾. العموم في كل جبل مخصص بوصف محذوف أي يليك أو بحضرتك[٢].

قال ابن عطية: «وبعيد أن يكلف جميع جبال الدنيا، فلن يحيط بذلك بصره»[٣].

=المحيط (٢/ ٤٨١).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤٩٣)، التفسير الكبير (٧/ ٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٠١)، تفسير النسفي (١/ ١٣٢)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٨٢)، تفسير أبي السعود (١/ ٢٥٧)، روح المعاني (٣/ ٣٩).

(٢) البحر المحيط (٢/ ٤٨١).

(٣) المحرر الوجيز (١/ ٣٥٥).

قوله تعالىٰ: ﴿ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ ﴾. السعي من أنواع المشي لا من أنواع الطيران، فجعل ذلك آية علىٰ أنهن أعيدت إليهن حياة مخالفة للحياة السابقة، لئلا يظن أنّهن لم يمتن تماماً[1].

والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشُّبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، وإن أرجلها غير سليمة والله أعلم»[2].

واختتم الله هذه الآية بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾. أي ذو قوة عظيمة سخر بها المخلوقات فلم يستعصىٰ عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالىٰ تابعة لحكمته لا يفعل شيئاً عبثاً[3].

❊ ❊ ❊

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٥١٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٩)، التفسير الكبير (٧/ ٣٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:١١٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ علي بإتمام البحث ووفقني لإكماله، وأشكره علىٰ جزيل نعمه وإحسانه وأصلي وأسلم علىٰ خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين، وبعد..

فأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

١ – أن الدعاء هو التضرع إلىٰ الله والافتقار إليه بطلب تحقيق المطلوب أو دفع المكروه بصيغ السؤال والخبر.

٢ – استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه كان وعداً وعده إبراهيم أباه طمعاً في إيمانه، ولكن لما أصر أبوه علىٰ الشرك تبرأ منه، وترك الاستغفار له.

٣ – تسلح إبراهيم عليه السلام بسلاح الإيمان والتقوىٰ والدعاء والتضرع إلىٰ الله مع بذل الأسباب الممكنة لإنجاح دعوته.

٤ – حرص إبراهيم عليه السلام علىٰ الدعاء بالذرية الصالحة، وقد بدأ في ذلك قبل ولادتهم.

٥ – دعاء خليل الرحمن بأن يهب الله له الحكمة، ويلحقه بالصالحين، وأن يجعل له لسان صدق في الآخرين.

٦ – طلب خليل الرحمن الإمامة لبعض ذريته حينما بُشر بها.

٧ – رغبة إبراهيم عليه السلام الصادقة في بقاء «الإسلام» فيمن بعده إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٨ – حرص إبراهيم عليه السلام أن يبعث الله في ذريته رسولاً منهم يتلو عليهم الآيات ويعلمهم ا لكتاب والحكمة.

٩ – دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة بالأمن وأن يرزق أهله من الثمرات وأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليه.

١٠ – رجح إبراهيم عليه السلام المصلحة الدينية علىٰ المصلحة الدنيوية حينما أسكن بعض ذريته في «واد غير ذي زرع» وذلك لإقامة الصلاة وعبادة الله.

١١ – من الأمور التي حرص خليل الرحمن علىٰ وقاية ذريته منها عبادة الأصنام لأنها سبب ضلال كثير من الناس.

١٢ – حرص إبراهيم عليه السلام علىٰ إشراك ابنه «إسماعيل» في عمل الخير «بناء البيت».

١٣ – تنزيه إبراهيم عليه السلام عن الشك وسائر النقائض التي حاول أعداء الحنيفية أن يلصقوها به.

١٤ – رؤية إبراهيم عليه السلام كيفية إحياء الموتىٰ آية من الله علىٰ صدقه في دعوته، وأنه نبي رسول.

التوصيات:

١ – مناشدة أهل العلم والفضل، وطلبة العلم، والمرّبين بالتدبر والتفكر

في سيرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وتعريف الناس بالدروس والعظات الموجودة فيها.

٢ - حث الآباء والأمهات علىٰ الاستنارة بما في سيرة خليل الرحمن عليه السلام بوصفه والداً من دروس أثناء تربيتهم لذريتهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ اله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤١١هـ).

(٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٢، (١٤٠٥هـ).

(٣) أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، لعبد الفتاح القاضي، دار الندوة الجديدة، بيروت (١٤٠٨هـ).

(٤) أسباب النزول، للواحدي، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار زمزم، الرياض، (د.ت).

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار الفكر، بيروت (١٤٠٩هـ).

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، (١٩٧٠م).

(٧) الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام البيهقي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ).

(٨) إعراب القرآن، للنحاس. تحقيق: زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٣، (١٩٨٨م).

(٩) الإعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، (١٩٩٢م).

(١٠) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٣٩٩هـ).

(١١) إنباه الرواة عن أبناء النحاة، للقفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

(١٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي الخير عبدالله عمر البيضاوي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط٢، (١٩٦٨م).

(١٣) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د.عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

(١٤) البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، (١٩٧٧م).

(١٥) تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن الأندلسي النباهي، المكتب التجاري، بيروت، (د.ت).

(١٦) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢ (١٣٩٣هـ).

(١٧) تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي للشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٠هـ).

(١٨) التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن علبون، دراسة وتحقيق: أيمن سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١، (١٤١٢هـ).

(١٩) التعريفات، للجرجاني، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤١٦هـ).

(٢٠) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ).

(٢١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٥م).

(٢٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، (١٤١٨هـ).

(٢٣) التفسير القيم لابن القيم، جمعه محمد إدريس السدوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٣٩٨هـ).

(٢٤) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،للإمام محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٠م).

(٢٥) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (د.ت).

(٢٦) تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله أحمد النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٨٨م).

(٢٧) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط١، (١٤٠٤هـ).

(٢٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بنت معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

(٢٩) التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي (١٩٨٥م).

(٣٠) جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

(٣١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط٢، (د.ت).

(٣٢) الحجة في القراءات العشر، لابن خالويه، تحقيق وشرح: د.عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، (١٤٢٨هـ).

(٣٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ).

(٣٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: د.السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٦هـ).

(٣٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).

(٣٦) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لابن القاصح العذري البغدادي، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٩٩٧م).

(٣٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، (١٤١٥هـ).

(٣٨) سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد يزيد القزويني، حققه وعلق عليه: فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، (د.ت).

(٣٩) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان السجستاني، دارسة وفهرسة:كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، (١٩٨٨م).

(٤٠) سنن الترمذي، لأبي عيسىٰ الترمذي، تعليق: عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية، استانبول، (د.ت).

(٤١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، (١٤١٧هـ).

(٤٢) شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة،دمشق، ط٣، (١٤١٢هـ).

(٤٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

(٤٤) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، حققه: جماعة من العلماء، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٨، (١٩٨٤م).

(٤٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، (١٩٨٤م).

(٤٦) صحيح مسلم بشرح النووي، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

(٤٧) صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري. خرج أحاديثه محمد رواس قلعجي، دار الوعي، حلب، ط١، (١٩٧٠م).

(٤٨) طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تعليق:د.الحافظ عبدالعليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، (١٣٩٩هـ).

(٤٩) طبقات المفسرين، للحافظ محمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، مكتبة وهبة، ط١، (١٩٧٢م).

(٥٠) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

(٥١) الغاية في القراءات العشر، لأحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، تحقيق: محمد غياث الجنباز، راجعه: سعيد عبدالله العبد الله، العبيكان للنشر، الرياض، ط١، (١٤٠٥هـ).

(٥٢) غريب القرآن، للسجستاني، مطبعة التوفيق، مصر (١٣٤٣هـ).
(٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، راجعه:قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ).
(٥٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
(٥٥) الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية، للعالم محمد بن علان الصديقي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
(٥٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد، لأبي العز الهمداني، تحقيق الدكتور محمد حسن النمر، دار الثقافة، الدوحة، ط١، (١٤١١هـ).
(٥٧) فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).
(٥٨) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط٢، (١٩٧٥م).
(٥٩) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٩٩١م).
(٦٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤١٨هـ).
(٦١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، (د.ت).
(٦٢) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٢، (١٩٩٢م).
(٦٣) لسان الميزان، لأحمد بن علي حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، (١٩٧١م).

(٦٤) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، دار الفكر، ط٢، (١٣٩٠هـ).

(٦٥) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط١، (١٣٩٨هـ).

(٦٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٣م).

(٦٧) المستدرك علىٰ الصحيحين، للحاكم النيسابوري وبهامشه تلخيص الذهبي، وكتاب الدرك بتخريج المستدرك، وزوائد المستدرك علىٰ الكتب الستة، لأبي عبد الله عبد السلام بن محمد علوش، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

(٦٨) المستنير في القراءات العشر، للإمام أحمد بن علي بن عبيد الله البغدادي، تحقيق ودراسة: د.عمار أمين الداود، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات، ط١، (١٤٢٦هـ).

(٦٩) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، (د.ت).

(٧٠) معالم التنزيل، للبغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبدالله النمر، وعثمان ضميرية، دار طيبة، الرياض، ط٢، (١٤١٤هـ).

(٧١) معاني القرآن للأخفش، دراسة وتحقيق: د.عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٩٨٥م).

(٧٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ).

(٧٣) معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب، ط٣، (١٤٠١هـ).

(٧٤) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

(٧٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه. لفيف من المستشرقين، لندن، مطبعة بريل، (١٩٦٧م).

(٧٦) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، (١٣٨٩هـ).

(٧٧) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

(٧٨) النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

(٧٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبي السعادات المبارك بن محمد الجلاري ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، (د.ت).

(٨٠) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد بن حمد الحمود، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط١، (١٩٩٣م).

(٨١) الوافي، (شرح الشاطبية)، لعبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ومكتبة السوادي للتوزيع، جدة (١٩٩٥م).

(٨٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ).

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

(1) Irshad Al-Aql As-Saleeem Ila Mazaya Al-Kitab Al-Kareem, by Abi As-Suood, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 2nd ed., (1411H).

(2) Irwaa' Al-Ghaleel fi Takhreej Ahadeeth Manar As-Sabeel, by Muhammad Nasiruddin Al-Albani, The Islamic Office, Beirut, Damascus, 2nd ed., (1405H).

(3) Asbab An-Nuzool an As-Sahabah wa Al-Mufassireen (The Occasions of Revelation According to the Sahabah and *Mufassireen)*, by Abdul Fattah Al-Qadhi, Dar An-Nadwah Al-Jadeedah, Beirut (1408H).

(4) Asbab An-Nuzool, (Occasions of Revelation), by Al-Wahidi, edited by Ayman Saleh Shaaban, Dar Zamzam, Riyadh, (n.d).

(5) Asad Al-Ghabah fi Maarifat As-Sahabah, by Ibn Al-Atheer, Dar Al-Fikr, Beirut (1409H).

(6) Al-Isabah fi Tamyeez As-Sahabah, by Ibn Hajar Al-Asqalani, Azhari Colleges Bookstore, 1st ed., (1970H).

(7) Al-I'tiqad wa Al-Hidayah ila Sabeel Ar-Rashad ala Mathhab As-Salaf Ahl As-Sunnah wa Al-Jamaah, by Al-Imam Al-Bayhaqi, edited by: Abdullah Muhammad Ad-Darweesh, Al-Yamamah Publishers and Distributors, Damascus, Beirut, 1st ed., (1420H).

(8) I'rab Al-Quraan, by An-Nahhas. Edited by: Zuhair Ghazi Zahid, Dar Aalam Al-Kutub, An-Nahdhah Al-Arabiah Bookstore, Beirut, 3rd ed., (1988).

(9) Al-I'lam, by Khairuddin Az-Zarkali, Dar Al-Ilm Lil Malayeen, Beirut, 10th ed., (1992).

(10) Imlaa ma Manna Bihi Ar-Rahman min Wujooh Al-I'rab wa Al-Qiraat fi Jamee Al-Quraan, by Abu Al-Baqaa Al-Akbari, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., (1399H).

(11) Inbah Ar-Ruwat an Abnaa An-Nuhat, by Al-Qifti. Edited by: Muhammad Abu Al-Fadhl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al- Arabi, Cairo, (n.d).

(12) Anwar At-Tanzeel wa Asrar At-Ta'weel, Nasiruddin Abu Al-Khair Abdullah Umar Al-Baydhawi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, Egypt, 2nd ed., (1968).

(13) Al-Bahr Al-Muheet, by Aby Hayyan Al-Andalusi, edited by: Dr Abdur Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st ed., (1423H).

(14) Al-Bidayah wa An-Nihayah, by Ibn Katheer, Al-Maarif Bookstore, Beirut, 2nd ed., (1977).

(15) Taareekh Qudhat Al-Andalus, by Abu Al-Hasan Al-Andalusi An-Nabahi, The Trade Office, Beirut, (n.d).

(16) Ta'weel Mushkil Al-Quraan, by Ibn Qutaibah, explained and published by As-Syed Ahmad Saqr, Dar At-Turath, Cairo, 2nd ed. (1393H).

(17) Tuhfat Al-Ahwathi, Sharh Jami At-Tirmithi by Shiekh Muhammad Abdur Rahman Al-Mubarkapuri, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., (1410H).

(18) At-Tathkirah fi Al-Qiraart Ath-Thaman, by Taher Bin Alboon, studied and edited by: Ayman Suwaid, Al-Jamaah Al-Khairiyyah li Tahfeeth Al-Quraan Al-Kareem, Jeddah, 1st ed., (1412H).
(19) At-Taareefat, by Al-Jurjani, edited by: Dr Abdur Rahman Umairah, Aalam Al-Kutub, Beirut, 1st ed., (1416H).
(20) Tafseer At-Tahreer wa At-Tanweer, Muhammad At-Taher Bin Aashoor, The History Foundation, Beirut, 1st ed., (1420H).
(21) Tafseer Al-Quraan Al-Atheem, by Ibn Katheer, Aalam Al-Kutub, Beirut, (1985).
(22) Tafseer Al-Quraan by Abu Al-Muthaffar As-Samaani, edited by: Abu Tameem Yasir Bin Ibrahim, Dar Al-Watan, Riyadh, 1st ed., (1418H).
(23) At-Tafseer Al-Qayyim by Ibn Al-Qayyim, compiled by Muhammad Idrees As-Sadawi, edited by Muhammad hamid Al-Faqqi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon (1398H).
(24) At-Tafseer Al-Kabeer or Mafateeh Al-Ghaib, by Al-Imam Muhammad Ar-Razi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., (1990).
(25) Tafseer Al-Manar, by Muhammad Rasheed Ridha, Dar Al-Maarifah, Beirut, 2nd ed., (n.d).
(26) Tafseer An-Nasafi, by Abu Al-Barakat Abdullah Ahmad An-Nasafi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, (1988).
(27) Tahtheeb At-Tahtheeb, by Ibn Hajar Al-Asqalani, Dar Al-Fikr, 1st ed., (1404H).
(28) Tayseer Al-Kareem Ar-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan, by Abdur Rahman As-Saadi, edited by: Abdur Rahman Bin Mualla Al-Luwaihiq, Ar-Risalah Foundation, Beirut, 1st ed., (1423H).
(29) At-Tayseer fi Al-Qiraat As-Saba', by Abu Amr Uthman Bin Saeed Ad-Dani, Dar Al-Kitab Al-Arabi (1985).
(30) Jami Al-Bayan fi Tafseer Al-Quraan, by Ibn Jari At-Tabari, edited by: Mahmood Shakir. Dar Ihya AT-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon, (n.d).
(31) Al-Jami Li Ahkam Al-Quraan, by Abu Abdullah Muhammad Al-Qurtubi, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd ed., (n.d).
(32) Al-Hujjah fi Al-Qiraat Al-Ashr, by Ibn Khalawaih, edited nad explained by: Dr Abdul Aal Salim Mukarram, Aalam Al-Kutub, Cairo, 1st ed., (1428H).
(33) Ad-Durr Al-Manthoor fi At-Tafseer bil-Ma'thoor, by As-Siyouti, Dar Al-Fikr, Beirut (1414H).
(34) Rooh Al-Maani fi Tafseer Al-Quraan Al-Atheem wa As-Saba' Al-Mathani, by Al-Aloosi, edited by: Dr As-Syed Muhammad As-Syed ans Syed Ibrahim Imran, Dar Al-Hdeeth, Cairo (1426H).
(35) Zad Al-Maseer fi Ilm At-Tafseer, by Ibn AL-Jawzi, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st ed., (1407H).
(36) Siraj Al-Qari' Al-Mubtadi' wa Tithkar Al-Muqri Al-Muntahi, by Ibn Al-Qasih Al-Athri Al-Baghdadi, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st ed., (1997).
(37) Silsilat Al-Ahadeeth As-Saheehah wa Shai min Fiqhiha wa Fawa'idiha, (The Series of Authentic *Ahadeeth* and Some of The Rulings and Benefits), by Muhammad Nasiruddin Al-Albani, Al-Maarif Bookstore, Riyadh, 2nd ed., (1415H).

(38) Sunan Ibn Majah, by Abu Abdullah Muhammad Yazeed Al-Qazweeni, edited and commented on it: Fuaad Abdul Baqi, The Islamic Bookstore, Istanbul, (n.d).
(39) Sunan Abu Dawood, by Abu Dawood Sulaiman As-Sijistani, studied and indexed by: Kamal Al-Hoot, Cultural Books Foundation, Beirut, 1st ed., (1988).
(40) Sunan At-Tirmithi, by Abu Isa At-Tirmithi, commentary: Izzat Ubaid Ad-Daas, The Islamic Bookstore, Istanbul, (n.d).
(41) Siyar Aalam An-Nubalaa, by Ath-Thahabi, Ar-Risalah Foundation, 11th ed., (1417H).
(42) Sha'n Ad-Duaa, (The Affair of Duaa'), by Al-Khattabi, edited by: Ahmad Yusuf Ad-Daqqaq, Dar Ath-Thaqafah, Damascus, 3rd ed., (1412H).
(43) Shatharat Ath-Thahab fi Akhbar man Thahab, by Ibn Al-Ammad Al-Hanbali, Trade Office Printers Publishers and Distributors, Beirut, (n.d).
(44) Sharh Al-Aqeedah At-Tahawiyyah, by Ibn Abu Al-Izz Al-Hanafi, edited by: a group of scholars, takhreej of the ahadeeth by Muhammad Nasiruddin Al-Albany, The Islamic Office, Beirut, Damascus, 8th ed., (1984).
(45) As-Sihah Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiah, by Al-Jawhari, edited by: Ahmad Abdul Ghafoor Attar, Dar Al-Ilm Lil Malayeen, Beirut, 3rd ed., (1984).
(46) Saheeh Muslim Bisharh An-Nawawi, by Muslim Bin Al-Hajjaj An-Naisaboori, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (n.d).
(47) Sifat As-Safwah, by Ibn Al-Jawzi, edited by: Mahmood Faakhoori, *takhreej* of the *ahadeeth* Muhammad Rawas Qalaji, Dar Al-Waie, Halab, 1st ed., (1970).
(48) Tabaqat Ash-Shafiyyah, by Abu Bakr Bin Ahmad Bin Qadhi Shahbah, commentary by: Dr Al-Hafith Abdul Aleem Khan, Circle of Ottoman Studies Press, Indiam 1st ed., (1399H).
(49) Tabaqat Al-Mufassireen, by Al-Hafith Muhammad Bin Ali Ad-Dawadi, edited by: Ali Muhammad Umar, Center for Cultural Achievement at Dar Al-Kutub, Wahbah Bookstore, 1st ed., (1972).
(50) Awn Al-Maabood Sharh Sunan Abu Dawood, by Al-Allamah Aby At-Tayyib Muhammad Shamsuddin Al-Haqq Al-Atheemabadi, Dar Al-Kutub Al-Imiyyah, Beirut, Lebanon, (n.d).
(51) Al-Ghayah fi Al-Qiraat Al-Ashr, by Ahmad Bin Al-Husain Bin Muhran An-Naisaboori, edited by: Muhammad Ghayath Al-Hinbaz, revised by: Saeed Abdullah Al-Abdullah, Al-Obaikan Publishers, Riyadh, 1st ed., (1405H).
(52) Ghareeb Al-Quraan, by As-Sijistani, At-Tawfeeq Press, Egypt (1343H).
(53) Fath Al-Bari Sharh Saheeh Al-Bukhari, by Ibn Hajar Al-Asqalani, revised by: Qusay Muhibuddin Al-Khateeb, Dar Ar-Rayyan for Culture, Cairo, 1st ed., (1407H).
(54) Fath Al-Qadeer Al-Jami Bayn Fannay Ar-Riwayah wa Ad-Dirayah min Ilm At-Tafseer, by Ash-Shawkani, Dar Al-Maarifah, Beirut, (n.d).
(55) Al-Futoohat Ar-Rabbaniyyah ala Al-Athkar An-Nawawiyyah, by Al-Aalam Muhammad Bin Allan As-Sideeqi Ash-Shaafie, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon, (n.d).

(56) Al-Fareed fi I'rab Al-Quran Al-Majeed, by Abu Al-Izz Al-Hamadani, edited by Dr Muhammad Hasan An-Nimr, Dar Ath-Thaqafah, Doha, 1st ed., (1411H).
(57) Fawat Al-Wafiyyat, Muhammad Shakir Al-Katabi, edited by: Dr Ihsan Abbas, Dar Ath-Thqafah, Beirut, (n.d).
(58) Fi Thilal Al-Quraan. Syed Qutub, Dar Ash-Shurooq, Cairo, Beirut, 2nd ed., (1975).
(59) Al-Qamoos Al-Muheet, by Al-Fairozabadi, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, 1st ed., (1991).
(60) Al-Kashaf an Haqaiq Ghwamidh At-Tanzeel wa Uyoon Al-Aqaweel fi Wujooh At-Ta'weel, by Az-Zamakhshari, edited, studied, and commented on by: Aadil Ahmad Abdul Mawjood and Ali Muhammad Awadh, Al-Obaikan Bookstore, Riyadh, (1418H).
(61) Lubab An-Nuqool fi Asbab An-Nuzool, by As-Siyouti, Dar Ihya Al-Uloom, Beirut, 4th ed., (n.d).
(62) Lisan Al-Arab, by Ibn Manthoor, Dar Sadir, Beirut, 2nd ed., (1992).
(63) Lisan Al-Meezan, by Ahmad Bin Ali Hajar Al-Asqalani, Al-A'lami Printing Foundation, Beirut, 2nd ed., (1971).
(64) Majaz Al-Quraan, by Abu Ubaidah Muammar Bin Al-Muthanna, edited by: Dr Muhammad Fuaad Sazkeen, Al-Khanji Bookstore, Dar Al-Fikr, 2nd ed., (1930H).
(65) Majmou Fatawa Ibn Taimiyyah, Abdur Rahman Bin Muhammad Bin Qasim Al-Aasimi An-Najdi, 1st ed., (1398H).
(66) Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz, by Ibn Attiah Al-Andalusi, edited by: Abdus Salam Abdush-Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., (1993).
(67) Al-Mustadrak ala As-Saheehain, by Al-Hakim An-Naisaboori and Talkhees Ath-Thahabi as a footnote, and the book of Ad-Dark Bitakhreej Al-Mustadrak, and Zawa'id Al-Mustadrak ala Al-Kutub As-Sittah, by Abu Abdullah Abdus Salam Bin Muhammad Alloosh, Dar Al-Maarifah, Beirut, (n.d).
(68) Al-Mustaneer fi Al-Qiraat Al-Ashr, by Al-Imam Ahmad Bin Ali Bin Ubaidullah Al-Baghdadi, edited and studied by: Dr Ammar Ameen Ad-Dawood, Dar Al-Buhooth for Islamic Studies and Cultural Revival, UAE, 1st ed., (1426H).
(69) Al-Musnad, by Imam Ahmad Bin Hanbal, The Islamic Office, Dar Sadir, Beirut, (n.d).
(70) Maalim At-Tanzeel, by Al-Baghawi, edited and completed the *takhreej*: Muhammad Abdullah An-Nimr, and Uthman Dhameeriyyah, Dar Taybah, Riyadh, 2nd ed., (1414H).
(71) Maani Al-Quraan by Al-Akhfash, edited and studied by: Dr Abdul Ameer Ameen Al-Ward, Aalam Al-Kutub, Beirut, 1st ed., (1985).
(72) Maani Al-Quraan wa I'rabuh, by Az-Zujaj, explained and edited by: Abdul Jaleel Abduh Shalabi, Dar Alam Al-Kutub, Beirut, 1st ed., (1408H).
(73) Maani Al-Quraan, by Al-Farra, Aalam Al-Kutub, 3rd ed., (1401H).

(74) Mujam Al-Muallifeen Tarajim Musannifee Al-Kutub Al-Arabiah, (The Dictionary of Arabic Books Authors), by Umar Ridha Kahalah, Al-Muthanna Bookstore, Beirut, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, (n.d).
(75) Al-Mujam Al-Mufahras li Alfath Al-Hadeeth An-Nabawi, (The Complete Dictionary of The Noble Hadeeth), compiled by: a group of Christian missionaries), London, Brielle Press, (1967).
(76) Mujam Maqayees Al-Lughah, by Ibn Fares, edited by: Abdus Salam Haroon, Dar Al-Jeel, Beirut, 2nd ed., (1389H).
(77) Al-Mufradat fo Ghareeb Al-Quraan, by Ar Araghib Al-Asbahani, edited by: Muhammad Syed Kilani, Dar Al-Maarifah, Beirut, (n.d).
(78) An-Nashr fi Al-Qiraat Al-Ashr, by Al-Imam Ibn Al-Jazari, Dar Al-Fikr, Beirut, (n.d).
(79) An-Nihayah fi Ghareeb Al-Hadeeth wa Al-Athar, Abu As-Saadaat Al-Mubarak Bin Muhammad Al-Jalari Ibn Al-Atheer, edited byL Mahmood Muhammad At-Tanaji, and Taher Ahmad Az-Zawi, The Islamic Bookstore, (n,d).
(80) An-Nahj Al-Asma fi Sharh Asmaa Allah Al-Husna, by Muhammad Bin Hamad Al-Hamoud, Al-Imam Ath-Thahabi Bookstore, Kuwait, 1st ed., (1993).
(81) Al-Wafi, (Shrh Ash-Shatibiyyah), by Abdul Fattah Al-Qadhi, Ad-Dar Bookstore, Al-Madinah, and Assawadi Bookstore Distributors, Jeddah, (1995).
(82) Wafiyyat Al-A'yan wa Anba Abna Az-Zaman, by Abu Al-Abbad Bin Khillikan, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, (1414H).

❊ ❊ ❊

مهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد

د. عواطف بنت علي الجنوبي

أستاذ مشارك، بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

toffa.n@hotmail.com

مهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية

المستخلص: إن المرء في تفاعله مع من حوله يستخدم لغة لفظية وغير لفظية بصورة مستمرة ودائمة، ولكل من هاتين اللغتين في التفاعل الإنساني جوانب وميزات تؤثر على علاقته بالآخرين سلباً أو إيجاباً حسب مقدرته على استثمار آلياتها.

وحينما يقف المرء ليفصح عن أمر ما، فإن جسده أيضاً يتحدث ويخاطب الآخرين سواءً بصورة إرادية أو غير إرادية، وهذا ما يسمى باللغة غير اللفظية، وهي لغة لا يحكيها اللسان، بل يتولاها الجسد من أعلى الرأس حتى أخمص القدم.

وكما أن اللغة اللفظية ذات ميزات ومؤثرات، فإن اللغة غير اللفظية لا تقل عنها أثراً وقوة في توجيه الأفراد أو الجماعات، لذا جاء الاهتمام بهذا البحث لإبراز جوانب المهارة غير اللفظية في التواصل النبوي الذي تجلى من خلاله أقوى مهارة ومقدرة للمصطفى ﷺ في توظيف هذه اللغة، توظيفاً تميز بفعاليته.

هذه الفعالية التي تجلت في استخدامها بالموضع المناسب دون قصور أو إسراف، حسب حاجة الموقف. ولم يكن من الهين الخوض في هذا الموضوع، نظراً لصعوبة تنزيل الأحاديث على قواعد الاتصال المدونة في كتب مهارات الاتصال، مما دفع إلى وضع تفريعات تتلاءم مع واقع السنة النبوية، فتم تفريع لغة الجسد إلى: تواصل عن بُعد (بدون لمس)، وتواصل باللمس، وهذا مما لم أقف عليه فيما راجعت من كتب الاتصال، ولكونه يستوعب ما ورد من سيرة المصطفى ﷺ، وأنفع في تنظيم البحث، وأيسر للقارئ العادي جرى اتخاذه.

الكلمات المفتاحية: مهارات، غير لفظي، علم الاتصال، اتصال بصري، اتصال سمعي، لغة الأشياء، لغة الجسد.

* * *

Non-verbal Communication Skills in The Prophetic Sunnah

Abstract: Any person interacting with others uses a continuous combination of verbal and non - verbal languages, and each of these two human interaction languages has its own aspects and features that affects a person's relationships with others, depending on how well s/he employs the mechanisms of each.

When one stands to express himself, his or her body also talks and engages with others, whether in a voluntary on involuntary manner. This is termed non-verbal language, a language not spoken by the tongue, but instead performed by one's body.

As verbal language has its own features and effects, non - verbal language is no less powerful and effective in directing individuals and groups, and it is for this reason that this research was chosen to highlight the aspects of the non - verbal language present in the Prophet Muhammad's - pbuh - communication, through which the skill and ability of the Prophet Muhammad - pbuh - in using such language is evident.

This effectiveness can be seen in using the best suited non-verbal language in the right place, without any lack thereof or excessiveness, depending on the need of the situation.

It was not easy to delve into this topic, due to the difficulty of categorising ahadeeth based on the principles of communication found in the books on communication skills, which led to the imposition of sub - parts more compatible with the sunnah of the Prophet - pbuh -, so body language was divided into: distant communication (without touch) and communication with touch. And this is what I did not come across in the various books on communication, but it encompasses the seerah of the Prophet - pbuh - and is more effective in organising the research, and is also easier for the lay reader.

Keywords: skills - non-verbal - the knowledge of communication - visual communication - audio communication - the language of things - body language.

❊ ❊ ❊

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أما بعد:

فإن المرء في تفاعله مع من حوله يستخدم لغة لفظية وغير لفظية بصورة مستمرة ودائمة، ولكل من هاتين اللغتين في التفاعل الإنساني جوانب وميزات تؤثر علىٰ علاقته بالآخرين سلباً أو إيجاباً حسب مقدرته علىٰ استثمار آلياتها.

وكما أن اللغة اللفظية ذات ميزات ومؤثرات، فإن اللغة غير اللفظية لا تقل عنها أثراً وقوة في توجيه الأفراد أو الجماعات، فتتميز اللغة غير اللفظية بأن حجم المعلومات التي يمثلها الاتصال بها من ٧٠ ٪ إلىٰ ٨٠ ٪[1]، وبكونها أيضاً اللغة الألطف في التوصيل، بل الأكثر في التأثير، لذا جاء الاهتمام بهذا البحث لإبراز جوانب المهارة غير اللفظية في التواصل النبوي التي تجلت من خلاله أقوىٰ مهارة ومقدرة للمصطفىٰ ﷺ في توظيف هذه اللغة، توظيفاً تميز بفعاليته.

هذه الفعالية التي تجلت في استخدامها في الموضع المناسب دون قصور

(١) نظريات الاتصال ص (٧٢).

أو إسراف، حسب حاجة الموقف.

ولم يكن من الهين الخوض في هذا الموضوع، نظراً لصعوبة تنزيل الأحاديث على قواعد الاتصال المدونة في كتب مهارات الاتصال، مما دفع إلى وضع تفريعات تتلاءم مع واقع السنة النبوية، فتم تفريع لغة الجسد إلى: تواصل عن بُعد (بدون لمس)، وتواصل باللمس، وهذا ما لم أقف عليه فيما راجعت من كتب الاتصال، ولكونه يستوعب ما ورد من سيرة المصطفى ﷺ، وأنفع في تنظيم البحث، وأيسر للقارئ العادي جرى اتخاذه.

أهداف البحث:

١- التأصيل الإسلامي لعلم من العلوم التي يُنظر إليها على أنها من العلوم الحديثة.

٢- الإرشاد للاقتداء بسنة نبينا الكريم الذي أجمل الله تعالى سجاياه العظيمة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم:٤).

٣- الرد على من يجترئ على شخصية المصطفى ﷺ ببسط سيرته العطرة.

٤- الإسهام في موضوع مهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية، وذلك لقلة الكتابات التي تناولتها في هذا الاتجاه.

الدراسات السابقة:

الدراسات في علم الاتصال اللفظي أو غير اللفظي واسعة على حد سواء يجد

الباحث فيها بغيته إذا أراد النهل منها، أما إذا كانت بغيته الاطلاع على كنوز السنة النبوية في الاتصال غير اللفظي، فإنه لن يفوز بكتب أفردت له مؤلفات خاصة – فيما اطلعت – إلا ما تجده من استشهادات بأحاديث نبوية في تضاعيف كتب الاتصال، لذا ناسب البحث في موضوع الاتصال غير اللفظي في السنة النبوية.

حدود البحث:

لقد واجهت صعوبة استخلاص ما يُعد اتصالاً لفظيًا، مما هو ليس كذلك، كأن يكون مجرد انعكاس لما حولنا دون قصد التواصل، كحديث النبي ﷺ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ (الأحقاف: ٢٤)»[1].

وأيضًا أحاديث إرداف النبي ﷺ بعض صحابته، حيث تبين لي بعد الاطلاع أن الإرداف لم يكن قصداً وهدفًا للتواصل، بل جاء لحاجة الركوب.

لذا جاء ضابط التمييز بين ما كان من مهارات الاتصال غير اللفظي وبين ما لا يُعد منه محققًا القصد والهدف من هذه اللغة، فإن قُصد بها التواصل، تم اعتبارها مهارة اتصال، وإن لم يُقصد بها ذلك لم تُعد من أنواع مهارة الاتصال غير اللفظي عند النبي ﷺ.

وكذا لغة الإشارة للصم المستخدمة عوضًا عن لغة الألفاظ ليست مرادة في هذا البحث، إذ هي تستخدم لحاجة التخاطب وليست مهارة اتصال غير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/ ٥٥)، حديث رقم (٤٤٥٤).

لفظي، أما لغة الإشارة التي تتضمن رسالة يُبتغىٰ إيصالها للمستقبل فهي من موضوعات البحث.

لذا، نستطيع القول: إنّ ما كان من اللغة غير اللفظية يتضمن رسالة يتلقاها المستقبل فهو ضمن حدود البحث.

مشكلة البحث:

إن علم الاتصال علم حديث المنشأ، يتناول في موضوعاته مهارات الاتصال لفظية كانت أو غير لفظية، ولا تكاد ترىٰ فيها إشارة إلىٰ وجود هذا العلم - وإن كان حديثًا - لدىٰ المسلمين.

ولا يخفىٰ علينا ما اشتملت عليه السنة النبوية من شمائل وتوجيهات للنبي ﷺ تضمنت مهارات اتصال غير لفظية، نجدها مبثوثة علىٰ عجالة في استشهادات يسيرة متفرقة في تضاعيف موضوعات كتب علم الاتصال، ولا نجد لها مصنفًا عُنِي برصدها واستقصائها، لذا برزت الحاجة إلىٰ إفرادها بمؤلف خاص يبرز مهارة الاتصال غير اللفظية، ويُطلع القارئ عليها في موضع واحد.

ولسد هذه الثغرة تم اختيار موضوع البحث، والعمل علىٰ جمع مهارات الاتصال غير اللفظية، وإفرادها في التأليف.

تساؤلات البحث:

١- ما المقصود بمهارة الاتصال؟

٢- ما أنواع الاتصال؟

٣- ما أهمية مهارات الاتصال غير اللفظي؟

٤- ما تطبيقات مهارات الاتصال في السنة النبوية؟

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

- **المقدمة وتشتمل على: أهداف البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومشكلته، وتساؤلاته، وخطته، ومنهجه.**
- **المبحث الأول: ويشمل ثلاثة مطالب:**
  - **المطلب الأول:** تعريف مصطلحات مهمة في البحث، وهي: المهارة، الاتصال.
  - **المطلب الثاني:** أنواع الاتصال.
  - **المطلب الثالث:** أهمية مهارات الاتصال غير اللفظي.
- **المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لمهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية في أربعة مطالب، وتتمثل فيما يلي:**
  - **المطلب الأول:** نماذج لمهارات نبوية في الاتصال السمعي.
  - **المطلب الثاني:** نماذج لمهارات نبوية في الاتصال البصري.
  - **المطلب الثالث:** نماذج لمهارات نبوية في الاتصال بلغة الجسد.
  - **المطلب الرابع:** نماذج لمهارات نبوية في الاتصال بلغة الأشياء.
- **الخاتمة: وتشمل: النتائج، وأهم التوصيات.**

- **فهرس المصادر والمراجع.**

منهج البحث:

لقد تم استخدام مناهج متعددة في تحرير هذا البحث، وهي:

١ – المنهج التأصيلي: وذلك عند رصد مفاهيم المصطلحات الأولية، كمفهوم، المهارة، الاتصال.

٢ – المنهج التحليلي: ويتناول جميع فصول البحث.

٣ – المنهج الاستقرائي: وذلك باستعراض أحاديث السنة النبوية، وجمع المرويات والمتون التي برزت فيها مهارات الاتصال غير اللفظي لدىٰ النبي ﷺ.

٤ – المنهج النقلي: ويتمثل في تدوين الأحاديث التي تم استعراضها، وانتقاء أبرزها صورة، وأكثرها دلالة علىٰ استخدام مهارات الاتصال غير اللفظي.

٥ – المنهج التطبيقي: ويتمثل في تنزيل مهارات الاتصال غير اللفظي علىٰ ما تم جمعه من مادة علمية حديثية.

منهج الجمع والتخريج:

١ – جاءت أغلبية أحاديث هذا البحث بالاعتماد علىٰ صحيحي البخاري ومسلم لكفايتهما، إلا عند الحاجة إلىٰ الخروج عنهما، وذلك قليل.

٢ – إثبات الحديث بدون الإسناد إذا كان في الصحيحين وغيرهما، وإن

كان الحديث خارج الصحيحين ذكرت أقوال العلماء في صحته.

٣ - إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أخرجه من أول موضع إذا كان يتضمن موضع الشاهد، وإلا فمن الموضع الذي تضمن الشاهد علىٰ مهارة الاتصال، وإذا جاء الحديث مختصراً لا تتضح فيه صورة الموقف الاتصالي أو لم يتضمن موضع الشاهد فإني لا أخرجه من هذا الموضع وإن كان أصل الحديث فيه.

٤ - إذا كان الحديث خارج الصحيحين، فإني أخرجه من أول موضع إذا كان يتضمن الشاهد، أو الموضع الذي يليه، حسب ورود الشاهد، مبينة علة الحديث إن وُجدت.

* * *

المبحث الأول

حينما يقف المرء ليفصح عن أمر ما، فإن جسده أيضاً يتحدث ويخاطب الآخرين سواءً بصورة إرادية أو غير إرادية، وهذا يسمىٰ باللغة غير اللفظية، وهي لغة لا يحكيها اللسان، بل يتولاها الجسد من أعلىٰ الرأس حتىٰ أخمص القدم.

قال د.راتب وغالب جليل: «بينما ينتقل صوتك من خلال رسالة مسموعة، فإن كماً هائلاً من المعلومات يتم نقله بصرياً بواسطة مظهرك، وسلوكك وحركاتك الجسمية»[1].

وهذه الرسائل قد تكون مؤيدة أو معارضة للغة اللفظية، ولها أهمية كبيرة في كشف مكنونات النفس وما يتعمد إخفاؤه، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما أَسَرَّ أحدٌ سَرِيرَة إلاّ وأظهَرَها الله علىٰ قَسَمَات وجهه أو فَلَتات لسانِه»[2].

ولغة الجسد غير الإرادية هي المقصودة في قول عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي التي يعتمد عليها المحققون، والمهتمون بعلم الاتصال لكشف دواخل من يتعاملون معهم.

---

(١) تقنيات ومهارات الاتصال ص (١٣).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٧٧).

أما الحركات الإرادية، فهي حركات تُصقل بالتربية والتدريب حتىٰ تكون مهارة يتحلىٰ بها المرء، فيمتلك القدرة علىٰ التوجيه والتأثير والإقناع بقوة وفعالية، وهي التي ستكون – بإذن الله – موضوع البحث وهدفه، مستقرئين في ذلك ما ورد من أحاديث عن سيد المرسلين، مبينين ما كان عليه ﷺ من خُلقٍ قويم تجلت فيه الكثير من المهارات الجسدية، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم:٤).

وسيرصد البحث – بإذنه تعالىٰ – ما ورد في الأحاديث النبوية من مهارة في استخدام اللغة غير اللفظية وتوظيفها كوسيلة تواصل فعالة.

* * *

المطلب الأول
تعريف مصطلحي المهارة والاتصال

المَهارَةُ في اللغة: الحذقُ بالشيء، وقد يقال مَهَرْتُ الشيء مَهارَةً[1].

والماهِرُ: الحاذق بكل عمل، ويقال: مَهَرَ الشيء، وفيه، وبه، يَمهَرُ مَهْراً ومُهورا، ومَهارَةً، ومِهارَةً[2].

ومن هنا نستطيع القول بأن المهارة عبارة عن: القدرة علىٰ أداء عمل معين علىٰ وجه الإتقان.

الاتصال في اللغة: الوصل ضد الهجران، والوصل خلاف الفصل، وصلَ الشيء بالشيء يصله وصلاً وصِلةً[3]، وتوصّلت إليه: تلطّفت حتىٰ وصلت إليه[4].

والوُصْلَةُ بالضم: الاتصال، وكُلُّ ما اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينهما وُصْلَةٌ[5].

---

(١) الصحاح (٢/ ١٨٤).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣١٦)، وانظر: لسان العرب (٦/ ١٠٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٨٨٩).

(٣) لسان العرب (٦/ ٤٤٩).

(٤) أساس البلاغة (٢/ ١٩).

(٥) القاموس المحيط ص (١٣٨٠).

وبينهما وصلة، أي: اتصال وذريعة، وهو مجاز[1].

وَوَصَّلَهُ إليه وأَوْصَلَهُ، أَنهاهُ إليه وأَبْلَغَه إيّاه[2].

وهكذا نجد أن الاتصال في اللغة يتناول الاتصال المادي في وصل الشيء بالشيء، والمعنوي في الوصل الذي هو ضد الهجران، والتلطف في الخطاب، والتبليغ، وهذان الأخيران هما المرادان في البحث، وهذا المصطلح تناوله علماء الاتصال بالتعريف، قال مايكل ويسترن: «هو نقل المعاني وتبادلها بأي أسلوب يفهمه أطراف الاتصال، ويتصرفون وفقه بشكل سليم».

وقال انجل باركنسون في تعريفه: «هو عملية منظمة ونظمية وعفوية أيضا تنطوي علىٰ إرسال وتحويل معلومات وبيانات من جهة إلىٰ جهة أخرىٰ شريطة أن تكون البيانات والمعلومات المحولة مفهومة ومستساغة من قبل المستهدفين».

ويرىٰ آخرون أن الاتصال يعني «مجموعة الأفعال والتعبيرات والأشكال التي تتم بين بني البشر بغرض الإبلاغ، والإيحاء، والإملاء للعواطف والأفكار، ونقل المعاني المشتركة لأغراض الإقناع المبني علىٰ الحقائق، والأدلة والشواهد»[3].

---

(١) تاج العروس ص (٧٥٧٧).

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٢٦).

(٣) أساسيات الاتصال، نماذج ومهارات ص (١٨).

وعُـرف أيـضا بأنـه: «وسـيلة نقـل المعلومـات، والقـيم، والاتجاهـات، ووجهات النظر»[1].

ومـن خـلال عـرض المفـاهيم الـسابقة لمـصطلحي المهـارة والاتـصال نستطيع استخلاص تعريفٍ لها فنقول إنها: إيصال المعنىٰ المراد بصورة تضمن تجاوب الطرف الآخر وإقناعه، وتحقيق الهدف المرجو من الاتصال.

❊ ❊ ❊

(١) مهارات الاتصال والتواصل ص (٣).

المطلب الثاني
أنواع الاتصال

يمكن تقسيم الاتصال الإنساني إلىٰ مجموعتين:

١- **الاتصال اللفظي:** ويدخل ضمن هذه المجموعة كل أنواع الاتصال التي يُستخدم فيها اللفظ باعتباره وسيلة لنقل رسالة من المصدر إلىٰ المستقبل.

٢- **الاتصال غير اللفظي:** وتشمل هذه المجموعة كل أنواع الاتصال التي لا تعتمد اللغة اللفظية، فتتمثل هذه اللغة في الإشارات والحركات التي يستخدمها الإنسان لنقل فكرة، أو معنىٰ إلىٰ إنسان آخر يصير مشتركًا معه في الخبرة[1].

* * *

(١) وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٣٥، ١٣٦).

المطلب الثالث
أهمية مهارات الاتصال غير اللفظية

١ - تلعب الاتصالات غير اللفظية دوراً مهماً في التأثير على فعالية الاتصالات[١].

٢ - لها في بعض الأحيان تأثير أقوى من الرسائل اللفظية، حيث يميل الناس إلى تصديق الرسائل غير اللفظية عن اللفظية منها عندما يتعارض الاثنان[٢].

٣ - في كثير من الأحيان يبقى أثرها وقتاً أكثر من اللغة اللفظية مثل استخدام الرسومات التوضيحية والإشارة، وغيرها مما يعلق طويلاً في الذاكرة[٣].

٤ - إنه يعبر عن معلومات وجدانية في مقابل تعبير الاتصال اللفظي عن معلومات تتصل بالمضمون، وتكون نماذج الاتصال غير اللفظي قادرة على إيصال الحب، والبغض، والاهتمام، والرغبة، والدهشة، والموافقة، وكذلك

(١) أساسيات الاتصال نماذج ومهارات ص (١١٧).

(٢) مهارات الاتصال لشريف الحموي ص (٢٠).

(٣) انظر: وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٣٩).

التعبير عن فئة عريضة من الوجدانيات الإنسانية التي لا يُعبر عنها بطريقة لفظية.

٥ - إن الاتصال غير اللفظي ينطوي أيضاً على معلومات تتصل بمضمون الرسالة اللفظية، فهو يمدنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها.

٦ - إن الرسائل غير اللفظية تتميز بصدقها، ويحتاج الإنسان عادة إلى نماذج كثيرة للسلوك غير اللفظي التي يصدره الآخرون حتى يثق فيهم[١].

٧ - إن الرسالة غير اللفظية ذات علاقة لازمة للرسالة اللفظية، فقد تكون شارحةً لها، وكذلك قد تكون مدعمةً لها، أو معيقة لها، فالرسالة جزء منها لفظي، وجزء غير لفظي، يؤيد تلك أو ينفيها[٢].

يقول الدكتور الطويرقي: «في أي موقف اتصالي لا يمكن الفصل بين الرسائل اللفظية وغير اللفظية، فالكثير من مضامين الرسائل اللفظية يتم نقلها وإدراكها من خلال الرموز غير اللفظية في السياق الاتصالي»[٣].

٨ - تأتي الرسالة غير اللفظية في بعض صورها بديلاً للغة اللفظية مغنيةً عنها.

قال مارك ناب: «قد يحل الاتصال غير اللفظي محل الاتصال اللفظي،

(١) وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٤٣، ١٤٤).

(٢) الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ص (٣٨).

(٣) علم الاتصال المعاصر ص (٧٩).

فبعيداً عن عالم الكلمات تصبح تعابير الوجه من امتعاض وسرور، أو انقباض، أو ابتسام أغنىٰ من الكلمات، بل إنه لا يحتاج معها لكلمات، فهي بديل لها وتقوم مقامها»[1].

❊ ❊ ❊

(١) علم الاتصال المعاصر ص (٨٢).

المبحث الثاني
دراسة تطبيقية لمهارات الاتصال غير اللفظية في السنة النبوية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
الاتصال السمعي

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)، إن السمع مقدم في الآية الكريمة علىٰ بقية الحواس وغيرها من الآيات التي وردت في القرآن الكريم، وذلك لتقدم السمع في الأهمية علىٰ حواس الإنسان الأخرىٰ، ومعلوم أن حاسة السمع هي أول حاسة تنمو لدىٰ المولود ويتواصل بها مع المحيطين من حوله، فيميز صوت أمه في مرحلة مبكرة، ولأهمية تأثير هذه الحاسة علىٰ المستمع، قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ، فَلَا يَأْخُذْهَا»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٧٦)، حديث رقم (٢٤٨٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٢)، حديث رقم (٣٢٣١).

يبرز لنا الحديث الشريف مدىٰ تأثر السامع بما يستمع، وأنه من الأهمية بحيث تُبنىٰ عليه الأحكام والقرارات.

لذا فإن التواصل السمعي الفعال هو أول المراحل التي يبنىٰ عليها اتصال ناجح مؤثر، قال د.مصطفىٰ محمود: «تشير الدراسات الميدانية إلىٰ أن مهارة الاستماع تعد إحدىٰ المهارات الرئيسية للقادة والناجحين، وللأشخاص المتميزين المؤثرين في غيرهم»[1].

وسنعرض - بعد بيان أهمية الاتصال السمعي - مواقف للنبي ﷺ تميز فيها بالتواصل السمعي الذي كان له قوة في إقناع الطرف الآخر.

أهمية الاتصال السمعي:

١ - يؤدي الإنصات إلىٰ زيادة اليقظة، وشدة التفاعل، وتوقد الذهن، وسلامة التفكير، إذ أن الإنصات يخلق بيئة استقبال خالية من التشويش فيتيح فهم ما يريده المرسل، وخلو الرسالة من معوقات الإرسال الذي يُعد الإنصات من دعائمه يؤدي إلىٰ وصول رسالة دقيقة واضحة عما يريد المرسل إيصاله للمستقبل.

٢ - القدرة علىٰ الدخول في عالم المتحدث الخاص، وتصور طريقة تفكيره، وكيفية نظرته للحياة من خلال الإنصات الواعي والمتابعة الدقيقة،

(١) الاتصال الفعال مدخل استراتيجي سلوكي لجودة العلاقات في الحياة والأعمال ص (٣٣٠).

كما يساعد علىٰ تلمس الشعور النفسي لديه[1].

٣ - الإنصات ييسر التواصل، ويعزز التعاون ويرفع المعنويات.

٤ - التواصل السمعي يساعد علىٰ اتخاذ ردود أفعال واستجابات حكيمة[2].

وقد كانت عامة حياة النبي ﷺ تمثل صور التواصل السمعي مع أصحابه، وحتىٰ مناوئيه مما كان له أبلغ الأثر لدىٰ من يتحدثون إليه، ومن أمثلتها:

المثال الأول: ما أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ:سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ أَاللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَاللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَاللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ السَّنَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ،

(١) نظريات الاتصال ص (٦٩-٧٠) بتصرف.

(٢) تطوير الذات الاتصال الفعال بين الأفراد والجماعات ص (٨٥).

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَاللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ»[1].

في حديث ضمام بن ثعلبة نجد تواصلاً سمعيًا تمثل في الاستجابة لنداء ضمام بن ثعلبة قائلاً: «قَدْ أَجَبْتُكَ»، وتشجيعه علىٰ السؤال بقوله: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» رغم علمه بأن المسألة ستكون شديدة، بالإضافة إلىٰ حسن الإصغاء والإنصات والإقبال علىٰ المتحدث، مما أحدث الأثر المبتغىٰ من هذا التواصل الفعال بإسلام ضمام بن ثعلبة وتصديقه.

المثال الثاني: أخرج ابن إِسْحَاقَ من حديث مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «حُدثتُ أَنَّ عُتبة بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا حليمًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَىٰ هذا فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يقبلُ بعضَها فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حمزةُ، ورأوْا أصحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَزِيدُونَ ويكثُرون؛ فَقَالُوا: بَلَىٰ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فكلمْه؛ فَقَامَ إِلَيْهِ عُتبة حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: يا ابن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ علمتَ مِنْ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ والنَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قومَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فرَّقت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وسفهتَ بِهِ أحلامَهم وعِبتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وكفَّرت بِهِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ،

(١) صحيح البخاري (١/ ١١١)، حديث رقم (٦١).

فَاسْتَمِعْ مِنِّي أعرضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ يَا أبا الوليد، أسمع**»، فقال: يا ابنَ أَخِي، إنْ جئتَ إنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا القول مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا شَرفناكَ عَلَيْنَا، حَتَّىٰ لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلكًا مَلَّكْنَاكَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ ولَا تَسْتَطِيعُ أن تَرُدَّهُ عَنْ نفسِك طَلَبْنَا لَكَ الطبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّىٰ نبرئَك مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التابعُ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُدَاوَىٰ مِنْهُ، ولعل هذا الذي يأتي به شعرٌ جاشَ به صدرُك، فإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدِرون منه علىٰ ما لا يقدر عليه أحدٌ حَتَّىٰ إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، **وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ**، قَالَ: «**أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَاسْمَعْ مِنِّي»؛ قَالَ: أَفْعَلُ. فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ **حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ (فصلت:١ - ٢) ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَ، وَأَلْقَىٰ يَدَيْهِ خلف ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثم انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ فيها ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك. فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاَللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بغيرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وراءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي وَاَللهِ قَدْ سمعتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ لمثلَه قطُّ، وَاَللهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وخلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ

مَا هُوَ فِيهِ فاعتزِلوه، فَوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سمعتُ مِنْهُ نَبأٌ، فَإِنْ تصبْه الْعَرَبُ فَقَدْ كُفيتموه بغيرِكم، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَىٰ الْعَرَبِ فملْكه ملكُكم، وعزُّه عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أسْعَدَ النَّاسِ بِهِ؛ قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ؛ قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فاصنعوا ما بدا لكم»[1].

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (١٨٧)، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٧٩)، حديث رقم (٥٠٩)، وهو مرسل، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٠): «وما تقدم نقله عن ابن قتيبة من أنه ولد في عهد النبي ﷺ لا حقيقة له، إنما الذي ولد في عهده أبوه، فقد ذكروا أنه كان من سبي قريظة ممن لم يحتلم، ولم يُنبت، فخلوا سبيله، حكىٰ ذلك البخاري في ترجمة محمد»، وفي إسناده يزيد بن زياد مولىٰ بني هاشم قال ابن حجر في تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٠): «ضعيف، كبُر فتغير، صار يتلقن، وكان شيعياً».

وأصل الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣٠)، حديث رقم (٣٦٥٦٠)، ومن طريقه عبد بن حُميد في مسنده (١/ ٣٣٧)، حديث رقم (١١٢٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣/ ٣٤٩)، حديث رقم (١٨١٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه وفي إسناده الأجلح بن عبد الله الكندي أبو جحيفة الكوفي، وثقه يحيىٰ بن معين والعجلي، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بذلك، وقال ابن عدي: ولم أجد له شيئا منكراً مجاوزاً الحد لا إسناداً ولا متناً، وهو أرجو أنه لا بأس به إلا أنه يعد في شيعة الكوفة، وهو عندي مستقيم الحديث صدوق. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٣٤٧)، ثقات العجلي (١/ ٢١٢)، الكامل لابن عدي (١/ ٤٢٩).

وفي إسناده الذيال بن حرملة، ذكره ابن أبي حاتم في كتابه ولم يذكره بجرح أو تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤٥١)، ثقات ابن حبان (٤/ ٢٢٢).

من اللافت للانتباه في حديث النبي ﷺ أنه لم يقاطع عتبة بن ربيعة وأنصت له، كما أنه لم يستعجل المتحدث، وهذه من الأمور التي تجعل المرء منصتاً متميزاً.

كما أن النبي ﷺ حقق الشرط الأول من شروط الإنصات الفعال، وهو إشعار المتحدث بالرغبة في الاستماع إليه من خلال قوله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع».

تقول هالة منصور: «استمع ضعف ما تتكلم حتىٰ تكون لديك حصيلة جيدة، فمن خلال الإنصات تستطيع أن تنفذ إلىٰ فكر محدثك، وتكون استجابتك في ضوء ذلك التصور»[1].

وهذا ما حققه النبي ﷺ في حواره مع عتبة وهو الذي جاء باغياً إقناع النبي ﷺ فحصل العكس، إذ جاءت ثمرة اتصال فعال ومؤثر أدىٰ مع بقية قنوات التواصل الأخرىٰ إلىٰ إقناع المتحدث وتجاوبه، حتىٰ تبين ذلك لمن أرسلوا عتبة فقال بعضهم: «لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به».

❊ ❊ ❊

(١) الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ص (٦٢).

المطلب الثاني
الاتصال البصري

حاسة البصر هي الحاسة المسيطرة علىٰ معظم الناس، فعادة ما يفكر كثير من الناس في: كيف تبدو الأشياء؟ ما طبيعة الألوان والأشكال؟ فالعين النافذة التي تجسد للشخص ما يكون من حوله، والقدرة علىٰ استثمار حاسة البصر في إيجاد أثر إيجابي مع الآخرين يعد تواصل بصري.

والتواصل البصري يعد من أهم أنواع الاتصال غير اللفظي، حيث ينقل هذا النوع من الاتصال كثيراً من مشاعر المحبة، العداء، الجاذبية، النفور بين المتحدثين، كما أن هذا الاتصال يؤثر بشكل فعال علىٰ مسيرة المحادثة والتواصل سواء بتدفق الحديث أو إنهائه. قال تعالىٰ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ١٩).

وقال الشاعر:

إن العيون لتبدي في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والإحن[1]

(١) لم أقف علىٰ موضعها.

وقال الآخر:

العين تبدي الذي في قلب صاحبها ❊ من الشناءة أو حب إذا كانا[1]

نعم إن العيون ليست وسيلة فقط لرؤية الخارج، بل هي وسيلة بليغة للتعبير عما في الداخل، أي ما في النفوس والقلوب ونقله للخارج، وكذا يتعامل معها باعتبارها وسيلة لفهم ما في نفوس الآخرين.

أنواع الاتصال البصري:

١ - مباشر، وهو ما يكون بتوجيه النظر للشخص مباشرة للتواصل معه وفتح قناة تعبيرية تتدفق منها مكنونات النفس وخلجاتها التي تجد في العيون منفذاً صادقاً يشي بما يعتمل بها. ومن ذلك نظر النبي ﷺ إلىٰ المرأة التي عرضت نفسها ونظره إلىٰ زيد بن حارثة رضي الله عنه[2].

٢ - غير مباشر، ويكون بالنظر إلىٰ ماله صلة بالمعنىٰ المراد إيصاله، وذلك للفت انتباه شخوص الموقف الاتصالي والتأثير عليهم، ومن ذلك ما سيأتي من نظر النبي ﷺ إلىٰ النجوم وإلىٰ البدر.

سمات وخصائص الاتصال البصري:

إن لغة العيون لا تُقرأ دون الخلفية الثقافية للمجتمع، وكذا بقية لغة

(١) غرر الخصائص الواضحة ص (٥٧).

(٢) سيأتي تخريج الأحاديث في المثال والثالث والسادس.

الجسد، فمثلاً خفض البصر وإنزاله يُعد عند شعوبٍ أدبـًا وحياءً، وعند أخرىٰ دلالة علىٰ عدم الاهتمام واللامبالة، كما أن رفع البصر وخفضه صعوداً ونزولاً، قد يعني الإعجاب والتقدير عند قوم، والانتقاد وعدم الرضا لدىٰ آخرين.

كما لا ينبغي عزله عن سياق الموقف، فقد تكون النظرة الصاعدة الهابطة دلالة سلبية أو إيجابية حسب الموقف الذي استخدمت فيه.

يقول الدكتور عبدالله الطويرقي: «من المهم جداً لأي رسالة غير لفظية أن تُفسر وتُدرك في سياقها الثقافي، فالفروق الثقافية بين البشر في هذه الناحية متعددة ومتمايزة أيضـًا، فالحركة الجسدية أو الإشارة باليد أو العين قد تعني شيئـًا حسنـًا في ثقافة ما، وتدل علىٰ العكس في موقفٍ مماثل في ثقافة أخرىٰ. إضافة إلىٰ أنه في الثقافة نفسها قد تعني الرسالة غير اللفظية من موقف إلىٰ آخر شيئـًا مغايراً، فأنت قد تصفق تشجيعـًا لأحد أصدقائك، كما يمكنك أيضـًا التصفيق لمنافسيك علىٰ سبيل الاستهزاء، من هنا فإن فصل الرسالة عن سياقها الأصلي خلل كبير يشوه الموقف الاتصالي»[1].

أهمية الاتصال البصري:

١ - كثيراً ما تعكس العيون المشاعر النفسية للمتحدث كالإعجاب، والغضب، والتهديد، والارتياح، والموافقة، كما تخدم الموقف الاتصالي

(١) علم الاتصال المعاصر ص (٨٩).

بإضفاء المودة والدفء على الحوار إذا ما تم استخدامها بفعالية[1]، فالعيون مرآة لما بداخلها.

٢ - أكثر مناطق الوجه تعبيراً هي منطقة العينين، وتُعد منطقة العينين مصدراً استراتيجياً مهماً لرسائل الاتصال غير اللفظي[2].

إن قدرة النبي ﷺ على تحقيق تواصل لفظي فعال لا تقل عنها قدرته على تتويج هذا الاتصال اللفظي بتواصل بصري يدعم قوة الموقف الاتصالي ويزيد من فعاليته.

وقد استخدم ﷺ الاتصال البصري في العديد من المواقف التي تنقلها سنته العطرة، ومآثره الطيبة، ونورد أمثلة للتواصل البصري فيما يلي:

المثال الأول: أخرج مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: «صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ، قَالَ: **فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ**، فَقَالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ

(١) نظريات الاتصال ص (٧٤).

(٢) مهارات الاتصال مع الآخرين ص (٣٠).

أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

إن الرسالة التي تنقلها العيون تختلف في مضمونها بحسب الموقف الذي يدعو إلىٰ استخدامها فهناك نظرة الرضىٰ، العتب، الغضب، التشجيع، الرحمة، التأمل، وغيرها من النظرات التي قد تأتي بمفردها دون لفظ يُصاحبها، فتحل النظرات محل الكلمات، وتأتي أحيانًا داعمةً ومكملةً للغة الألفاظ كما في حديثنا هذا.

وحينما يلتفت المتحدث إلىٰ جهة ما، أو مكان ما، فإن المتلقي يشد انتباهه إلىٰ ما ذهب إليه نظر المتحدث، ويقع في خلده سؤال مؤداه هذا الالتفات؟! فيغدو لديه اهتمام أكثر، وانتباه أقوىٰ لما سيلقىٰ بعد، لذا كان التفات النبي ﷺ حافزاً لأذهان المتلقين لما سيرد علىٰ مسامعهم.

ولم يقتصر النبي ﷺ علىٰ النظرة التأملية المحفزة لاهتمام صحابته التي أرسلها إلىٰ السماء حين رفع رأسه، بل أردفها بربط حسي، مشيراً إلىٰ أن النجوم كما هي هداية للسالكين في تضاريس الأرض، فإن النبي ﷺ وأصحابه هداية للطالبين.

قال النووي: إن بقاءه ﷺ داعية الائتلاف، ودرعًا وأمانًا من الفرقة والاختلاف، وأصحابه من بعده سياجًا من البدع والانحراف، لما لهم مع

(١) صحيح مسلم (٣٥٢)، حديث رقم (٤٥٩٦).

المصطفىٰ من مباشرة، وحسن معاشرة[1].

وقد تنوع العرض النبوي علىٰ نحو فعال باستخدام:

١ - وسيلة بصرية، وهي النظر إلىٰ السماء.

٢ - أسلوب حسي، وهو النجوم الماثلة أمامهم، وإيرادها مثالاً يشاهدونه ويتكرر عندهم.

٣ - أسلوب لفظي تكامل مع الوسيلة والحس في صورة موحدة لمعنىٰ يشرق في الأذهان، وتتشربه نفس الإنسان.

المثال الثاني: أخرج البخاري من حديث جرير بن عبدالله ﷺ قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، **فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ**، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ** ﴾ (ق: ٣٩)»[2]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: افْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ.

يعمد النبي ﷺ في موقف آخر إلىٰ عوامل القوة والتأثير علىٰ الموقف الاتصالي، وتتمثل هذه العوامل في التوقيت، الربط الحسي، الاتصال البصري، ثم اللغة اللفظية.

---

(١) شرح النووي (١٦/ ٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٣٨٩)، حديث رقم (٥٢١)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩)، حديث رقم (٦٣٣).

هذه العوامل مجتمعة يستثمرها ﷺ في إنجاح الموقف الاتصالي، فاختار الوقت الذي تجلىٰ فيه القمر استدارة ونوراً، أي القمر في أسنىٰ تجلياته، واختار من المظاهر الحسية البدر الذي يعاودهم مرآه البهي في سماء صحو كما هو الغالب علىٰ سماء العرب، وهذا الربط الحسي يجسد الرسالة لدىٰ المتلقي، ويقرب المعنىٰ المراد ويرسخه.

واستخدم ﷺ لغة العيون التي غالباً ما تأتي سابقة للغة اللفظية باعتبارها وسيلة لافتة مثيرة لانتباه الحضور ومحفزة لمداركهم. ثم أردف بالبيان اللفظي «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» وهكذا ابتدأ ﷺ الموقف الاتصالي بنظرة التأمل والتفكر للفت الانتباه وإثارة الحس، يدعم هذه النظرة ما أحاط بها من توقيت مناسب، وربط حسي، وعبارة بينة، أرست مبدأ رؤية الله – تعالىٰ – بقوة وفعالية.

المثال الثالث: أخرج البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي، قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، **فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ**، ثُمَّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَىٰ أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا وَاللهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي، قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّىٰ إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا، فَقَالَ: تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:اذْهَبْ، فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ»(١).

نستشف من تصعيد النظر وتصويبه ثم الانصراف بالبصر عند النبي الكريم ﷺ الرغبة عن المرأة وعدم الإعجاب، قال ابن حجر: والمراد أنه نظر أعلاها وأسفلها(٢).

وهنا في المثال النبوي نجد استعمال اللغة غير اللفظية باستقلال دون كلمات، فالعلاقة هنا بين اللغة اللفظية وغير اللفظية إبدالية، حيث أعرض النبي ﷺ عن الكلام رفعًا للحرج عن المرأة التي جاءت تعرض نفسها علىٰ النبي ﷺ ورفقًا بها، وحياءً منه، وقد عُرف أن الحياء من صفاته ﷺ، واكتفىٰ باللغة غير اللفظية من رفع البصر ثم خفضه والانصراف به عن المرأة، وطأطأة

(١) صحيح البخاري (١٦/ ٢٩) حديث رقم (٤٦٩٧)، ومسلم في صحيحه (٧/ ٢٥٤)، حديث رقم (٢٥٥٤).

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٠٦).

الرأس، ومعلوم لدىٰ علماء الاتصال أن الانصراف بالبصر وإبعاده عن المتحدث، ونزول الرأس، إنما يكون عند رغبة الناظر إخفاء شعوره الداخلي، كما أن الصمت والعزوف عن الإجابة إجابة بحد ذاتها، قال أبو عبيد: «ربما كان السكوت جواباً»[1].

فتضافرت هنا ثلاثة أساليب، رفع البصر وخفضه ثم صرفه، طأطأة الرأس، والسكوت، في إيصال رسالة لطيفة غير محرجة للمرأة، وهذا من لين جانبه ورفقه بأمته، تصديقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ** ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

المثال الرابع: قال أبو داود في سننه من حديث عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَجُلاَنِ أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِي ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقْسِمُ الصَّدَقَةَ فَسَأَلاَهُ مِنْهَا **فَرَفَعَ فِينَا الْبَصَرَ وَخَفَضَهُ** فَرَآنَا جَلْدَيْنِ فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا وَلاَ حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلاَ لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»[2].

والتواصل البصري هنا يعكس معنىً سلبياً أراد النبي ﷺ أن يوصله للرجلين اللذين جاءا يطلبان إليه الصدقة مع ما يظهر عليهما من قوة جسدية تمكنهما من العمل، وتُعد مانعاً لاستحقاقهما الصدقة، وقد كان يستطيع أن

(١) الأمثال ص (٥)، مجمع الأمثال للميداني (١/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨/ ١٦٢)، حديث رقم (١٦٣٥)، والنسائي في سننه (٥/ ٩٩)، حديث رقم (٢٥٩٨) بإسناد صحيح.

يردهما رداً مباشراً بالرفض مخبراً إياهما بأنهما ليْسَا من أهل الصدقة، ولكنه النبي الرفيق بأمته، الذي يعمد إلىٰ الرفق ما أمكنه ذلك، وهو القائل: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[1]، يعرف للنفوس مسالكها، وللعقول مداخلها، يرفع بصره ويخفضه في نظرة تفاعلية تشي بعدم الرضا والقبول لطلبهما، ثم يرمي الكرة في مرماهما، كعادة المحنكين في التعامل مع الآخرين، ويجعل القرار بيديهما بعد توضيح المبدأ في الصدقة «إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا وَلاَ حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلاَ لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ» وهذه ميزة الرد غير المباشر، إذ تكون له فعالية عبر إيصال المضمون مع المحافظة علىٰ كيان الآخر، فتكون الاستجابة أقوىٰ.

المثال الخامس: قال أحمد في مسنده من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ يَنْكُتُ بِهَا **ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ**، فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ الشِّقْوَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَلْ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ، فَإِنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ الشِّقْوَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٢٢)، حديث رقم (٦٧٦٧).

مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ،ثُمَّ قَرَأَ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ»[1].

وهنا يتكرر الموقف الحزين، ويعاود ﷺ التواصل مع صحابته في لغة بصرية «ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ» وفي رفع البصر دلالة علىٰ الاهتمام والعناية بما يُقال ولمن يُقال.

«ويستخدم الأفراد البصر للإعراب عن الاهتمام واستمرارية الاتصال بين الطرفين والرغبة في المشاركة» قاله د. حسين جلوب[2].

وهذا الموقف المواتي باجتماع القلوب في المكان الذي يدعو للتأمل بعد النظرة التي نقلت تعبير الحزن، يكمل النبي ﷺ الموقف الاتصالي بالرسالة اللفظية التي استغلت موقف نهاية الإنسان ليقرر مسيرته من بدايتها حتىٰ ختامها، وقد كان قبلها ﷺ يخفض بصره في حزن، لأن طأطأة الرأس تعني مشاعر سلبية تكمن داخل الفرد، وتنعكس علىٰ العين، فالعين نافذة يُستشف من خلالها ما يجول بداخل صاحبها.

وهكذا تساندت اللغتان اللفظية وغير اللفظية في سياق نسق اتصالي فعال ومؤثر، بالإضافة إلىٰ استثمار الموقف الانفعالي في تحقيق تواصل أعمق وأقوىٰ.

المثال السادس: أخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَىٰ عُمَرُ عُطَارِدًا التَّمِيمِيَّ يُقِيمُ بِالسُّوقِ حُلَّةً سِيَرَاءَ وَكَانَ رَجُلًا يَغْشَىٰ الْمُلُوكَ وَيُصِيبُ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٩)، حديث رقم (١٠٦٧) بإسناد صحيح.

(٢) مهارات الاتصال مع الآخرين ص (٣١).

مِنْهُمْ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُ عُطَارِدًا يُقِيمُ فِي السُّوقِ حُلَّةً سِيَرَاءَ فَلَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا لِوُفُودِ الْعَرَبِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ وَأَظُنُّهُ قَالَ وَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحُلَلٍ سِيَرَاءَ فَبَعَثَ إِلَىٰ عُمَرَ بِحُلَّةٍ وَبَعَثَ إِلَىٰ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بِحُلَّةٍ وَأَعْطَىٰ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حُلَّةً وَقَالَ شَقِّقْهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ بِحُلَّتِهِ يَحْمِلُهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ وَقَدْ قُلْتَ بِالْأَمْسِ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا وَلَكِنِّي بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُصِيبَ بِهَا وَأَمَّا أُسَامَةُ فَرَاحَ فِي حُلَّتِهِ **فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرًا عَرَفَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ أَنْكَرَ مَا صَنَعَ** فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا تَنْظُرُ إِلَيَّ فَأَنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِهَا فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا وَلَكِنِّي بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ»[1].

ها هو ذا أسامة بن زيد رضي الله عنه يسعد بهدية النبي ﷺ ويزهو بالحلة الحريرية التي بعث بها إليه، وحين رآه ﷺ لم يعجبه ما رأىٰ، ولكنه لم يعنف أو يوبخ، بل عمد إلىٰ التواصل البصري أولاً، لما هو معلوم من قوة الاتصال البصري وشفافيته.

وبعد الاتصال البصري الذي نقل نظرة الرفض لصنيع أسامة بن زيد رضي الله عنه وضح النبي ﷺ الهدف من إرسال الحلة «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا وَلَكِنِّي

(١) صحيح مسلم (١٠/ ٤٠٨)، حديث رقم (٣٨٥٢).

بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ نِسَائِكَ»، فالرسالة اللفظية تأخذ زخمها، ويتعمق فحواها في النفوس إذا رافقها تواصلاً غير لفظي يضيف بُعداً ثابتاً للرسالة المراد زرعها.

المثال السابع: أخرج مسلم من حديث أبي أيوب ﷺ قال: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ **ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ**، ثُمَّ قَالَ لَقَدْ: وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعْ النَّاقَةَ»[1].

السائل هنا أعرابي، والأعراب تجد منهم غلظة في التعامل، مختلفين في ذلك عن سكان الحضر الذين صبغت المدينة سلوكهم بطابع يميل إلىٰ التهذيب واللياقة.

فها هو ذا الأعرابي يمسك بزمام ناقة النبي ﷺ في حركة آمرة بالتوقف، رغم ذلك لم يبُد ﷺ امتعاضاً بل بدأ يخلق موقفاً اتصالياً فعالاً، انطلاقاً من نظرات العيون «ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ»، وهي اللغة التي لها التأثير الأكثر صدقاً ووقعاً في القلوب – كما سلف علىٰ شرح الحديث السابق – ثم أوجز له الرسالة اللفظية الجامعة «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

(١) صحيح مسلم (١/ ٩٥)، حديث رقم (١٤).

ونلاحظ أن الرسالة اللفظية اشتملت علىٰ الركائز الأساسية للمسلم بدءاً بإخلاص العبادة، فالعبادات ثم المعاملات، وهذا ما يحتاجه رجل من الأعراب، مفهوم واضح، وعبارة موجزة، ولين في المعاملة، لنصل إلىٰ استجابة مباشرة.

وقد جاءت الرسالة اللفظية مسبوقة برسالة بصرية، وذلك لكونهما صنوين يتمم أحدهما الآخر.

والرسالة غير اللفظية جاءت هنا لدعم الاتصال اللفظي وتأكيد معناه وتتميمه، وهذا جانب من جوانب ارتباط الاتصال غير اللفظي بالاتصال اللفظي.

* * *

المطلب الثالث
الاتصال بلغة الجسد

تتضمن هذه اللغة نقل المعاني من خلال حركات وتعبيرات الوجه، والإيماءات، والانحناءات، ووضع الجسم، وحركات اليدين، واللمس، وشكل أو مظهر الجسم[1].

أهمية لغة الجسد:

١ - تكمن أهمية لغة الجسد في كون الجزء الأكبر من المعلومات ينقل من خلال اللغة غير اللفظية التي تمثل لغة الجسد أحد أهم جوانبها، إضافة إلىٰ التواصل البصري والسمعي.

٢ - دور لغة الجسد باعتبارها عاملاً حافزاً يستثير التفاعل لدىٰ الآخرين، كما الانتصاب واقفاً بعد الجلوس.

٣ - لغة الجسد تلعب دوراً مهماً في إنجاح الموقف الاتصالي إذا أُحسن استخدامها، وتعد عاملاً مؤثراً في سير العملية الاتصالية.

وقد تضمن تعريف لغة الجسد سالف الذكر وسائل الاتصال بلغة

(١) مهارات الاتصال مع الآخرين ص (٢٩).

الجسد من حركة جسد أو تعبير بالوجه أو حركة يد، وهذه الوسائل تنضو ي في الإجمال تحت طريقتين:

أولاهما: **التواصل عن بُعد بدون لمس**: وهذه الطريقة تكون بتعبيرات الوجه، وإشارة اليد، وتغيير الحركة من جلوس إلىٰ قيام، ومن اتكاء إلىٰ جلوس، ونحوها.

ثانيتهما: **التواصل باللمس**: ويمثل هذه الطريقة المعانقة، ووضع اليد علىٰ جزء من جسد الآخر كالمسح علىٰ الرأس، أو وضع اليد علىٰ الكتف، أو الصدر، والمصافحة، وكذا الأرداف، ونحوها من التواصل الجسدي الذي يتضمن الملامسة للآخر.

ويعد التواصل بالملامسة موصلاً عالي التأثير علىٰ الطرف الآخر، تقول هالة منصور في ذلك: «والاتصال عن طريق اللمس يعتبر اللمس أداة اتصالية قوية، تعبر عن العديد من المشاعر، كالخوف والحب والقلق والدفء، وتعلق معظم الثقافات اهتماماً كبيراً علىٰ اللمس كأداة اتصالية، بالإضافة إلىٰ أهميته كعامل من عوامل التعبير عن المشاعر الإنسانية»[1].

ونلاحظ عند تتبع سنة المصطفىٰ ﷺ استخدامه للغة الجسد في كثير من

(١) الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ص (٤٦)، وانظر: وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٤٢).

المواقف، بل استعاضته بهذه اللغة الشفافة اللطيفة في إيصال الرسالة والتواصل مع صحابته، لما لها من قوة في نقل كثافة المعلومة مع التلطف في التوصيل.

أولاً: التواصل بدون لمس: وله تفريعات عدة نوردها فيما يلي:

حركة الجسد: يقصد بحركة الجسد ما يقوم به الجسد من فعل، أو تغيير وضعيته بمجمله، لا التعبير بجزء خاص منه كالوجه واليد، كأن يكون علىٰ وضعية استرخاء فيعدلها إلىٰ مظهر يدل علىٰ الاهتمام، فيجلس بعد اتكاء، أو يقف بعد جلوس، تفاعلاً مع مقتضىٰ الحال، واستجابة للانفعالات المصاحبة للموقف الاتصالي، التي يتحكم في تدفقها مدىٰ أهمية الموضوع لدىٰ المرسل، وهدفه من الرسالة الجسدية التي أرسل بها عبر حركة الجسد.

وكثيراً ما كان يتفاعل ﷺ بتعبير جسدي يترافق مع بلاغة لفظية في إنشاء موقف اتصالي قوي يخدم القضية التي يتصدىٰ لها، وسيرد أمثلة لهذا النوع من لغة الجسد فيما يلي:

المثال الأول: أخرج البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان قَالَا: «.... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ، فَقَالَتْ

أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، **فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا**»[1].

وكان قد عز علىٰ المسلمين أن يعودوا أدراجهم دون أن يؤدوا عمرتهم، وقد اشرأبت نفوسهم إليها، فتمسكوا بأداء عمرتهم، وعزفوا عن تطبيق شروط صلح الحديبية التي تقتضي عودتهم للعمرة العام القادم، والعدول عنها لهذا العام، فلم يلق خطاب النبي ﷺ الذي كرره ثلاثاً حيث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ»، لجأ ﷺ إلىٰ حركة الجسد لإيصال رسالة أقوىٰ تأثيراً تنهض بها همم القوم بعد أن عجزت لغة الألفاظ عن تحقيق المطلوب، «فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ،حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا» وحينما وصلت رسالة حازمة لا تدع مجالاً للتراجع أو التأويل، أدت هذه اللغة الفاعلة دورها الحاسم في استنهاض العزم لتنفيذ مضمون الرسالة الجسدية التي أوصلت مبدأ الإلزام، وليس الاختيار، ومعلوم

(١) صحيح البخاري (٩/ ٢٥٦)، حديث رقم (٢٥٢٩).

أن لغة الفعل تؤكد لزوم الانصياع لما يؤمر به وتدعم لغة القول، ومنهم من يقدم لغة الفعل في الدلالة والقوة وذلك لشفافيتها ومصداقيتها وترجيح كفتها حين تعارضها مع اللغة اللفظية(١).

المثال الثاني: أخرج البخاري من حديث ابن عباس ﷺ قال: «...يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ - ﷺ تَبَسُّمَةً أُخْرَىٰ فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَىٰ أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، **فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا**، فَقَالَ: أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.....»(٢).

وهنا يطلب عمر بن الخطاب ﷺ إلىٰ النبي ﷺ بعدما رأىٰ ما هو عليه من شظف العيش أن يدعو الله تعالىٰ أن يهيئ له شيئًا من متاع الدنيا، فجاءت حركة الجسد الدالة علىٰ أهمية ما سيقوله ﷺ: «فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ

(١) علماء الاتصال يرون تقديم لفة الفعل علىٰ لغة القول عند تعارضهما، أما الأصوليون فلهم تفريعات في ذلك مابين مرجح للقول علىٰ الفعل والعكس، وقول الإمام الشاطبي وسط بينهما، انظر:الموافقات (٤/ ٨٣).

(٢) صحيح البخاري (١٦/ ١٩٢) حديث رقم (٤٧٩٢).

مُتَّكِئًا»، وإنما غير حركته من الاتكاء الدال علىٰ الاسترخاء والاستكانة إلىٰ الجلوس، لكون طلب متاع الدنيا مما يُستعظم أمره ويتفاقم خطره، فإن الإنسان ما إن يبدأ الانشغال بدنياه حتىٰ يبدأ الانصراف عن آخرته، وهذا ما تتابعت عليه الأمم من الاستكثار من الدنيا حتىٰ تتكالب عليهم شهواتها فترين علىٰ قلوبهم فتنسيهم ذكر الله، فتخيم الشبهات علىٰ القلوب فيضل بهم الطريق إلىٰ الله، فيعبدون ما لا ينبغي عبادته ويفعلون ما يحرُم فعله، وهذه هي خطوات الشيطان التي يسلكها مع الإنسان كي يصرفه عن عبادة الرحمن ويحقق ما توعد به الخلق فيما ذكره الله تعالىٰ حكاية عن إبليس – لعنه الله –: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ (النساء: ١١٩).

وهذا هو المغزىٰ الذي أراد النبي ﷺ إيصاله إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن الأمر خطير وليس علىٰ ظاهره، فليس المنع للحرمان، ولكن لكونها – أي: متع الدنيا – خطوة أولىٰ من خطوات الشيطان كي يقود الإنسان إلىٰ مهاوي الخذلان.

لذا غير النبي ﷺ حركة جسده من الاتكاء إلىٰ الجلوس، ليخبر بحركة جسده مع خطابه عن جسامة الإقبال علىٰ الدنيا وعظم تأثيره علىٰ الإنسان، داعمًا الموقف الاتصالي بلغة جسدية تلقائية تزامنت مع بلاغ لفظي، مما يضفي قوة علىٰ المعنىٰ المراد إيصاله، فيستقر لدىٰ المسلم الحذر من الانزلاق إلىٰ هذه الأمور التي لا يظهر خطرها من بادئ أمرها، وهو ما حذر

ﷺ بقوله في حديث رواه عقبة بن عامر: «إني فَرَطٌ لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[1].

ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يعدل من وضعية جسده حين حواره مع عمر ابن الخطاب عن خلافه مع زوجاته، علىٰ عكس ذلك حين تحدث عن متاع الدنيا، فلم يكن ليهتم لشأن نفسه اهتمامه بشأن تبليغه لأمور دعوته.

المثال الثالث: أخرج البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله، قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، **وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ**، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّىٰ قُلْتُ لَا يَسْكُتُ»[2].

في الحديث الشريف قدم ﷺ الشرك وعقوق الوالدين في ترتيب الكبائر، وتلا قول الزور بعدهما ثالثًا، إلا أنه صاحبه حركة جسد معبرة وعميقة وغنية بإيصال المعنىٰ المراد بثه، مع لغة لفظية كررها لتغدو أكثر تأثيراً «فما زال يقولها حتىٰ قلت لا يسكت».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٥٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٤٨).

(٢) صحيح البخاري (١٨/ ٣٧٢) حديث رقم (٥٥١٩).

وحركة الجسد هنا بالجلوس بعد الاتكاء، رغم أنه ﷺ ذكر الشرك وعقوق الوالدين أولاً دون تغيير في الجلسة أو تكرار في الألفاظ، ثم جعل قول الزور من بعدهما، إلا أنه لازمه رسالة لفظية وجسدية قوية تبعث برسالة تقول: إن قول الزور وإن كان ثالثهما، إلا أنه لا يقل عن سابقيه أهمية لتكالب الناس علىٰ فعله لتعدد دواعيه وأسبابه.

وهذا ما نص عليه ابن حجر في شرحه فقال: «وجلس وكان متكئا يشعر بأنه اهتم بذلك حتىٰ جلس بعد أن كان متكئا ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعا علىٰ الناس والتهاون بها أكثر فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلىٰ الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلىٰ ما ذكر معها من الإشراك قطعا بل لكون مفسدة الزور متعدية»[1].

وهذه الرسالة لازالت تحمل الزخم القوي الذي ضمنه إياها علىٰ تعاقب السنين، ولا تزال شهادة الزور تقترن بهيئة النبي ﷺ وهو يحذر منها، وإعادة هذا التحذير إمعانًا في التبليغ، ولا تزال تحمل تلك الرهبة التي تمنع من التجرؤ علىٰ إتيانها التي أراد الخبير بالنفوس ﷺ إقرارها في الأذهان.

(١) فتح الباري (٥/ ٢٦٣)، وانظر: عمدة القاري (٢٠/ ٢٧٨).

تعبيرات الوجه:

لا يُعد الوجه مجمعاً للمحاسن من حيث الشكل فقط، بل إنه مجمع للمشاعر والتعبيرات والانفعالات أيضاً.

يقول حسين جلوب: «يعتبر الوجه أكثر أجزاء الجسم وضوحاً وتعبيراً عن العواطف والمشاعر وأكثرها في نقل المعاني، كما أنه أكثر الأجزاء صعوبة في فهم التعبيرات التي تصدر عنه»، ويقول أحد خبراء الاتصال: «أن الوجه قادر على أن يعرب عن ٢٥٠٠٠٠ تعبير مختلف، ويمكن القول أن هناك على الأقل ستة أنواع من العواطف التي يمكن التعبير عنها باستخدام الوجه، وهي التعبير عن السعادة والغضب، والدهشة والحزن، والاشمئزاز والخوف»[١].

ويقول محمد منير حجاب: «التعبير الوجهي أكثر وسائل الاتصال غير اللفظي شيوعاً، ويتوافر لها خاصية الصدق في معظم الأحيان»[٢].

ويُعول على الوجه كثيرا في فرص نجاح التواصل أو فشله، لكونه نقطة محورية تتمركز فيه الجوانب الحسية في موقف الاتصال، بالإضافة إلى كونه أول ما يقع عليه البصر عند التفاعل مع الآخرين، مما يجعله نقطة انطلاق

(١) مهارات الاتصال مع الآخرين ص (٣٠)، وانظر: وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٤١).

(٢) نظريات الاتصال ص (٧٣).

في نجاح الاتصال وفعاليته، فإن الوجه الجامد العبوس ولو رافقته عبارات لطيفة يؤثر أكثر مما تفعله رقة العبارة، وذلك لما للغة غير اللفظية عموماً، والوجه على الخصوص من مصداقية على اللغة اللفظية، فإذا تعارضت إحداهما كان الرجحان للغة الحسية، لما هو معلوم من شفافية وتلقائية غير المصطنعة منها.

وقد كان ﷺ كثيراً ما يعبر بملامح وجهه الشريف عما يعتمل بداخله في لغة شفافة راقية، تُوصل الرسالة بأسلوب جمٍ رفيع، ولم يكن ﷺ يميل إلى العبارة اللفظية المسهبة، بل كان يستعيض عن ذلك بعبارة قصيرة يمزجها بتعبير حسي صادق، أو يقتصر على ما يُرى في قسمات وجهه، فيُفهم مراده، وقد نقل إلينا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه هديه ﷺ في ذلك فقال: «.... وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ»[1].

ونورد فيما يلي أمثلة على هذا النوع من الاتصال الجسدي:

المثال الأول: أخرج البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: اعْرِفْ وِكَاءَهَا أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا وَعِفَاصَهَا ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَضَالَّةُ

(١) صحيح البخاري (٣/ ٢٩٧)، حديث رقم (٣٢٩٨)، (١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤٥٨)، حديث رقم (٤٢٨٤).

الْإِبِلِ؟ **فَغَضِبَ حَتَّىٰ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ،** فَقَالَ وَمَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَىٰ الشَّجَرَ فَذَرْهَا حَتَّىٰ يَلْقَاهَا رَبُّهَا، قَالَ: فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ»[1].

فالسؤال يُجاب عنه حين يكون في موضعه، أما إذا جاء السؤال لغير هدفه، فإنه يكون مدعاة للاستياء والغضب، وهذا حصل مع النبي ﷺ حين سُئل عن ضالة الإبل، فهو سؤال لمس ﷺ من سائله الغرض غير المعلن الذي يهدف إلىٰ استجازة أخذ ضالة الإبل رغم معرفته بالإبل، وأنها ليست بحاجة إلىٰ من يحفظها، لما هيأ الله لها من القدرة علىٰ حفظ نفسها، مما يترتب عليه الاستيلاء علىٰ ممتلكات الآخرين بحجة ضياعها.

قال العظيم آبادي: «فالمراد بهذا النهي عن التعرض لها؛ لأن الأخذ إنما هو الحفظ علىٰ صاحبها إما بحفظ العين أو بحفظ القيمة، وهذه لا تحتاج إلىٰ حفظ؛ لأنها محفوظة بما خلق الله فيها من القوة والمنعة وما يسر لها من الأكل والشرب»[2].

وقد أوصل النبي ﷺ بما ارتسم علىٰ وجهه من غضب رسالة جسدية تعزز من التحذير اللغوي الذي رافقها، كي تزرع الهيبة من الإقدام علىٰ مثل

(١) صحيح البخاري (١/ ١٦١)، حديث رقم (٨٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ١٢٩)، حديث رقم (٣٢٤٨).

(٢) عون المعبود (٥/ ٨٦).

هذا الفعل.

المثال الثاني أخرج البخاري من حديث خباب ﷺ يقول: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَدْعُو اللهَ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ **مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ**، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، زَادَ بَيَانٌ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ»[1].

فقد احمر وجه النبي ﷺ غضبًا حين لمس من بعض صحابته نفاذ الصبر في مواجهتهم مشركي قريش، خاصة وأن الدعوة لا تزال في بدايتها وتحتاج إلىٰ صبر طويل حتىٰ يصلوا إلىٰ هدفهم، وهذا التعبير الغاضب يهدف إلىٰ إيصال استنكار قوي إلي من ضعفت عزائمهم من مصارعة الحال مع قريش الذين يتفوقون عليهم عدة وعددا.

وفي احمرار وجه النبي ﷺ ردع لهم عما يتضاءل في دواخلهم من عزائم الصبر، لاسيما أنه قد يواجههم ما يفوق هذه المصاعب، فهل يرتخون من بداية الأمر؟ فجاء الغضب الذي علا محيا النبي ﷺ مع التوجيه اللفظي المتضمن

(١) صحيح البخاري (١٢/ ٢٢٥)، حديث رقم (٣٥٦٣).

إيراد حال من سبقهم للتأسي، مع البشارة بتمام هذا الدين حتىٰ يتحقق انتشاره، ليدفعهم نحو مزيد من الصبر، وقد أعطىٰ تعبير الوجه المحمر غضباً تجسيداً للإنكار عليهم، فأعطىٰ دفقة قوية للرسالة المراد إيصالها.

المثال الثالث: أخرج البخاري من حديث عائشة ﵂ قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَىٰ الْفِرَاشِ **وَحَوَّلَ وَجْهَهُ**، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: دَعْهُمَا، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَىٰ خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ حَتَّىٰ إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: حَسْبُكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبِي»[1].

تصف لنا عائشة ﵂ المنزل عند قدوم النبي ﷺ، إذ به جاريتان تغنيان، وفي هذه الحال من السرور يمتنع ﷺ من إبداء الاعتراض علانية، أو بلفظ صريح، اكتفىٰ بلغة رقيقة راقية تُرىٰ بالوجه ولا تُسمع بالأذن «وَحَوَّلَ وَجْهَهُ»، وتحويل الوجه هنا فيه دلالة علىٰ عدم الموافقة علىٰ ما يُسمع، ولو كان حراماً

(١) صحيح البخاري (٩/ ٧٨١٠١) حديث رقم (٢٤٢٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ٦٣)، حديث رقم (٣٢٠٢).

صريحاً لما توانىٰ ﷺ عن إيقافه، ولكنه أعلن عن معارضته بإيماءة جسدية لطيفة فهمها أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فغمز الجاريتان للانصراف.

فهذا هو النبي الكريم ﷺ يعترض بلطف، ويوصل الرسالة بحسٍ جميلٍ ، فإن الانصراف بالوجه عن جهة أو مكان يدل علىٰ عدم الرغبة فيه، ولكنه أسلوب عالي الإحساس، بالغ التهذيب، رغم أنه صاحب المنزل له أن يأمر فيطاع، ويوجه فيُستجاب له.

المثال الرابع: أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ النَّاسِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي زَنَيْتُ- يُرِيدُ نَفْسَهُ - **فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَنَحَّىٰ لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي زَنَيْتُ، **فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَجَاءَ لِشِقِّ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْهُ**، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: أَحْصَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ.قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ جَابِرًا، قَالَ: فَكُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُ فَرَجَمْنَاهُ بِالْمُصَلَّىٰ فَلَمَّا، أَذْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ جَمَزَ حَتَّىٰ أَدْرَكْنَاهُ بِالْحَرَّةِ فَرَجَمْنَاهُ»[1].

(١) صحيح البخاري (٢١/ ١٠١) حديث رقم (٦٣٢٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ٦٣)، حديث رقم (٣٢٠٢).

يعرض النبي ﷺ عن الرجل الذي جاء يعترف بجريمة الزنا في لغة جسدية يُفهم منها عدم الرغبة في الاستماع، رحمة بصاحب البلاغ، ويأتيه الرجل إلىٰ حيث أعرض بوجهه، يتكرر المشهد مرتين، والنبي ﷺ يُعرض والرجل يصمم علىٰ الاعتراف، وإنما أعرض عنه رحمة به وشفقة عليه، لعلمه بما يترتب عليه السماع من عقوبة تلحق بالجاني.

وفي هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ يحاول أن يوصل رسالة ينقلها إعراض بوجهه عن الرجل الذي يريد الإقرار بذنبه، حتىٰ يختبر مدىٰ عزمه علىٰ الاعتراف، ويتيح له فرصة التوبة بعيداً عن العقوبة المؤلمة التي تطال الزاني.

والإعراض بالوجه إيماءة جسدية رحيمة يبعث بها إلىٰ الرجل كي يثنيه عن عزمه، حتىٰ إذا ثبت لديه شدة حرصه علىٰ التطهر من الذنب أمر بتطهيره من جُرمه.

المثال الخامس: أخرج البخاري من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَىٰ الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، **فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ** فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟ قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي

فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»[1].

فقد عبر النبي ﷺ عن اعتراضه علىٰ مرأىٰ التصاوير بحركتي جسد، أولاهما: امتناعه عن الدخول إلىٰ المنزل، وثانيتهما: انطباع الكراهية علىٰ وجهه، وذلك بتواصل جسدي التقطته عائشة رضي الله عنها، إلا أنها لم تعلم سببه، لذا استعلمت بقولها: «يَا رَسُولَ اللهِ أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟» عندئذ أردف النبي ﷺ حركة الجسد المتمثلة مظهر الكراهية المرتسم علىٰ وجهه الكريم ببيان لفظي «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، وقد كان يستطيع ﷺ الاعتراض مباشرة علىٰ وجود التصاوير، لكنه يسلك دومًا أسلوب الرفق في توجيهه، فيبعث بملامح وجهه وامتناعه عن دخول المنزل رسالة عميقة المحتوىٰ، لطيفة التوصيل، عالية التأثير، في خلق نبوي عظيم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

لغة الإشارة:

ربما تعد الإشارات في طليعة الوسائل التي طورها الإنسان في اتصاله بالآخرين، وتنطوي كل ثقافة من الثقافات المختلفة علىٰ نسق من الإشارات

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٩٣) حديث رقم (١٩٦٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١١/ ٢١)، حديث رقم (٣٩٤١).

ذات الدلالة، والتي إما أن تصاحب لغة الكلام، أو تؤدىٰ بمفردها من أجل أن تعطي معنىً معيناً، أو ترسل رسالة خاصة[1].

وقال محمد منير حجاب: «يقصد بلغة الإشارة استخدام الإنسان لبعض الحركات في الجسم للتعبير بها بدلاً من الكلام، مثل استخدام الأصابع للتعبير عن الموافقة أو الرفض أو للتهديد أو التأكيد، واستخدام الرأس للتعبير عن الموافقة أو الرفض»[2].

إذن نستطيع القول بأن لغة الإشارة قد تأتي مستقلة إبدالية دون لغة الكلام، وقد تتزامن معها سواءً جاءت معززة داعمة، أو مفسرة لها، أو معارضة.

ولغة الإشارة ينبغي أن تستخدم بوعي كي تحقق أهداف التواصل الإيجابي مع المستقبل، ومما يؤثر سلباً علىٰ قوة التفاعل مع الرسالة ازدياد الإشارات مما لا يحتاجه موضوع الرسالة، فقد يؤدي ذلك إلىٰ التشتت وعدم التركيز مع الرسالة، أو المبالغة فيها فتعكس عدم المصداقية للمرسل، فيحرص المرسِل علىٰ ضبط إرسال الإشارات حسب حاجة الموضوع.

وقد عكست لنا سنة المصطفىٰ ﷺ صوراً من تواصله بلغة الإشارة مما

(١) وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٤٠)، الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ص (٤١).

(٢) نظريات الاتصال ص (٧٣).

يحقق غرض الرسالة ويدعم المعنىٰ المراد، نذكر بعضاً من أمثلتها فيما يلي:

المثال الأول: أخرج البخاري من حديث عبدالله بن عمر ﷺ قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، **فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ**، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ»[1].

قام خالد بن الوليد ﷺ بإنفاذ العقوبة ببني جذيمة دون مراجعتهم في مقولتهم «صبأنا»، قال ابن حجر: «اللهم أبرأ إليك مما صنع خالد، يعني: من قتله الذين قالوا صبأنا قبل أن يستفسرهم عن مرادهم»، وقد فهم ﷺ أنهم يرفضون الإسلام، فكان رده المباشر بقتلهم وأسرهم، وعند معارضة عمر بن الخطاب ﷺ لقتلهم، يقرر النبي ﷺ الأمر علىٰ نحو قوي مستخدماً لغة الإشارة مع اللغة المحكية «فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ»، وفائدة رفع اليد هنا هو تأكيد المعنىٰ المراد تبليغه من عدم موافقته لما فعل خالد ﷺ وزجراً لغيره من أن يحذوا حذوه، فاستفدنا من

(١) صحيح البخاري (١٣/ ٢٣٥)، حديث رقم (٣٩٩٤).

حركة اليد هذه إعطاء زخم قوي لرفض فعل خالد ﷺ وإيصال المعنىٰ علىٰ مستوىً عالٍ، لمنع تكرار مثل هذا السلوك.

وقد تم إيصال الإنكار علىٰ خالد ﷺ عبر ثلاثة محاور: أولها: الإنكار اللفظي بعبارة شديدة حازمة بإعلان البراءة من هذا الفعل، وثانيها: التكرار مرتين، وثالثها: تجسيد الإنكار بإشارة اليد إمعاناً في نفي الفعل.

المثال الثاني: أخرج مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا، **وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

وقال مسلم: «يحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ أُسَامَةَ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ دَاوُدَ وَزَادَ وَنَقَصَ، وَمِمَّا زَادَ فِيهِ: إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ **وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ**»[1].

(١) صحيح مسلم (١٢/ ٤٢٦) حديث رقم (٤٦٥٠).

في كلمات موجزات بليغات يرسم – عليه الصلاة السلام- مبادئ معاملة المسلم لأخيه المسلم، ويدعم هذا الإيجاز اللفظي بالإشارة الحسية، ولم يكتفِ بمجرد الإشارة فقط، بل كررها ثلاثاً، تأكيداً علىٰ أهمية الباطن، وحسمه لمادة الظاهر، «وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ» ليس أصبعاً واحداً بل بأصابع اليد معاً لمزيد من التأكيد لإيصال المعنىٰ المراد، بل إن هذه الإشارة إلىٰ موطن النية في القلب الذي يسكن الصدر أعطت أهمية تليق بحجم أثر النية في العمل، وأن عمل الظاهر ليس مناط القبول والرد، بل هي النية التي ينبثق منها العمل، فيستقر في النفوس بفعالية مستخدماً إيجازاً بلاغياً، وأسلوباً حسياً.

ونرىٰ هنا جوانب المهارة في الاتصال في بلاغة لفظية تمثلت في الإيجاز وحسن الانتقاء للألفاظ، ولغة جسدية تمثلت في الإشارة باليد إلىٰ الصدر، وتعزيز للمعنىٰ بتكرار الإشارة إلىٰ الصدر.

المثال الثالث: أخرج البخاري من حديث سهل ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطىٰ، وفرج بينهما شيئا»[1].

فلننظر إلىٰ أيدينا ونرىٰ مدىٰ قربنا من الحبيب ﷺ حتىٰ نرىٰ بأم أعيننا عند تقليد حركته ﷺ إلىٰ أي مدىٰ دنونا منه، هذا التجسيد بإشارة اليد طبع

(١) صحيح البخاري (١٦/ ٣٥٧)، حديث رقم (٤٨٩٢).

الصورة بأوضح ما تكون الرؤية، فجسد الفكرة، كي يبقىٰ الحافز دائماً، وكي لا تغيب عن الأذهان الجائزة العظيمة التي رسمها ﷺ.

وهذا الإقبال الذي نجده الآن لدي المسلمين لرعاية الأيتام، إنما هو أثر لنجاح التواصل النبوي الذي يجند كافة الظروف ويعدد الوسائل ليصنع همة أمه، ويرتقي بها إلىٰ القمة.

المثال الرابع: أخرج البخاري من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ، **وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ**، قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ.

وحَدَّثَنَاه أَبُو كَامِلٍ،حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وقَالَ:يَخْرُجُ مِنْهُ أَقْوَامٌ»[1].

فالذاكرة قد تنسىٰ ما يُقال، وقد يبقىٰ فيها أمداً ثم يبهُت ويقل تأثيره، وقد يتلاشىٰ، والذي أكده علماء الاتصال أن التوجيه أو التعليم المرتبط بالحس، هو الذي تتمسك به ذاكرة المرء، ومن هذا المنطلق جاءت الإشارة هنا «وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ» لتدعم الموقف الاتصالي الذي تزداد فعاليته بتزاوج الأساليب في إيصاله.

(١) صحيح البخاري (٥/ ٣١٢)، حديث رقم (١٧٧٦).

والنبي ﷺ حريص علىٰ البيان الحسي بلغة الإشارة؛ لتحديد الاتجاه الذي تأتي منه الفئة التي ستكون في مستقبل أمته، والبيان اللفظي لوصف حالهم، كي تتضح الرؤية لمن يلحق بزمانهم، فيسلم من براثنهم، ويحذر من سلوكهم، واحترازاً لما هو عليه حال الذاكرة الإنسانية من تضاؤل اختزانها لما يُحكىٰ، قرنت بالإشارة تأكيداً ودعماً لما يُلقىٰ.

المثال الخامس: أخرج البخاري من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «أَنَّهُ كَانَ لَهُ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ دَيْنٌ، فَلَقِيَهُ فَلَزِمَهُ فَتَكَلَّمَا حَتَّىٰ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا كَعْبُ، **وَأَشَارَ بِيَدِهِ**، كَأَنَّهُ يَقُولُ: النِّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ، وَتَرَكَ نِصْفًا»[1].

فقد حلت الإشارة في هذا المثال محل القول، وتواصل ﷺ عن بُعد بإشارة من يده، بلّغت العبارة بلغة الإشارة، وأدىٰ هذا التواصل الجسدي مراده في التخفيف من اقتضاء الدين إلىٰ النصف، والنبي ﷺ يتجاوز في هذا الموقف لغة الكلام، ويكتفي بلغة مؤثرة تُرىٰ ولا تُسمع، فأصلح بين الرجلين بدون كلمة تُقال، بعد أن أغنت الإشارة عن الأقوال، فأصلح بين الفريقين، ورضي بالصلح كلا الرجلين.

المثال السادس: أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَنَّ

(١) صحيح البخاري (٨/ ٢٧٦)، حديث رقم (٢٢٤٦).

رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، **وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا**»[1].

فقد استخدم ﷺ لغة الإشارة لتجسيد المكان كما في المثال الرابع، وهنا يتواصل أيضًا بلغة الإشارة لتجسيد الزمان «وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا»، ويُستفاد من هذه الإشارة تصور مدىٰ تضاؤل وقت الإجابة للمبادرة باغتنام هذه الفرصة السانحة التي لا تنتظر طويلاً، بل هي قصيرة جدا. دقائق معدودة تأتي مرة في الأسبوع، ربحها من اغتنمها، وخسرها من فوتها، فإشارة اليد التي تختزنها الذاكرة تدفع لمزيد من الحرص علىٰ استثمار هذا الوقت المبارك، وترسخ أهمية هذه اللحظات، في اختصار ما قد يعجز عنه من العبادات، وتميزها في مسيرة الحياة.

فالنبي ﷺ يقول لك بإشارة يده، أن الأوقات ليست سواء، وأن في بعضها ما ليس في غيرها من الرجاء، فابذل فيها العطاء.

وهذه تربية نبوية، بوسيلة حسية، لمن وراءه من البشرية، باستثمار ما كان من الأوقات بمثابة الهدية.

المثال السابع: أخرج البخاري من حديث رضي الله عنه أبي حميد الساعدي قال: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا

(١) صحيح البخاري (٣/ ٤٧٨)، حديث رقم (٨٨٣).

رَسُولَ اللهِ هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَالَ لَهُ: أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَىٰ لَكَ أَمْ لَا، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ، فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: **ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّىٰ إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ،** قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلُوهُ»[1].

فقد تضافرت عوامل نجاح الموقف الاتصالي، التي تمثلت فيما يلي:

✓ استثمار فرصة اجتماع الصحابة للصلاة لإيصال التوجيه لأكبر عدد ممكن.

✓ الإبهام بالتوجيه وعدم التصريح باسم الموجَه «فَمَا بَالُ الْعَامِلِ»، وذلك حفظًا لكيان الموجَه، واحترامًا لذاته حتىٰ لو صدر منه ما ينبغي التنبيه عليه، فالمقصود الإصلاح وليس التشهير.

(١) صحيح البخاري (٢٠/ ٣١٧)، حديث رقم (٦١٤٥)، ومسلم في صحيحه (٩/ ٣٥٩)، حديث رقم (٣٤١٣).

✓ التصوير الحي بوصف رغاء البعير، وخوار البقرة، وتيعر الشاة. وهو تصوير حركي، يفيد رسم صورة حيوية عن الموقف، ترمز إلىٰ ديمومة واستمرارية رداءة الفعل.

✓ استخدام لغة الجسد برفع كلتا اليدين، كما في رواية البخاري رقم (٢٤٠٧) «ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّىٰ رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا ورفعهما عاليًا، فلم يرفع يداً واحدة، ولم يرفعها للأعلىٰ قليلاً، بل بالغَ في رفعها حتىٰ ظهر بياض أبطيه»، وهذا استخدام بالغ القوة، علىٰ أعلىٰ درجات التوصيل الحسي.

✓ تكرار قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» ثلاث مرات، كما في الرواية المشار إليها آنفًا، زيادة في التأكيد. قال التبريزي: «وكرر هذا لتقرير وعظه علىٰ الناس ليكون أكثر وقعًا وتعظيمًا وحفظًا في خواطرهم»[1].

ثانيًا: الاتصال باللمس:

المعانقة:

تختص المعانقة بنقل العاطفة بزخم جياش يُنبي بصدق الشعور، وقوة الإحساس، وهي من أنجح الوسائل الجسدية التي تجسد المعاني، وتبرزها بمظهر حسي، فيظهر أثرها في السلوك تجاوبًا وتفاعلاً، وهو بلا شك تهيئ

(١) مشكاة المصابيح (٦/ ٦٧).

للغة اللفظية أرضية خصبة تؤتي فيها ثمارها، ولنا في هذا الجانب مثال، يرد فيما يلي:

المثال الأول: أخرج البخاري من حديث ابن عباس ﷺ قال: «**ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِهِ**، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ.

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، وَقَالَ: عَلِّمْهُ الْكِتَابَ. حَدَّثَنَا مُوسَىٰ،حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ مِثْلَهُ، وَالْحِكْمَةُ الْإِصَابَةُ فِي غَيْرِ النُّبُوَّةِ»[1].

وإلغاء المسافة الفاصلة بين المرسل والمستقبل، والدخول إلىٰ المنطقة الحميمية، له وقع كبير في نفس المرسل إليه، ويؤسس خلفية إيجابية للتلقي، ويلغي الفوارق بين المربي وتلميذه، ويعد من أقوىٰ الطرق تأثيراً، حيث يتدفق رصيد الحنان والاهتمام فيجري في عروقه، ويمتزج مع داخله، فتهفو الروح إلىٰ ما ينسكب فيها، وتتشرب ما يُصب فيها من حبٍ ووعظٍ، فإذا تحقق ذلك تجد حياته تأسيًا بمن أسكن في قلبه مشاعر الدفء والمحبة الصادقة.

والنبي ﷺ في احتضانه عبد الله بن عباس، يستخدم أعمق الوسائل الجسدية أثراً، ويعزز الموقف الاتصالي بذاكرة حسية لا تنسىٰ، فينجب هذا الموقف تلميذاً نجيبًا يتتبع آثار معلمه، ويسير علىٰ خطاه بعد أن ارتوت نفسه من معينه، وبقيت أحاسيس قربه من المصطفىٰ ﷺ ترسم درب حياته، ومعلوم

(١) صحيح البخاري (١٢/ ١٠٠)، حديث رقم (٣٤٧٣).

أن الحب من أعظم الطاقات التي تدفع إلىٰ الإنجاز، وتشعل الهمم، وليس مثل المعانقة في نقل القدر العظيم منها، وتجسيد معانيها.

حركة اليد:

اليد جزء مؤثر في لغة الجسد، فهي تأمر، وتنهىٰ، وتهدد، وتوافق، وترفض، وتشجع، وتعطف، وتقسو، وتبرز لغة الألفاظ في صورة مرئية مؤيدة أو معارضة لما يتفوه به المرسل، وقد يصمت اللسان، وتختفي تعبيرات الوجه والعينان، وتبقىٰ اليد تبعث برسائل تُرىٰ للعيان.

يقول الباحث إيكمن: «إن الوجه والعينين يحملان مشاعر محددة، بينما تقوم الأيدي وبقية أعضاء الجسد بالكشف عن مدىٰ كثافة وعمق هذه الانفعالات والمشاعر الحسية»[1]. فاليدان عنصر مهم لا يمكن تجاوزه في لغة الجسد، بل إن لحركات اليدين دلالة عند علماء الاتصال يتم من خلالها التعرف بصورة أقرب إلىٰ الشخصية.

ويتبين لنا اهتمام النبي ﷺ بتأثير حركة يده، وحرصه وعنايته علىٰ استخدامها فيما يقرب إليه صحابته، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ،

(١) علم الاتصال المعاصر ص (٨٥).

فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ»[1].

ولقد وردت أمثلة عدة لمهارة النبي ﷺ في توظيف حركة اليد، نورد بعضها فيما يلي:

المثال الأول: أخرج البخاري من حديث جرير رضي الله عنه قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ **فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَىٰ صَدْرِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي**، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ بَيْتًا بِالْيَمَنِ لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ، قَالَ: فَأَتَاهَا فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا، قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَا هُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَىٰ أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّىٰ تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَرَّكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١/ ٤٧٤)،حديث رقم (٤٢٩٦).

مَرَّاتٍ»[1].

يتواصل النبي ﷺ مع جرير رضي الله عنه تواصلا جسديا قويا يتوازى مع قوة وأهمية المهمة التي يريده لأجلها قال: «فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي»، هذه الضربة ليست للإيلام، بل العكس للدعم والتثبيت، ولاستجاشة مشاعر الحماس والعزم، وإشعال الهمة للإتيان بالمهمة.

فالضربة القوية مع الدعاء «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» تتآزر لتخلق موقفًا اتصاليًا قويًا، وقد كان ﷺ يستطيع أن يدعو له دون ضربة يده، ولكنه - وهو الذي يعلم بما تبعث به الهمم، وكيف تُرتقي القمم -، يدرك ما لحركة اليد من تأثير يتعزز به الموقف الاتصالي الذي آتى ثماره، فثبت على حصانه، وأنجز مهمته.

وقد سبق إيراد قول أيكمن «تقوم الأيدي وبقية أعضاء الجسد بالكشف عن مدى كثافة وعمق هذه الانفعالات والمشاعر الحسية».

المثال الثاني: أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بت عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وِسَادَةٌ فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طُولِهَا، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَاتِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَ، ثُمَّ أَتَى شَنًّا مُعَلَّقًا فَأَخَذَهُ

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٦٥)، حديث رقم (٤٣٥٧).

فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إِلَىٰ جَنْبِهِ **فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِي ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا**، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ»[1].

فقد تواصل النبي ﷺ مع عبدالله بن عباس رضي الله عنه بحركة يده حنانًا ومداعبة، فقوله: «فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِي» هذه الحركة الأولىٰ نقل للإحساس بالمحبة، وقوله: «ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا»، في حركة اليد الثانية مداعبة وتقارب مع الغلام تطوي مسافات الرهبة التي تفصلك عمن يفوقك مقامًا وسنًا.

ونجد في هذا المثال الاكتفاء بلغة الجسد لإثراء الموقف الاتصالي، فكانت حركة بديلة عن لغة الألفاظ بلغة الجسد لتخلق موقفًا يشع تآلفًا وتقاربًا ومحبةً.

المثال الثالث: أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ ﴿ **وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (الجمعة:٣). قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّىٰ سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ **وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ سَلْمَانَ** ثُمَّ قَالَ لَوْ

(١) صحيح البخاري (١٤/ ٥٢) حديث رقم (٤٢٠٢).

كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ أَخْبَرَنِي ثَوْرٌ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»[1].

فقد وضع النبي ﷺ يده علىٰ يد سلمان الفارسي رضي الله عنه وأثنىٰ عليه ثناءً غير مباشر، وذلك بالثناء علىٰ قومه قال: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، وهذا فيه إشارة إلىٰ همة سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي أتىٰ من بلاد فارس باحثًا عن النور الإلهىٰ الذي سنا في جزيرة العرب.

والنبي ﷺ في تواصله مع سلمان الفارسي رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم يصنع نفوس أمته، ويعلي هممهم، ويستثمر طاقاتهم بتفاعله البناء في مختلف مواقفه معهم مستخدمًا لغة محكية، تمازجها لغة جسدية تجذر القيم وتصنع أبطال تقود الأمم.

المثال الرابع: أخرج الطبراني في مسنده من حديث أبي أمامة قال: «أتىٰ رسول الله ﷺ غلام شاب فقال يا رسول الله: ائذن لي في الزنا، فصاح به الناس! وقالوا مه؟ فقال النبي ﷺ: ذروه ادن، فدنا حتىٰ جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه

(١) صحيح البخاري (١٥/ ١٧٦)، حديث رقم (٤٥١٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨٤)، حديث رقم (٤٦١٩).

لابنتك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، أتحبه لعمتك؟ قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم، أتحبه لخالتك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم، فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يطهر قلبي **فوضع النبي ﷺ علىٰ صدره**، فقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلىٰ شيء»[1].

فهذا فتىً يافع يسأل النبي ﷺ سؤالاً لو سمعه غير النبي ﷺ لأكبره منه، ولعده تطاولاً وتجاوزاً، ولكن النبي ﷺ الخبير بما ينفع النفوس ويصلح به شأنها، يستوعب حاجته التي دفعته للسؤال، ويتفهم عبارته، ويتعامل مع نفسية الشاب بمهارة الطبيب الذي يعلم كيف يستل من النفوس ما يشوبها.

والإجابة التي يسوقها الفتىٰ بفيه، تكون أمثل لإقناعه، ثم يردف ﷺ بلغة حسية تمثلت بوضع يده علىٰ صدره «فوضع النبي ﷺ يده علىٰ صدره» فتتواصل اللغتان اللفظية والحسية بخلق موقف اتصالي يرسخ قناعة الفتىٰ بمفهوم العفة الذي تجلىٰ علىٰ سلوكه «فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلىٰ شيء» وهذه النتيجة المبتغاة تجذرت وشائجها بتآزر لفظي وحسي من نبي مربٍ

(١) أخرجه في مسند الشاميين (٢/ ١٣٩) حديث رقم (١٠٦٦)، قال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢٢٨): «رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح»، وقال شعيب الأرناؤوط (٣٦/ ٥٤٥): «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح».

علمنا كيف نصنع الموقف الايجابي.

المثال الخامس: أخرج البخاري من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ **وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ** التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا السَّلَامُ - يَعْنِي- عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ»[1].

لم يكن النبي ﷺ يختص بتواصله حالةً واحدةً، أو شأنًا واحداً، بل كان في جميع أحواله حريصًا علىٰ إيجاد الموقف الاتصالي الفعال الذي يبقىٰ أثره في النفوس، فها هو ذا يعلم عبدالله بن مسعود ﷺ التشهد، وقد احتوىٰ كفيه بكفيه في تواصل جسدي يبعث بأحاسيسه إلىٰ تلميذه، فترتسم العبارة مفعمة بقوة الإحساس، حيث يُشكل التقارب الجسدي طاقة إيجابية تنتقل إلىٰ المستقبِل فيحقق أقوىٰ تجاوب مع ما يتعلمه.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/ ٢٨٩)، حديث رقم (٥٧٩٤).

المطلب الرابع
الاتصال بلغة الأشياء

«يقصد بالأشياء هنا كل ما يستخدمه المرسل غير الإشارة أو الحركة أو الأفعال، أو اللغة اللفظية، للتعبير عما يريد نقله من مشاعر وأحاسيس وأفكار إلىٰ المستقبِل، فالمظهر العام - مثلاً - وسيلة للتعرف علىٰ خصائص الشخص، وفي المجتمع الواحد توجد طريقة شائعة للبس، أو تسريحة للشعر، وأدوات الزينة، وكذلك ارتداء ملابس معينة في مناسبات بعينها، مما يعكس اهتمام الشخص بالمناسبة، مثال ذلك أيضاً أن درجة اهتمام الإنسان بمظهره تعكس مدىٰ اهتمامه بالمكان الذي يذهب إليه»[1].

والنبي ﷺ رسم بسنته منظومة التواصل بفعالية، فلم يخلُ جانب من جوانب حياته من قوة التفاعل، ولغة الأشياء تحكي صوراً من التواصل الإيجابي مع الآخرين، ونلمح ذلك في حياة المصطفىٰ ﷺ، ونرصد من ذلك:

أ - طيب رائحته:

لقد تبين حرصه ﷺ علىٰ أن يكون علىٰ أكمل حال وأتمه في تواصله مع

(١) الاتصال الفعال مهاراته وأساليبه ومفاهيمه ص (٤٤، ٤٥)، وانظر: وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية ص (١٣٧).

الآخرين، من ذلك ما كان يجده عليه من يراه من طيب الرائحة، مما له الأثر الحسن للذي تنتقل إليه هذه الرائحة العطرة، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ **وَبِيصِ الْمِسْكِ** فِي مَفْرِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُحْرِم»[1].

ومما لاشك فيه أن الرائحة الطيبة مطلب مهم للمرء في كافة شؤون حياته حتىٰ يتقبله من يتعامل معه، لذا أمر النبي ﷺ من أكل الثوم أو البصل باجتناب المسجد[2]، لأن الناس يأنفون الرائحة الكريهة، ويُعرضون عن صاحبها.

والرائحة الطيبة تعني اهتمام المرء بنفسه وبمن حوله، وهذه العناية تصنع جسراً إيجابياً وتترك انطباعاً حسناً، يمهد لتواصل مبشر مع من تروم تفاعله معك.

ولن تجد من يُقبل علىٰ من تغشاه رائحة كريهة، أو تهفو نفسه لسماعه، والنبي ﷺ في معرفته للنفوس وما تُقبل عليه، وما تنفر منه، يكون قدوة لأمته مظهراً ومضموناً.

ب - لبس الحِبرة:

كان ﷺ يُسر لمرآه من يراه لما يلمسه في من حسن هندامه، واهتمامه بمظهره، وقد أرشد إلىٰ ذلك في قوله ﷺ: «... إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ...»[3].

وقد كانت أحب الثياب إليه ﷺ الحِبرة كما في حديث قتادة، عن أنس

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ١٥٠)، حديث رقم (٢٠٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٩٠)، حديث رقم (٨٧٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٤٧)، حديث رقم (١٣١).

ﷺ قال: قلت له: «أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا؟ قَالَ: الْحِبَرَةُ»[1].

والحبرة، لباس يؤتىٰ من اليمن، وهو مصنوع من الكتان أو القطن، كان يتزين بها في المناسبات محبرة، والتحبير: التزيين، أي: مزخرفة أو مجمَّلة[2].

وهذه العناية ترسم صورة أخرىٰ من صور تفاعله البناء الذي تميز به ﷺ في كافة شؤون حياته، إذ أن شأن من يتبذل في ملابسه يزدريه الناس وإن حسُن منطقه، ومن كمال القيادة أن لا يترك المرء جانباً من جوانب تواصله مع من حوله إلا أوفاه حقه.

ج - فتياه وخطبته من مكان مرتفع:

علو مكان المرسل وارتفاعه، خاصة إذا كان يتواصل مع عدد كبير يساعد علىٰ جودة التوصيل، ومن العوامل الداعمة للانتباه والتهيؤ لما يُقال.

ولم يكن هذا الأمر بغائب عن النبي ﷺ؛ لذا أمر النجار بأن يصنع له منبراً، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري «... أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ فُلَانَةَ امْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨/ ١٢٧)، حديث رقم (٥٣٦٥)، ومسلم في صحيحه (١٠/ ٤٣٦)، حديث رقم (٣٨٧٧).

(٢) شرح سنن أبي داوود لعبد المحسن العباد (٢٣/ ٥٢)، وأنظر: الفجر الساطع علىٰ الصحيح الجامع (٨/ ١٠٥)، الديباج علىٰ مسلم (٥/ ١٢٨).

أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ...»[1].

وقال ابن عمر ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ **يَخْطُبُ قَائِمًا**، ثُمَّ يَقْعُدُ، ثُمَّ يَقُومُ كَمَا تَفْعَلُونَ الْآنَ»[2].

وقال أنس بن مالك ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ **قَائِمٌ يَخْطُبُ**...»[3].

وقال جابر بن عبد الله ﷺ: «طَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَيْتِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ **عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ** يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِمِحْجَنِهِ، لِأَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَلِيُشْرِفَ، وَلِيَسْأَلُوهُ، فَإِنَّ النَّاسَ غَشُوهُ»[4].

وجميع الأحوال السابقة التي نقلها لنا الصحابة ﷺ تدل علىٰ حرصه ﷺ علىٰ تحقيق عناصر التفاعل مع من حوله، مهيئًا كافة الظروف التي تكفل له ذلك، ومنها بروزه للناس كي يراه من يستمع إليه أو يسأله، فيرىٰ حركات جسده ويحسن سماعه، فتكتمل لدىٰ المستقبل الصورة من المرسل، إذ أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥٠)، حديث رقم (٨٦٦)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٤)، حديث رقم (٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥٤)، حديث رقم (٨٦٩)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٣٤٦)، حديث رقم (١٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٤)، حديث رقم (٩٧٥)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٤٣٢)، حديث رقم (١٤٩٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ٣٦٥)، حديث رقم (٢٢٣٤).

عدم رؤية المرسل تؤثر بلا شك علىٰ جودة الرسالة، لذا كان اتخاذ المنبر، أو الفتيا من علىٰ الراحلة عاملاً مؤثراً لم يغفله ﷺ خاصة عند تكاثر أعداد المستمعين إليه، واحتمال حصول تشويش علىٰ مضمون الرسالة، وقوة أدائها.

د - لبس الخاتم:

يُعد لبس الخاتم مظهراً جمالياً يضيف حسناً علىٰ المرء، وهو إجمالاً يرسم صورة إيجابية عن المرء، وإن لم يكن بمفرده ذا أثر خاص، إلا أنه مع جملة الأشياء يدعم تواصل الفرد مع غيره، وقد اتخذ ﷺ خاتماً يتزين به، مما يعكس حرصه علىٰ أن يبدو بأحسن حال وأفضله، وهذا من تمام كماله، وقد سئل أنس رضي الله عنه عن خاتم رسول الله ﷺ، فقال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ وَبِيصِ خَاتَمِهِ مِنْ فِضَّةٍ، وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الْيُسْرَىٰ بِالْخِنْصِرِ»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ٣٤٨) حديث رقم (١٠١٢)، والبخاري في صحيحه (٢/ ٤١٥)، حديث رقم (٥٣٨)، مختصراً.

الخاتمة

بعدما يسر الله في هذا البحث من الوقوف علىٰ ما جاءت به الأحاديث النبوية من مهارة في التواصل غير اللفظي بالسمع أو البصر أو لغة الجسد ولغة الأشياء من مظهر ومخبر، وما اطلعت عليه من كتب علم الاتصال، تبين لي بعض النتائج التي ارتأيت عرضها والتنويه بها في اختصار لمضمون ما ورد في البحث علىٰ أمل أن ينفع الله بها، أوردها فيما يلي:

أهم النتائج:

- استخدام ﷺ لغة الجسد في كافة المواقف سواءً كانت تعليمية، أو إصلاح ذات البين، أو بناء علاقات، دون اقتصار علىٰ مجال دون آخر في منظومة متكاملة لتربية أمته.
- التواصل غير اللفظي لا يتناول لغة الجسد فقط، بل يشمل التواصل السمعي والبصري أيضًا.
- التواصل بلغة الجسد ينضوي تحت منظومتين، أولاهما، التواصل عن بُعد بدون لمس، ويندرج تحته، حركة الجسد، وتعبيرات الوجه، ولغة الإشارة. وثانيتهما: التواصل باللمس، ويندرج تحته، المعانقة، وحركة اليد.

- يُعد التواصل السمعي والبصري من أنواع التواصل عن بُعد (بدون لمس).
- ميل النبي ﷺ إلىٰ استخدام لغة الجسد في كثير من المواقف، وذلك لاختصاص هذه اللغة بقوة التواصل، وكونها الألطف في التواصل.
- تأتي اللغة غير اللفظية متزامنة مع اللغة اللفظية، وقد تأتي مستقلة عنها، بديلة لها، فلا يُشترط تزامنهما، وإن كان ذلك هو الغالب.
- قد تأتي اللغة اللفظية سابقة للغة غير اللفظية، أو العكس دون قيد في ذلك.
- إن الوظيفة الأساسية للغة غير اللفظية هي الدعم والمساندة للغة المحكية، أما كونها قد تأتي معارضة لها، فإن هذا مما لم أقف عليه في سيرة المصطفىٰ ﷺ.
- تتميز اللغة غير اللفظية بمخاطبة الحس والعواطف، وربط الموجودات من حولنا، مما يعزز بقاء هذه المعاني في النفوس، واختزانها في الذاكرة.
- يُعزىٰ نجاح اللغة غير اللفظية في المهارة إلىٰ استخدامها بفعالية حسب حاجة الموقف، دون قصور أو إسراف، لدعم الموقف الاتصالي.

- إن المصداقية والشفافية للغة غير اللفظية إنما يقتصران علىٰ التلقائية منها غير المصطنعة، وقد نقلت لنا سنة المصطفىٰ ﷺ مصداقيته فيما تواصل به ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين.

❊ ❊ ❊

فهرس المصادر والمراجع

(١) الاتصال الفعال، مدخل استراتيجي لجودة العلاقات في الحياة والأعمال، المؤلف: د. مصطفىٰ محمود أبوبكر، و د. عبدالله بن عبدالرحمن البريدي، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٨هـ.

(٢) الاتصال الفعال، مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، المؤلف: د. هالة منصور، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

(٣) الآداب الشرعية، المؤلف: شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُفْلِحٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، (د.ت).

(٤) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٥) أساسيات الاتصال، نماذج ومهارات، المؤلف: أ. د. حميد الطائي، و د. بشير العلاق، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة العربية ٢٠٠٩م.

(٦) الأمثال، المؤلف: أبوعُبيد بن سلام، (د.ط)، (د.ت).

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. ١٤٢٩هـ.

(٨) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين العراقي، مركز نور الإسلام، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

(٩) تقريب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المحقق: مسعد عبدالحميد السعدني، الناشر: مكتبة القرآن، (د.ط)، (د.ت).

(١٠) تقنيات ومهارات الاتصال، المؤلف: د. راتب جليل صويص و د. غالب جليل صويص، مكتبة الجامعة، الشارقة، ٢٠٠٨م.

(١١) تهذيب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٦هـ.

(١٢) تهذيب الكمال، المؤلف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

(١٣) ثقات ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفىٰ: ٣٥٤هـ)، (د.ط)، (د.ت).

(١٤) ثقات العجلي (معرفة الثقات)، المؤلف: أبي الحسن أحمد بن عبدالله العجلي (المتوفىٰ: ٢٦١هـ)، المحقق: عبدالعظيم بن عبدالعليم البستوي، الناشر: المدينة المنورة، مكتبة الدار، الطبعة الأولىٰ،١٤٠٥هـ.

(١٥) الجامع الصحيح المسمىٰ (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري.

(١٦) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله.

(١٧) الجرح والتعديل، المؤلف: أبوعبدالرحمن بن أبوحاتم محمد بن إدريس الرازي، بدون تاريخ وطبعة.

(١٨) دلائل النبوة للبيهقي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، بدون طبعة وتاريخ.

(١٩) الديباج علىٰ مسلم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بدون طبعة وتاريخ.

(٢٠) السلسلة الصحيحة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

(٢١) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني.

(٢٢) السنن الكبرىٰ للنسائي، تأليف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

(٢٣) السيرة النبوية، المؤلف: محمد بن إسحاق، بدون طبعة وتاريخ.

(٢٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، المسمىٰ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

(٢٥) شرح سنن أبي داود، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبدالله بن حمد العباد البدر، بدون طبعة وتاريخ.

(٢٦) شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور

عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٧) الشمائل الشريفة،المؤلف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، المحقق: حسن بن عبيد باحبيشي، الناشر: دار طائر العلم للنشر والتوزيع،بدون تاريخ وطبعة.

(٢٨) الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، المؤلف: محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي أبو عيسىٰ، (المتوفىٰ٢٧٩هـ)، المحقق: سيد عباس الجليمي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ، بدون طبعة.

(٢٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٣٠) الضعفاء الصغير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، بدون طبعة وتاريخ.

(٣١) الضعفاء والمتروكين، المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفىٰ: (٣٠٣هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٦هـ.

(٣٢) الطبقات الكبرىٰ، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري،الناشر: دار صادر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

(٣٣) علم الاتصال المعاصر، المؤلف: د. عبدالله الطويرقي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

(٣٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي.

(٣٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

(٣٦) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيىٰ بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٣٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣٨) الفجر الساطع علىٰ الصحيح الجامع، المؤلف: محمد الفضيل بن محمد الفاطمي الشبيهي، بدون طبعة وتاريخ.

(٣٩) القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (د.ط)، (د.ت).

(٤٠) القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، المؤلف: أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠١هـ.

(٤١) الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيىٰ مختار غزاوي، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٤٢) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولىٰ.

(٤٣) مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.

(٤٤) المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٤٥) مسند أبي يعلىٰ، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنىٰ أبو يعلىٰ الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

(٤٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

(٤٧) مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

(٤٨) مشكاة المصابيح، المؤلف: الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، (د.ط)، (د.ت)..

(٤٩) المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفىٰ - أحمد الزيات - حامد عبدالقادر - محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

(٥٠) المنتخب من علل الخلال، المؤلف: موفق الدين ابن قدامة، (د.ط)، (د.ت).

(٥١) مهارات الاتصال، المؤلف د. شريف الحموي.

(٥٢) مهارات الاتصال مع الآخرين، المؤلف: د. حسين جلوب، دار كنوز المعرفة، الأردن، عمان، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

(٥٣) مهارات الاتصال والتواصل، لسوزان المهدي، الناشر: دار ابن عفان.

(٥٤) الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الطبعة: الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان،بدون طبعة وتاريخ.

(٥٦) نظريات الاتصال، المؤلف: د. محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

(٥٧) وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية، المؤلف: أ. د. أحمد محمد عليق، و د. عبد الناصف يوسف شومان، و د. محمد محمد جاب الله عمارة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

(1) Al-Ittisal Al-Fa'aal, Madkhal Istiraateeji lijawdat Al-Ilaqat fi Al-Hayat wa Al-Aamal, (Effective Communication, A Strategic Understanding of Life and Work Relationship Quality, author: Dr Mustafa Mahmood Abu Bakr, and Dr Abdullah Bin Abdur Rahman Al-Buraidi, Ad-Dar Al-Jaamiyyah, Alexandria, 1428H.

(2) Al-Ittisal Al-Fa'aal, Mafaheemuh wa Asaleebuh wa Maharatuh, (Effective Communication, Concepts, Methods, and Skills, author: Dr Halah Mansour, Al-Jaamiyyah Bookstore, Alexandria, 2000.

(3) Al-Aadab Ash-Shariyyah, author: Shamsuddin Abu Abdullah Muhammad Bin Muflih Al-Maqdisi Al-Hanbali, (n.d).

(4) Asas Al-Balaghah, (The Origin of Eloquence), author: Abu Al-Qaasim Mahmood Bin Amr Bin Ahmad, Az-Zamakhshari Jaarullah, 1st ed., 1419H – 1998.

(5) Asasiyyat Al-Ittisal, Namathij wa Maharat, (The Basics of Communication, Examples and Skills), Dr Hameed At-Taaie, and Dr Basheer Al-Allaq, Dar Al-Yaazoori Al-Ilmiyyah Press, Amman Jordan, Arabic ed. 2009.

(6) Al-Amthal, (Sayings), author: Abu Ubaid Bin Sallam, (n.d), (n.d).

(7) Taj Al-Aroos min Jawahir AL-Qamoos, author: Abu Al-Faydh, known as Al-Murtadha, Az-Zubaidi Muhammad Bin Muhammad Bin Abdur Razzaq Al-Husaini 1429H.

(8) Takhreej Ahadeeth Ihya Uloom Ad-Deen, author: Abu Al-Fadhl ZainuddinAbdur Raheem Bin Al-Husain Al-Iraqi, Noorul Islam Center, Alexandria, (n.d), (n.d).

(9) Taqreeb At-Tahtheeb, author: Ahmad Bin Ali Bin Hajar Abu Al-Fadhl Al-Asqalani Ash-Shaafie, editor: Musid Abdul Hameed As-Saadani, publisher: Al-Quraan Bookstore, (m.d), (n.d).

(10) Taqniyat wa Maharat Al-Ittisal, (Communication Skills and Technology), author: Dr Ratib Jalil Suwais and Dr Ghalib Jalil Suwais, University Bookstore, Sharjah, 2008.

(11) Tahtheeb At-Tahtheeb, author: Ahmad Bin Ali Bin Hajar Abu Al-Fadhl Al-Asqalani Ash-Shaafie, 1st ed., 1326H.

(12) Tahtheeb Al-Kamal, author: Yusuf Bin Az-Zaki Abdur Rahman Abu Al-Hajjaj Al-Mazzi, edited by: Dr Bashar Awwad Maroof, Ar-Risalah Foundation, Beirut, 1st ed., 1418H.

(13) Thiqat Ibn Hibban, author: Muhammad Ibn Hibban Bin Ahmad Bin Hibban Bin Muaath Bin Maabad, At-Tamimi, Abu Haatim, Ad-Daarimi, Al-Busti (died: 354H), (n.d), (n.d).

(14) Thiqat Al-Ajali (Maarifat Ath-Thiqat), author: Abi Al-Hasan Ahmad Bin Abdullah Al-Ajali (died: 261H), editor: Abdul Atheem Bin Abdul Aleem Al-Bastawi, publisher: Al-Madinah, Ad-Dar Bookstore, 1st ed., 1405H.

(15) Al-Jami As-Saheeh that is known as (Saheeh Muslim) by Muslim Bin Al-Hajjaj Abi Al-Hasan Al-Qushairi An-Naysaboori.

(16) Al-Jami As-Saheeh Al-Musnad min Hadeeth Rasoolillah wa Sunnatihi wa Ayyamih (Saheeh Al-Bukhari) by Muhammad Bin Ismaeel Bin Ibrahim Bin Al-Mugheerah Al-Bukhari, Abu Abdullah.
(17) Al-Jarh wa At-Tadeel, author: Abu Abdur Rahman Bin Abu Haatim Muhammad Bin Idrees Ar-Razi, no date and edition.
(18) Dalail An-Nubuwwah by Al-Bayhaqi, author: Abu Bakr Ahmad Bin Al-Husain Bin Ali Al-Bayhaqi, no date and edition.
(19) Ad-Deebaj ala Muslim, author: Abdur Rahman Bin Abi Bakr, Jalaluddin As-Siyouti, no date and edition.
(20) As-Silsilah As-Saheehah, author: Muhammad Nasiruddin Al-Albani, publisher: Al-Maarif Bookstore, Riyadh.
(21) Sunan Abi Dawood, author: Abu Dawood Sulaiman Bin Al-Ashath Bin Ishaq Bin Basheer Bin Shaddad Bin Amr Al-Azdi As-Sijistani.
(22) As-Sunan Al-Kubra by An-Nisaaie, author: Abu Abdur Rahman Ahmad Bin Shuaib An-Nisaaie, Ar-Risalah Foundation, 1st ed., 1421H.
(23) As-Seerah An-Nabawiah, author: Muhammad Bin Ishaq, no date and edition.
(24) Sharh An-Nawawi ala Saheeh Muslim, known as Al-Minhaj Sharh Saheeh Muslim Bin Al-Hajjaj, author: Abu Zakaria Yahya Bin Sharaf Bin Marie An-Nawawi, publisher: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, 2nd ed., 1392H.
(25) Sharh Sunan Abi Dawood, Author: Abdul Muhsin Bin Hamad Bin Abdul Muhsin Bin Abdullah Bin Hamad Al-Abbad Al-Badr, no date and edition.
(26) Shuab Al-Iman, author: Ahamd Bin Al-Husain Bin Ali Bin Musa Al-Khusrawjirdi Al-Khurasani, Abu Bakr Al-Bayhaqi, edited and revised by: Dr Abdul Aliyy Abdul hameed Haamid, Ar-Rushd Bookstore for publishing and distributing Riyadh in corporation with Ad-Dar As-Salafiyyah Mumbai India, 1st ed., 1423H – 2003.
(27) Ash-Shamail Ash-Shareefah, author: Al-Imam Jalauddin Abdur Rahman Bin Abi Bakr As-Siyouti (died: 911H), editor: Hasan Bin Ubaid Bahabeeshi, publisher: Dar Taair Al-Ilm Publisher and Distributor, no date and edition.
(28) Ash-Shamail Al-Muhammadiyyah wa Al-Khasais Al-Mustafawiyyah, author: Muhammad Bin Isa Bin Sawrah At-Tirmithi Abu Isa, (died: 279H), editor: Syed Abbas Al-Julaimi, publisher: Cultural Book Foundation, Beirut, 1412H, no date.
(29) As-Sihah Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiah, author: Ismaeel Bin Hammad Al-Jawhari, edited by: Ahmad Abdul Ghafoor Attar, publisher: Dar Al-Ilm Lil Malayeen – Beirut, 4th ed., 1407H – 1987.
(30) Adh-Dhuafaa As-Sagheer, author: Muhammad Bin Ismaeel Bin Ibrahim Bin Al-Mugheerah Al-Bukhari, Abu Abdullah, no date and edition.
(31) Adh-Dhuafaa wa Al-Matrookeen, author: Abu Abdur Rahman Ahmad Bin Shuaib An-Nisaaie, died:(303H), editor: Mahmood Ibrahim Zayid, publisher: Dar Al-Waie, Halab, 1st ed., 1396H.
(32) At-Tabaqat Al-Kubra, author: Muhammad Bin Saad Bin Manee Abu Abdullah Al-Basri Az-Zuhri, publisher: Dar Saadir, Beirut, no date and edition.

(33) Ilm Al-Ittisal Al-Muasir, (Knowledge of Modern Communication), author: Dr Abdullah At-Tuwairaqi, Al-Obaikan Bookstore, Riyadh, 2nd ed., 1417H.
(34) Umdat Al-Qari Sharh Saheeh Al-Bukhari, author: Badruddin Al-Aini Al-Hanafi.
(35) Awn Al-Mabood Sharh Sunan Abi Dawood, author: Muhammad Shamsuddin Al-Haqq Al-Atheemabadi Abu At-Tayyib, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah – Beirut, 2nd ed., 1415H.
(36) Ghurar Al-Khasais Al-Wadhihah, wa Urar An-Naqaidh Al-Fadhihah, author: Abu Ishaq Burhanuddin Muhammad Bin Ibrahim Bin Yahya Bin Ali known as Al-Watwaat, corrected and edited by: Ibrahim Shamsuddin, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, e.: 1st, 1429H – 2008.
(37) Fath Al-Bari Sharh Saheeh Al-Bukhari, author: Ahmad Bin Ali Bin Hajar Abu Al-Fadhl Al-Asqalani Ash-Shaafie, publisher: Dar Al-Maarifah – Beirut, 1379H.
(38) Al-Fajr As-Saati ala As-Saheeh Al-Jami, author: Muhammad Al-Fudhail Bin Muhammad Al-Faatimi Ash-Shabeehi, no date and edition.
(39) Al-Qamoos Al-Muheet, author: Muhammad Bin Yaqub Al-Fairuzabadi, (n.d), (n.d).
(40) Al-Qawl Al-Musaddad fi Ath-Thabb an Al-Musnad lil Imam Ahmad, author: Ahmad Bin Ali Al-Asqalani Abu Al-Fadhl, Ibn Taymiyyah Bookstore, Cairo, 1401H.
(41) Al-Kaamil fi Dhuafaa Ar-Rijal, author: Abdullah Bin Uday Bin Abdullah Bin Muhammad Abu Ahmad Al-Jurjani, edited by: Yahya Mukhtar Ghazawi, Dar Al-Fikr Beirut, 1409H.
(42) Lisan Al-Arab, author: Muhammad Bin Mukarram Bin Manthoor Al-Afreeqi Al-Masri, Dar Sadir – Beirut, 1st ed.
(43) Majma Al-Amthaal, author: Abu Al-FadhlAhmad Bin Muhammad Al-Maidani An-Naysaaboori, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hameed, Dar Al-Maarifah – Beirut.
(44) Al-Muhkam wa Al-Muheet Al-Aatham, author: Abu Al-Hasan Ali Bin Ismaeel Bin Seedah Al-Mursi, edited by: Abdul Hameed Hendawi, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2000.
(45) Musnad Abi Yaala, author: Ahmad Bin Ali Bin Al-Muthanna Abu Yaaala Al-Mawsili At-Tamimi, edited by: Husain Saleem Asad, Al-Mamoon Cultural Centre, Damascus, 1st ed., 1404H.
(46) Musnad Al-Imam Ahmad Bin Hanbal, author: Ahmad Bin Hanbal Abu Abdullah Ash-Shaybani, Qurtuba Foundation – Cairo.
(47) Musnad Ash-Shamiyyeen, author: Sulaiman Bin Ahmad Bin Ayyoob Abu Al-Qasim At-Tabarani, edited by: Hamdi Bin Abdul Majeed As-Salafi, Ar-Risalah Foundation – Beirut, 1st ed., 1405H.
(48) Mishkat Al-Masabeeh, author: Shiekh Waliyyuddin Abi Abdullah Muhammad Bin Abdullah Al-Khateeb Al-Umari At-Tabreezi, (n.d), (n.d).
(49) Al-Mujam Al-Waseet, author/Ibrahim Mustafa – Ahmad Az-Zayyat – Haamid Abdul Qadir – Muhammad An-Najjar, publication house: Dar Ad-Daawah, edited by/ The Arabic Language Complex.

(50) Al-Muntakhab min Ilal Al-Khallal, author: Muwaffaquddin Ibn Qudamah, (n.d), (n.d).
(51) Maharat Al-Ittisal, (Communication Skills), author: Dr Shareef Al-Hamawi.
(52) Maharat Al-Ittisal ma'a Al-Aakhareen, (The Skill of Communicating With Others), author: Dr Husain Jalloob, Dar Kunooz Al-Maarifah, Jordan, Amman, 1st ed., 2009.
(53) Maharat Al-Ittisal wa At-Tawasul, (Communication and Connection Skills), by Susan Mahdi, publisher: Dar Ibn Affan.
(54) Al-Muwafaqat, author: Ibrahim Bin Musa Bin Muhammad Al-Lakhmi Al-Ghurnati better known as Ash-Shatibi, e.: 1st ed. 1417H/1997.
(55) Meezan Al-I'tidal fi Naqd Ar-Rijal, author: Shamsuddin Abu Abdullah Muhammad Ibn Ahmad Bin Uthman Bin Qaymaz Ath-Thahabi, editor: Ali Muhammad AL-Bajawi, publisher: Dar Al-Maarifah, Beirut, Lebanon, no date and edition.
(56) Nathariyyat Al-Ittisal, (Theories on Connection), author: Dr Muhammad Muneer Hijab, Dar Al-Fajr Publisher and Distributor, 2010.
(57) Wasa'il Al-Ittisal wa Al-Khidmah Al-Ijtimaiyyah, author: Dr Ahmad Muhammad Aleeq, and Dr Abdul Nasif Yusuf Shuman, and Dr Muhammad Muhammad Jaabullah Imarah, Modren University Office, Alexandria, 2004.

❋ ❋ ❋

الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصَبِر
«رواية ودراية»

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد
د. ليلى بنت سعيد السابر

أستاذ مساعد، بقسم السنة النبوية وعلومها
كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

saber-7@hotmail.com

الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصَبِر «رواية ودراية»

المستخلص: يتناول هذا البحث الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في (نبات الصبر) الصبار، وقد اشتملت الدراسة على دراسة جميع الأحاديث الواردة فيه وبعض الآثار عن الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وقد خرجتها وذكرت الحكم على أسانيدها والأحكام المتعلقة بها.

وقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج منها: ثبوت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ في التداوي بنبات «الصبر» واحد منها صحيح، والباقي وإن كانت لا تخلو من مقال لكنه يقوي بعضها بعضا لتصل إلى درجة الاحتجاج، ومنها الفوائد المستنبطة من هذه الأحاديث والآثار والأحكام المترتبة عليها، ومنها الإعجاز العلمي في الطب النبوي في فوائد هذا النبات وغيرها مما ذكرتها في طيات البحث، كما شملت الخاتمة على أهم النتائج منها:أهمية التوجه لدراسة أحاديث الطب النبوي وبيان الصحيح منها والضعيف وربطها بالإعجاز العلمي في وقتنا الحاضر.

الكلمات المفتاحية: الصبر، التداوي، الطب النبوي، الأحاديث، الإعجاز العلمي.

* * *

The *Ahadeeth* And Narrated Sayings on The Cactus Plant; Text And Narration

Abstract: This study discusses the *ahadeeth* narrated about the cactus plant. This includes all the *ahadeeth* related to the cactus plant, and some of the companions' *a'thar*, and I have mentioned the *takhreej* and the ruling on their chains of narration and related matters.

I have reached the following results in this paper: there are proven authentic *ahadeeth* narrated by the Prophet -pbuh- on using the cactus as medication, one of which is authentic, and the rest of the *ahadeeth* support each other to the degree of *ihtijaj*. Also, the benefits, results, and rulings mentioned in these *ahadeeth*. In addition, the scientific miracle of prophetic medicine in narrating the benefits of the cactus plant, all of which in mentioned within this paper. The conclusion of this research includes the most important results: the importance of studying the *ahadeeth* on prophetic medicine and distinguishing between the authentic and weak narrations, and connecting the same with modern scientific miracles. We thus ask Allah for guidance, and Allah is most knowing.

Key words: cactus- medicate- prophetic medicine- *ahadeeth*- scientific miracle

Keywords: cactus- medicate- prophetic medicine- *ahadeeth*- scientific miracle.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم: أما بعد:

فإن دراسة سنة النبي محمد ﷺ وسيرته وهديه واستنباط الفوائد منها من نعم الله علىٰ عبده، ومن توفيقه له، وقد هيأ الله ﷻ لهذه الأمة علماء وأئمة أفنوا أعمارهم في جمع سنة النبي ﷺ في كتب جامعة متنوعة من الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات والمعاجم والأجزاء الحديثية والسيرة وغير ذلك من المؤلفات ومن بدائع المصنفات في هدي النبي ﷺ وسيرته كتب الطب النبوي التي اعتنت بجمع الأحاديث الواردة في هدي النبي ﷺ في التداوي، وبيان هديه ﷺ في علاج ما يصيب المريض، وحرصه علىٰ التداوي بالغذاء والمركبات الطبيعية والنباتية والعدول بها عن الأدوية المركبة.

قال ابن القيم ﷺ في مقدمة كتابه الطب النبوي: «.. ونحن نتبع ذلك بذكر فصول نافعة في هديه في الطب الذي تطبب به، ووصفه لغيره، ونبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكثر الأطباء عن الوصول إليها»[1].

(١) الطب النبوي، لابن القيم (ص٦٦٧).

وقد ألف في الطب النبوي جمعٌ من العلماء منهم أبو نعيم الأصبهاني «كتاب الطب النبوي»، وابن القيم الجوزية وكتابه «الطب النبوي» ضمن كتابه «زاد المعاد في خير هدي العباد»، والذهبي رحمه الله «الطب النبوي»، وابن السني رحمه الله وكتابه «الطب»، والمستغفري وكتابه «طب النبي ﷺ»، وأثناء بحثي في هذه الكتب وجدت كمًّا من الأدوية والنباتات التي حث النبي ﷺ علىٰ التداوي بها، وثبت نفعها واستخدامها في الطب الحديث ومنها نبات الصَبِر المعروف بـ«الصبار».

فعقدت العزم علىٰ جمع الأحاديث الواردة فيه وبيان الأحكام الشرعية والفوائد الطبية فيها وبالله التوفيق.

*** أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

أولاً: ورود عدة أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ في هذا النبات.

ثانيًا: رغبة مني في دراسة أحاديث متعلقة بالطب النبوي، لذا استحسنت فكرة جمع الأحاديث والآثار الواردة في هذا النبات.

ثالثًا: الوقوف علىٰ الأحاديث الصحيحة والضعيفة الواردة عن النبي ﷺ في نبات الصبر.

رابعًا: استنباط الأحكام الفقهية من هذه الأحاديث وبيان الأحكام الشرعية المترتبة علىٰ ذلك.

خامسًا: المساهمة في خدمة السنة النبوية.

❋ أهداف البحث:

١- جمع الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصبِر ودراسة أسانيدها والحكم عليها.

٢- بيان الإعجاز العلمي من الطب النبوي في نبات الصبِر.

٣-ذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بـ«نبات الصبِر».

❋ الدراسات السابقة:

لا يوجد حسب بحثي دراسة علمية مستقلة تناولت الأحاديث الواردة في «نبات الصبر».

❋ خطة البحث:

قسمت البحث علىٰ النحو الآتي:

- **المقدمة:** وذكرت فيها خطة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث.
- **التمهيد: وفيه مبحثان:**
  - المبحث الأول: التعريف بنبات الصبر لغة.
  - المبحث الثاني: التعريف العلمي لنبات الصبر.
- **الفصل الأول: الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصبِر رواية.**
- **الفصل الثاني: الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصبِر دراية، وفيه مباحث:**
  - المبحث الأول: حكم التداوي بنبات الصبر.

- المبحث الثاني: حكم استخدام الصبر للمحرم والمعتدة «المحادة»، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: التداوي به لعلاج ما يصيب العين من مرض ونحوه.
  - المطلب الثاني: استخدام الصبر للمحرم والمعتدة المحادة للترفه والزينة.
- المبحث الثالث: الجمع بين حديثي أم سلمة رضي الله عنها ودرء التعارض بينهما.
- المبحث الرابع: فوائد نبات الصبر في الطب النبوي وبيان الإعجاز العلمي فيه.

- **الخاتمة:** وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
- **فهرس مراجع البحث.**

*** منهج البحث:**

١ - شملت الدراسة الأحاديث المرفوعة وذكر الآثار الموقوفة علىٰ الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم والتابعين.

٢ - أخرج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فإني أقتصر في تخريجه علىٰ كتب السنة المشهورة، ومن كتب الطب النبوي التي تذكر الأحاديث مسندة كالطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني.

٣ – وإن كان في غيرهما فإني أتوسع بتخريجه من جميع مصادره.

٤ – أدرس الأحاديث في غير الصحيحين علىٰ المنهج التالي:

أ – أترجم لرواة الإسناد، فإن كان الراوي متفقًا علىٰ توثيقه أو تضعيفه اكتفيت بذكر خلاصة حاله من التقريب للحافظ ابن حجر أو من كتاب الكاشف للذهبي، وأما إذا كان الراوي مختلفًا فيه فإني أتوسع في ترجمته ثم أذكر الراجح من حاله مع ذكر التعليل.

ب – أذكر المتابعات والشواهد التي تعضد الحديث إن وجدت، وأحكم علىٰ الحديث وفق القواعد العلمية المتبعة.

٥ – أشرح اللفظ الغريب الوارد في الحديث والأثر وذلك بالرجوع إلىٰ كتب اللغة والمعاجم.

٦ – أذكر الأحكام الفقهية والفوائد العلمية من الأحاديث والآثار في مبحث مستقل.

٧ – أوثق جميع النصوص الواردة في البحث وأقوال العلماء بذكر المصدر.

❊ ❊ ❊

التمهيد
التعريف بنبات الصبر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بنبات الصبر لغة

قال الفيروزآبادي: صبِر: كَكتِف: هو عُصارة شجر مُرّ[1]

وقال أبو بكر الرازي: الصبر، بكسر الباء، الدواء المر، ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر[2].

* * *

المبحث الثاني: التعريف العلمي لنبات الصَبِر

الصبر: نبات صحراوي وهو مجموعة تزيد علىٰ مائتي نبتة، تتسم أوراقه بالسمك وأوراقه عريضة كثيفة خضراء اللون تغطيها بشرة شمعية وعليه أشواك، ويوجد ثلاثة أنواع من الصبر هي المستخدمة في الطب:

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (١/ ١٢٩٧).

(٢) مختار الصحاح، للرازي (ص٣٥٥).

الأول: الصبر العادي المعروف بـ«الصبار» ويتميز بساقه الطويلة وتنتهي بشوكة حادة وحافتها عليها أشواك مدببة، ويكثر في الجزيرة العربية، واسمه العلمي – الطبي- «آلو فيرا» وهو أعلاها جودة.

الثاني: الصبر الإفريقي وهو يشبه الأول إلا أن أوراقه قصيرة ولونها أخضر محمر، واسمه العلمي «آلوبيري».

الثالث: الصبر الآسيوي ويتميز بساقه الطويلة وكثرة أوراقه ولونها أخضر غامق، واسمه العلمي «آلوفريكس».

والصبر: هو العصارة المائية المستخرجة من الصبَّار وهو الجزء الذي يحوي علىٰ المواد الفعالة طبيًا ويستخرج بطرق علمية قديمة، وحديثًا يستخرج بطرق آلية ومن ثَمَّ تنقيته من الشوائب ثم يحفظ في درجة حرارة محددة حتىٰ يصبح صلبًا متماسكًا[1].

وبحثي يخص النبات المشهور بتسميته «الصبار» المسمىٰ بـ«آلوفيرا».

* * *

(١) موسوعة جابر لطب الأعشاب (٢/ ٣١٣)، (٩٠ عشبة شافية للدكتور عبدالباسط السيد، ص١٩٨).

الفصل الأول
الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصبِر «رواية»

* الحديث الأول:

قال الإمام مسلم ﷺ: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وزهير بن حرب جميعاً عن ابن عيينة قال أبو بكر، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أيوب ابن موسىٰ عن نبيه بن وهب قال) خرجنا مع أبَان بن عثمان حتىٰ إذا كنا بِمَلَلٍ[1] اشتكىٰ عُمر بن عبيدالله عيَنيه فلما كنا بالرَّوحاء[2] اشتدَّ وجعُه فأرسل إلىٰ أبَان ابن عثمان يسأله فأرسلَ إليه أن أضْمِدْهما[3] بالصَبِرِ فإن عثمان ﷺ حدَّث عن

(١) بفتح الميم واللام: منزل علىٰ طريق المدينة إلىٰ مكة علىٰ ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة، وقيل اثنان وعشرون. معجم البلدان، للحموي (٥/ ١٩٤).

(٢) بفتح أوله، وبالحاء المهملة، ممدود: قرية جامعة لمزينة، علىٰ ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلا. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري (٢/ ٦٨١).

(٣) قال ابن الأثير: أصل الضمد الشد، وهي خرقة يُشد بها العضو المؤوف ثم قيل لوضع الدواء علىٰ الجرح وغيره وإن لم يُشد. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٩٩)، وقال النووي: «اضمدهما بالصبر» هو بكسر الميم، يقال: ضمد وضمد بالتخفيف والتشديد، وقوله: أضمدهما جاء علىٰ لغة التخفيف، معناه: اللطخ. المنهاج=

رسولِ الله ﷺ في الرجل إذا اشتكىٰ عينيه[1] وهو محرم ضمَّدهما[2] بالصبر)[3].

وأخرجه مسلم أيضاً بلفظ آخر من طريق أيوب بن موسىٰ عن نبيه بن وهب قال: (إن عمرَ بن عبيدالله بن معمر رمدتْ عينُه فأرادَ أن يَكْحُلَهَا فنهاهُ أبان بن عثمان وأمره أن يُضَمِّدَهما بالصبرِ وحدث عن عثمان بن عفان عن

=شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١/ ٢٩٣)، وقال الطيبي: «أصل الضمد الشد، يقال ضمد رأسه وجرحه إذا شده بالضماد». الكاشف عن حقائق السنن للطيبي، (٦/ ٢٠٢٩).

(١) قال المباركفوري: أي شكا وجعهما. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٦٥)،

(٢) قال المباركفوري: ضمد الجرح يضمده ويضمده وضمّده شده بالضمادة وهي العصابة كالضماد، هذا أصله ثم استعمل في خلط الدواء. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري، (٩/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (ص٣٣٠)، كتاب الحج، باب مداواة المحرم عينيه، ح(١٢٠٤)، وأبو داود في سننه (٢/ ٤١٩)، كتاب الحج، باب يكتحل المحرم، ح(١٨٣٩)، والنسائي في سننه الكبرىٰ (٤/ ٣٧)، كتاب الحج، باب الكحل للمحرم، ح(٣٦٧٧)، والترمذي في جامعه (٢/ ٢٧٩)، باب ما جاء في المحرم يشتكي عينيه فيضمدهما بالصبر، ح(٩٥٢)، والبيهقي في سننه الكبرىٰ (٥/ ٩٩)، باب المحرم يكتحل بما ليس يطيب، ح(٩١٦٢)، وأحمد في مسنده (١/ ٥٣٧)، وعنه وأبو داود في سننه (٢/ ٤١٩)، كتاب الحج، باب يكتحل المحرم، ح (١٨٣٨)، والدارمي في مسنده (٢/ ١٢٢٩)، ح (١٩٧١)، وأبو نعيم في الطب النبوي (٢/ ٥٩٦)، ح(٦٣٠)، والمستغفري في طب النبي ﷺ (ص١٤٨)، (ح١١٤)، جميعهم من طريق أيوب بن موسىٰ عن نبيه به «بمثله».

النبي ﷺ أنه فعل ذلك)[1].

*** الحديث الثاني:**

قال أبو داود في سننه: حَدَّثنا أحمد بن صالح، حَدّثنا ابن وهبٍ، أخبرني مخرمةُ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: سَمعت الْمُغيرة بْنَ الضَّحاك، يَقُولُ: أَخْبرتني أم حكيم بنت أسيد، عَنْ أُمها، (أَنَّ زوجها توفي وكانت تشتكي عَيْنَيْهَا فَتَكْتَحِلُ بِكحلِ الجلاء، فَأَرسلت مولاةً لها إِلَىٰ أم سلمة، فسألتها عَنْ كُحْلِ الْجِلَاءِ؟، فقالت: لا تكتحلي به إِلَّا مِن أمرٍ لا بدّ منه يَشتدُّ عليك، فتكتحلينَ بالليل وتمسحينه بالنهار، ثم قالت عند ذلك أم سلمة: دخل علي رسول الله ﷺ عندما توفي أبو سلمة، وقد جعلتُ علىٰ عيني صبِراً، فقال: ما هذا يا أم سلمة؟ فَقُلْتُ: إِنّما هو صَبْرٌ يَا رَسول الله لَيس فيه طِيبٌ، قَالَ: «إِنَّهُ يَشُبُّ[2] الْوَجْهَ فَلَا تجعليه إلا

(١) أخرجه مسلم (ص٣٣٠)، كتاب الحج، باب مداوة المحرم عينيه، ح(١٢٠٤)، وابن خزيمة في صحيحه، باب إباحة مداواة المحرم عينيه (٤/ ١٨٦)، ح (٢٦٥٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٥٣٧)، والحميدي في مسنده (١/ ١٦٨)، ح(٣٤)، ثلاثتهم من طريق أيوب به «بمثله».

(٢) يشب الوجه أي: يوقده ويحسنه. تاج العروس، للزبيدي (٣/ ٩٤)، لسان العرب، لابن منظور (١/ ٤٨٢)، وقال الخطابي: يشب الوجه: أي يوقد اللون وأصله من أشب النار، إذا أوقدتها. غريب الحديث، للخطابي (١/ ٢٨١).
وقال البغوي: يشب الوجه أن يوقده ويلونه ويحسنه ورجل مشبوب إذا كان أسود الشعر أبيض الوجه. شرح السنة، للبغوي (٩/ ٣٠٩).

بالليل وتنزعينهُ بالنهار، وَلَا تَمْتَشِطِي بِالطِّيب وَلَا بِالْحِنَّاءِ، فَإِنَّهُ خِضَاب»، قَالت: قلت بأي شَيْءٍ أَمْتَشِطُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بالسِّدْر تغلفين به رَأسك)[1].

دراسة إسناد الحديث:

١ - أحمد بن صالح: هو أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الطبري.

روىٰ عن ابن وهب وسفيان بن عيينة وغيرهما.

وعنه البخاري وأبو داود وغيرهما.

متفق علىٰ توثيقه، قال ابن حجر: ثقة حافظ، وقال الذهبي: هو ثبت في الحديث[2].

٢ - ابن وهب: هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه.

روىٰ عن مخرمة والليث بن سعد وغيرهما.

وعنه قتيبة ويونس بن عبد الأعلىٰ وغيرهما.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٧٢٧)، كتاب الطلاق، باب فيما تجتنبه المعتدة في وفاتها، ح(٢٣٠٢)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في سننه الكبرىٰ، كتاب باب الإحداد (٣/ ١٦٥)، ح(٢٨٢٠)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرىٰ (٥/ ٣١١)، كتاب الطلاق، باب الرخصة للحادَّة أن تمتشط بالسدر، ح(٥٧٠٠)، وأبو نعيم في الطب النبوي (١/ ٢٧٥)، ح(٣١٤)، كلاهما من طريق ابن وهب به «بمثله».

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر (١/ ٢٩)، (ت٦٨)، التقريب، لابن حجر (ص٥٠)، (ت٤٨)، الكاشف، للذهبي (ص٥٠)، (ت٤٨).

متفق علىٰ توثيقه، قال ابن حجر: «ثقة حافظ» عابد، وقال الذهبي: «ثقة»[1].

٣ - مخرمة: هو مخرمة بن بكير بن عبدالله بن الأشج أبو المسور المخزومي المدني.

روىٰ عن أبيه وعامر بن عبدالله بن الزبير وغيرهما.

وعنه مالك وعبدالله بن المبارك وغيرهما.

وثقه أحمد، وعلي بن المديني، وأحمد بن صالح، وابن سعد وقال: كان كثير الحديث وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: «لا بأس به»، وقال أبوحاتم: «صالح الحديث».

وقال ابن عدي: «وعند ابن وهب ومعن وغيرهما عن مخرمة أحاديث حسان مستقيمة وأرجو أنه لا بأس به»، وقال ابن معين: «ضعيف»، وقال الساجي: «صدوق كان يدلس».

وقد تكلم العلماء في روايته عن أبيه:

قال موسىٰ بن مسلمة: قلت لمخرمة بن بكير: سمعت من أبيك؟ قال لم أدرك أبي وهذه كتبه

قال أحمد: «لم يسمع من أبيه شيئًا إنما يرويه من كتاب أبيه»،

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٥)، (ت ٤١٨٩)، التقريب (ص٣٤٨)، (ت٣٦٩٤)، الكاشف (ص٣٤٨)، (ت٣٦٩٤).

وقال ابن معين: «ليس حديثه بشيء يقولون إن حديثه عن أبيه كتاب»،

وقال في رواية أخرىٰ: «ضعيف وقع إليه كتاب أبيه ولم يسمعه منه».

وقال علي بن المديني: «و لا أظن مخرمة سمع من أبيه كتاب سليمان ولعله سمع منه الشيء اليسير، ولم أجد أحداً بالمدينة يخبرني عن مخرمة أنه كان يقول في شيء من حديثه: سمعت أبي».

وقال أبو داود: «لم يسمع من أبيه إلا حديثًا واحداً وهو حديث الوتر».

وقال موسىٰ بن سلمة: «أتيت مخرمة بن بكير بكتاب أعرضه عليه: فقال لي: ما سمعت من أَبي حرفًا».

وقال حماد بن خالد الخياط: «أخرج مخرمة بن بكير كتبًا وقال هذه كتب أبي لم أسمعها».

وقال ابن حجر: صدوق وروايته عن أبيه وجادة من كتابه، ووضعه في المرتبة الأولىٰ من مراتب المدلسين.

خلاصة حاله: الذي يظهر لي أنه ثقة وروايته عن أبيه وجادة، لتوثيق أحمد وابن المديني، كما أن تضعيف يحيىٰ بن معين له بسبب روايته عن أبيه كما صرح بذلك، وهذه لا تنزله عن درجة التوثيق وأما قول ابن عدي عنه: لا بأس به فإنه لم يذكر له أحاديث ضعيفة أو منكرة ينزل بها عن درجة التوثيق.

وأما روايته عن أبيه فالراجح أنها صحيحة فقد روىٰ له عن أبيه مسلم[1]،

(١) انظر علىٰ سبيل المثال: الأحاديث (٢٤٠، ٣٠٣، ٣٢١).

والبخاري في الأدب المفرد[1]، وابن حبان في صحيحه[2]، وقال الألباني ﷺ: وروايته عن أبيه حجة[3].

٤ - عن أبيه: هو بكير بن عبدالله بن الأشج مولىٰ بني مخزوم أبوعبدالله المدني.

روىٰ عن المغيرة بن الضحاك وسعيد بن المسيب وغيرهما.

وعنه الليث ويحيىٰ بن أيوب وغيرهما.

متفق علىٰ توثيقه، قال ابن حجر والذهبي: «ثقة»[4].

٥ - المغيرة بن الضحاك: هو المغيرة بن الضحاك بن عبدالله بن خالد بن القرشي الأسدي الحزامي روىٰ عن أم حكيم وحكيم بن حزام، وعنه بكير بن الأشج، ذكره ابن حبان في الثقات،

وقال الذهبي: «مقبول في عداد التابعين»، وقال ابن حجر: «مقبول».

---

(١) ح(٣٦٥، ٧٨١).

(٢) ح(٤١٢٧).

(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٩١)، (ت٧٦٠٠)، التقريب (ص٥٨٢)، (ت٦٥٢٦)، الكاشف (ص٥٨٢)، (ت٦٥٢٦)، الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٨/ ١٧٥)، ميزان الاعتدال، للذهبي (٤/ ٨٠)، (ت٨٣٨٤)، السلسلة الصحيحة، للألباني (٦/ ١٧٧).

(٤) تهذيب التهذيب (١/ ٣٠٩)، (ت ٩٠٨)، التقريب (ص١٠٢)، (ت٧٦٠)، الكاشف (ص١٠٢)، (ت ٧٦٠).

خلاصة حاله: «مقبول»[1].

٦ - أم حكيم بنت أسيد:

روت عن أمها، وعنها المغيرة بن الضحاك، قال ابن حجر: «لا يعرف حالها».

وذكرها ابن كثير ﷺ في التكميل ولم يذكر عنها شيئاً[2].

خلاصة حالها: «مجهولة»[3].

٧ - أمها: قال الحافظ ابن حجر: لم أقف علىٰ اسمها.

روت عن أم سلمة، وعنها: ابنتها أم حكيم، قال ابن حجر: لا أعرف أمها.

وذكرها ابن كثير ﷺ في التكميل ولم يذكر عنها شيئاً[4].

خلاصة حالها: مجهولة[5].

---

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٥/ ٥١٣)، (ت٧٩٥٢)، الثقات، لابن حبان (٧/ ٤٦٣)، ميزان الاعتدال، للذهبي (٤/ ١٦٣)، (ت٨٧١٤)، التقريب (ص٦٠٦)، (ت٦٨٤١).

(٢) (٤/ ٣٣٤)، (ت٢٨٣٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ٦٢٤)، (ت١٢٠٨٧)، التقريب (ص٧٧٢)، (ت٨٧٢٤).

(٤) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء، لابن كثير (٤/ ٣٦٧)، (ت٢٩٠٦).

(٥) تهذيب التهذيب (٦/ ٦٤٠)، (ت١٢١٩٠)، التقريب (٧٨١)، (ت٨٨٢١).

أقوال العلماء في الحكم علىٰ الحديث:

١ - قال ابن عبد البر ﷺ: «وحديث أم سلمة هذا في الموطأ من بلاغات مالك من حديث بكير بن الأشج وهو حديث طويل اختصره مالك وأرسله وسنذكر من طرقه ما يصح عندنا متصلاً مسنداً بعون الله، ثم ذكره موصولاً بسنده إلىٰ أبي داود»[١].

٢ - وقال الذهبي: «حديث غريب»[٢].

٣ - وقال ابن القيم ﷺ: «وذكر أبو عمر في التمهيد له طرقاً يشد بعضها بعضاً، ويكفي احتجاج مالك به، وأدخله أهل السنن في كتبهم واحتج به الأئمة، وأقل درجاته أن يكون حسناً»[٣].

٤ - وقال ابن كثير ﷺ: «في سنده غرابة، ولكن رواه الشافعي عن مالك أنه بلغه عن أم سلمة»[٤].

٥ - وقد علق الصنعاني ﷺ علىٰ كلام ابن كثير السابق فقال: «وهو مما يتقوىٰ به الحديث ويدل علىٰ أن له أصلاً»[٥] ولما أخرجه عنها أحمد وأبو داود

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (٢٤/ ٣٦٢).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٤/ ١٦٣).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (ص١١٦٧).

(٤) ذكره الصنعاني في سبل السلام (٣/ ٣٥٥)، ولم أجده في كتبه المطبوعة.

(٥) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني (٣/ ٣٥٠).

والنسائي[1] أن رسول الله ﷺ قال: المتوفىٰ عنها زوجها لا تلبس المعصفر[2] من الثياب ولا الممشقة[3] ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل»[4].

٦- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[5]: وأعلَّه عبد الحق والمنذري[6] بجهالة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٥)، عن يحيىٰ بن أبي بكير ثنا إبراهيم بن طهمان حدثني بديل عن الحسن بن مسلم عن صفية بن شيبة عن أم سلمة مرفوعا، وأخرجه أبوداود في سننه (٢/ ٢٩٢)، كتاب الطلاق، باب ما تجتنبه المعتدة في عدتها، ح(٢٣٠٤٩)، والنسائي في سننه الصغرىٰ (٦/ ٢٠٣)، كتاب الطلاق، باب ما تجتنب المحادة من الثياب، ح(٣٥٣٥)، كلاهما من طريق يحيىٰ بن أبي بكير به «بمثله».

والحديث رجاله ثقات: ١ - يحيىٰ بن أبي بكير الكرماني: ثقة. التقريب (٦٥٧)، (ت٧٥١٦). ٢ - إبراهيم بن طهمان الخرساني أبو سعيد: ثقة. قال ابن حجر: «يغرب وتكلم فيه للإرجاء». التقريب (٥٩)، (ت ١٨٩). ٣ - بديل: بضم العين ابن ميسرة البصري: ثقة. التقريب (٩٥)، (ت ٦٤٦). ٤ - الحسن بن مسلم بن يناق: ثقة. القريب (١٤٨)، (ت ١٢٨٦)، صفية بنت شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة رضي الله عنها: صحابية. التقريب (٧٦٥)، (ت٨٦٢٢)، وقال ابن كثير: إسناده جيد، وقال الألباني: إسناده صحيح، وصححه ابن الجارود، وابن حبان. صحيح سنن أبي داود (٧/ ٥٢).

(٢) هو الثوب المصبوغ بالعصفر. لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٩٥).

(٣) هو المصبوغ والمدد بلون الطين الأحمر. النظم المستعذب (٢/ ٢١٦).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني (٣/ ٣٥٥).

(٥) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر (٣/ ٥٠٦).

(٦) مختصر سنن أبي داود، للمنذري (٣/ ٢٠١)، قال: أمها مجهولة.

حال المغيرة ومن فوقه وأُعل بما في الصحيحين عن زينب عن أم سلمة: «جاءت امرأة إلىٰ رسول الله ﷺ وقالت: إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها، أفتكحلها؟قال لا، مرتين أو ثلاثًا»[1].

وقال في بلوغ المرام: «إسناده حسن»[2].

٧ - وقد ذكر الطحاوي رحمه الله: «حديث أم سلمة رضي الله عنها السابق ورجَّح أنه ناسخٌ للحديث المخرج في الصحيحين وذكر ما يدل علىٰ حجية الحديث عنده إذ أنه صار إلىٰ الجمع بينهما ولم يردَّه بسبب ضعفه»[3].

ويظهر لي أن الحديث حسن لغيره لما يلي:

١ - أن المجهولين في الإسناد هم من طبقة كبار التابعين أو أوسطها وقد قبل روايتهم بعض العلماء قال ابن كثير: «فأمّا المبهم الذي لم يسم، أو من سُمِي ولا تعرف عينه فهذا ممن لا يقبل روايته أحد علمناه، ولكنه إذا كان في عصر التابعين والقرون المشهود لهم بالخير فإنه يستأنس بروايته، ويستضاء بها في مواطن، وقد وقع في مسند الإمام أحمد وغيره من هذا القبيل كثير»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٦٣)، كتاب الطلاق، باب الكحل للحادة، ح(٥٣٣٨)، ومسلم في صحيحه، (ص٤٢٢)، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة ح(١٤٨٧).

(٢) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لابن حجر (٣/ ٣٥٥).

(٣) شرح مشكل الآثار، للطحاوي (٣/ ١٨٧).

(٤) اختصار علوم الحديث (ص٨١).

وقال الذهبي رحمه الله: «وأما المجهولون من الرواة: فإذا كان الرجل من كبار التابعين أو أوساطهم اُحتمل حديثه وتُلقي بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأسلوب ومن ركاكة الألفاظ، وإذا كان الرجل منهم من صغار التابعين فسائغ رواية خبره ويختلف ذلك باختلاف جلالة الراوي عنه وتحريه وعدم ذلك...»[1].

٢ - كما يشهد لمعناه حديث الإمام مسلم المتقدم وحديث أم سلمة في الصحيحين وحديث قيس بن رافع الآتي.

٣ - وقد ذكره مالك في الموطأ رحمه الله: «أنه بلغه أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أم سلمة وهي حادٌ علىٰ أبي سلمة وقد جعلت علىٰ عينيها صبراً، فقال: ما هذا يا أم سلمة، فقالت: إنما هو صبِر يا رسول الله: قال: اجعليه في الليل وامسحيه بالنهار»[2].

والحديث وصله ابن عبد البر وابن الصلاح رحمهما الله[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ويكفي احتجاج مالك به»[4].

---

(١) الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص٧٩).

(٢) الموطأ، باب ما جاء في الإحداد (٢/ ٦٠٠)، ح(١٠٨).

(٣) وصل بلاغات مالك، لابن الصلاح (١٣٢).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (ص١١٦٧)، قلت: ويكفي احتجاج الأئمة به في كتبهم أيضاً.

وقال الذهبي ﷺ: «بلاغات مالك أقوىٰ من مراسيل مثل حميد وقتادة لأن مالكًا متثبت»[1].

*** الحديث الثالث:**

قال أبو داود ﷺ: حَدثني قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عَن الحسن ابن ثوبان، عَن قيس بن رافع القيسي أن رسول الله ﷺ قال: (ماذا في الأمَرّين[2] من الشفاء الصبر والثفَّاء[3])[4].

دراسة إسناد الحديث:

١ - قتيبة بن سعيد: هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي الباهلي، قال ابن عدي اسمه يحيىٰ وقتيبة: لقب

روىٰ عن الحسن بن ثوبان ومالك وغيرهما.

وعنه علي بن المديني ونعيم بن حماد وغيرهما.

وثقه أبو حاتم والنسائي والحاكم وقال: مأمون.

---

(١) الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي (ص١٩).

(٢) قال المناوي: إنما قال الأمرين والمراد: أحدهما ويعني: المرّ. التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٤٩).

(٣) الثفاء: حب الرشاد. مختار الصحاح، للرازي (١/ ٤٩).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل (ص٢٢٠)، (ح٧)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في سننه (٩/ ٥٨٢)، كتاب الطب، باب أدوية النبي ﷺ، (ح١٩٥٧٨)، وأخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (٢/ ٦٠٤) من طريق الليث به «بمثله».

وقال ابن القطان: لا يعرف له تدليس قط.

وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من المتقنين في الحديث المتبحرين في السنن.

وقال الذهبي: شيخ الإسلام، المحدث الإمام الثقة الجوال، راوية الإسلام.

خلاصة حاله: إمام ثقة محدث.(١)

٢ - الليث بن سعد: هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي أبو الحارث المصري.

روىٰ عن الحسن وعطاء وغيرهما.

وعنه قتيبة ومحمد بن رمح وغيرهما.

متفق علىٰ توثيقه وإمامته.

قال ابن حجر: «ثقة ثبت فقيه إمام مشهور»(٢).

٣ - الحسن بن ثوبان: هو الحسن بن ثوبان بن عامر الهمداني.

روىٰ عن أبيه وقيس بن رافع وغيرهما.

وعنه عقبة بن نافع وحيوة بن شريح وغيرهما.

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢/ ١١٤)، (ت٦٩٨٢)، الثقات، لابن حبان (٩/ ٢٧٦)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (١١/ ١٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠٨)، (ت٦٥٨٨)، التقريب (٥١٩)، (ت٥٦٨٤).

قال أبو حاتم: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: «صدوق فاضل».

خلاصة حاله: «صدوق»[1].

٤ - قيس بن رافع: هو قيس بن رافع القيسي الأشجعي أبو رافع ويقال: أبو عمرو المصري.

روىٰ عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما.

وعنه الحارث بن يعقوب وابن لهيعة وغيرهما.

قال الحسن بن ثوبان: «كان من أهل العلم والستر».

وذكره ابن حبان في الثقات، وقد أُختلف في صحبته، قال الحافظ ابن حجر: «ذكره البغوي في الصحابة وقال: يقال جاهلي، وذكره أبو موسىٰ في «الذيل» وقال أورده عبدن في الصحابة، قال: وأظن حديثه ليس بمسند إلا أني رأيت بعض أهل الحديث وضعه في المسند فذكرته ليُعرف».

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: «مقبول».

خلاصة حاله: «صدوق»، لأنه من التابعين ولم يرد فيه جرح[2].

---

(١) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣/ ٣)، (ت١٢)، الثقات (٦/ ١٦٢)، (ت٦٧١٦)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٧٨)، (ت١٤٤٠)، التقريب (١٤٠)، (ت ١٢١٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٥٦٣)، (ت٦٤٥٠)، التقريب (٥١١)، (ت٥٥٧١).

أقوال العلماء في الحكم علىٰ الحديث:

ذكره ابن القيم وقال: ورواه أبو عبيد[1] عن ابن عباس ﷺ[2].

وقال في موضع آخر: ويشهد له حديث ابن عباس ﷺ[3].

وقال الألباني: ضعيف[4].

الحكم علىٰ إسناد الحديث:

الحديث بهذا الإسناد حسن إلىٰ قيس، لما تقدم من حال قيس والحسن ابن ثوبان.

- وله شاهد ذكره ابن الأثير في جامع الأصول وقال: رواه رزين[5]، كما أشار إليه ابن القيم ﷺ.

- كما أن المرسل مقبول عند بعض العلماء بشرط وروده من طريق آخر.

قال الجوزجاني: «إذا كان الحديث المسند من رجل غير مقنع، وشدَّ أركانه المراسيل بالطرق المقبولة عند ذوي الاختيار، استعمل واكتفي به، وهذا إذا لم يعارض المسند الأقوىٰ منه»[6].

---

(١) غريب الحديث (٢/ ٤١).

(٢) الطب النبوي، لابن القيم (١/ ٢٢٥).

(٣) الطب النبوي، لابن القيم (١/ ٢٥٣).

(٤) السلسلة الضعيفة، للألباني (٩/ ٤٣٤)، (ح٤٤٤٢).

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير (٧/ ٥٣٥)، كتاب الطب، باب أدوية مشتركة، ح(٥٦٦٣).

(٦) نزهة النظر، لابن حجر (٧١).

وقال البيهقي في معرض كلامه عن حديث (... وهذا المرسل إذا انضم إلىٰ رواية ابن لهيعة صار قوياً)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «... والمرسل إذا اتصل به عمل وعضده قياس أو قول صحابي أو كان مرسله معروفاً باختيار الشيوخ ورغبته عن الرواية عن الضعفاء والمتروكين... وشواهد أخرىٰ ونحو ذلك مما يقتضي قوته عُمل به».

وقال: «... هذا وإن كان مرسلاً فالظاهر أن مجاهداً[2] إما أن يكون سمعه من تابعي ثقة أو من صحابي، والتابعون لم يكن الكذب معروفاً منهم وهم ثاني القرون المفضلة، وقد شاهدوا أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذوا العلم عنهم وهم خير الأمة بعدهم، فلا يظن بهم الكذب علىٰ رسول الله ﷺ ولا الرواية عن الكذابين، ولا سيما العالم منهم إذا جزم علىٰ رسول الله ﷺ بالرواية فقال: قال رسول الله ﷺ، وفعل رسول الله ﷺ، وأمر ونهىٰ فيبعد كل البعد أن يُقدِم علىٰ ذلك مع كون الواسطة بينه وبين رسول الله ﷺ كذاباً أو مجهولاً، بخلاف مراسيل من بعدهم فكلما تأخرت القرون ساء الظن بالمراسيل»[3].

(١) معرفة السنن والآثار، للبيهقي(٢/ ١٥٣).

(٢) وذلك في سياق الحديث عن مرسل مجاهد رحمه الله.

(٣) زاد المعاد، لابن القيم (٥/ ١٧٦).

قلت: كيف وقد اختُلِفَ في صحبته فيكون مرسله أقوى، ولا سيما وقد شهد له حديث ابن عباس ﷺ، وشهد لمعناه الحديث الأول الذي أخرجه مسلم وحديث أم سلمة عند أبي داود والله أعلم.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني
الأحاديث والآثار الواردة في نبات الصبِر «دراية»

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم التداوي بنبات الصبِر

التداوي بالمباحات جائز ما لم يدلّ نص شرعي علىٰ تحريمه، فقد روىٰ ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عيينة[1] عن زياد بن علاقة[2] عن أسامة بن شريك[3] رضي الله عنه قال: «شهدت الأعراب يسألون رسول الله ﷺ: أنتداوىٰ؟ قال: تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا أنزل له شفاء «وفي رواية» وضع معه

(١) هو سفيان بن عيينة الهلالي متفق علىٰ توثيقه إمام حافظ حجة. التقريب (٢٤٠)، (ت٢٤٥١).

(٢) هو زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي، وثقه النسائي وابن معين والعجلي، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال الأزدي: سيء المذهب كان منحرفاً عن أهل بيت النبي ﷺ، وقال ابن حجر: ثقة رمي بالنصب. تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٢)، (ت٢٤٤٤). التقريب (٢٠٩)، (ت٢٠٩٢).

(٣) هو أسامة بن شريك الثعلب صحابي جليل. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٤٣)، (ت ١٤٦).

شفاء إلا الهرم»[1].

ويشهد لمعناه حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»[2].

وقد دلت الأحاديث السابقة علىٰ جواز التداوي «بالصبر» ورواية مسلم تدل علىٰ أنه من مندوب فعله ومستحب [3] إذ أنه أمر به، وفي رواية أنه فعله.

قال الطيبي: «(ضمَّدهما) بصيغة الماضي مشددًا من باب التفعيل. قال القاري: وفي نسخة يعني من المشكاة علىٰ بناء الأمر للإباحة. قلت: ويحتمل أن يكون بصيغة الماضي مخففًا من باب ضرب ونصر، يقال: ضمد الجرح»[4].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١)، كتاب الطب، باب من رخص في الدواء والطب، (ح٢٣١٤٧)، والحديث رواته ثقات، وصححه النووي والبوصيري، وقال ابن حجر في الفتح: صححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم (١٠/ ١٣٥)، الألباني ﷺ في صحيح الأدب المفرد (١/ ١٢٣)، (ح٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ص٨٠٥)، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلا له شفاء.

(٣) وهذا ما يسميه علماء الأصول بالمندوب والمستحب وهو ما ورد فعله عن النبي ﷺ مرة أو مرتين، بخلاف الفعل الذي واظب عليه فهو سنة. البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٣٢).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (٦/ ٢٠٢٩).

المبحث الثاني: حكم استخدام الصبر للمحرم والمعتدة «المحادة»

استخدام الصبر للمحرم أو المحادة لا يخرج عن حالتين وهما:

*** المطلب الأول: التداوي به لعلاج ما يصيب العين من مرض ونحوه أي للضرورة:**

وهو متفق علىٰ جوازه بين العلماء:

وقد دلّ علىٰ جوازه قول أم سلمة ﵂ في الحديث «لا تكتحلي إلا من أمر لا بد منه يشتدّ عليك» فهذا يدل علىٰ أن الجواز خاص بالمضطر الذي لم يجد بديلاً للمنهي عنه.

وقال النووي ﵀: «... واتفق العلماء علىٰ جواز تضميد العين وغيرها بالصبر ونحوه مما ليس بطيب ولا فدية في ذلك، فإن احتاج إلىٰ ما فيه طيب جاز له فعله وعليه الفدية، واتفق العلماء علىٰ أن للمحرم أن يكتحل بكحل لا طيب فيه إذا احتاج إليه، ولا فدية عليه فيه...»[1].

وقال القاضي عياض ﵀: «قوله في المحرم إذا اشتكىٰ عينيه «ضمدهما بالصبر» معناه لطخهما، ولا خلاف في مثل هذا إذ ليس بطيب ولا زينة ولا ممانعة بكل الأدوية غير المطيبة، فإن اضطر إلىٰ المطيب افتدىٰ ولا خلاف أن

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٨/ ٢٩٤).

للمحرم أن يكتحل إذا احتاج إليه»[1].

قلت: وقد ورد فعله عن الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم والتابعين رحمهم الله:

فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه إذا رمد وهو محرم أقطر عينيه الصبر إقطاراً»[2].

وروىٰ نافع عن صفية رضي الله عنها: «أنها اشتكت عينها لما توفي ابن عمر فكانت تقطر فيها الصبر»[3].

وفي رواية عند عبدالرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني موسىٰ بن عقبة عن نافع «أن صفية بنت أبي عبيد اشتكت عينيها وهي حادة علىٰ ابن عمر، حتىٰ اشتد وجع عينيها، فلم تكتحل بإثمد، كانت تلُكُّ عينها بالصبر»[4].

وقال عطاء: «تنهىٰ المتوفىٰ عنها عن الطيب والزينة، ولا تكتحل بإثمد، من أجل أن فيه زينة وأن فيه مسكًا، ولكن بصبر إن شاءت»[5].

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٤/ ٢١٨).

(٢) رواه الشافعي (٢/ ١٥)، والمستغفري في طب النبي ﷺ (ص١٤٩)، (ح١١٥)، وقال البغوي رجاله ثقات شرح السنة (٧/ ٢٤٦).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤/ ١٦٥)، باب ما قالوا في المتوفىٰ عنها، ما تجتنب من الزينة في عدتها؟ ح(١٨٩٧٠).

(٤) المصنف (٧/ ٤٧)، باب ما تتقي المتوفىٰ عنها زوجها، ح(١٢١٢٧).

(٥) مصنف عبد الرزاق (٧/ ٤٣)، باب ما تتقي المتوفىٰ عنها زوجها، ح(١٢١١٢).

وقال علقمة: «لا بأس أن يكتحل المحرم بالصبر»[1].

*** المطلب الثاني: استخدام الصبر للمحادة والمحرم للترفه والزينة من غير ضرورة:**

تحرير محل النزاع:

لا خلاف بين العلماء في جواز استخدام الصبر للمحرم لأنه لا يحرم عليه الزينة والترفه لكن كرهه بعض العلماء إذ أنه يستحب للمحرم أن يكون أشعث لا تظهر عليه مظاهر الترف، لقوله ﷺ: «إن الله يباهي بأهل عرفة ملائكته فيقول: أنظروا إلىٰ عبادي قد أتوني شعثًا غبراً»[2].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «المحرم لا يُصلح شعثًا ولا ينفض عنه غباراً»[3].

أما المحادة فجمهور العلماء علىٰ عدم جواز استخدامها الصبر لغير حاجة:

فقد اتفقوا رحمهم الله علىٰ تحريم الزينة للمحادة،

قال الشيرازي رحمه الله: «واجتناب الزينة واجب في قول عامة أهل العلم»[4].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٧/ ٤٣)، باب ما تتقي المتوفىٰ عنها زوجها، ح(١٢١١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٦٠)، كتاب الحج، باب ح(٣٨٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٦٨١).

(٣) المغني، لابن قدامة (٣/ ٢٩٧).

(٤) المهذب، للشيرازي (١٨/ ١٨٥).

فإن اضطرت لشدة الحاجة ولم تجد بديلاً، فيكون ليلاً لا نهاراً لنص حديث أم سلمة ﵂.

وقال ابن قدامة ﵀: «الإحداد: هو اجتناب الزينة، وهو واجب في عدة الوفاة.. ويحرم على المحادة الكحل بالإثمد للخبر ولأنه يحسِّن الوجه.. ويحرم عليها تحمير وجهها بالكلكون وتبيضه باسفيذاج العرائس لأنه أبلغ بالزينة»[1].

وقال الشيرازي ﵀: «فالطيب والتحسين تمنع منه المرأة المحادة»[2].

كما اتفق العلماء ﵃ على أثر نبات الصبر في تزيين البشرة وتحسينها وإليك بعض أقوالهم:

قال ابن بطال ﵀: «يشبُّ الوجه، أي يحسنه ويظهر لونه، من شبَّ النار إذا ألهبها وأوقدها»[3].

وقال ابن الملقن ﵀: «يشبُّ الوجه: أن يوقده وينوره»[4].

وقال السيوطي: يشبُّ الوجه: «أي يلونه ويحسنه»[5].

---

(١) الكافي (٣/ ٢١١) اسفيذاج بذال معجمة، وهو ما يتخذ من رصاص يطلى به الوجه والكلكون حمرة يُورد بها الخد. فتح الوهاب شرح منهج الطلاب، للسنيكي (٨/ ٢٥٨).

(٢) المهذب، للشيرازي (١٤/ ١٢٣).

(٣) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، لابن بطال (٢/ ٢١٦).

(٤) البدر المنير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن الملقن (٨/ ٢١٤).

(٥) حاشية السيوطي على السندي (٦/ ٢٠٤).

وقال المناوي ﷺ: يشبُّ الوجه: أن يوقد لونه ونضرته»[1].

وقال ابن الملَك الكرماني ﷺ: «يشبُّ الوجه: أن يوقده ويلونه ويلينه ويحسنه»[2].

وقال فضل الدين التوربشتي: «(إنه يشب الوجه) أي: يوقده ويلونه. من: شببت النار، إذا أوقدتها. ولعل المعنىٰ يحسنه. يقال للجميل: إنه لمشبوب. وهذا شبوب لكذا، أي: يزيد فيه ويقويه. يقال: شعرها يشب لونها، أي: يطهره ويحسنه»[3].

كما تواترت أقوالهم في المنع من استخدامها للصبر إلا لضرورة من شكوىٰ مرض ونحوه:

قال الطيبي ﷺ: «قوله - إذا اشتكىٰ - شرط لاستخدامه»[4].

وقال الزهري ﷺ: «لا تكتحل المتوفىٰ عنها، إلا أن تشتكي عينيها فتعاهد بدواء»[5].

وقال أبو حنيفة ﷺ: «.. إذا اشتكت عينها اكتحلت بالأسود وإذا لم

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (٤/ ١٧١).

(٢) شرح مصابيح السنة، للكرماني (٤/ ٥٩).

(٣) الميسر شرح مصابيح السنة، للتوربشتي (٧٨٨).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (٦/ ٢٢٠٩).

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسنده إلىٰ الزهري، باب ما تتقي المتوفاة عنها (٧/ ٥٠ -١٢١٣٧).

تشتك لم تكتحل»[1].

وقال الشافعي رحمه الله: «... وهو أن تطلي حوال عينيها بصبر، ففيه زينة لا يجوز لها ذلك إلا أن يقع ضرورة فتفعله ليلاً، وتمسحه نهاراً»[2].

وقال رحمه الله: «وكل كحل كان زينة لا خير فيه مثل الإثمد وغيره مما يحسن موقعه في عينها لها فأما الفارسي وما أشبهه إذا احتاجت إليه فلا بأس لأنه ليس بزينة، بل يزيد العين مرهًا وقبحًا وما اضطرت إليه من زينة اكتحلت به ليلاً وتمسحه نهاراً»[3].

وقد علّق الماوردي على كلام الشافعي السابق فقال: «وهو كما قال وحظر الكحل مختص بالمعتدة دون المحرمة لأنه زينة، وما في حكمه الأصفر الذي له لون إذا طُلي به الجسد كالصبر فتمنع منه فيما ظهر من الجسد كالوجه، فإن فعلته لغير حاجة كُره، وإن كان لحاجة لم يُكره»[4].

وقال رحمه الله: «الصبر يصفِّر فيكون فيه زينة وليس بطيب، فأذن لها فيه بالليل حيث لا يراه أحد وتمسحه بالنهار كذلك ما أشبهه»[5].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين (٣/ ٥١٣).

(٢) شرح السنة، للبغوي (٩/ ٣٠٩).

(٣) معالم السنن، للخطابي (٢/ ٧٢٨).

(٤) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، للماوردي (١١/ ٢٧٩).

(٥) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي (١١/ ٢٨٠).

وقال ابن قدامة ﷺ: «وقد كان الصحابيات يكرهن ما فيه زينة روت شميسة عن عائشة ﷺ قالت: اشتكيت عيني وأنا محرمة فسألت عائشة ﷺ فقال: اكتحلي بأي كحل شئت غير الإثمد، أما إنه ليس بحرام ولكنه زينة فنحن نكرهه»(١).

وقال الباجي ﷺ: «لا تكتحل إلا أن تضطر، فتكتحل بالليل وتمسحه بالنهار من غير طيب يكون فيه ومعنىٰ ذلك عندي بعذر المرض وما يبلغ من الألم منه من الشدة»(٢).

وقال ابن عبد البر ﷺ: «حَديث أم سلمة هذا دليل علىٰ أن المرأة الْمُحِدَّ

(١) المغني (٣/ ٣٠٣)، والأثر المروي عن عائشة ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن (٢/ ١٨٣)، كتاب الحج، باب في المحرم يكتحل بالصبر ويداوي به (١٣٢٧٧)، عن أبي أسامة عن هشام عن شميسة عن عائشة «بمثله»، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرىٰ (٥/ ٩٩)، كتاب الحج، باب المحرم يكتحل بما لا طيب فيه (١٩١٣١) من طريق شعبة عن شميسة عن عائشة به «بمثله». ١ - دراسة إسناده - أبو أسامة: هو حماد بن أسامة القرشي: ثقة ثبت ربما دلس. تهذيب التهذيب (٢/ ٥)، (ت١٤٧٥). التقريب (١٦٢)، (ت١٤٨٧)، ٢ - هشام: هو هشام بن حسان الأزدي ثقة. تهذيب التهذيب (٦/ ٢٥)، (ت٨٤٤١). التقريب (٦٣٩)، (ت٧٢٨٩)، ٣ - شميسة بنت عزيز العتكية قال ابن حجر: مقبولة. تهذيب التهذيب (٦/ ٦٠١)، (ت١١٩٧٥). التقريب (٧٦٥)، (ت٨٦١٨)، والأثر بهذا الإسناد لا بأس به والله أعلم.

(٢) المنتقىٰ شرح الموطأ، للباجي (٤/ ١٤٨).

لا تكتحل بشيء يزينها ويشبُّها فإن اضطرت إلىٰ شيء من ذلك جعلته ليْلًا ومسحتْه بالنَّهار، وقد أذنت فيه أم سلمة بالليل حيث لا يُرىٰ وتمسحه بالنهار حيث يُرىٰ فكذلك ما أشبهه»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «رُخص التضميد بالصبر مع الشكاة فعلم أن لا يكتحل بما فيه زينة أو طيب إذا وجد عنده مندوحة»[2].

وقال العيني ﷺ: إذا لم تحتج إليه لا يحل وإذا احتاجت لم يجز بالنهار ويجوز بالليل مع أن تركه أولىٰ، فإن فعلت مسحته بالنهار»[3].

وقال القسطلاني ﷺ: «... إذا لم تحتج إليه لا يحل وإذا احتاجت لم يجز بالنهار ويجوز بالليل وتركه أولىٰ»[4].

وقال الملا القاري الهروي ﷺ: «علَّل المنع لأن فيه تزيينًا للوجه وتحسينًا له،.. ثم قال: وكل ما أرادت به معنىٰ الزينة لم يحل إلا لضرورة لحصول الزينة به»[5].

وللإمام أحمد تفصيل وجيه في هذه المسألة، فهو يرىٰ جوازه للبدن لأنه

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبدالبر (١٧/ ٣٢).

(٢) شرح العمدة، لابن تيمية (٢/ ١٠٥).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١١/ ٤).

(٤) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٨/ ١٨٥).

(٥) مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي (٥/ ٢١٨٦).

غير ظاهر بخلاف الوجه:

قال ﷺ: «ولها أن تستعمل الصبر في جميع بدنها إلا وجهها لأنه إنما منع منه في الوجه لأنه يُصفِّر الوجه فيشبه الخضاب»[1].

وقال الروياني ﷺ: «الصبر تُمنع منه فيما ظهر من الجسد كالوجه ولا تُمنع فيما بطن»[2].

وقد ذكر الخطيب الشربيني كلام الروياني وعلق عليه قائلاً: «لأنه ﷺ أذن لأم سلمة في الصبر ليلاً لخفائه علىٰ الأبصار فكذا ما أخفاه ثيابها»[3].

يتبين لنا مما تقدم من أقوال العلماء أنه يحرم علىٰ المحادة استخدام الصبر لغير حاجة، ويقاس عليه كل ماله أثر الزينة،

قال ابن يونس ﷺ: «... وفي معنىٰ ما ذُكر- أي الصبر - تطريف أصبعها وتصفيف غرتها وتجعيد صُدغيها وتسويد الحاجب وتصفيره»[4].

وقال ابن حجر الهيتمي ﷺ: «و يحرم عليها - أي المحادّة - اسفيذاج وهو رصاص يُحسَّن به الوجه ومثله تمنع منه»[5].

(١) الكافي في الفقه الحنبلي، لابن قدامة (٣/ ٢١١).

(٢) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب، للسنيكي (٢/ ١٣١).

(٣) مغني المحتاج إلىٰ معرفة ألفاظ المنهاج، للشربيني (٥/ ١٠٢).

(٤) الكافي، لابن قدامة (٢/ ١٣١).

(٥) تحفة المحتاج، لابن حجر الهيتمي (٨/ ٢٥٨).

ويدخل في هذا الحكم في وقتنا الحالي بعض المستحضرات الطبية والكريمات التي تُحسِّن البشرة وتُضيئها[1]، والله أعلم.

* * *

المبحث الثالث: الجمع بين حديثي أم سلمة ﵂ ودرء التعارض بينهما

وجه التعارض بينهما: حديث أم سلمة فيه جواز استخدام الزينة من كحل ونحوه كالصبر بشرط أن تضعه ليلاً وتمسحه نهاراً، وتقدم معنا حديث أم سلمة ﵂ في الصحيح في النهي عن استخدام الكحل للضرورة، وقد جمع العلماء ﵏ بين الحديثين وإليك أقوالهم:

قال أبو جعفر الطحاوي ﵀: فكان في هذا الحديث من قول أم سلمة للمرأة التي سألتها عما سألتها عنه في هذا الحديث: لا تفعلي ذلك إلا لما لا بد منه، وقد سمعت من النبي ﷺ ما يُخالف فاستحال أن يكون ذلك منها إلا وقد علمت بنسخه من قبله ﷺ، لأنها رضوان الله عليها مأمونة علىٰ ما قالت كما كانت مأمونة علىٰ ما روت والله نسأله التوفيق[2]

وقال ابن عبد البر ﵀: «وهذا عندي وإن كان ظاهره مخالفاً لحديث الباب لما فيه من إباحته بالليل وقوله في الحديث: لا مرتين أو ثلاثاً علىٰ

(١) مثل كريمات التفتيح، والتقشير وجلسات الليزر التي نحسن البشرة والله أعلم.

(٢) شرح مشكل الآثار، للطحاوي (٣/ ١٧٨٩).

الإطلاق فإن ترتيب الحديث والله أعلم أن الشكاة التي قال فيها الرسول ﷺ: لا، لم تبلغ والله أعلم منها مبلغًا لا بد منه من الكحل، ولو كانت محتاجة إلىٰ ذلك مضطرة تخاف ذهاب بصرها لأباح لها ذلك كما صنع بالتي قال لها: اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار، ويشهد لهذا التأويل أن الضرورات تنقل المحظور إلىٰ حال المباح، والنظر يشهد لذلك لأن المضطر إلىٰ شيء لا يحكم له بحكم المترفه المتزيّن وليس الدواء والتداوي من الزينة في شيء، وإنما نهيت الحادُّ عن الزينة لا عن التداوي وأم سلمة أعلم بما روت.. وأن القصد إلىٰ التداوي لا إلىٰ الزينة والله أعلم بالنيات»[1].

وقال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث وحديث أم عطية المذكور بعده في قوله ﷺ «لا تكتحل» دليل علىٰ تحريم الاكتحال علىٰ الحادَّة سواء احتاجت إليه أم لا، وجاء في الحديث الآخر في الموطأ وغيره في حديث أم سلمة «اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار» ووجه الجمع بين الأحاديث أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل لها، وإن احتاجت لم يجز بالنهار ويجوز بالليل، مع أن الأولىٰ تركه فإن فعلته مسحته بالنهار فحديث الإذن فيه لبيان الحاجة أنه بالليل للحاجة غير حرام، وحديث النهي محمول علىٰ عدم الحاجة، وحديث التي اشتكت عينها «فنهانا» محمول علىٰ أنه نهي تنزيه وتأوله بعضهم أنه لم يتحقق الخوف علىٰ عينها»[2].

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (١٧/ ٣٢٠).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٢/ ٨٩).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ﷺ كلام النووي السابق وعلق علىٰ قوله: «وتأول بعضهم حديث الباب علىٰ أنه لم يتحقق الخوف علىٰ عينها فقال: وتُعقب بأن في حديث شعبة المذكور «فخشوا علىٰ عينيها» وفي رواية ابن منده المقدم ذكرها «رمدت رمداً شديداً وقد خشيت علىٰ بصرها» وفي رواية الطبراني: إنها تشتكي فوق ما يظن، فقال: لا وفي رواية القاسم بن أصبغ أخرجها ابن حزم «إني أخشىٰ أن تنفقئ عينها، قال: لا وإن انفقأت» وسنده صحيح وبمثل ذلك أفتت أسماء بنت عميس أخرجه ابن أبي شيبة وبهذا قال مالك وفي رواية عنه بمنعه مطلقاً، وعنه يجوز إذا خافت علىٰ عينها بما لا طيب فيه، وبه قال الشافعية مقيداً بالليل، وأجابوا عن قصة المرأة باحتمال أنه كان يحصل لها البرء بغر الكحل كالتضميد بالصبر ونحوه،.. ومنهم من تأول النهي علىٰ كحل مخصوص وهو ما يقتضي التزين به لأن محض التداوي قد يحصل بما لا زينة فيه فلم ينحصر فيما فيه زينة، وقال طائفة من العلماء: يجوز ذلك ولو كان فيه طيب، وحملوا النهي علىٰ التنزيه جمعاً بين الأدلة»[1].

وقال السيوطي ﷺ: «قوله لا، ظاهره تحريم الكحل عليها وإن احتاجت، ويعارضه حديث: «اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار»، فحمل بعضهم النهي علىٰ النهار»[2].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٩/ ٣٩٨).

(٢) التوشيح شرح الجامع الصحيح، للسيوطي (٧/ ٣٣٥١).

وقال الفاكهاني ﷺ: «قلت فيه وجهان: أحدهما: أن النهي عنه بالليل لمن اضطر إليه ليس علىٰ الإيجاب لكن علىٰ الندب لتركه والكراهة لفعله، وفيه عندي نظر، والثاني: أنه مؤول في حديث أم سلمة بأنه لم يتحقق الخوف علىٰ عينها»[1].

وقال شمس الدين السفاريني ﷺ: «ولهذا جعل مالك فتوىٰ أم سلمة تفسيراً للحديث المسند في الكحل لأن أم سلمة روته وما كانت تخالفه إذا صح عندها وهي أعلم بتأويله»[2].

قلت: وهذه الوجوه كلها محتملة والله أعلم.

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع: فوائد نبات الصبر في الطب النبوي وبيان الإعجاز العلمي فيه

تقدم معنا في الأحاديث السابقة حث النبي ﷺ علىٰ التداوي بالصبر لشكوىٰ العين، كما أشار إلىٰ أثره في تحسين البشرة، وفي قوله «ماذا في الأمرين من الشفاء» دليل علىٰ عظم نفعه، وقد اعتنىٰ العلماء والأطباء قديماً وحديثاً بذكر فوائد هذا النبات.

قال علي بن طرخان: «أخبرني رجل من أهل عمان عن معاصر الصبار

(١) رياض الأفهام شرح عمدة الأحكام، للفاكهاني (٥/ ٣٠).

(٢) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، للسفاريني (٥/ ٤٩٨).

عندهم. ونبات الصبار كنبات السوسن الأخضر غير أن ورقه أطول وأعرض وأثخن كثيراً. وهو كثير الماء جداً فيحصد ويلقىٰ في المعاصر ثم يدق بالخشب حتىٰ يسيل عصيره فيترك حتىٰ يثخن ويشمس حتىٰ يجف والصبار مسهل، منق للمعدة، ويجفف القروح ويسرع لحامها وينفع القروح التي تحدث في المذاكير والفرج والمقعدة نفعاً بيناً إذ ذر عليها»[1].

وقال الحافظ الذهبي: «ينفع من ورم العين ويفتح سدد الكبد ويذهب باليرقان وينفع قروح المقعدة ذروراً»[2].

وقال ابن القيم ﷺ: «الصبر كثير المنافع لا سيما الهندي منه: ينقي الفضول الصفراوية التي في الدماغ وأعصاب البصر. وإذا طلي علىٰ الجبهة بدهن الورد ينفع من الصداع، وينفع من قروح الأنف والفم، والفارسي منه يذكي العقل ويشد الفؤاد وينفي الفضول الصفراوية والبلغمية من المعدة إذا شرب منه ملعقتان بماء»[3]. وقد ذكر الدكتور جابر جملة من فوائد الصبار، وأثره في علاج تقرحات العينين، وفوق الجروح والحروق وعلاج حالات الإمساك، وسوء الهضم وضعف المعدة والكبد، وقرحة المعدة والأمعاء، وعلاج البثور وحب الشباب، وعلاج قروح الفم والأذن، كما ذكر أن دهانه

(١) الأحكام النبوية في الصناعة الطبية، لابن طرخان (ص٢١٤).

(٢) الطب النبوي، للذهبي (ص٣١٢).

(٣) الطب النبوي، لابن القيم (ص٦٦٧).

مفيد لتحسين البشرة[1].

ويقول الدكتور عبد الباسط السيد: «الصبِر طعمه شديد المرارة ورائحته طيبة والاكتحال به يحد البصر وينبت الشعر: ويحسن البشرة والأمراض الجلدية، ويدخل في علاج السرطان ويمنع الالتهابات، وينقي الدماغ ويستخدم في الحبوب النفسية وعسر الطمث كما ذكر أنه يخفض مستوىٰ السكر في الدم والدهون الثلاثية ويرطب الجسم»[2].

❊ ❊ ❊

(١) موسوعة جابر لطب الأعشاب (٢/ ٣١٣)، وراجع أدوية أوصىٰ بها النبي ﷺ، للدكتور سمير عبد الخالق (ص٤٦).

(٢) الموسوعة الأم للعلاج بالنباتات والأعشاب الطبية، للدكتور عبد الباسط السيد (ص١٤٥).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً الذي يسر لي البحث في هذا الموضوع ومن أبرز الفوائد من هذا البحث:

أولاً: الأمر بالتداوي والأخذ بأسباب الشفاء بإذن الله وأنه لا ينافي التوكل على الله ﷻ.

ثانيـاً: ثبوت عدة أحاديث عن النبي ﷺ وآثار عن صحابته ﷺ في التداوي بنبات الصبر.

ثالثاً: أن التداوي بنبات الصبر سنة فعلية عن النبي ﷺ.

رابعاً: أنه يجوز للمحرم والمحادة التداوي بنبات الصبر للضرورة إذ إنه لا يُعد من الطيب.

خامساً: يجوز للمحرم التداوي بنبات الصبر سواء كان مضطراً إليه أم لا، وإن كان للترفه والزينة.

سادساً: لا يجوز للمعتدة المحادة استخدام نبات الصبر لغير ضرورة لأنه زينة إذا وضع على الوجه والجسم.

سابعاً: أنه يحرم على المحادّة كل ماله أثر في تحسين البشرة كالصبر، فيدخل في ذلك النهي بعض الكريمات والأدوية الحديثة التي تُحّسن البشرة

وتضيئها والله أعلم.

ثامنـًا: الإعجـاز العلمـي في الطـب النبـوي فقـد ظهـر لنـا فوائـد الـصبر (الصبار) حديثـًا في الطب وقد سبقهم بالتداوي به محمـد ﷺ وأشـار إلىٰ آثـاره وفوائده.

تاسـعـًا: أهميـة التوجـه إلـىٰ تحقيـق أحاديـث الطـب النبـوي لحاجـة المسلمين لها في تطبيق سنة النبي ﷺ وبيان وجوه الإعجاز العلمي فيها.

والله أعلم وصلىٰ الله وسلم وبـارك علـىٰ نبينـا محمـد وعلـىٰ آلـه وصـحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

(١) الأحكام النبوية في الصناعة الطبية، للحموي، أبي الحسن علي بن عبدالكريم بن طرخان، تحقيق: أحمد النجولي، الناشر: دار ابن حزم، ٢٠٠٤م.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٣) الأم، للشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) الأنساب، للسمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

(٥) اختصار علوم الحديث، لابن كثير الدمشقي إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

(٦) أدوية أوصى بها النبي ﷺ، د. سمير عبد الخالق عقار، الناشر: دار طويق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني أبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن عبد الملك (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

(٨) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، للقاضي عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفىٰ: ٥٤٤هـ)، المحقق: د. يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٩) البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١٠) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفىٰ: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفىٰ أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد (المتوفىٰ: ٨٥٢هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، الناشر: دار الفلق – الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

(١٢) التاريخ الكبير، للبخاري محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشرته دار المعارف الإسلامية، الهند ١٣٦٠هـ.

(١٣) التكميل في الجرح والتعْديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجَاهيل، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، نشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(١٤) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(١٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٩هـ.

(١٦) التوشيح شرح الجامع الصحيح، للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١)، تحقيق: رضوان جامع، طبعة مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(١٧) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (المتوفىٰ: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(١٨) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض (المتوفىٰ: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(١٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢٠) تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (المتوفىٰ: ٣٤٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

(٢١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط٢.

(٢٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، الهيتمي أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الناشر: المكتبة المصرية، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت).

(٢٣) تذكرة الحفاظ: للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٤، ١٣٩٠هـ.

(٢٤) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، اعتنىٰ به: حسان عبد المنان، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢٥) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٢٥هـ.

(٢٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢٧) الثقات، لابن حبان أبي حاتم محمد بن حبان بن معاذ البستي التميمي (ت٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٩٣هـ.

(٢٨) الجامع الصحيح: المعروف بصحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار ابن حزم، ط٢، ١٤٣٠هـ.

(٢٩) الجامع المسند الصحيح: المعروف بصحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. محمد حجازي، مؤسسة المختار، ط٢، ١٤٣١هـ.

(٣٠) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي عبدالرحمن بن محمد بن أحمد، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ.

(٣١) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي - شرح مختصر المزني -، لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٣٢) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٣٣) ذكر أخبار أصبهان، لأبي نُعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، مطبعة بريل ليدن، ١٩٣٤م.

(٣٤) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، للذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد، تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٥، ١٤٠٤هـ.

(٣٥) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، للفاكهاني أبو حفص عمرو بن علي بن سالم اللخمي (ت٧٣٤)، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٣٦) السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، طبعة دار الحديث، ط١، ١٣٩١هـ.

(٣٧) السنن، للترمذي محمد بن عيسىٰ، تحقيق: محمد بربر المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣١هـ.

(٣٨) السنن الكبرىٰ، للنسائي عبدالرحمن بن أحمد بن شعيب (المتوفىٰ ٣٠٣هـ)، المحقق: حسن شلبي. مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٣٩) السنن الكبرىٰ، للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخراساني، أبي بكر (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤٠) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد بلطة، المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٤١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح(المتوفىٰ: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٤٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٤٣) شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤٤) شرح السنة، للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤٥) شرح العمدة في الفقه، للحراني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت٧٢٨)، تحقيق: د. سعود النفيسان، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤٦) شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، لمحمد بن عزّ الدين عبدِ اللطيف بنِ عبدالعزيز بنِ الكَرمانيّ، المشهور بابن المَلَك (المتوفى: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٤٧) شرح مشكل الآثار، للطحاوي أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي (المتوفى ٣٥٤)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٤٩) صحيحُ ابن خُزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أَحَاديثه وَقدَّم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥٠) صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١١هـ.

(٥١) الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

(٥٢) الطب النبوي، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: أحمد البدراوي، الناشر: دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٥٣) الطب النبوي، للأصبهاني أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: مصطفىٰ خضر دونمز التركي، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٦م.

(٥٤) الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٥٥) طب النبي ﷺ، للمستغفري أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري، تحقيق: د. أحمد السلوم، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

(٥٦) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن ابن جعفر بن حيّان (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٥٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني أبو محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابىٰ الحنفي (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح عللـه ومـشكلاته، لمحمـد أشـرف بـن أميـر بـن علـي بـن حيـدر، أبي عبدالرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

(٥٩) غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٦٠) غريب الحديث، للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٦١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، طبع المطبعة السلفية، مصر.

(٦٢) الكاشف، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ط٤.

(٦٣) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦٤) الكاشف عن حقائق السنن المعروف بشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٦٥) الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن محمد الشهير (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦٦) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي أبي أحمد عبدالله بن عدي (ت٣٦٥هـ)، تحقيق: لجنة من المختصين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٦٧) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي المتوفى سنة (١١٨٨ هـ)، تحقيق: نور الدين طالب.

(٦٨) لسان العرب، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧٧١)، دار صادر - بيروت.

(٦٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٧٠) المجروحين من المحدثين والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان بن معاذ البستي التميمي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٥هـ.

(٧١) المراسيل، لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: عبدالعزيز السيروان، طبعة دار القلم، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)[1].

(١) اعتمدت هذه النسخة رغم قدمها مع أنه قد حقق الكتاب الشيخ شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - لأنه اعتمد على نسخة ناقصة وقد نقل تخريج الحديث المرسل الذي خرجته من تحفة الأشراف.

(٧٢) المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم أحمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق مصطفىٰ عبدالقادر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٧٣) المسند المعروف بـ(سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفىٰ: ٢٥٥هـ)، المحقق: نبيل هاشم الغمري، الناشر: دار البشائر (بيروت)، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٧٤) المسند، للإمام أحمد عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، ودار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

(٧٥) المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(٧٦) المغني، لابن قدامة المقدسي أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الدمشقي (المتوفىٰ: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٧٧) المنتقىٰ شرح الموطأ، للباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القرطبي الأندلسي (المتوفىٰ: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، ط١، ١٣٣٢هـ.

(٧٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي محي الدين أبو زكريا يحيىٰ بن شرف، تحقيق: د. وهبة الزحيلي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٧٩) المهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف، ط١، دار الفكر، مطبوع مع المجموع شرح المهذب.

(٨٠) الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، د. عبدالباسط السيد، أ. عبدالتواب عبدالله حسين، دار آلفا، ط٤، ١٤٠٣هـ -٢٠١٠م.

(٨١) الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى: ٧٤٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٨٢) الميسر في شرح مصابيح السنة، لفضل الله بن حسن بن حسين أبي عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (المتوفى: ٦٦١ هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى البازن، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٨٣) مختصر سنن أبي داود، لزكي الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى ٦٥٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد الفقي، الناشر: دار المعرفة، ط١.

(٨٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٨٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٨٦) معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

(٨٧) معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤٩٧هـ.

(٨٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت ط٣، ١٤٠٣هـ.

(٨٩) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني شمس الدين، محمد بن أحمد (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٩٠) موسوعة جابر لطب الأعشاب، د. جابر القحطاني، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٩١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.

(٩٢) النّظم المُسْتعذب في تفسير غريب ألفاظ المهَذّب، لابن بطال محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبي عبد الله (المتوفى: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

(٩٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٩٤) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، حققه على نسخه مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٩٥) وصل بلاغات الموطأ، لابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: المطبوعات الإسلامية.

(٩٦) (٩٠ تسعون) عشبة شافية في بيت العطار، أ. د. عبد الباسط محمد السيد، دار الحضارة، ط١، ٢٠٠٨م.

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

(1) Al-Ahkam An-Nabawiyyah fi As-Sina'ah At-Tibbiyyah, (The Prophetic Rulings in The Medical Profession), by Al-Hamawi, Abu Al-Hasan Ali Bin Abdul Karim Bin Tarkhan, edited by: Ahmad An-Nujooli, publisher: Dar Ibn Hazm, 2004.

(2) Al-Isabah fi Tamyeez As-Sahabah, by Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmad Bin Ali, pulisher: Al-Asriah Bookstore, 1st ed., 1433H- 2012.

(3) Al-Umm, by Ash-Shaafie Abu Abdullah Muhammad Bin Idrees Bin Al-Abbas Bin Uthman Bin Shaafi Bin Abdul Muttalib Bin Abdu Manaf Al-Muttalibi Al-Qurashi Al-Makki (died: 204H), publisher: Dar Al-Maarifah – Beorut, 1410H – 1990.

(4) Al-Ansab, by As-Samaani, Abdul Karim Bin Muhammad Bin Mansoor At-Tamimi Al-Muroozi (died: 562H), editor: Abdur Rahman Bin Yahya Al-Muallimi Al-Yamani, publisher: Committee of the Circle of Ottoman Knowledge, Hyderabad, 1st ed., 1382H – 1962.

(5) Ikhtisar Uloom Al-Hadeeth, (A Summary of the Sciences of Hadeeth), by Ibn Katheer Ad-Dimashqi Ismaeel Ibn Umar Bin Katheer Al-Qurashi (died: 774H), edited by: Ahmad Muhammad Shakir, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd ed.

(6) Adwiyah Awsa Biha An-Nabiyy, (Medicine Prescribed by the Prophet Muhammad – peace be upon him-), Dr Sameer Abdul Khaaliq Aqqar, publisher: Dar Tuwaiq, 1st ed., 1425H – 2004.

(7) Irshad As-Saarili Sharh Saheeh Al-Bukhari, by Al-Qastalani Abi Al-Abbas Ahmad Bin Muhammad Ibn Abi Bakr Ibn Abdul Malik (died: 92H), publisher: Al-Ameeriyyah Grand Press, Egypt, 7th ed., 1323H.

(8) Ikmal Al-Muallim Bifawaid Saheeh Muslim, by Al-Qadhi Iyadh Bin Musa Bin Iyadh Bin Amroon Al-Yahsubi As-Sabti, Abu Al-Fadhl (died: 544H), editor: Dr Yahya Ismaeel, publisher: Dr Al-Wafaa Printers Publishers and Distributors, Egypt, 1st ed., 1419H – 1998.

(9) Al-Bahr Al-Muheet fi Usool Al-Fiqh, by Abu Abdullah Badruddin Muhammad Bin Abdullah Bin Bahadir Az-Zarkashi (died: 794H), publisher: Dar Al-Katabi, 1st ed., 1414H – 1994.

(10) Al-Badr Al-Muneer fi Takhreej Al-Ahadeeth wa Al-Athaar Al-Waaqiah fi Ash-Sharh Al-Kabeer, by Ibn Al-Mulaqqin Sirajuddin Abu Hafs Umar Bin Ali Bin Ali Bin Ahmad Ash-Shaafie Al-Masri (died: 804H), editor: Mustafa Abu Al-Ghaidh, and Abdullah Bin Sulaiman, and Yasir Bin Kamal, publisher: Dar Al-Hijrah Publisher and Distributor, Riyadh, Saudi Arabia, 1st ed., 1425H – 2004.

(11) Buloogh Al-Maram min Adillat Al-Ahkam, by Ibn Hajar Al-Asqalani Abu Al-Fadhl Ahmad Bin Ali Ibn Muhammad Bin Ahmad (died: 852H), edited and commented on by: Sameer Bin Ameen Az-Zuhri, publisher: Dar Al-Falaq – Riyadh, 1st ed., 1424H.

(12) At-Tareekh Al-Kabeer, by Al-Bukhari Muhammad Bin Ismaeel (died 256H), edited by: a group of scholars, published by Dar Al-Maarif Al-Islamiyyah, India 1360H.

(13) At-Takmeel fi Al-Jarh wa At-Tadeel wa Maarifat Ath-Thiqat wa Adhuafaa wa Al-Majaheel, by Abi Al-Fadda Ismaeel Bin Umar Bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri and then Ad-Dimashqi (died:774H), edited by: Dr Shadi Bin Muhammad Bin Salim Aal Nouman, publisher: An-Nouman Centre for Research and Islamic Studies, and Cultural Achievement and Translation, Yemen, 1st ed., 1432H – 2011.

(14) At-Talkhees Al-Habeer fi Takhreej Ahadeeth Ar-Raafie Al-Kabeer, by Ibn Hajar Al-Asqalani Abu Al-Fadhl Ahmad Ibn Ali (died: 852H), edited by: Abu Aasim Hasan Bin Abbas, publisher: Qurtuba Foundation, 1st ed., 1416H – 1995.

(15) At-Tamheed lima fi Al-Muwatta min Al-Maani wa Al-Asaneed, by Ibn Abdul Barr Abu Umar Yusuf Bin Abdullah Bin Muhammad Bin Abdul Barr Bin Aasim An-Namri Al-Qurtubi, edited by: Mustafa Bin Ahmad Al-Alawi, Muhammad Abdul Kabeer Al-Bakri, publisher: Ministry of Trusts and Islamic Affairs, Morrocco, 1389H.

(16) At-Tawsheeh Sharh Al-Jami As-Saheeh, by As-Siyouti Abdur Rahman Bin Abi Bakr, (died 911H), edited by: Ridhwan Jaami, Ar-Rushd Bookstore edition Riyadh, 1st ed., 1419H – 1998.

(17) At-Tayseer Bisharh Al-Jami As-Sagheer, by Al-Mannawi Zainuddin Abdur Raoof Bin Taj Al-Aarifeen Bin Ali Bin Zain Al-Aabideen Al-Haddadi (died: 1031H), publisher: Al-Imam Ash-Shaafie Bookstore – Riyadh, 3rd ed., 1408H – 1988.

(18) Taj Al-Aroos min Jawaher Al-Qamoos, by Az-Zubaidi Muhammad Bin Muhammad Bin Abdur Razzaq Al-Husaini, Abu Al-Faydh (died: 1205H), a group of editors, publisher: Dar Al-Hidayah.

(19) Taareekh Al-Islam wa Wafiyyat Al-Mashaheer wa Al-Aalam, by Ath-Thahabi Muhammad Bin Ahmad Bin Uthman (died 748H), edited by: Dr Abdus Salam Tadmuri, publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

(20) Taareekh Ibn Yunus Al-Masri, Abdur Rahman Bin Ahmad Bin Yunus As-Sadafi, Abu Saeed (died: 347H), publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421H.

(21) Taareekh Baghdad, by Al-Khateeb AL-Baghdadi Abi Bakr Ahmad Bin Ali Bin Thabit (died 463H), publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi – Beirut, 2nd ed.

(22) Tuhfat Al-Muhtaj fi Sharh Al-Minhaj, Al-Haitami Ahmad Bin Muhammad Bin Ali Bin Hajar, publisher: Al-Masriah Bookstore, 1357H – 1983, (then photocopied by Dar Ihya At-Turath Al-Arabi – Beirut, n.d, n.d).

(23) Tathkirat Al-Huffath: by Al-Imam Abu Abdullah Muhammd Bin Ahmaf Bin Uthman Ath-Thahabi (748H, Circle of Ottoman Studies), India, 4th ed., 1390H.

(24) Taqreeb At-Tathheeb, by Ibn Hajar Al-Asqalani Shihabuddin Ahmad Bin Ali Bin Hajar (died 852H), under the care of: Hassan Abdul Mannan, Bayt Al-Afkar International Edition.

(25) Tahtheeb At-Tahtheeb, by Ibn Hajar Al-Asqalani Shihabuddin Ahmad Bin Ali (died 852H), Circle of Ottoman Studies, Hyderabad, 1325H.
(26) Tahtheeb Al-Kamal fi Asmaa Ar-Rijal, Al-Muzzi Jamaluddin Abu Al-Hajjaj Yusuf Al-Mazzi (died 742H), edited by: Dr Bashar Awwaad, Ar-Risalah Foundation edition, 2nd ed., 1413H – 1992.
(27) Ath-Thiqat, by Ibn Hibban Abu Haatim Muhammad Bin Hibban Bin Muath Al-Busti ATamimi (died 354H), printed with the help of: Ministry of Education for the Indian Government, published by the Circle of Ottoman Studies, Hyderabad, 1st ed., 1393H.
(28) Al-Jami As-Saheeh: known as Saheeh Muslim, by Abu Al-Husain Muslim Bin Al-Hajjaj An-Naisaboori, edited by: Muhamamd Fuaad Abdul Baqi, Dar Ibn Hazm, 2nd ed., 1430H.
(29) Al-Jami Al-Musnad As-Saheeh: known as Saheeh Al-Bukhari, Al-Imam Muhamamd Bin Ismail Al-Bukhari (died 256H), edited by: Dr Muhammad Hijazi, Al-Mukhtar Foundation, 2nd ed., 1431H.
(30) Al-Jarh wa At-Taadeel, by Ibn Abi Haatim Ar-Razi Abdur Rahman Bin Muhammad Bin Ahmad, edited by: Abdur Rahman Al-Muallimi, published by Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1371H.
(31) Al-Hawi Al-Kabeer fi Fiqh Mathhab Al-Imam Ash-Shaafie – Sharh Mukhtasar Al-Muzni -, by Abu Al-Hasan Ali Bin Muhammad Bin Muhammad Al-Baghdadi, known as Al-Mawurdi (died: 450H), editor: Shiekh Ali Muhammad Muawwidh, and Shiekh Aadil Ahmad Abdul Mawjood, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1419H – 1999.
(32) Hashiyat As-Sanadi ala Sunan An-Nisaaie (printed with *As-Sunan*), Abdur Rahman Bin Abu Bakr jalauddin As-Siyouti (died: 911H), publisher: Islamic Publishing Office – Halab, 2nd ed., 1406H – 1986.
(33) Thikr Akhbar Asbahan, by Abu Nuaim Ahmad Bin Abdullah Al-Asbahani (died: 430H), Braille Liden Press, 1934.
(34) Thikr Man Yu'tamad Qawluh fi Al-Jarh wa At-Tadeel, by Ath-Thahabi Al-Imam Shamsuddin Muhammad Bin Ahmad, edited by: Shiekh Abdul Fattah Abu Ghuddah, Islamic Publications Bookstore, Halab, 5th ed., 1404H.
(35) Riyadh Al-Afham fi Sharh Umdat Al-Ahkam, by Al-Fakihani Abu Hafs Amr Bin Ali Bin Salim Al-Lakhmi (died: 734H), edited by: Nooruddin Talib, publisher: Dar An-Nawadir, 1st ed., 1431H – 2010.
(36) As-Sunan, by Abu Dawood Sulaiman Bin Al-Ashath As-Sijistani, edited by: Izzat Ubaid Ad-Daas, and Aadil As-Saif, Dar Al-Hadeeth Edition, 1st ed., 1391H.
(37) As-Sunan, by At-Tirmithi Muhammad Bin Isa, edited by: Muhammad Barbar Al-Asriah Bookstore, 1st ed., 1431H.
(38) As-Sunan Al-Kubra, by An-Nisaaie Abdur Rahman Bin Ahmad Bin Shuaib (died: 303H), editor: Hasan Shalabi. Ar-Risalah Foundation, 1st ed., 1421H – 2001.
(39) As-Sunan Al-Kubra, by Al-Baihaqi Ahmad Bin Al-Husain Bin Ali Bin Musa Al-Khurasani, Abi Bakr (died: 458H), editor: Muhammad Abdul Qadir Ataa, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 3rd ed., 1424H – 2003.

(40) Subul As-Salam Sharh Buloogh Al-Maram min Adillah Al-Ahkam, by Muhammad Bin Ismaeel As-Sanaanie, edited by: Muhammad Balatah, Al-Asriah Bookstore, 1430H – 2009.

(41) Silsilat Al-Ahadeeth Ash-Dhaeefah wa Al-Mawdhooah wa Atharuha As-Saie Lada Al-Ummah, (The Series of Weak *Ahadeeth* and Their Effect on The Ummah), Al-Albany, Abu Abdur Rahman Muhammad Nasiruddin, Bin Al-Hajj Noah (died: 1420H), Dar Al-Maarif, Riyadh, 1st ed., 1412H – 1992.

(42) Siyar Aalaam An-Nubala', by Ath-Thahabi Shamsuddin Muhammad Bin Ahmad Bin Uthman (748H), edited by: a group of professors, Ar-Risalah Foundation, Beirut, 1st ed., 1403H.

(43) Sharh Az-Zarqani ala Muwatta Al-Imam Malik, by Muhammad Bin Abdul Baqi Bin Yusuf Az-Zarqani Al-Masri Al-Azhari, edited by: Taha Abdur Raoof Saad, publisher: Religious Cultural Bookstore, Cairo, 1st ed., 1424H – 2003.

(44) Sharh As-Sunnah, by Al-Baghawi Abu Muhammad Al-Husain Bin Masood Bin Muhammad Bin Al-Farra Ash-Shaafie (died: 516H), edited by: Shuaib Al-Arnaoot, Muhammad Zuhair Ash-Shaweesh, publisher: Al-Maktab Al-Islami – Damascus, Beirut, 2nd ed., 1403H – 1983.

(45) Sharh Al-Umdah fi Al-Fiqh, by Al-Harrani Taquiddin Abu Al-Abbas Ahmad Bin Abdul Haleem Bin Ibn Taimiyyah (died 728H), edited byL Dr Saud An-Nufaisan, Al-Obaikan Bookstore, 1st ed., 1412H.

(46) Sharh Masabeeh As-Sunnah by Al-Imam Al-Baghawi, by Muhammad Bin Izzuddin Abdul Lateef Bin Abdul Aziz Bin Al-Karamani, known as Ibn Al-Malik (died: 854H), edited and studied by: a specialized committee of editors under the supervision of: Nooruddin Taalib, publisher: Administration of Islamic Culture, 1st ed., 1433H – 2012.

(47) Sharh Mushkil Al-Athaar, by At-Tahawi Abu Jaafar Ahmad Bin Muhammad Bin Salamah Bin Abdul Malik Bin Salamah Al-Azdi Al-Hajari Al-Masri (died: 321H), edited by: Shuaib Al-Arnaoot, publisher: Ar-Risalah Foundation – Beirut, 1st ed., 1415H – 1994.

(48) Saheeh Ibn Hibban in the order if Ibn Balban, by Muhammad Ibn Hibban Bin Ahmad Abu Al-Haatim Al-Busti (died 354H), edited by: Shuaib Al-Arnaoot, Ar0Risalah Foundation – Beirut, 2nd ed., 1414H – 1993.

(49) Saheeh Ibn Khuzaimah, by Abu Bakr Muhammad Ibn Ishaq Bin Khuzaimah Bin Al-Mugheerah Bin Saleh Bin Bakr As-Sulami An-Naisaboori (died: 311H), edited, commented on, and introduced by: Muhammad Mustafa Al-A'thami, publisher: The Islamic Office, 3rd ed., 1424H – 2003.

(50) Saheeh Sunan Abu Dawood, by Muhammad Nasiruddin Al-Albany, Al-MAktab Al-Islami, 2nd ed., 1411H.

(51) At-Tibb An-Nabawi, (The Prophetic Medicine), (part of Zad Al-Maad by Ibn Al-Qayyim), by Muhammad Bin Abu Bakr Bin Ayoob Bin Saad Shamsuddin Ibn Qayyim Al-Jawziyyah (died: 751H), publisher: Dar Al-Hilal – Beirut.

(52) At-Tibb An-Nabawi, (The Prophetic Medicine), by Ath-Thahabi Muhammad Bin Ahmad Bin Uthman, edited by: Ahmad Al-Badrawi, publisher: Dar Ihya Al-Uloom, 1410H – 1990.
(53) At-Tibb An-Nabawi, by Al-Asbahani Abu Naeem Ahmad Bin Abdullah Bin Ahmad Bin Ishaq Bin Musa Bin Muhran (died: 430H), editor: Mustafa Khidr Dunamz At-Turki, publisher: Dar Ibn Hazm, 1st ed., 2006.
(54) At-Tabaqat Al-Kubra, by Ibn Saad Abdullah Muhammad Bin Saad Bin Manee Al-Hashimi Al-Basri Al-Baghdadi (died 230H), editor: Muhammad Abdul Qadir Ataa, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1410H.
(55) Tibb An-Nabiyy – peace be upon him –, (The Medicine of The Prophet – peace be upon him-), by Al-Mustaghfiri Abu Al-Abbas Jaafar Bin Muhammad Al-Mustaghfiri, edited by: Dr Ahmad As-Salloom, 1st ed., 1437H – 2016.
(56) Tabaqat Al-Muhadditheen Bi Isbahan wa Al-Warideen Alayha, by Abu Muhammad Abdullah Bin Muhammad Bin Ibn Jaafar Bin Hayyan (died 368H), editor: Abdul Ghaffar Sulaiman Al-Bandari, and Syed Kusrawi Hasan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1409H.
(57) Umdat Al-Qari Sharh Saheeh Al-Bukhari, Al-Aini Abu Muhammad Mahmood Bin Ahmad Bin Musa Bin Ahmad Bin Husain Al-Ghayyabi Al-Hanafi (died: 855H), publisher: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi – Beirut.
(58) Awn Al-Maabood Sharh Sunan Abu Dawood, and with it the footnotes of Ibn Al-Qayyim: Tahtheeb Sunan Abu Dawood wa Iedhah Ilalihi wa Mushkilatih, by Muhammad Ashraf Bin Ameer Bin Ali Bin Haider, Abu Abdur Rahman, Sharaf Al-Haqq, As-Siddiqee, Al-Atheemabadi (died: 1329H), publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah – Beirut, 2nd ed., 1415H.
(59) Ghareeb Al-Hadeeth, by Abu Ubaid AL-Qasim Bin Sallam Bin Abdullah Al-Harawi (died: 224H), editor: Dr Muhammad Abdul Mueed Khan, publisher: Circle of Ottoman Studies Press, Hyderabad, 1st ed., 1384H – 1964.
(60) Ghareeb Al-Hadeeth, by Al-Khattabi Abu Sulaiman Hamad Bin Muhammad Bin Ibrahim Bin Al-Khattab Al-Busti (died: 388H), editor: Abdul Kareem Ibrahim Al-Gharbawi, takhreej of the hadeth by: Abdul Al-Qayyoom Abd Rabb An-Nabiy, publisher: Dar Al-Fikr – Damascus, 1402H – 1982.
(61) Fath Al-Bari Sharh Saheeh Al-Bukhari, by Ibn Hajar Al-Asqalani Abu Al-Fadhl Ahmad Bin Ali Bin Hajar (died 852H), printed by As-Salafiyyah Bookstore, Egypt.
(62) Al-Kaashif By Shamsuddin Muhammad Bin Ahmad Ath-Thahabi, undre the care of: Hassan Abdul Mannan, Bayt Al-Afkar International, 4th ed.
(63) Fath Al-Wahhab Bisharh Manhaj At-Tullab, by Zakaria Bin Muhammad Bin Ahmad Bin Zakaria Al-Ansari, Zainuddin Bu Yahya As-Saneeki (died: 926H), publisher: Dar Al-Fikr Publisher and Distributor, 1414H – 1994.
(64) Al-Kaashif an Haqaiq As-Sunan known as Sharh At-Taibi ala Mishkat Al-masabeeh, by Sharaf Ad-Deen Al-Husaib Bin Abdullah At-Taibi (743H), edited by: Dr Abdul Hameed Al-Hendawi, publisher: Nizar Mustafa Al-Baz Bookstore – Makkah AL-Mukarramah, 1st ed., 1417H – 1997.

(65) Al-Kafi fi Fiqh Al-Imam Ahmad, by Ibn Qudamah Al-Maqdisi Abu Muhammad Muwaffaq Ad-Den Abdullah Bin Muhammad Ash-Shaheer (died: 620H), publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed., 1414H – 1994.
(66) Al-Kamil fi Dhuafaa Ar-Rijal, by Ibn Uday Abu Ahmad Abdullah Bin Uday (died 365H), edited by: a group of specialists, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st ed., 1404H.
(67) Kashf Al-Litham Sharh Umdat Al-Ahkam, by Al-Imam Shamsuddin Muhammad Bin Ahmad Bin Salim As-Safareeni An-Nabulsi Al-Hanafi died (1188H), edited by: Nooruddin Taalib.
(68) Lisan Al-Arab, by Ibn Manthoor Jamaluddin Muhammad Bin Mukarram (died 771h), Dar Sadir – Beirut.
(69) Faydh Al-Qadeer Sharh Al-Jami As-Sagheer, Al-Manawi Zainuddin Muhammad known as Abdur Raoof Bin Taj Al-Aarifeen Bin Ali Bin Zain Al-Aabideen Al-Haddadi 9died: 1031H), publisher: The Grand Trade Bookstore – Egypt, 1st ed., 1356H.
(70) Al-Majrooheen min Al-Muhadditheen wa Al-Matrookeen, by Abu Haatim Muhammad Bin Hibban Bin Muath Al-Busti At-Tamimi (died 354H), edited by: Mahmood Ibrahim Zayed, Dar Al-Waiy, Halab, 1st ed., 1395H.
(71) Al-Maraseel, by Sulaiman Bin Al-Ashath Al-Azdi As-Sijistani, edited by: Abdul Aziz As-Seerawan, Dar Al-Qalam edition, (1406H – 1986).
(72) Al-Mustadrak Ala As-Saheehain, Al-Hakim Ahmad Bin Abdullah An-Naisaboori, edited by Musafa Abdul Qadir, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah edition, Beirut, 1408H.
(73) Al-Musnad known as (Sunan Ad-Daarimi), by Abu Muhammad Abdullah Bin Abdur Rahman Bin Al-Fadhl Bin Bihram Bin Abdus Samad Ad-Darimi, At-Tamimi As-Samarqandi (died: 255H), editor: Nabeel Hashim Al-Umari, publisher: Dar Al-Bashair (Beirut), 1st ed., 1434H – 2013.
(74) Al-Musnad, by Al-Imam Ahmad Abdullah Ahmad Bin Muhammad Ash-Shaibani (died 241H), Al-Maktab Al-Islami, and Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1398H.
(75) Al-Musannaf, by Abdur Razzaq Bin Hammam As-Sanaani (died 211H), edited by: Shiekh Habibur Rahman Al-Aathami, Al-Maktab Al-Islami, Beirut, 2nd ed., 1403H.
(76) Al-Mughni, by Ibn Qudamah Al-Maqdisi Abu Muhammad Muwaffaqudin Abdullah Bin Ahmad Bin Muhammad Ad-Dimashqi (died: 620H), publisher: Cairo Bookstore, n.d, 1388H- 1968.
(77) Al-Muntaqa Sharh Al-Muwatta, by Al-Baji Abu Al-Waleed Sulaiman Bin Khalaf Bin Saad Bin Ayyoob Bin Warith Al-Qurtubi Al-Andalusi (died: 474H), publisher: As-Saadah Bookstore, 1st ed., 1332H.
(78) Al-Minhaj Sharh Saheeh Muslim Bin Al-Hajjaj, by An-Nawawi Muhyiddin Abu Zakaria Yahya Bin Sharaf, edited by: Dr Wahbah Az-Zuhaili, Al-Asriah Bookstore, 1st ed., 1432H – 2011.
(79) Al-Muhathab fi Fiqh Al-Imam Ash-Shaafie, by Ash-Sheerazi Abu Ishaq Ibrahim Bin Yusuf, 1st ed., Dar Al-Fikr, printed with Al-Majmou Sharh Al-Muhathab.

(80) Al-Mawsooah Al-Umm lil-Ilaj bi Al-A'shab wa An-Nabatat At-Tibiyyah, (The Mother Encyclopedia for Herb and Medical Plants Treatment), Abdul Basit As-Syed, Prof. Abdut-Tawwab Abdullah Husain, Dar Aalfa, 4th ed., 1403H – 2010.

(81) Al-Mouqithah fi Ilm Mustalah Al-Hadeeth, by Ath-Thahabi Shamsuddin Abu Abdullah Muhammad Bin Ahmad Bin Uthman (died: 748H), took care of it: Abdul Fattah Abu Ghuddah, publisher: Islamic Printing Bookstore Halab, 2nd ed., 1412H.

(82) Al-Muyassar fi Sharh Masabeeh As-Sunnah, by Fadhlullah Bin Hasan Bin Husain Abu Abdullah Shihabuddin At-Tooribishti (died: 661H), editor: Dr Abdul Hameed Hendawi, publisher: Nizar Mustafa Al-Bazin Bookstore, 2nd ed., 1429H – 2008.

(83) Mukhtasar Sunan Abu Dawood, by Zakiuddin Abu Muhammad Abdul Atheem Bin Abdul Qawiyy Al-Munthiri (died: 656H), edited by: Ahmad Shakir, and Muhammad Al-Faqqi, publisher: Dar Al-Maarifah, 1st ed.

(84) Mirqat Al-Mafateeh Sharh Mishkat Al-Masabeeh, by Ali Bin (Sultan) Muhammad, Abu Al-Hasan Nooruddin Al-Malla Al-Harawi Al-Qari (died: 1014H), publisher: Dar Al-Fikr, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1422H – 2002.

(85) Miraat Al-Mafateeh Sharh Mishkat Al-Masabeeh, by Abu Al-Hasan Ubaidullah Bin Muhammad Abdus Salam Bin Khan Muhammad Bin Amanullah Bin Husamuddin Ar-Rahmani Al-Mubarkafuri (died: 1414H), publisher: The Administration of Scientific Research, Dawah, and Ifta – As-Salafiyyah University – Banaras India, 3rd ed., 1404H – 1984.

(86) Maalim As-Sunan Sharh Sunan Abu Dawood, by Al-Khattabi Abu Sulaiman Hamad Bin Muhammad Bin Ibrahim Bin Al-Khattab (died: 388H), publisher: Al-Ilmiyyah press – Halab, 1st ed., 1351H – 1932.

(87) Mujam Al-Buldan, by Shihabuddin Abu Abdullah Yaaqut Bin Abdullah Al-Hamawi Ar-Roomi Al-Baghdadi (died 626H), Dar Sader, Beirut, 1497H.

(88) Mujim ma Ista'jam min Asma Al-Bilad wa Al-Mawadhi', (The Dictionary of The Names of Lands and Places), by Abu Ubaidullah Abdullah Bin Abdul Aziz Bin Muhammad Al-Bakri Al-Andalusi (died: 487H), publisher: Aalam Al-Kutub, Beirut, 3rd ed., 1403H.

(89) Mughni Al-Muhtaj ila Maarifat Maani Alfath Al-Minhaj, by Al-Khateeb Ash-Sharbeeni Shamsuddin, Muhammad Bin Ahmad (died: 977H), publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed., 1415H – 1994.

(90) Mawsooat Jaber Litibb Al-Aashab, (The Jaber Homeopathic Encyclopedia), Dr Jaber Al-Qahtani, Al-Obaikan Bookstore, 2nd ed., 1429H – 2008.

(91) Meezan Al-I'tidal fi NAqd Ar-Rijal. By Ath-Thahabi Muhammad Bin Ahmad Bin Uthman (died: 748H), edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi, Dar Al-Maarifah, Beirut, 1st ed., 1382H.

(92) An-Nathm Al-Musta'thab fi Tafseer Ghareeb Alfath Al-Muhathab, by Ibn Battal Muhammad Bin Ahamd Bin Muhammad Bin Sulaiman Bin Battal Ar-Rakbi, Abu Abdullah (died: 633H), studied, edited, and commented on by: Dr Mustafa Abdul Hafeeth Salim, At-Tijariyyah Bookstore, Makkah Al-Mukarramah, 1988.

(93) An-Nihayah fi Ghareeb Al-Hadeeth wa Al-Athar, by Ibn Al-Atheer Abu As-Saadaat Al-Mubarak Bin Muhammad Al-Jazri (died 606H), edited by: Taher Az-Zawi, and Mahmood At-Tanaji, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiah, Cairo.

(94) Nuzhat An-Nathar fi Tawdheeh Nukhbat Al-Fikr fi Mustalah Ahl Al-Athar, by Ibn Hajar Abu Al-Fadhl Ahmad Bin Ali Bin Muhammad Al-Asqalani (died: 852H), edited a copy read to the author and provided commentary: Nooruddin Itr, As-Sabah Press, Damascs, 3rd ed., 1421H – 2000.

(95) Wasl Balaghat Al-Muwatta, by Ibn As-Salah Abu Amr Uthman Bin Abdur Rahman (died: 643H), edited by: Abdul Fattah Abu Ghuddah, publisher: Islamic Printing.

(96) (90 Tis'oon) Ushbah Shafiyah fi Bayt Al-Attar, (90 Ninety) Curing Herbs at The Herbalist), Prof. Abdul Basit Muhammad As-Syed, Dar Al-Hadharah, 1st ed., 2008.

❋ ❋ ❋

منظمة شهود يهوه
أصولهم ومبادؤهم

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد
د. سعاد بنت محمد السويد

أستاذ مساعد، بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

smalsoed@pnu.edu.sa

منظمة شهود يهوه أصولهم ومبادؤهم

المستخلص: نشأت جمعية «شهود يهوه» في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٧٠م، وسبب النشأة أن الراهب تشارلز رصل **Charles Taze Russel** (١٨٥٢ - ١٩١٦)م، الذي تأثرا بأحداث طفولته، وبمذهبه، جمع حوله أفراداً من النصارىٰ واليهود، ليكونوا لهم مسيحية جديدة، مخالفة للتي عند الطوائف المسيحية الأخرىٰ، فالتصق تشارلز بالسبتيين «الأدفنتست»، تأثر بهم وبعقائدهم، وقد تسمىٰ هؤلاء بعدة أسماء آخرها شهود يهوه، فصنعوا نصرانية يهودية، لها أفكارها وأحلامها، ورفضوا بعض آيات «الكتاب المقدس»، وآمنوا بالمسيح علىٰ طريقة جديدة، وحددوا نهاية العالم بحلول الملكوت المطلق للمسيح عام ١٩١٤ م، فادعوا أن إسرائيل ستكون مؤيدة تأييدا إلهيا، وستعود إسرائيل إلىٰ «أرض الموعد» أرض فلسطين في «معركة هرمجدون» التي ستكون بين قوىٰ الخير والشر، وسيُهزَم الشيطان ويُحطم الأشرار المسيحيين بجميع طوائفهم وسيشارك «شهود يهوه» في حكم العالم مع المسيح، فمملكة المسيح ليست مفارقة للأرض، بل هي مملكة كل ما فيها مثال إذ ستمتلئ الدنيا عدلاً بعد أن امتلأت جوراً، فهم يؤمنون بيهوه إلها ويسوع (عيسىٰ) رئيسا لمملكة الله، ولا يؤمنون بجنة أو نار حقيقية، فالجنة هي الحياة الأبدية في الدنيا لهم خاصة أربعة عشر ألفاً منهم هم الذين يبقون ويخلدون، والهاوية الموت، ينكرون العبادة الجمهورية، ليس لهم كنائس ولكن أماكن للاجتماع، لا يؤمنون بطبيعة الخطيئة من أدم، لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لهدف واحد من خلال دعوتهم للعالمية، والإخاء؛ ألا وهو بقاؤهم وخلودهم بعد القضاء علىٰ الشر (النصارىٰ بجميع فرقها والمسلمون وجميع الديانات، فهي جميعها وثنية) بمعونة يهوه.

الكلمات المفتاحية: تشارلز رصل، شهود يهوه، منظمة تبشيرية، ماسونية.

* * *

The Origins And Principles of Jehovah's Witnesses

Abstract: The Jehovah's Witnesses Association originated in the United States in 1870. It was established by a monk called Charles Taze Russel (1852 -1916) who, influenced by certain events from his early childhood and religious ideologies, gathered some members of Christian and Jewish origins and created a new Christian sect, different from all the other sects. He initially adhered to the Seventh-day Adventists and became influenced by their beliefs. The movement was given several names and 'Jehovah's Witness' was the last. They created a Jewish Christianity with distinct ideas and aspirations. They also denied some verses of the Bible, changed the nature of their beliefs in Christ, and predicted the year 1914 to be the year when Israel will have heavenly support and return to the Promised Land after the Battle of Armageddon between good and Evil, which will end in the defeat of Satan and the destruction of all the other Christian sects. Then, God will extend his heavenly kingdom to include earth with Christ as his supreme ruler with the participation of Jehovah's Witnesses. God's Kingdom, as they refer to it, will be transformed into a paradise similar to the Garden of Eden. They believe in Jehovah as a God, and Jesus Christ as the minister of God's Land. They do not believe in Heaven and Hell, or the afterlife. Instead, they believe that Heaven is an eternal life for the 14,000 Jehovah's witnesses and that Death is the abyss. They deny constitutional worshipping and the establishment of churches, but they have places for meeting. They do not believe in the Original Sin. They have strong alliances with Israel and International Jewish Organizations, like the Freemasons. Generally speaking, they embrace many Jewish beliefs and hope to achieve one purpose through their calling for globalization and fraternity; their survival and supremacy with the aid of Jehovah after the destruction of the evil forces, including all the other religious parties Muslims, non-Muslims and other Christian sects.

Keywords: Charles Russel- Jehovah's Witness- missionary organization- freemasons.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان وأنعم عليه بالإيمان، والصلاة والسلام علىٰ آخر نبيٍّ؛ محمد بن عبد الله ﷺ، دعا إلىٰ التوحيد، وبُعث للناس عامة، بشريعة تغني البشرية عن التخبطات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

تخلف كثير من المسلمين، فعاد الباطل إلىٰ الظهور؛ وكان الاحتلال بأنواعه والتنصير بأدواته، والجهل والخور، ولم تجد البشرية في طريقها إلا بضاعة هزيلة، متشدقة بكلمات المحبة والحياد والإنسانية وغيرها من صور التنصير بأفكار وثنية في أثواب نصرانية؛ يهودية، ومن أبرزهم «شهود يهوه»، فهي من أخطر الجماعات التي تنسب نفسها إلىٰ المسيحية وهيٰ ليست كذلك، أي أنهم أشخاص يحاولون الاندساس بين المسيحيين وكأنهم مسيحيون! ولكنهم في الحقيقة أقرب إلىٰ الديانة اليهودية من الديانة المسيحية، فهم يخالفون كنائس العالم النصراني علىٰ اختلاف فرقه في كثير من العقائد والأفكار، بل حتىٰ في ترجمة كثير من الآيات المحرفة فيما يسمىٰ بـ«الكتاب المقدس»، الكتاب الذي يقولون عنه «نعم، الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحىٰ بها» ويقولون «يهوه الله بصفته مؤلف الكتاب

المقدس»[1] إلا أنهم قالوا: «الذين كتبوا الكتاب المقدس أبقوا أنفسهم بعيدا عن الأضواء، وفي بعض الحالات يصعب تحديد من كتب أجزاء الكتاب المقدس»[2]، ويزعمون أنهم علىٰ النصرانية الحقيقية.

يقومون بدور خطير في التنصير فنشاطاتهم مستمرة في تبليغ دعوتهم الباطلة، ونشر أفكارهم ومعتقداتهم سواء في بلادهم أو في بلاد المسلمين، وعلىٰ الأخص بين العمال المسلمين الذين يعملون في أوروبا وأمريكا، ويعتمدون في نشر دعاياتهم علىٰ نشرات خاصة مترجمة إلىٰ جميع لغات العالم، وعلىٰ وعاظ متجولين[3] ووعاظ يعظون في المنازل، حيث يزعمون أن الله اختارهم ليقوموا بدور الشهادة عن الله، وان لا يفتروا حتىٰ تغمر تلك الشهادة كل الأرض، وقد استشعر علماؤنا هذا الخطر ودافعوا عن الإسلام، ببيان حقيقته قال الشيخ أحمد ديدات أنهم: «الأكثر إعداداً واستعدادا في معركتهم ضد المسحيين الآخرين وضد المسلمين»[4].

ونحن هنا نستشعر هذا الخطر وأنه يحتاج إلىٰ جنود أكثر مما نتخيل،

(١) انظر: مجلة استيقظ ١٩٩٤م يونيو، ص (٨)، مجلة برج المراقبة ١٩٩٤م أكتوبر، ص (٣).

(٢) برج المراقبة ١٩٩٥م، ص (٤).

(٣) وقد وقفت علىٰ ذلك أثناء حضوري مؤتمراً في فينا وتمت دعوتي إلىٰ الدين العالمي دين يهوه وإعطائي كتبهم باللغة العربية وبطاقة فيها موقعه الرسمي بوجوه باسمة، ولباقة جذابة.

(٤) الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص (٧٠).

وليس ذلك لحماية المسلمين فقط ولكن لدعوة غير المسلمين التي تحتاج لإزاحة الجهل عن النفوس التائهة حتىٰ تعود إلىٰ خالقها.

في هذا الموضوع بإذن الله سيكون بحثي لإيضاح حقيقتهم وفضح مخططاتهم وتوعية المسلمين بخطرهم.

مما يدل علىٰ أهمية هذا البحث:

١ - تعلقه بالعقيدة، لكون المنظمة تعادي جميع العقائد الدينية.

٢ - يبين هذا البحث حقيقة هذه المنظمة، ويكشف عن مؤامراتهم؛ لما رأيته من خطرهم وسرعة انتشارهم في كل مكان في العالم[1].

٣ - يكشف البحث ما وراء عبارات أصحاب هذه المنظمة، ويبين خطورة أفكارهم.

منهجي في البحث:

لقد اعتمدت في تقرير عقائدهم وغيرها من المواقف علىٰ كتبهم ومنشوراتهم، وقد استعنت بكتابة العلماء عنهم.

خطة البحث:

وسيكون بحثي بإذن الله في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

- **التمهيد:** تعريف منظمة شهود يهوه بأنفسهم، وما قيل عنهم.

(١) انظر: الخداع والتنصير شهود يهوه وخدعة التنصير الجديد، لمحمد عبدالله، ص (٨١).

- **المبحث الأول:** النشأة والتطور.
- **المبحث الثاني:** الأفكار والمعتقدات، والانتشار والأتباع.
- **الخاتمة.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**

واجهت أثناء البحث بعض المشكلات، منها: قلة المراجع، وقلة المادة العلمية فيها، ويمكن أن يكون سبب ذلك هو ظهورهم المتأخر؛ حيث ما كان لهم وجود قبل منتصف القرن التاسع عشر، واتهام النصارىٰ لهم بالكفر، وأنهم من الفرق اليهودية[1].

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا البحث من العلم النافع الذي ينتفع به.

❊ ❊ ❊

(١) http://www.tanseerel.com/main/articles.aspx?selected_article_no=8027 يقول عنهم البابا شنودة أنهم كفار وليسوا مسيحيين.

التمهيد

تعريف منظمة شهود يهوه بأنفسهم، وما قيل عنهم

تعريفهم بأنفسهم:

تعرف منظمة شهود يهوه نفسها بأنها «فئة من الناس تقف بذاتها علىٰ العمل بمشيئة الله القدير، بقيادة ابنة المخلوق البكر - ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام:١٠٠) - يسوع المسيح، وتشد أفرادها بعضهم إلىٰ بعض رابطة الشهادة، ويؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، ويعتمدون علىٰ الأسفار المسيحية اليونانية والعبرانية علىٰ حد سواء، في أن يهوه وحده يستحق العبادة، ويرفضون السجود للأصنام أو الصور الدينية. (١ يوحنا ٥:٢١) وكذلك لا يتعاطىٰ الشهود السياسة ويبتعدون عن القومية وصراع الطبقات في هذا العالم.— (يوحنا ١٥:١٩)؛ وأن ملكوت الله هو حكومة سماوية ستحكم كل الأرض بالبر، وهم يعلّمون أن يهوه عيَّن المسيح يسوع ملكا علىٰ هذا الملكوت، مع ١٤٤.٠٠٠ حاكم معاون مختارين من بين البشر.— (دانيال ٧:١٤، ١٨)؛ وأنه سيهلك كامل نظام الشيطان، وسيزول الدين الباطل – جميع الأديان ماعدا الشهود - (كشف ١٨:٨) فشهود يهوه وحدهم يعرّفون الناس بملكوت الله في كل أنحاء الأرض وأن الأرض ستكون آهلة تماما بعبّاد يهوه،

وأن هؤلاء سيتمكنون من التمتع بالحياة الأبدية في كمال بشري؛ بعد معركة يهوه الكبرىٰ المدعوة هرمجدَون»[١].

* * *

قالوا في شهود يهوه:

- إنها حركة علمانية لاهوتية...
- منظمة ماسونية تعمل لحساب الصهيونية السياسية[٢]
- منظمة ضد الدين.. تتستر بوشاح الكتاب المقدس وكنيسة المسيح[٣].
- حركة دينية سياسية خاضعة لمحفل ماسوني أمريكي لخدمة اليهود.
- شهود يهوه ليسوا بدعة واحدة تأسست منذ قرن وربع، بل هي مجموعة من البدع وتحريف للكتاب، وهىٰ ضد الدين عمومًا، وإن كانت معتقداتهم تشير إلي بعض الحقائق المتضمنة في المسيحية[٤].
- شيعة بروتستانتية.. يتجولون في شتىٰ البلدان؛ ليوزعوا أو يبيعوا كتبا ونشرات ومجلات.

---

(١) http://wol.jw.org مكتبة برج المراقبة.

(٢) انظر: الخداع والتنصير، العبدالله، ص (٥١).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص(٢٦-٣٢)، وكتاب شهود يهوه وهرطقاتهم - البابا شنودة الثالث http://st-takla.org

(٤) انظر: الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ديدات، ص (٥٩).

• عصابة صهيونية خرجت من إحدىٰ البدع البروتستانتية وتهودت وادعت لنفسها المسيحية الحقيقية نابذة جميع الأديان[1].

• منظمة دينية سياسية تعادي ما سواها من الأديان جميعًا، وتحمل شكل مذهب ديني، يتستر بلباس إحدىٰ الفرق المسيحية، لتحطيم الإسلام، وبذر الشقاق بين البلاد الإسلامية، ودفعها إلىٰ الخصومة والمعاداة فيما بينها[2].

• ينتمي شهود يهوه إلىٰ تلك الفئات التي دأبت علىٰ غش وتحريف الكتاب المقدس، فهم يتجنّون علىٰ قواعد وقوانين التفسير المتّبعة من رجال الاختصاص والخبرة في دراسة الكتاب، إنهم يتّبعون البهلوة في استعمال ترجمات الكتاب المقدس العديدة، مختارين من بينها العبارات التي يظنّون أنها تدعم مبادئهم[3].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: شهود يهوه، التطرف المسيحي في مصر، العبد الله، ص (١٠).

(٢) انظر: أسئلة وأدلة عن التعاليم الخاطئة لشهود يهوه. http://www.kalimatalhayat.com

(٣) انظر: أساليب شهود يهوه الجهنّمية http://ar.arabicbible.com

المبحث الأول
النشأة والتطور

لحركات الإصلاح البروتستانتية الأثر الكبير في كشف عورات الكنيسة الكاثوليكية، وفي فضح سلوك القائمين عليها، كما أنها أفسحت المجال أمام العلماء والمفكرين وعامة المؤمنين بالكنيسة في حق فهم الكتاب المقدس، وبالتالي كسرت احتكار رجال الدين لهذا الأمر، مع ما نشأ عن ذلك من آثار سلبية عديدة علىٰ النصرانية بوجه عام، وعلىٰ الكتاب المقدس بوجه خاص، حيث تعرض للنقد الشديد والتشكيك في صحة نصوصه، ونتيجة للحروب بين الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية، واضطهاد العلماء وقتلهم، وقتل الروح العلمية والفكرية، وتطرُّف زعماء حركة الإصلاح البروتستانتي في ذم العقل، أدَّىٰ ذلك كله إلىٰ ظهور الأفكار المناوئة للدين، وتعالت الصيحات الإلحادية التي تطالب بحرية الفكر وسيادة العقل، واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة، وأيضاً المناداة بفصل الدين عن الدولة، فاستطاع اليهود تهويد بعض الكنائس البروتستانتية، وتسريب الأفكار الصهيونية، وإنشاء أحزاب وكنائس تتبناها وتدعو إليها من خلال ما يعرف بالصهيونية المسيحية، وجماعة شهود يهوه واحدة من مئات البدع التي ظهرت في التاريخ العقدي النصراني، والتي شكلت

مجموعة متناقضة من المفاهيم الخاصة حول الأناجيل والتوراة والتلمود، لذا قال عنهم النصارىٰ إنهم يهود كفار؛ لمخالفتهم لهم في بعض الحقائق لديهم[1].

وقد ساعد المبدأ الذي جعل من حق كل نصراني أن يفسر ويفهم الكتاب المقدس علىٰ تشكيل أكثر من ١٢٠٠ مذهب بروتستانتي، حتىٰ وصلت البدع في إنجلترا وحدها إلىٰ أكثر من ٢٠٠ بدعة[2].

التعريف بهذه المنظمة:

هي منظمة عالمية ماسونية صهيونية تقوم علىٰ سرية التنظيم وعلنية الفكرة، وهي منظمة دينية وسياسية، متأثرة بالديانة اليهودية، ترتدي ثوب المسيحية[3]، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهم يؤمنون بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ولكن حسب ترجمتهم وهي ترجمة العالم الجديد أو The New World وليس حسب نصه الأصلي، إلىٰ جانب (شهود يهوه) وذلك سنة ١٨٤٤م، الذي عُرفت به ابتداءً من سنة ١٩٣١م، وقد اعتُرف بها رسميًّا في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم.

الشهود: جمع شاهد وهم الذين يقومون بأداء ما عندهم من العلم

(١) انظر: كتاب سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان – الأنبا بيشوي مطران دمياط.

(٢) انظر: شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي، حسين حمادة، ص (١٧).

(٣) انظر: شهود يهوه http://ar.arabicbible.com الماسونية وموقف الدين منها (٨/ ٣٩٧).

المشهود له، وهو المراد في هذا التعريف، كما يشير إلىٰ ذلك المنتسبون إلىٰ الجمعية، بقولهم «.. واسمهم ذاته شهود يهوه يظهر أن نشاطهم الرئيسي، هو أن يشهدوا لاسم يهوه وملكوته كما فعل المسيح»[1].

أما الكلمة الثانية، يهوه: فهي اسم الله في كتب اليهود، وقد عرفوها بـ«.. الاسم الشخصي للإله الحقيقي الوحيد، تسميته الخاصة للذات، يهوه هو الخالق وهو، بحق، الحاكم المتسلط للكون «يهوه» مترجمة من الحروف العبرانية الأربعة للاسم الإلهي»[2][3].

(١) يمكنكم أن تحيوا إلىٰ الأبد في الفردوس علىٰ الأرض، ص (١٩٣).

(٢) مجلة برج المراقبة، ص (٢٢٩)، وانظر: شهود يهوه آراؤهم وآثارهم، للكنبلي، ص (٢٥). وانظر: يهوه الكائن بذاته وهو اسم الله المعروف لليهود وهو بمعني لورد (الرب) http://drghaly.com.

(٣) نسبة إلىٰ يَهْوَه إله بني إسرائيل علىٰ ما تردد توراتهم، (راجع سفر الخروج٦: ٢-٤) «وكلم الله موسىٰ قال له أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهاً قادراً علىٰ كل شيء وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم»، (شهود يهوه، بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي، حسين عمر حمادة، دار قتيبة، دار الوثائق، دمشق، بيروت)، يقول الله عن نفسه في الكتاب المقدس: «أنا يهوه، هذا اسمي». (اشعيا ٤٢:٨) صحيح أن لله أيضا ألقابا عديدة، مثل «القادر علىٰ كل شيء»، «السيد الرب»، و«الخالق»، إلا انه يكرم عباده بدعوتهم إلىٰ مخاطبته باسمه الشخصي. — تكوين ١٧:١؛ أعمال ٤:٢٤؛ ١ بطرس ٤:١٩. https://www.jw.org/ar/ تعاليم الكتاب المقدس، لكن ما نريد أن نوضحه ونسأل عنه هو ما العلاقة بين حقيقة الله وحقيقة ياهو إله اليهود؟ الواقع أن لفظ الله=

التأسيس وأبرز الشخصيات:

نشأت جمعية «شهود يهوه» في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٧٠م، وسبب النشأة أن الراهب تشارلز رصل Charles Taze Russell (١٨٥٢ - ١٩١٦م) شب منذ صغره علىٰ مذهب أبيه البروتستانتي..وقد فقد أمه وهو في التاسعة، فخاف من الموت[1]، وسمع في الكنيسة أن هناك أهولاً جساما سوف يلقاها الإنسان بعد الموت..فخاف وتمنىٰ أن يبقىٰ حيا أبد الدهر.. فبدأ بالتشكك في كثير من تعاليم الكتاب المقدس حتىٰ ترجح عنده أن تلك العقائد خاطئة، فرفض الكنيسة وهو لم يبلغ ستة عشر عاما.. وجمع حوله

=ومعناه لا علاقة له علىٰ الإطلاق بيهوة إله اليهود، فهو عندهم كما تصوره توراتهم المحرفة إله خاص ببني إسرائيل، وبنو إسرائيل هم شعبه دون سائر الخلق، وهو عندهم رب الحرب المتكفل فقط بنصرة بني إسرائيل، وبالتالي فهو محب لبني إسرائيل وحدهم، ومبغض لكل من سواهم، وليس عنده - عند إلههم - أيَّ مانع أن يصنع كل ما ليس بأخلاقي في سبيل مصلحة بني إسرائيل من السرقة، والغدر، والقتل، وغير ذلك كما يزعمون، أو كما يقولون.

ومن هنا فإننا نؤكد علىٰ أن يهوة لا يمثل صفات الإله الحق، وإنما يمثل انعكاسًا لصفات اليهود وأخلاقهم، فهو ليس خالقًا لهم وإنما هو مخلوق لهم، هو لا يأمرهم بل يسير علىٰ هواهم، وكثيرًا ما يأتمر بأمرهم، فيأمرهم بالسرقة إذا أرادوا أن يسرقوا، بل يعلم منهم ما يريدونه أن يعلم، وهو إلههم يميزهم عن سائر الخلق بصرف النظر عن إيمانهم أو طاعتهم، فلقد كان إلهًا لعشيرتهم وحدهم دون سائر العشائر.

(١) انظر: الخداع والتنصير، للعبدالله، ص (١٩).

أفراداً من النصارىٰ واليهود، ليكونوا لهم مسيحية جديدة، مخالفة للتي عند الطوائف المسيحية الأخرىٰ، حيث أقلقت رصل عقيدة القضاء والقدر والهاوية وخلود النفس بعد موت الجسد ومجيء المسيح ونهاية العالم، وغير ذلك، «.. لقد ترك الدين الباطل كثيرا من الناس مشوَّشين بشأن حالة الموتىٰ ومكان وجودهم، فالسماء، الهاوية، المطهر، هذه وأماكن أخرىٰ شتّىٰ تتراوح كلها بين كونها مبهمة ومروِّعة جدا»[1]، وهو إذ كان يخاف من فكرة الموت والدينونة الأبدية كان يهمه من يتكلم في هذا الموضوع، فالتصق تشارلز بالسبتيين «الأدفنتست»[2]، وهو في سن الثامنة عشرة، بعد سماع جوناس ويندل

(١) مجلة برج المراقبة ص (٦، ٧).

(٢) وهم يشتركون مع شهود يهوه في كثير من الأخطاء الخطرة. ومن أشهرها: يؤمنون أن السيد المسيح هو الملاك ميخائيل، يؤمنون أن السيد المسيح قد ولد بالخطيئة الأصلية، يلقبون الروح القدس «نائب رئيس جند الرب»، يؤمنون بأن السبت هو يوم الرب بدلًا من الأحد، لا يؤمنون بخلود النفس، يؤمنون بثلاثة مجيئات للسيد المسيح، يؤمنون بالملكوت الأرضي وأن السماء سوف لا تكون للبشر، يؤمنون بفناء الأشرار لا بعذابهم، لا يؤمنون بالكهنوت، ولا بالشفاعة، ولا بكثير من الأسرار الكنسية. ولقد واكب ظهور حركة شهود يهوه نهاية الحرب الأهلية الأمريكية التي شهدت دمار الجنوب وإخضاعه لسيطرة الشمال. وبذا، وُجدت تربة خصبة لنمو الأفكار عن الخلاص ونهاية العالم في جو الإحباط والدمار الذي تلا الحرب، وقد أسس رصل جماعة لدراسة التوراة، ونشر عام ١٨٧٤م علىٰ نفقته الخاصة كتيباً «غرض عودة الرب وكيفيتها» الذي يزعم فيه كاتبه أنه كشف للعالم الخطة التي رسمها الرب للبشرية، مؤسس هذه البدعة هو وليم ميللر=

أحد الوعاظ المشهورين، وأمن بتعاليمهم لأنهم ينكرون وجود العذاب الأبدي للأشرار مما يتفق مع فكره الخاص، ويبعد عنه الخوف من الموت والدينونة الأبدية، وقد استمرت علاقته بالسبتيين لمدة سنتين قبل أن يبدأ مجموعته الخاصة والمجموعة الذين اتبعته تسمت بعدة أسماء آخرها شهود يهوه وقد تغير اسمهم من الرصليين إلىٰ فجر الحكم الألفي تسموا التوراة ثم بجمعية

= William Miller الذي ولد في الولايات المتحدة الأمريكية في ١٥ فبراير سنة ١٧٨٢م. في ولاية مساتشوسيتس. وكان قد عكف علىٰ دراسة الكتاب المقدس مدة عامين ١٨١٦ – ١٨١٨م، خرج منها بقوله إن نهاية العالم سوف تكون في عام ١٨٤٣م، معنىٰ كلمة عبارة «الأدفنتست السبتيين» هي «مجيئو اليوم السابع». فكلمة «أدفنت» Advent تعنىٰ مجيء وبالتالي فإن أدفنتست Adventists تعنىٰ «مجيئون» ولذلك فاسمهم الرسمي «مجيئو اليوم السابع» Seventh –Day Adventists، وقد بدأت هذه الطائفة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٣١م وتم تسجيلها رسميًا هناك سنة ١٨٦١م. طائفة الأدفنتست (السبتيون) ليست مسيحية رغم أنهم يدعون غير ذلك، وهىٰ امتداد لهرطقة قديمة كانت تدعىٰ «هرطقة التهود»، يقدمون المعونات للمحتاجين وينشئون الملاجئ والمدارس والمستشفيات. وقد ساعد في الماضي علىٰ انتشارهم قلة الوعي في ذلك الحين بمبادئ هذه الجماعة. فقد استطاعوا إشهار جمعياتهم، ومن ثم أصبح نشاطهم قانونيًا. وقد نشطوا في الآونة الأخيرة، في محاولة مكثفة مدعمة ماليًا، لتحويل أكبر عدد ممكن من الأرثوذكسيين إلىٰ عقيدتهم الخاطئة التي تشبه عقيدة طائفة الصدوقيين اليهودية.

انظر: إيمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الأدفنتست السبتيون، والرد علىٰ عقائدهم الخاطئة – الأنبا بيشوي مطران دمياط.

التوراة والتدريس ثم بجمعية برج المراقبة Watchers إلىٰ أن تلقبوا باسم شهود يهوه ١٩٣١م وهذا في عهد رزرفورد المؤسس الثاني.

فكونوا جماعة عرفوا بالدارسين الجدد، وكانت تعرف آنذاك باسم (مذهب الرصلية) و(الدارسون الجدد للإنجيل)، وصنعوا مسيحية لها أفكارها وأحلامها، ولم يرفضوا «الكتاب المقدس» ولكنهم رفضوا بعض آياته التي اعتبروها – وهي كذلك – مدسوسة عليه، وآمنوا بالمسيح علىٰ طريقة جديدة؛ بأنه فعلا رسول وإنسان ولكنهم أمنوا أيضا أنه خالق الكون، السموات والأرض وكل شيء بمعونة الله[1]، وحدد نهاية العالم بحلول الملكوت المطلق للمسيح عام ١٩١٤م، ثم بدا بوضع نواة يهودية في ملكوت يهوه، فادعىٰ أن إسرائيل ستكون مؤيدة تأييدا إلهيا، وأنه في سنة ١٩١٤م سيعود إسرائيل إلىٰ «أرض الموعد» أرض فلسطين، وأنهم سيتمتعون بحظوة أمام الله، وأن وعد بلفور هو مقدمة له، ومع أن هذه النبوءات قد فشلت إلا أنهم قدموا عدة تبريرات حتىٰ لا ينفر منهم أتباعهم[2] وفي عام ١٨٧٩م بدأ إصدار مجلته «برج المراقبة».

* ثم خلفه في رئاسة المنظمة جوزيف فرانكلين رذرفورد (١٨٦٩ –

(١) انظر: الخداع والتنصير، للعبدالله، ص (٣٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٣٥، ٣٦)، مثلما قالوا أن هذا حدث ولكن بصورة غير منظورة، انظر: (شهود يهوه ص٥٠).

١٩٤٢م)، وتنبأ فقال: «بإمكاننا أن نكون شهودا لعودة إبراهيم وإسحاق وغيرهما من مؤمني العهد القديم ليمثلوا النظام الثيوقراطي[١] الجديد على الأرض عام ١٩٢٥م»[٢]، وقد اعترف شهود يهوه بان رذرفورد «فشلت الحوادث في دعم توقعاته، ولكنها في الواقع نبوءات إلهية مبنية على الكتاب المقدس»[٣]، وألف كتاب (سقوط بابل) ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم، وأغلب كتبه كتبها في القدح في الكنائس المسيحية والأديان عامة[٤].

وكذلك لم يكتف بالتنصير بنشر المطبوعات، بل أضاف إلى ذلك أنه

---

(١) الثيوقراطية نمط حكم تدعي فيه السلطة القائمة أنها تستمد شرعيتها من الله ويدعي الحاكم أنه يحكم باسم الله، وبالتالي يُلغى إشكال الشرعية السياسية بحجة الاستجابة للإرادة الإلهية، ويكون الناس مجبرين على الطاعة العمياء لهذه السلطة من منطلق الحق الإلهي، تتكون كلمة ثيوقراطي من كلمتين، «ثيو» وتعني إله، و«قراط» وتعني الحكم، والكلمة مشتقة من المفردة اليونانية Theokratia، وتعني حكم الله، وهو اسم لبرنامج تعليمي عالمي تصنعه قيادة شهود يهوه كل سنة لتعليمهم كل شيء من طرق التبشير والتنصير (الخداع والتنصير:٤٩).

(٢) انظر: كتاب شهود يهوه التطرف المسيحي، ص (٢٧).

(٣) انظر: التواريخ ذات المغزى النبوي، مكتبة برج المراقبة، ص (١٣).

(٤) حيث يقول: «كل هؤلاء بروتستانت، كاثوليك، أرثوذكس مسلمون، وثنيون، مع تعدد الطرق يعبدون المخلوق دون الخالق الإله المملوك على الكل للأبد». نظام الدهور الإلهي، ص (١٠)، ويقصد ببابل (العراق).

سجل خطب عاطفية، ضد سائر الطوائف.

* ثم جاء نارثان هرمركنور (١٩٠٥-١٩٧٧م) وفي عهده أصبحت المنظمة دولة داخل الدولة كما يقال، حيث أسس النظام التعليمي الثيوقراطي، وترجم الكتاب المقدس فأبدل كلمة الله بيهوه[١].

* * *

(١) انظر: شهود يهوه، ص (٦١).

المبحث الثاني
الأفكار والمعتقدات، والانتشار والأتباع

أولاً: الأفكار والمعتقدات:

يمكن اعتبارهم فرقة مسيحية منفردة بفهم خاص، فهم لا يؤمنون لا بالثالوث ولا بلاهوت المسيح ولا بالعقائد المسيحية ولا قانون الإيمان المسيحي، والمسيح عندهم هو مخلوق وهو أول خلق الله، وهم ينكرون وهم بنوة المسيح لله ومساواته للآب في الجوهر، وأيضاً يرفضون الاعتراف بالمسيح أنه يسوع الناصري، ويعتقدون أن الكنائس كلها من عمل الشيطان، يستخدمها الشيطان لخداع الناس، وأن هناك كنيسة واحدة بناها يهوه وهي جماعة شهود يهوه، ولهم علاقة تعاون مع المنظمات التبشيرية والمنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية، وقد تأثروا بأفكار الفلاسفة القدامىٰ وخاصة اليونانيين من الفلاسفة، فلهم علاقة كبيرة مع أهل النفوذ من اليونانيين والأرمن، إلا أنهم واقعون تحت سيطرة اليهود بشكل واضح، لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لأهداف اليهود. يقول عبد الله التل، في كتابه جذور البلاء عن هذه الجمعية: «هي جمعية يهودية ترتدي ثوباً مسيحياً

مزيفًا، وهيٰ في الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية في العالم، ذلك أنها تقوم علىٰ مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وإدخال نبوءات التوراة في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازمًا عند المسيحيين، بوجوب عودة اليهود إلىٰ أرض الميعاد، وطريقة التبشير عند أتباع هذه الجمعية، هي اقتحام بيوت الناس بوقاحة عجيبة والبدء بإلقاء دروس دينية من التوراة اليهودية، لاستدرار عطف السامعين وكسبهم في صف الداعية، إلىٰ ضرورة عودة اليهود لأرض الميعاد، تحقيقًا لأوامر اليهود»[1].

يعتقدون أن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحىٰ بها ولكنه مغلق لا يفهمه أحد غير الهيئة الحاكمة لمنظمة شهود يهوه الذين يكشف لهم الله التفاسير والمعاني، وقالوا إن دراسته بدون دراسة كتب رصل – مؤسس الفكر – تؤدي إلي الظلمة، وترجمة العالم الجديد هي الترجمة الصحيحة الوحيدة التي تتفق مع عقائدهم؛ لأن الذين قاموا بها هم الممسوحون بالزيت من شهود يهوه وأسماؤهم وهويتهم مخفية، وقد صاغ رصل نظريته الدينية علىٰ «منظومة تمرُّد الشيطان وخداعة لآدم وحواء ودفعهما للخطيئة ومحاربته للرب، وبعدئذ، سيطر الشيطان أو قوة الشر علىٰ العالم فيما أسماه رصل «إمبراطورية الشر»، كل هذا يعني في واقع الأمر أن حُكم المسيح الألفي أصبح وشيكًا، وأن معركة

(١) ص (١٥٦).

هرمجدون[1]، بين قوي الخير والشر وشيكة وسيُهزَم الشيطان ويُحطم الأشرار

(١) ما يتضمنه هذا الكلام من قيام معركة كبرىٰ بين المسلمين والروم (النصارىٰ) جاء مصرحا به في السنة الصحيحة، فقد روىٰ أحمد وأبو داود وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم، وهم عدوا من ورائهم فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول، فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فيغدر الروم وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم في ثمانين غاية، مع كل غاية اثنا عشر ألفاً».

وروىٰ مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ.. إلىٰ قوله: فيفتتحون قسطنطينية» الحديث.

والنصارىٰ يرون وقوع هذه المعركة في تواريخ معينة، وليس في السنة تحديد لوقت المعركة، وأهل الكتاب لا يصدقون ولا يكذبون في أخبارهم هذه؛ وهي معركة ينتظرها كثير من النصارىٰ، وقد وردت كثيراً في مؤلفاتهم ودراساتهم، وهرمجدون كلمة عبرية مكونة من مقطعين (هر) ومعناها: جبل، و(مجيدو): وادي في فلسطين. يقولون: إننا نؤمن كمسيحين أن تاريخ الإنسانية ينتهي بمعركة تدعىٰ (هرمجدون) وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته علىٰ جميع الأحياء والأموات علىٰ حد سواء، وهي معركة روحية بين شعب المسيح والشياطين وتغير ميعادها كثيرا من ١٩١٤ التي اعتمدوا في حسابها علىٰ ما يسمىٰ الأزمنة السبعة ثم تغير إلىٰ ١٩١٥ إلىٰ ١٩١٨ إلىٰ ١٩٢٥ إلىٰ الأربعينات إلىٰ ١٩٧٥ وبعد هذا تركوا تحديد زمن حدوثها مفتوحاً وطالبوا بعدم الزواج والإنجاب إلا بعد معركة هرمجدون ولكن هذا أيضا تغير، انظر:
http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=113

المسيحيين بجميع طوائفهم، وبقية الديانات الأخرىٰ، وهم مرتدون عن الإيمان الصحيح وثنيون، فرجال الدين المسيحيون هم بابل أم الزناة وسيهلكون كلهم، أما من يرضىٰ عنهم يهوه فنصيبهم هو الخلود، وقالوا إن جيل ١٩١٤م، لن يرىٰ الموت قبل مجيء المسيح، هذا يعني أن هناك من الأحياء الآن الذين لن يموتوا قط وسيحيون هذه الحياة الخالدة في العصر الألفي، وكما قال أحد قادة شهود يهوه «يوجد ملايين من الأحياء الآن لن ينال منهم الموت»، وترىٰ جماعة شهود يهوه أنه يوجد ١٤٤ ألفاً من المؤمنين عميقي الإيمان عبر التاريخ سيولدون كأبناء الإله الروحانيين وسيشاركون في حكم العالم مع المسيح، ومملكة المسيح ليست مفارقة للأرض فالمملكة الألفية ستؤسَّس هنا وهي مملكة كل ما فيها مثالٍ؛ إذ ستمتلئ الدنيا عدلاً بعد أن امتلأت جوراً، بل إن الطبيعة المادية ذاتها ستتغيَّر»[1]، وأن ملك المسيح علىٰ الأرض بدأ كملك غير مرئي وهو بداية ملكوت الله، ونحن حاليا نعيش الأيام الأخيرة للنظام العالمي الشرير، فهم يؤمنون بيهوه إلها وبيسوع (عيسىٰ) رئيسا لمملكة الله: «نحن نعبد الإله الحق الوحيد، الخالق القادر علىٰ كل شيء، الذي يدعىٰ يهوه، وهو إله إبراهيم وموسىٰ ويسوع، نحن نتبع تعاليم يسوع المسيح ومثاله، ونكرمه بصفته مخلِّصنا وابن الله، وهذا يعني أننا مسيحيون،

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري (٦/ ٤٠٠).

غير أننا تعلَّمنا من الكتاب المقدس أن يسوع ليس الله القادر علىٰ كل شيء، وأن عقيدة الثالوث ليست مؤسسة علىٰ الأسفار المقدسة، وأن ملكوت الله هو حكومة حقيقية في السماء، وهو سيحل محل الحكومات البشرية ويتمم مشيئة الله للأرض، وسيحدث هذا قريبا لأن نبوات الكتاب المقدس تشير أننا نعيش في «الأيام الأخيرة»، ويسوع هو ملك ملكوت الله السماوي، وقد بدأ حكمه عام ١٩١٤م»[١]، وهم في الحقيقة يستغلون اسم المسيح والكتاب المقدس للوصول إلىٰ هدفهم: إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة علىٰ العالم، ويهيئون النفوس لإقامة الدولة اليهودية الكبرىٰ، ولذلك يعادون كل الأديان في الظاهر، ولكن يتضح الولاء لليهود!!![٢].

عقيدتهم عقيدة التثليث، ولكن الأب يهوه يشغل مكانة عالية تفوق مكانة الابن، ومع هذا يشغل الابن[٣] مكانة خاصة فهو أول مخلوقات الإله، وقد دفع

(١) انظر: الموقع الرسمي لشهود يهوه: https://www.jw.org/ar، ومن يمارسون الدين الحقيقي، يكرزون بملكوت الله، ص (١٤-١٥)، وانظر: من هم؟ مكتبة برج المراقبة، ص (١٠-١٥).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري (٢/ ٦٤٩).

(٣) خلق الله يسوع قبل آدم. فالرسول بولس كتب أن يسوع «هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة». (كولوسي ١:١٥) فقد بدأت حياة يسوع قبل زمن طويل من ولادته في أسطبل في بيت لحم. وفي الواقع، يذكر الكتاب المقدس بوضوح أن «أصله منذ الأزمنة=

حياته تكفيراً عن خطايا البشر وقد مات علىٰ الخازوق[1]، (لا الصليب) ورُفع كروح خالدة، فيقولون: إن يسوع مات علىٰ خشبة مستقيمة[2]، وليس كما يقول النصارىٰ علىٰ الصليب التقليدي، وبعد أن كانت أغلفة مجلاتهم مزركشة بالصليب لمدة طويلة، وبعد أن كانوا في بدايتهم العصرية يستعلمون الصليب ويؤمنون به، أصبحوا الآن يرفضونه ورفضوا تقديسه اتباعاً لزعمهم الجديد، وهو موجود في العالم علىٰ هيئة الروح، والابن هو المركز الذي يتجمَّع حوله الشهود في صلاتهم، فهم يصلون ليهوه من خلال المسيح[3].

=الباكرة، منذ أيام الدهر». (ميخا ٥:٢) وبما أن يسوع هو ابن الله البكر، فقد كان مخلوقا روحانيا في السماء قبل ولادته كإنسان علىٰ الأرض. وهو نفسه قال: «إني نزلت من السماء». — يوحنا ٦:٣٨؛ ٨:٢٣. https://www.jw.org/ar

(١) الخازوق هو وسيلة إعدام وتعذيب، وهي تمثل إحدىٰ أشنع وسائل الإعدام، حيث يتم اختراق جسد الضحية بعصا طويلة وحادة من ناحية وإخراجها من الناحية الأخرىٰ. انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) غير أننا نجد في الكتاب المقدس أدلة علىٰ أن يسوع لم يمت علىٰ صليب، بل علىٰ خشبة قائمة. الكتاب المقدس يجيب https://www.jw.org/ar

(٣) ونؤكد علىٰ أن الحق في الإسلام والذي ورد في كتاب ربنا ﷻ أنهم ما قتلوه يقينًا، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء: ١٥٧)، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ (النساء: ١٥٨)، هذه هي عقيدتنا أما عقيدة هؤلاء وهؤلاء، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري (٦/ ٤٠١).

والملائكة نوعان، الأبرار الذين يوصلون النور إلي البقية علىٰ الأرض أي جماعة شهود يهوه، والملائكة الأشرار، والشياطين قادرة علىٰ إثارة غرائز الملائكة، وبعض الملائكة يتخذ أجساماً لحمية مثل الذين كانوا قبل الطوفان وتزوجوا بنات الناس وأنجبوا الطغاة وهلكوا بالطوفان وعاد هؤلاء الملائكة إلىٰ الحيز الروحي وحرموا من المقدرة علىٰ أن يأخذوا شكلاً بشرياً، ولا يزالون يقتربون من الجنس البشري علىٰ قدر ما يستطيعون، وبصورة خاصة من النساء اللواتي يستخدمونهن كوسيطات روحيات وعرّافات، وأيضا لا يؤمنون بخلود الملائكة فالخلود ليهوه فقط أما خلود البشر، فهو كذبة اخترعها الشيطان.

والهاوية هي فقط مدفن عام وليس مكان عذاب فهم ينفصلون عن الحياة ولا يشعرون بشيء ولا يعلمون شيئاً؛ لأن الموت هو نقيض الحياة حيث لا وعي ولا شعور وهو فناء كامل للجسد والنفس والروح، والأرض ستبقىٰ إلىٰ الأبد وبعد موت البشر سيعيش شهود يهوه فقط علىٰ الأرض ووقتها سيتوقف التناسل لاكتمال مقاصد الله.

اعتقدوا – لفترة طويلة – أن الهرم الأكبر هو الكتاب المقدس المكتوب علىٰ أحجار، واتخذوا من أبعاده ومقاييسه علامات علىٰ نهاية الزمان، ثم تراجعوا عن هذا مؤخراً، وقال إن هذا كان من عمل الشيطان، وأن الخلاص يحتاج معرفة يهوه، ومعرفة يسوع وطاعة النواميس، والاتحاد بجماعة شهود يهوه، والشهادة للملكوت من باب لباب، وهم ينكرون العبادة الجمهورية،

ويقولون إن المسيح علّم بالصلاة والصوم في الخفاء فقط، ولا يؤمنون ببناء بيوت لله، ولذلك ليست لهم كنائس ولكن أماكن للاجتماع، ويوم القيامة سوف يقوم الأبرار شهود يهوه الأمناء، وأيضا سيقوم بعض الأشرار ليس لعقاب أبدىٰ ولكن ليأخذوا فرصة للتوبة والحياة الأبدية، وينالوا فرصة أن أسماءهم تكتب في سفر الحياة، ولكن البعض الآخر من الأشرار لن يعودوا لأنهم فعلوا شروراً لا يمكن أن تغتفر، وهم يؤمنون أن يوم الدينونة هو ألف سنة.

ولا يؤمنون بطبيعة الخطيئة من أدم ويقولون: إن أدم قد فني وليس له فداء وأيضا يؤمنون بفناء الشيطان، وهم ينادون بأن الحكومات من عمل الشيطان، وأنها تشكل نظام العالم الفاسد، وأن كل أنظمة العالم تُدار بيد الشيطان الذي يهزأ بالله، ولذلك لا يدينون بطاعة للحكام، وينادون بمقاطعة الحكومات والانتخابات والتجنيد والقومية والزعماء، ويعتبرون تحية علم الدولة أو الانحناء أمامه، عبادة أصنام، وضد الوصية الثانية، لأن كثيراً من أعلام الدولة فيها صور ورسوم.

ومن أفكارهم ومعتقداتهم أيضا:

- الطاعة العمياء لرؤسائهم.

- الاقتطاف من الكتاب المقدس الأجزاء التي تحبب إسرائيل واليهود إلىٰ الناس ويقومون بنشرها.

- لهم معابد خاصة بهم يسمونها القاعة الملكية أو بيت الرب.

- الأخوة الإنسانية مقتصرة عليهم دون سواهم من البشر.

- إشاعة الفوضىٰ العالمية بتحريض الشعوب علىٰ التمرد علىٰ حكوماتهم وشق عصا الطاعة عليها ومقاطعة جميع النشاطات الرسمية في الدولة ويبررون ذلك بما جاء في كتابهم الأخضر «ليكن الله صادقًا بأنهم سفراء الله في ملكوته المقدس، ومن ثَمَّ فهم يتمتعون بحصانة تعفيهم من الخضوع للحكومات المدنية أيًا كانت مقوماتها».

- يعترفون بقداسة الكتب التي تعترف بها اليهودية وتقدسها وهي ١٩ كتاب.

- يمر العضو فيها بمراحل معقدة ويخضع الالتحاق بها لشروط قاسية، وتنتظم عضوية جمعية شهود يهوه ثلاث مراتب[1].

ملخص فكرهم عن المسيح:

يعتقدون أن المسيح إله قدير، ولكنه ليس الله القدير، ويعتقدون أنه أول خلق الله، وأرقىٰ كل المخلوقات السماوية، ومع ذلك خلق كل المخلوقات

(١) أعضاء الرجاء السماوي: وهم أعضاء الإدارة العليا ويرأسهم العبد العظيم أو الحكيم ويعرف مقره ببيت «إيل» أي بيت الله، صف جلعاد أو الرجاء الأرضي: ويشمل من الأعضاء الرواد والمعاونين ونظار المناطق، وهؤلاء هم أعضاء الإدارة التنفيذية، المبشرون: ويعرف أعضاؤها بالخدم، وتضم هذه المرتبة الشهود وهم الأعضاء المكلفون بتوزيع مطبوعات الجمعية ورسائلها، المرجع السابق.

كنائب عن الله، وأنه الملاك ميخائيل، ورئيس جند الرب، ومارشال يهوه العظيم، ووجوده مرّ بمراحل؛ قبل التجسد كإله، أصله كائن روحي (ملاك) وله اسم الملاك ميخائيل، وجوده الأرضي، كإنسان كامل، مساوٍ لآدم تمامًا، أما الصعود؛ فيكون في أجساد، وبعد الصعود أصبح روحًا وغير منظور ورجع الملاك ميخائيل، ثم ينزل من السماء، ليشهد لملكوت يهوه، والمجوس الذين سجدوا للمسيح، هم سحرة، قد أرسلهم الشيطان، وكان النجم الذي قادهم علامة من الشيطان، وليس للمسيح طبيعتين في وقت واحد؛ إما إله فقط وقت خلقه، أو إنسان فقط لكي يتمم عملية الفداء، وأنه ليس له نفس خالدة، وإنما مُنح الخلود بسبب طاعته الكاملة ليهوه، ودعي ابن الله الوحيد، لأنه الوحيد الذي خلقه يهوه مباشرة بدون مساعدة، وأن المسيح الإنسان صار ابنًا لله في المعمودية، ففي المعمودية بدأت ولادته الثانية، وصار ابنًا روحيًا لله، وأنه مات علىٰ خشبة وليس علىٰ الصليب، وأن علامة الصليب هي علامة وثنية، وأن جسده المصلوب لم يقم، وإنما أخرجه الملاك من القبر وأخفاه بقوة الله الخارجة، والمسيح ترك بشريته إلىٰ الأبد، وإنه لم يقم بجسده، إنما قام بالروح فقط، وأنه مات كإنسان ويجب أن يبقىٰ ميتًا إلىٰ الأبد كإنسان، وأن التلاميذ لم يروه بعد القيامة في الجسد الذي صُلب، إنما في أجساد كونها لنفسه، ثم حلّها بعد ذلك، وأنه لم يصعد إلىٰ السماء بجسده، لأنه لو صعد بجسده وهو جسد مشوّه لصار أحطّ من الملائكة، وسوف يعود

ثانية سنة ١٩١٤، ودخوله الهيكل سنة ١٩١٨ وتأسيسه حكومة بارة - وظهر أنها نبوءات كاذبة -، وقد غيروا ميعاد مجيئه عدة مرات ولم يأتِ وقالوا إن المسيح لن يأتي إلىٰ العالم بطريقة منظورة، بل يأتي ثانية بطريقة غير منظورة لا يراه فيها أحد، وهكذا دخل إلىٰ الهيكل في أورشليم السمائية غير مرئي، وهو كرئيس جند الرب سينتصر علىٰ الشيطان في معركة هرمجدون، ويؤسس مملكة الله[1].

مع ملاحظة تعديل عقائدهم وتبديلها المستمر، ويبرر ذلك بسبب مجيء نور جديد من السماء، إذ الجانب اليهودي منها أمر غير خاف، وإن كانت تظهر بالمسيحية، ولأني لست بصدد أن أرد علىٰ شهود يهوه، فهذا البحث فقط لتوضيح أخطاء شهود يهوه بأدلة، وترجمة شهود يهوه (ترجمة العالم الجديد) مليئة بمئات الأخطاء فقط اكتفيت ببعض الأمثلة المهمة التي يستخدمونها باستمرار في إثبات عقيدتهم من هذه الترجمة الخاطئة.

(١) انظر: موقعهم: https://www.jw.org/ar، ولمن يريد المزيد تفصيلا عليه بالرجوع إلىٰ مكتبة الكتب المسيحية ـ كتب قبطية، المكتبة القبطية الأرثوذكسية كتاب سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان - الأنبا بيشوي مطران دمياط وكتاب شهود يهوه من هم وكيف نشأوا وما هي عقيدتهم للقمص عبد المسيح بسيط أستاذ اللاهوت الدفاعي، وانظر: إنهم يعبدون الشيطان، المديني، ص (٢٣٩).

ملاحظات على منظمة شهود يهوه:

أولاً: شهود يهوه رغم قولهم: إنهم فرقة مسيحية لكنهم في الواقع يخالفون كنائس العالم المسيحي على اختلاف فرقها، يخالفونهم في كثير من العقائد والأفكار، بل يخالفونهم حتى في ترجمة كثير من آيات كتبهم المقدسة[1]، حتى إن شهود يهوه أخرجوا بعض الآيات المزيفة - وبالطبع تركوا الكثير منها -، أخرجوا هذه الآيات المزيفة من هذه الكتب المقدسة التي تُسمى عند النصارى بالكتاب المقدس، الكتاب الذي يقول شهود يهوه عنه: «نعم الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها»[2]، هكذا يقولون، ومع أنهم يقولون: يهوه الله بصفته مؤلف الكتاب المقدس، إلا أنهم قالوا: إن الذين كتبوا الكتاب المقدس أبقوا أنفسهم بعيداً عن الأضواء، وفي بعض الحالات -وهذا كلامهم- يصعب تحديد من كتب بعض أجزاء الكتاب المقدس، ولا ندري أي تناقض هذا، هل الكتاب المقدس موحى به من الله؟ أم أن مؤلفيه من البشر؟ لا ندري!

ثانياً: لا يؤمن شهود يهوه بالعقيدة المشهورة التي ما زالت تتبناها حتى اليوم غالبية كنائس العالم، وهي عقيدة الثالوث، وأن المسيح هو الله تعالى، تعالى الله عما يصفون علوّاً كبيراً، بل خرج شهود يهوه بتفسير جديد، وعقيدة

(١) انظر: شهود يهوه http://ar.arabicbible.com.

(٢) تعاليم الكتاب المقدس https://www.jw.org.

جديدة في المسيح، وفي الثالوث: وهما أن المسيح هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله مباشرة[1]، ثم بعد أن خلقه كان أن ساعد الله، وهذا في زعمهم طبعًا، فهم يزعمون أن المسيح ساند الله وساعده في خلق الكون كله، ولقد وصل عمق خلافهم مع العالم المسيحي حتىٰ في الشيء الذي صلب عليه المسيح.

ثالثًا: رفضوا استخدام الأيقونات وتقديسها، كما رفضوا وضع هذه الأيقونات في أماكن عبادتهم، وفي أماكن اجتماعاتهم، ويسمون هذه الأماكن قاعات الملكوت ولا يسمونها كنيسة أو كنائس، حتىٰ عند بنائها لا يبنونها بناءات الكنيسة، ولكن يبنونها قاعات اجتماعات[2]، وبعد أن كانوا يلقبون رئيسهم الأول بالقسيس وبعد أن كانوا يستعملون المصطلحات المشهورة للألقاب الكنسية قسيس وشماس وراهب وغيرها رفضوا هذه جميعًا، واستعملوا ألفاظًا جديدة، فللمنتمي لفرقتهم يقولون: أخ وأخت، وللقسيس يقولون: شيخ، وناظر دائرة، وناظر كورة، وناظر فرع، ولهم مصطلحات أخرىٰ لمهمات أخرىٰ داخل تنظيمهم التنصيري مثل: مصطلح فاتح، وفاتح إضافي، وفاتح قانوني، وفاتح خصوصي، وغير ذلك مما أرادوا به التميز عن العالم المسيحي.

---

(١) انظر: اعبدوا الإله http://wol.jw.org، المسيح الابن والعبد المتألم (أشعيا ١٧: ١٤، ٥٣) http://drghaly.com.

(٢) انظر: لماذا يدعىٰ يسوع ابن الله؟ https://www.jw.org.

رابعـًا: مـن الملاحظـات أيـضـًا أن منـشورات شـهود يهـوه لا تبـاع في المحـلات العامـة ولا في الـدكاكين ودور النـشر والتوزيـع، بـل تـوزع فقـط بطـريقتهم في الـشوارع لعرضـها علىٰ النـاس المـارة، أو بطريقـة طـرقهم علىٰ أبواب بيوت الناس، وكانت في البداية توزع بقليل من المـال ولكنهـا الآن تـوزع مجانـًا.

خامسـًا: من الملاحظات أيضـًا أنهـم كمحاولـة منهم لترقيـع المسيحية يفتي شهود يهوه أنفسهم بلعن الكنـائس، والفـرق المسيحية الكبيـرة والـصغيرة في كتبهم ونشراتهم ومجلاتهم، يلعنون الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، ويحـاولون دائمـًا أن يميـزوا أنفـسهم عـن الهيئـات المـسيحية الأخـرىٰ، بـل يقولون: إن ديانة العالم المسيحي هي ثمرة ارتداد لألف وتسعمائة سنة عن المـسيحية الحقـة، وإن العـالم المـسيحي إنمـا هـو بكاملـه جـزء مـن عـالم الشيطان[1]، هكـذا يقولـون، ومـع أنهـم جـزء مـن العـالم المسيحي باعتبـار أنهـم - بحسب زعمهم - مجتمع مسيحي، إلا أنهم وبالكلمات المتقدمة يظنون أنهم أعادوا للمسيحية وضعها الطبيعي، وهيهـات لهـم ذلـك، بـل جعـل شـهود يهـوه من الحكومات التي شاركت في الحرب العالمية ملكـًا لإبليس، وجـزءاً مهمـًا آخر من عالم الشيطان.

(١) انظر: أخطاء ترجمة العالم الجديد لشهود يهوه وملخص لفكر شهود يهـوه وردود سـريعة http://drghaly.com.

سادساً: يشتم شهود يهوه الإسلام ويصفونه بصفات قبيحة، مع غيره من الأديان الأخرىٰ، ويصفونه مثلاً بأنه العاهرة، أو الزانية العظيمة[1]، بل يقولون: بكل جرأة إن لديهم كل سبب ليخاطبوا الإسلام وغيره كعدو، ويتعاملوا مع الإسلام كعدو.

سابعاً: صنع شهود يهوه تبعاً لسلفهم من اليهود والصهاينة صوراً مزيفة توهموها للأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهي صور كان أولىٰ بهم - لو أحسنوا الظن وأحسنوا النظر - أن ينكروها ويخرجوها كما أخرجوا غيرها من كتابهم المقدس، أو المدعو مقدساً، فلقد قالوا: عن سليمان عليه السلام: إنه تزوج بزوجات كثيرة، وسمح بعبادة الأوثان في إسرائيل، وكانت سنوات حكمه الأخيرة ظلماً، بل إنه مات مرتدّاً، وحاشاه -صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ نبينا محمد، وزعموا -كما في كتابهم المقدس- أن نوحاً عليه السلام شرب خمراً، فسكر، وتعرىٰ، ولعن من لا ذنب له، وزعموا أن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، وقالوا: إن بني إسرائيل وجهوا هارون ليصنع تمثالاً، وبنىٰ لهم هارون هذا التمثال، وبنىٰ لهم أيضاً مذبحهم، وغير ذلك أيضاً من التحريفات التي نقلوها عن التوراة المحرفة الموجودة بأيدي اليهود[2].

(١) انظر: عبادة الآلهة الباطلة https://www.jw.org.

(٢) انظر: أخطاء ترجمة العالم الجديد لشهود يهوه:
http://drghaly.com/articles/display/10245

أما نحن فنؤمن إيمانـًا يقينيّـًا بعصمة الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، ونسموا بهم -صلوات الله وسلامه عليهم- عما يقول به هؤلاء الأفاكون.

كتب المنظمة:

- تنطق باسمهم مجلة كانت تصدر تحت اسم (برج مراقبة صهيون) ثم عدلوها إلىٰ: (برج المراقبة) لإخفاء كلمة صهيون.
- هذا الخبر الجيد عن المملكة (المقصود مملكتهم المأمولة).
- الأساس في الإيمان بعالم جديد.
- لقد اقترب علاج الأمم.
- العيش بأمل نظام عادل جديد.

ثانيـًا: الانتشار ومواقع النفوذ:

«انتشرت الحركة لهذه المنظمة السرية الخطرة في أكثر من بلد من بلدان العالم وقلّما تخلو دولة في العالم من نشاطها، إما سرّاً وإما علنـًا حين يُسمح لهم بذلك، ومركزهم الرئيسي في أمريكا في حي بروكلن بنيويورك، فهناك ١٩ مليون نسمة يحضرون «عشاء الرّب»[1] والذي يقام مرة واحدة كل عام»[1].

(١) العشاء الرباني «الأفخارستيا» ويقال له مائدة الرب، وهو من عقائد النصارىٰ الأساسية، فهم يعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلىٰ بستان جثيماني، ويسمون كأس الخمر التي تشرب في هذا العشاء «كاس الرب» أو كأس البركة، ويعتقدون أن من يأكل هذا العشاء في موعده كل سنة، فإن الخبز يتحول إلىٰ لحم المسيح=

وقد وصل عدد البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم سنة ١٩٥٥ إلىٰ ١٥٨ دولة، لكن بعض هذه الدول قد فطن إلىٰ خطورتهم، فمنع نشاطهم وتعقبهم، وطارد دعاتهم بل وطردهم، ومن هذه الدول: مصر، وسنغافورة، ولبنان، وساحل العاج، والفلبين، والعراق، والنرويج، والكاميرون، وغيرها، وإن كان أتباع هذه المنظمة لا يزالون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية، أما في أفريقيا والدول الإسلامية فغالباً ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية.

وقد فطنت بعض الدول إلىٰ خطورتهم فمنعت نشاطهم وتعقبتهم ولا يزالون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية، أما في إفريقيا والدول الإسلامية فغالباً ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية[٢].

ويمكن أن نقول إن من أهم أسباب سرعة انتشارهم دعوتهم التبشيرية وأنهم يصدرون آلاف الكتب والنشرات والصحف ويطرقون أبواب البيوت ويدعون الناس ويوزعون عليهم الكتب والمنشورات مجانا، وذلك يدل أيضا

=في لحومهم، والخمر يتحول إلىٰ دم المسيح في دمائهم، فيحصل - في زعمهم - الاشتراك بين المسيحي والمسيح. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ١٠٩٤).

(١) انظر: الخداع والتنصير، العبدالله، ص (٥١).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٥١).

علىٰ قوة رصيدهم المالي، ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن أكثر أتباعهم الآن الأغنياء من الممثلين والمغنين والرياضيين[1]، ولهم مكاتب للترجمة والتأليف ولجان دينية عليا لتفسير الكتاب المقدس وفق مفاهيمهم، ولهم تعاون كبير مع المنظمات المماثلة التي تعمل لصالح اليهود، تستفيد هذه المنظمة من أعضائها في أعمال الاستخبارات والجاسوسية والدعاية[2].

وهم يشبعون رغبات الداخلين في جماعتهم وشهواتهم من التحلل الخلقي والاختلاط والسهرات الداعرة، ويحاولون تصيد الشباب بما يقدمونه لهم من المساعدات المختلفة التي يرون أن الشخص بحاجة إليها؛ ليصبح أسيراً لهم، متكلاً عليهم وذلك إما بتقديم سكن، أو بإغراء جنسي بإرسال فتيات لمقابلة بعض الشباب وسؤاله عن حاله وما يحتاج إليه في أموره الدراسية والمعيشية.

ويعرفون الشباب من خلال أعوانهم المنتشرين في أماكن تجمع الشباب، كذلك يصدرون نشرات يدعون فيها كل شاب يريد كذا وكذا أن يتصل بهم علىٰ عناوين يوضحونها له، كما يقومون بحفلات ورحلات لا يطلب من الشخص فيها إلا حضوره الشخصي، ويتظاهرون بأنهم يدعون إلىٰ المحبة بين

(١) موقع باللغة الإنجليزية فيه الأسماء والصور شهود يهوه المشهورين مع تراجمهم الموجزة. http://www.ranker.com/list/famous-jehovahs-witnesses/celebrity-lists.

(٢) موسوعة الأديان والعقائد شهود يهوه:
http://www.khayma.com/abdeelksis/El_adyan.htm

أفراد البشر، وأنهم يريدون أن يرفرف السلام علىٰ الجميع، وأنهم يريدون أن تُنبذ الحروب، وأن يكون العالم كله دولة واحدة لا فوارق ولا فواصل بينهم، والكل في منزلة واحدة، وأن نواديهم هي الكفيلة بتحقيق السعادة عندما ينضم الجميع إليها، كذلك يركزون علىٰ أن الإنسان ينبغي أن يعيش حياته كلها لهذه الدنيا، يعيش حياته بكامل حريته دون قيود، ودون مراقبة.

طريقتهم في العمل:

لهم طريقة جديدة في الدعوة إلىٰ مذهبهم، فهم يرون أنه ثبت بالدليل أن عدداً كبيراً من الناس لا يحضرون إلىٰ المعابد، وأن أكثر من نصف الناس في بعض البلدان لا ينتمون إلىٰ طائفة من الطوائف الدينية، وأن ملايين من المنتمين إلىٰ الطوائف الدينية لا يحضرون عباداتهم، ولا يريدون أن يستمعوا إلىٰ رجال الدين، فعملت شهود يهوه علىٰ أن تخفي نفسها تحت ستار أنها فرقة مسيحية تطوف بالبيوت والمقاهي والأندية العامة والطرقات؛ حاملة الكتب والمنشورات التي تعرض فيها تعاليمها بحماسة، مدعية أنها حاملة رسالة دين جديد يجمع تحت لوائه أهل الأديان كافة، كما تتظاهر بعدم معاداة أحد، أو أية طائفة من الطوائف.

فنجدهم الأكثر استعدادا ضد المسحيين الآخرين والمسلمين، والسبب في ذلك أنهم ينخرطون خمس مرات في الأسبوع في نظام يتخذ الفاعلية تجاه تحقيق الأهداف، وذلك في «قاعات اجتماعات الملكوت» (Kingdom Halls)

وفي نهاية الأسبوع ينفذون ما تعلموه في هذه الاجتماعات[1]، وهم يناقشون البسطاء فقط وغير الدارسين أما لو ظهر النقاش أنه من أحد الدارسين، يرفض الحديث معه لأنه من الخصوم ومن أتباع الشيطان والحديث معه مضيعة وقت ويجب استثمار الوقت في تبشير أخر من البسطاء.

يعرفون أنفسهم في مواقعهم الرسمية بأنهم مسيحيون فيقولون: «نحن أشخاص من مئات الخلفيات العرقية واللغوية، لكن ما يوحدنا هو أهدافنا المشتركة، فبالدرجة الأولىٰ، نريد أن نكرم يهوه، إله الكتاب المقدس وخالق كل الأشياء، كما أننا نسعىٰ جاهدين للتمثل بيسوع المسيح، ونفتخر بأن ندعىٰ مسيحيين، وكل واحد منا يصرف بانتظام مقدارا من الوقت في مساعدة الناس للتعلم عن الكتاب المقدس وملكوت الله، وبما أننا نشهد، أي نتكلم، عن يهوه الله وملكوته، فنحن نُعرف بالاسم «شهود يهوه»»[3].

مما سبق اتضح لنا أن شهود يهوه منظمة يهودية، وقيل عنها أنها اسم آخر للماسونية[2]: ومما يجدر التنبيه إليه: أن الماسونيين وهم في غاية اليقظة - في

(١) الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد ديدات، ص (٧٠).

(٢) وهي منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلىٰ ضمان سيطرة اليهود علىٰ العالم وتدعو إلىٰ الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة (حرية-إخاء-مساواة إنسانية). أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٥١٠).

الحفاظ عليها تجدهم يتلونون في أسمائهم، وفي أشكال شعاراتهم، وفي أسماء الماسونية حسب الجو الذي يعيشونه، فمن السهل عندهم تغيير أسماء الماسونية كلما رأوا ضرورة لذلك، وقد انبثق عنها جمعيات تحمل الأسماء الآتية: «بناي برث» «شهود يهوه» «الروتاري» «الليونز» كما سيأتي... «وهي كلها في خدمة الماسونية، ولإعادة الهيكل المزعوم، وإقامة مملكة إسرائيل حين يتم تطويق العالم، وتخريب أديانهم وسلوكهم علىٰ أيدي اليهود»[1].

❊ ❊ ❊

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة (١/ ٦٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداة، وعلىٰ الآل والأصحاب والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد: فهذه مجموعة من النتائج التي خرجت بها أثناء كتابة هذا البحث، أوجزها فيما يلي:

١ - أن مؤسس جماعة شهود يهوه تشارلز رسل شخص لديه عقد نفسية، أثرت كثيرا في معتقداته، حيث فقد أمه وهو صغير ولم يستطيع تقبل حقيقة الموت، ونهاية العالم فجمع حوله أفراداً من النصارىٰ واليهود ليكونوا لهم مسيحية جديدة.

٢ - تأثروا بعقائد السبتيين من اليهود، وتسموا بعدة أسماء آخرها شهود يهوه، وصنعوا نصرانية يهودية، لها أفكارها وأحلامها، رفضوا بعض آيات «الكتاب المقدس»، وآمنوا بالمسيح علىٰ طريقة جديدة.

٣ - من مبادئهم الدعوة العالمية إلىٰ أن يكون الشعب الوحيد الحاكم علىٰ الأرض هو شعب إسرائيل وأن تزول الممالك جميعها وتبقىٰ مملكة واحدة هي مملكة بني إسرائيل في القدس. وتبشير الناس بفلسطين وطنا قوميا لليهود. والعمل علىٰ تقرير عقيدة مملكة إسرائيل العالمية بين الناس ومن ثم

الدعوة إلىٰ القضاء علىٰ جميع الأنظمة السياسية.

٤ – من مبادئهم الانتصار للصهيونية العالمية، وإنكار عقيدة ألوهية المسيح، وعقيدة الثالوث واعتبارها من مخلفات العقائد الوثنية القديمة.

٥ – ومن مبادئهم التبشير بمعركة أرمجدون التي يتم لشهود يهوه بعدها السيطرة علىٰ العالم وخضوع العالم لمملكة إسرائيل، وعدم الإيمان بجنة أو نار حقيقية، ولهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لهدف واحد من خلال دعوتهم للعالمية، والخلود آلا وهو بقاؤهم وخلودهم بعد القضاء علىٰ الشر – النصارىٰ بجميع فرقها والمسلمون وجميع الديانات، فهي جميعها وثنية– بمعونة يهوه.

٦ – شهود يهوه جمعية يهودية، ماسونية، منسوبة للنصارىٰ يخالفون كنائس العالم المسيحي علىٰ اختلاف فرقها، في كثير من العقائد والأفكار، بل يخالفونهم حتىٰ في ترجمة كثير من آيات كتبهم المقدسة، فهي تدعي المسيحية، للسيطرة علىٰ النصارىٰ وإقناعهم بشرعيتها.

٧ – شهود يهوه، من أخطر الجمعيات، فهي جمعية واقعة تحت سيطرة اليهود تعادي كل الديانات وخاصة الإسلام، كما هي عادة اليهود، ويستخدم اليهود هذه الجمعية مع غيرها من الجمعيات كالماسونية والصهيونية للوصول إلىٰ هدفهم وهو السيطرة علىٰ العالم وتكوين المملكة اليهودية وذلك بإشاعة

الفوضىٰ في العالم وخاصة في البلاد الإسلامية وبتجريد الناس من وطنيتهم وأديانهم وأخلاقهم.

٨ - وإن نجاحهم في نشر مذهبهم، لم يكن سببه إلا النجاح في عرض أفكارهم بصورة واضحة في باطلها؛ لأن عرض أي فكر بنجاح قد يؤدي إلىٰ تغيير المجتمع رأسا علىٰ عقب تجاه هذا الفكر.

لذا يجب إيقاف نشاط هذه الجمعية والسيطرة عليها، والتوعية بخطرها، وبيان حقيقتها، وغاياتها، خاصة في بلاد الإسلام، وأن ندرك مدىٰ خطر هذه المنظمة وعدم التسامح معها.

نسأل الله أن يقي المسلمين شرور أعدائهم بمنه وكرمه...

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

(١) إيمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الأدفنتست السبتيون، والرد علىٰ عقائدهم الخاطئة – الأنبا بيشوي مطران دمياط.

(٢) إنهم يعبدون الشيطان، المدني، محمد، دار محاكاة للنشر والتوزيع حلب، ط١، ٢٠١٠م.

(٣) التواريخ ذات المغزىٰ النبوي، (كتاب)، (مطبوعات برج المراقبة) مكتبة برج المراقبة: المطبوعات باللغة العربية (٢٠٠٠م – ٢٠١٦م).

(٤) جذور البلاء التل، عبد الله، دار الإرشاد، ط١ (١٣٩٠هـ- ١٩٧١م).

(٥) الخداع والتنصير، شهود يهوه وخدعة التنصير الجديد العبد الله، محمد، ط١، ١٩٩٧م، دار الدعوة الإسكندرية.

(٦) الخداع والتنصير شهود يهوه وخدعة التنصير الجديد العبد الله، لمحمد

(٧) شهود يهوه، آراؤهم وأثارهم الكنبلي، محمد سانوغو، مركز الملك فيصل للبحوث، ط١، ٢٠٠٨م، الدار العربية للموسوعات لبنان.

(٨) شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي حمادة، حسين، دار قتيبة، ط١، ١٩٩٠م، بيروت.

(٩) شهود يهوه حرب، محمد، ط٢، ١٩٨٣م.

(١٠) فتاوىٰ دار الإفتاء في مصر، الماسونية وموقف الدين منها، المفتي، عطية صقر، مايو ١٩٩٧م.

(١١) قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد، الحاج وآخرون، محمد أحمد، ط١، ٢٠٠٩م، الأكاديميون للنشر، عمان.

(١٢) كتاب سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان – الأنبا بيشوي مطران دمياط.

(١٣) الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ديدات، أحمد، المختار الإسلامي، القاهرة.

(١٤) مجلة استيقظ ١٩٩٤م يونيو.

(١٥) مجلة برج المراقبة ١٩٩٤م أكتوبر.

(١٦) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة السقاف، إشراف شيخ علوي بن عبدالقادر .

(١٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الجهني. إشراف والتخطيط والمراجعة، د. مانع بن حماد، ط٣، ٢٠١٤م، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٨) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المسيري. دكتور عبد الوهاب. (المكتبة الشاملة).

(١٩) نظام الدهور الإلهي (كتاب)، (مطبوعات برج المراقبة) مكتبة برج المراقبة: المطبوعات باللغة العربية (٢٠٠٠م – ٢٠١٦م).

(٢٠) يمكنكم أن تحيوا إلىٰ الأبد في الفردوس علىٰ الأرض (كتاب)، (مطبوعات برج المراقبة) مكتبة برج المراقبة: المطبوعات باللغة العربية (٢٠٠٠م-٢٠١٦م).

*** المواقع الالكترونية:**

(٢١) أخطاء ترجمة العالم الجديد لشهود يهوه وملخص لفكر شهود يهوه: http://drghaly.com

(٢٢) شهود يهوه: http://ar.arabicbible.com.

(٢٣) شهود يهوه: http://www.khayma.com.

(٢٤) شهود يهوه المشهورين: http://www.ranker.com.

(٢٥) المسيح الابن: http://www.ranker.com

(٢٦) مكتبة برج المراقبة: http://wol.jw.org

(٢٧) موقع رسمي لشهود يهوه: https://www.jw.org/ar

(٢٨) البابا شنودة: http://www.tanseerel.com

* * *

List of Sources and References

(1) Iman Al-Kaneesah Al-Qibtiyyah Al-Urthodoxiyyah Al-Adventest As-Sabtiyyoon, wa Ar-Radd ala Aqa'idihum Al-Khaatiah, (The Belief of the Coptic Orthodox Adventist Sabbath Churches, and Refuting Their Incorrect Beliefs), St Biyoushi Mutran Dimyat.

(2) Innahum Yaabudoon As-Shaytan, (They are Worshipping Satan), Al-Madani, Muhammad, Dar Muhakah Publishers and Distributors Halab, 1st ed., 2010.

(3) At-Tawarekh That Al-Maghza An-Nabawi, (Dates with Prophetic Significance),(book), (Control Tower Publications) Control Tower Bookstore: Arabic publications (2000 – 2016).

(4) Juthoor Al-Balaa At-Tall, Abdullah, Dar Al-Irshad, 1st ed., (1390H – 1971).

(5) Al-Khudaa wa At-Tanseer, Shuhood Yahooh wa Khudat At-Tanseer Al-Jadeed, (Trickery and Christianisation, Jehovah Witnesses and The Trickery of Modern Christianisation Al-Abdullah, Muhammad, 1st ed, 1997, Dar Ad-Daawah Al-Iskandariyyah.

(6) Al-Khudaa wa At-Tanseer, Shuhood Yahooh wa Khudat At-Tanseer Al-Jadeed, (Trickery and Christianisation, Jehovah Witnesses and The Trickery of Modern Christianisation Al-Abdullah

(7) Shuhood yahooh, Araauhum wa Aatharuhum, (Jehovah Witnesses, Opinions and Effects) Al-Kanbali, Muhammad Sanogho, King Faisal Centre for Research, 1st ed., 2008, Dar Al-Arabia for Encyclopedias Lebanon.

(8) Shuhood Yahooh Bayn Burj Al-Muraqabah Al-Amreeki wa Qa'at At-Tilmood Al-Yahoodi, (Jehovah Witnesses Between The American Control Tower and The Jewish Talmud Hall Hamadah, Husain, Dar Qutaibah, 1st ed., 1990, Beirut.

(9) Shuhood Yahooh, Jehovah Witnesses Harb, Muhammad, 2nd ed., 1983.

(10) Fatawa Dar Al-Ifta in Egypt, Al-Masooniyyah wa Mawqif Ad-Deen Minha, (The Religious Position on Freemasonry), Mufti, Atiyyah Saqr, May 1997.

(11) Qamoos Al-Aqeedah Alf Mustalah fi Al-Aqa'id, Al-Hajj and others, Muhammad Ahmad, 1st ed., 2009, Academins Publishes, Amman.

(12) Kitab Silsilat Muhadharat Tabseet Al-Eeman, (A Book on Series of lectures Simplifying Belief), St Biyoushi Mutran Dimyat.

(13) Allah fi Al-Yahoodiyyah wa Al-Maseehiyyah wa Al-Islam, (Allah in Judaism, Christianity, and Islam) Deedat, Ahmad, Al-Mukhtar Al-Islami, Cairo.

(14) Majallah Istaiqith, (Wake up Journal) 1994 June.

(15) Majallah Burj Al-Muraqabah (Control Tower Journal) 1994 October.

(16) Mawsooat Al-Mathahib Al-Fikriyyah Al-Muasirah, (Encyclopedia of Modern Intellectual Doctrines) As-Saqqaf, supervision Shiekh Alawi Bin Abdul Qadir.

(17) Al-Mawsooah Al-Myassarah fi Al-Adyan wa Al-Mathahib wa Al-Ahzab Al-Muasirah (The Easy Encyclopedia on Contemporary Religions, Sects, and Parties) Al-Juhani. Supervision planning and revision, Dr Mani Bin Hammad, 3rd ed., 2014, World Assembly House Printers Publishers and Distributors.

(18) Mawsooat Al-Yahood wa Al-Yahoodiyyah wa As-Sihyooniyyah (Encyclopedia of Jews Judaism and Zionism) Al-Maseeri. Dr Abdul Wahhab. (Ash-Shamilah Bookstore).
(19) Nitham Ad-Duhoor Al-Ilahi (The Divine Eons System) (book), (a Control Tower Publication) Control Tower Bookstore: Arabic Publications (2000 – 2016).
(20) Yumkinukum an Tahyou ila Al-Abad fi Al-Firdaws ala Al-Ardh (You Can Live Forever in Paradise on Earth) (book), (a Control Tower Publication) Control Tower Bookstore: Arabic publication (2000 – 2016).

Websites:
(21) Mistakes of Modern World Translations by Jehovah Witnesses and an Overview of The Jehovah Witness Belief: http://drghaly.com
(22) Jehovah Witnesses: http://ar.arabicbible.com
(23) Jehovah Witnesses: http://www.khayma.com
(24) Famous Jehovah Witnesses: http://www.ranker.com
(25) Messiah the son: http://www.ranker.com
(26) Control Tower Bookstore: http://wol.jw.org
(27) The official Jehovah Witness website: http://jw.org/ar
(28) Pope Shenodah: http://www.tanseerel.com

❊ ❊ ❊

ما لم تألف له العرب نظيراً
من كلم الرسول ﷺ

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد

د. تهاني بنت محمد الصفدي

أستاذ مساعد، بقسم العلوم العامة
كلية البنات، جامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض

tahani1428@hotmail.com

ما لم تألف له العرب نظيراً من كلم الرسول ﷺ

المستخلص: لم يأت عن أحد من روائع الكلم مثل ما جاء عنه ﷺ، وقد أثر عنه مجموعة من التراكيب التي تفرّد بها، فلم يسبقه إليها غيره. إذ كانت قدرته ﷺ علىٰ إبداع الألفاظ وارتجالها كقدرته العجيبة علىٰ إحاطته باللغة فكان ﷺ يصرّف اللغة، ويشقّق في أساليبها ومفرداتها، وليس منهجي أن أقف علىٰ كلامه الموجز ﷺ، فإن جلّ كلامه جار هذا المجرىٰ، إنما أردت الوقوف علىٰ ما لم تألف العرب له نظيراً، ولم تسمع به في متقدم كلامها، وكان من الكثرة والروعة ما شد إليه الأنظار واستحوذ علىٰ إعجاب العلماء؛ فحدت تراكيب الأحاديث المبتكرة أئمة اللغة إلىٰ محاولة جمع ما يقع إليهم منها.

هذا البحث يتناول جهود علماء اللغة في الكشف عن جوامع كلم النبي ﷺ التي لم يسبق لها ولم تُسْمع من عربيّ قبله؛ لأسهم في الكشف عن إرث فريد لا يسعنا إغفاله.

الكلمات المفتاحية: ما لم تألف له العرب نظيرا، جوامع الكلم، التفرد والسبق، ألفاظ غريبة، الارتجال، ما سمعتها من عربي قبله.

* * *

The Unprecedented Nature of The Prophet Muhammad's Speech Amongst The Arabs

Abstract: Such eloquence in speech was not seen before the Prophet Muhammad -pbuh-, and there are numerous sets of compositions that are unique in nature and unprecedented before the Prophet -pbuh-, as his ability to create prose and improvise was equal to his vast knowledge of the language, its grammar, and extensive vocabulary. It is thus not my methodology to discuss the nature of the Prophet's -pbuh- brief speech, since most of his speech was brief. Instead, I wanted to examine the speech that was so beautiful, unique, unheard of, and unprecedented by the Arabs themselves that it attracted attention and won the admiration of scholars, and linguists were left limited by the innovative structures of the *ahadeeth* in categorising the same.

This research deals with the efforts made by linguists to uncover the *jawami al-kalim* (the shortest expression with the widest meaning) of the Prophet -pbuh- that was unheard of by any Arab before him, so as to contribute to the revelation of this extraordinary heritage that we must not ignore.

Keywords: *ihtijaj- jawami al-kalim-* improvising- unprecedented- first to speak it- unique compositions.

❊ ❊ ❊

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فصلّىٰ الله وسلم علىٰ من خصَّهُ بِجَوامعِ الكَلِم وبدائعِ الْحِكَم في أسلوب بهر العرب رونقه، وخلب ألبابهم جرسه ووقعه، وملك نفوسهم ما فيه من جمال اللفظ وبراعة الصورة، وسمو البيان، وروعة الأداء، وحسن التقسيم، ودقة الصوغ، وسرعة التأثير، والنفاذ إلىٰ أعماق القلوب، فما أثمرت بلاغة مثل ما أثمرته بلاغة القرآن الكريم في السماء، ثم بلاغة كلامه ﷺ في الأرض، ولم يأت عن أحد من روائع الكلم مثل ما جاء عنه ﷺ. تلك التراكيب الفريدة من كلمه ﷺ صنعت تاريخاً، وأقامت مجداً، وأعلت صرحاً، لما كان لها من بيان رفيع، ومعنىٰ شريف، ولفظ كريم.

وتلك الصياغة المحكمة الفريدة حيّرت أئمة اللغة إذ لم يجدوا لها أثراً فيما عرفوه من لغتهم، ولا غرو في ذلك فإنّ لغة الحديث الشريف قمة شامخة في البلاغة، وذروة رفيعة فصاحة وبياناً، إذ هي قبس من لغة الوحي[1].

(١) من مقدمة كتاب غريب الحديث، لابن قتيبة (١/ ٢٧).

أهمية الموضوع:

قد اختصت هذه الدراسة بالبحث في جانب من الحديث النبوي له بالعربية ودراساتها اللغوية صلة وثقىٰ وأثر بعيد. فممّا لاشك فيه أن موضوع (**ما لم تألف له العرب نظيراً من جوامع كلم الرسول ﷺ**) جدير بالدراسة العميقة التي تقف علىٰ مزاياه، وجملة ما فيه من قضايا، وكان مما دفعني إلىٰ البحث فيه أمور، منها:

- تعلّق الموضوع باللغة وثرائها، والأسس التي بُنيت عليها، لذا فهو يتعلّق بتأصيل المادة اللغوية، ودرجة صحّتها، وقبولها، وتطورها.

- تعلّقه بالحديث النبوي، وهو ميدان فسيح لكثير من العلوم، فقد كان جمع الحديث وروايته وتدوينه الأساس الأوّل الذي قامت عليه الحركة العلمية التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد عصر الرسول ﷺ، فجلّ ما وصل إلينا من التأريخ والسيرة، والغزوات والفتوحات، والتراجم والطبقات، وتفسير القرآن وعلوم القراءات، تشعّب عن جمع الحديث وروايته. أما العلوم اللسانية العربية فقد رافقت في مسيرتها مسيرة العلوم الأخرىٰ، فحظيت بمثل ما حظيت به تلك العلوم من رعاية وعناية، فقد كانت الدواعي متمثلة في خدمة الدين الجديد، قرآنا، وحديثا، ولغة، وإعرابـًا. وضحت فيه كيف أغنىٰ الحديث النبوي اللغة العربية في ألفاظها وتراكيبها، وفي لهجاتها وغريب ألفاظها، فكانا وحدة واحدة، قال السيوطي: «علم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد

واحد»[1].

موضوع البحث:

أثر عنه ﷺ روائع تفرّد بها، فلم يسبقه إليها غيره، إذ كانت قدرته ﷺ علىٰ ارتجال الكلم كقدرته العجيبة علىٰ إحاطته باللغة، فكان ﷺ يصرّف اللغة، ويشقّق في أساليبها ومفرداتها[2]، وقد أشار إلىٰ بعضها بعض علماء الغريب وأئمة اللغة بقولهم: «ولم نسمع بها إلا في هذا الحديث»[3]، أو «لا أعرفه»[4]، أو «فإنّا لا نرىٰ هذا محفوظاً»[5]، ومنهم من شكّك في روايات الحديث[6]. ومما استوقفني ودفعني للبحث في هذا الموضوع هو حيرة علماء

(١) المزهر، للسيوطي (٢/ ٣١٢).

(٢) المزهر، للسيوطي (١/ ٢٠٩).

(٣) قال أبو عبيد عن الكيول: «ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث». غريب الحديث، للهروي (١/ ٣٤٣).

(٤) قال الهروي في حديثه عن برهرهة: «سألت عنه الأزهري، فقال: لا أعرفه». النهاية في غريب الحديث (٤/ ٨٦).

(٥) قال الخطابي: «قد أكثرت السؤال عنها فلم أجد فيها قولا يقطع بصحته ثم اختار أنها السكين». غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٧٥).

(٦) قال الخطابي: «أما أجادِب فهو غلط وتصحيف، وكأنه يريد أن اللفظة أجارد بالراء والدال، وكذلك ذكره أهل اللغة والغريب، قال وقد روىٰ أحادِب بالحاء المهملة». غريب الحديث، للخطابي (١/ ٤٠٠).

العربية وجهابذتها عند الوقوف علىٰ بعض الألفاظ والتراكيب[1]، فقلّ منهم من كان يشير إلىٰ أنّ قدرته ﷺ علىٰ ارتجال الألفاظ كقدرته علىٰ إحاطته باللغة، أو إلىٰ أنّ ذلك مما لم يسبق إليه النبي ﷺ.

الدراسات السابقة:

لا أعلم فيما بين يدي من الكتب كتاباً حديثاً خصّص للحديث عن فكرة هذا الموضوع بيد أن الدكتور محمد ضاري حمادي عرض في كتابه (الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية)[2] مجموعة من الألفاظ المرتجلة لم يرد لها ذكر قبل أن ينطق بها رسول الله ﷺ، وكانت فكرته تلك دافعا لي أن أبحث في جهود علماء اللغة في الكشف عن جوامع كلم النبي صلىٰ عليه وسلم التي لم يسبق لها ولم تُسْمع من عربيّ قبله؛ لأسهم في الكشف عن تراث لغويّ فريد لا يسعنا إغفاله.

خطة البحث:

لتحصل للمطّلع صورة عن البحث أوردت عرضاً لخطّته، قبل الدخول فيه، وقد جاء البحث في **تمهيد، وثلاثة مباحث**:

- التمهيد: الاحتجاج بالحديث الشريف.

---

(١) مقدمة النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/ ١٤).

(٢) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، محمد ضاري حمادي (ص١٥٢).

- المبحث الأول: أقوال أئمة اللغة وجهابذة العربية في فصاحته ﷺ.
- المبحث الثاني: جهود أئمة اللغة وجهابذة العربية في الكشف عن تلك التراكيب الفريدة التي لم يُسبق إليها ﷺ.
- المبحث الثالث: ذكر نماذج منتقاة من الارتجال والتفرّد في تراكيب الرسول ﷺ لم يُسبق إليها.

ثم إنني ختمتُ هذا البحث بخاتمةٍ ذكرت فيها أهمّ النتائج التي ظهرت لي أثناء عملي، وأبرزها في هذا، وأتبعت الخاتمة بفهارس فنيّة لما يحتاج لفهرسة في البحث.

منهج البحث:

ليس منهجي أن أقف علىٰ كلامه الموجز ﷺ، فإن جلّ كلامه جار هذا المجرىٰ، إنما أردت الوقوف علىٰ ما لم تألف العرب له نظيراً، ولم تسمع به في متقدم كلامها، وكان من الكثرة والروعة ما شد إليه الأنظار واستحوذ علىٰ إعجاب العلماء؛ فحدت تراكيب الأحاديث المبتكرة أئمة اللغة إلىٰ محاولة جمع ما يقع إليهم منها.

اعتمدت في كتابة هذا البحث علىٰ المنهج الاستقرائي الوصفي في إيراد شواهد الأحاديث الشريفة، ثم المنهج التحليلي في دراسة الشاهد من الحديث النبويّ الشريف، وعرض أقوال أئمة اللغة وتوجيهها، واستنتاج الراجح منها.

كما التزمت المنهج التاريخي في عرض جهود اللغويين مراعية تسلسلها التاريخي وإفادة اللاحق من السابق، وتصويب بعضها بعضا والرد عليها.

والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

تمهيد
الاحتجاج بالحديث الشريف

يعدّ الحديث الشريف ثاني مصادر الاحتجاج بعد القرآن الكريم، وقد انقسم النحاة إزاء الاحتجاج به فريقين:

- فريق غلب على ظنّه أن الأحاديث الشريفة رويت بلفظه ﷺ فهي في الذروة العليا من الفصاحة، أو روي معناها بألفاظ الصحابة والتابعين، وهم داخلون في نطاق الاحتجاج، فأجازوا الاحتجاج به.
- فريق رفض الأخذ به في الاستشهاد على مسائل النحو محتجّاً بأنه قد سمحت الرواية فيه بمعناه لا بلفظه، كما أن بعض رواته كانوا من المولّدين[1].

ولعل من أسباب بعد النحويين الأوائل، عن الاستشهاد بالحديث، إيثارهم الابتعاد عن مواطن تزلّ فيه الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتّهام بعض الناس بعضاً بهذا الوضع، ولا يعني ذلك أن المؤلفات النحوية الأولى تخلو من ذكر الحديث خلوّاً تامّاً فقد

(١) الاقتراح (ص٤٠). وانظر: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي (ص ٣٠٧).

استشهد سيبويه[1]، وغيره بالحديث النبوي الشريف علىٰ كثير من مسائل اللغة، وإن كان احتجاجهم محدوداً. كذلك استشهد قدامىٰ اللغويّين بالحديث في مسائل اللغة أمثال أبي عمرو بن العلاء، والخليل، والفراء، والأصمعي، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، وابن السكيت، وأبي حاتم، وابن قتيبة، وابن خالويه، والجوهري، وغيرهم[2]، وبلغت شواهد الخليل بن أحمد الفراهيدي من الحديث الشريف تسعة وعشرين وثلاثمائة حديث[3].

كما أرّخت د. خديجة الحديثي بداية الاحتجاج بالحديث النبوي بأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه[4]. ويكاد يجمع الباحثون علىٰ أن ابن خروف الأندلسي (المتوفىٰ سنة: ٦٠٩هـ) له فضل السبق في الإكثار

(١) ينظر: فهارس كتاب سيبويه، د. عبد السلام هارون (٥/ ٣٢)، وفهارس كتاب سيبويه، عبد الخالق عضيمة (ص٧٦٣).

(٢) ذكر مواضع استشهادهم د. أحمد مختار عمر. ينظر: البحث اللغوي عند العرب (ص٣٧- ٣٨).

(٣) ينظر: (من موارد العين للفراهيدي)، د. عبدالله الجبوري (ص٢٦٥)، مجلة الذخائر العدد الرابع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) ينظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي (ص٧٧)، وقد جمعت المؤلفة لمن يسمون بنحاة ما قبل الاحتجاج سبعة وثمانين حديثاً نبوياً، وتسعة وعشرين حديثاً مروياً من آل البيت والصحابة (ص١٨٩).

من الاعتداد بالأحاديث والاستشهاد بها[1]، وتابعه في ذلك ابن مالك صاحب الألفية (المتوفى سنة: ٦٧٢هـ)، فخطا خطوة موفّقة حين جعل الحديث المصدر الثاني من مصادر الاحتجاج بعد القرآن الكريم، يظهر ذلك جليّاً في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» إذ احتوى على مائتين وستة وستين حديثاً، فاستقرأ الأحاديث، واستخلص ما جاء فيها من قواعد جديدة، فأثبتها، واستدرك بها على قواعد النّحاة الأوائل مما ورد في أسلوب الأحاديث، ولم يرد مثله في آيات الكتاب العزيز، ولا فيما جمعه النحاة من كلام العرب الفصحاء[2].

ومن أعلام مانعي الاستشهاد بالحديث: ابن الضائع (المتوفى سنة: ٦٨٠هـ)، وأبو حيّان (المتوفى سنة: ٧٤٥هـ)[3]. وتوسّط الشاطبيّ (المتوفى سنة:

(١) ذكر ذلك ابن الضائع، قال: «وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً». ينظر: خزانة الأدب (١/ ٥)، والاقتراح (ص٤٣).

(٢) ينظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف (ص ٤٢٤).

(٣) قالت د. خديجة الحديثي في «موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف» (ص٤٢٧): (.. إنني أستطيع أن أخالف الباحثين جميعاً – قديمين ومحدثين – فيما ذهبوا إليه من أن أبا حيان كان يمنع الاحتجاج بالحديث مطلقاً؛ لأنه قد ثبت لي أنه لا يردّ على ابن مالك ولا على غيره ممن احتجّوا بالحديث مما صح عنده وقبله، وإنما يعرض آراءهم واحتجاجهم من غير أن يردّها، وقد يتابعهم فيها ويرجّح احتجاجهم، وقد يحتج هو بأحاديث يبني عليها آراء واستعمالات لم يسبق أن قال بها أحد قبله، كما=

٧٩٠هـ) الموقفين، فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها. قال في شرح الألفية: «أما الحديث فإنه خالف في الاستشهاد به جميع المتقدمين، إذ لا تجد في كتاب نحوي استدلالاً بحديث منقول عن رسول الله ﷺ إلا علىٰ وجه أذكره بحول الله، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم وبأشعارهم التي فيها الخنىٰ، والفحش... ويتركون الأحاديث الصحيحة»[1] وتابعه السيوطيّ في الاقتراح، قال: «وأما كلامه ﷺ فيستدلّ منه بما ثبت أنه قال علىٰ اللفظ المرويّ، وذلك نادر جدّاً، إنما يوجد في الأحاديث القصار علىٰ قلّة أيضاً، فإنّ غالب الأحاديث مروي بالمعنىٰ، وقد تداولها الأعاجم والمولّدون قبل تدوينها، فرووها بما أدّت إليه عباراتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، لذلك ترىٰ الحديث الواحد مرويّاً علىٰ أوجه شتّىٰ بعبارات مختلفة، ومن ثم أُنكر علىٰ ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث»[2].

وتوسع الإستراباذي الذي كتب شرحه المشهور علىٰ متن الكافية

=وجدت أنه يجيز الاحتجاج بكلام آل البيت والصحابة ﷺ وفق الشروط التي رآها في الحديث النبوي الشريف).

(١) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي، تحقيق: د. عياد الثبيتي (٣/ ٤٠١).

(٢) الاقتراح (ص ٤٠).

لابن الحاجب في صحّة الاستشهاد في أمور اللغة حتىٰ بأهل البيت، وبها طرأ علىٰ العربية تحوّل ظاهر.

ولا ضير أن يتدارك المتأخرون ما فات المتقدين، بل إن ذلك هو المنتظر. ومما يجدر ذكره أنّ النزاع كان قائمًا بين النحويين علىٰ الاستشهاد بالحديث في النحو، أما الاستشهاد به في اللغة فقد كان أمراً مباحًا، لكن علىٰ قلّة نسبية[1].

وفي العصر الحديث نوقشت المسألة مناقشة موسعة، انتهت بتلخيص مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأحاديث التي يصح الاحتجاج بها، فأصدر قراراً بهذا الشأن[2]:

١- لا يحتجّ في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدوّنة في الصدر الأول، ككتب الصحاح الست النبوية فما قبلها.

٢- يحتجّ بالحديث المدوّن في هذه الكتب الآنفة الذكر علىٰ الوجه الآتي:

أ- الأحاديث المتواترة المشهورة.

(١) ينظر: المعجم العربي (١/ ٢١٥).

(٢) ينظر: في أصول النحو، لسعيد الأفغاني (ص٤٦- ٥٨)، والاحتجاج بالشعر في اللغة، محمد حسن جبل (ص٧٣-٧٤)، والقرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، خالد بن سعود العصيمي (ص ٦٨٠).

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج - الأحاديث التي تعدّ من جوامع الكلم.

د - كتب النبيّ ﷺ.

هـ- الأحاديث المرويّة لبيان أنه كان ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم.

و - الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنىٰ مثل القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، وابن سيرين.

ز - الأحاديث التي دوّنها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ح- الأحاديث المرويّة من طرق متعدد وألفاظها واحدة.

* * *

المبحث الأول
أقوال أئمة اللغة وجهابذة العربية في فصاحته ﷺ

للعرب كلمٌ تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدجىٰ، كقولهم للجَموع للخير: قَثومٌ، وهذا أمر قاتم الأعماق، أسود النواحي، واقتحف الشراب كلَّه، وفي هذا الأمر مصاعب وقُحم... وهذه كلمات من قرحة واحدة، فكيف إذا جال الطرف في سائر الحروف مجاله؟ ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض، ولما حوته أجلادٌ وأجلادٌ[1]. فكيف إذا كان الكلام من وحي النبوّة؟ قال بعض الفقهاء: «كلام العرب لا يحيط به إلا نبيّ»[2]. قال الخطابي: «ومن فصاحته وسعة بيانه أنه قد يوجد في كلامه الغريب الوحشيّ، الذي يعيا به قومه وأصحابه، وعامتهم عرب صرحاء، لسانهم لسانه، ودارهم داره»[3].

فأصحاب الرسول ﷺ وعامتهم من العرب الصرحاء، لسانهم لسانه، ودارهم داره ﷺ، وهم الصدر الأول والنمط الأفضل، ورثة علم السنة، والحافظون لها لمن يأتي بعدهم من الأمة، إلاّ إنهم كانوا يجدون في كلام

(١) الصاحبي، لابن فارس (ص٢٤).
(٢) المصدر السابق (ص٢٦).
(٣) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٦).

الرسول ﷺ ألفاظًا غريبة، فيسارعون إلىٰ السؤال ليوضحها لهم ﷺ.

وقد وجدت أثناء قراءتي في الحديث النبوي شواهد كثيرة علىٰ ذلك، يصعب استقراؤها، أذكر جملة منها علىٰ سبيل التمثيل، كثيرا ما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي عن دلالتها، فيقولون: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَة؟ وما الإثلب؟ وما العصران؟ وما السأم؟ وما التخليل؟ وما المفرّدون؟ وما القسامة؟ وما اقتناه؟ وما تزهّىٰ؟ وما القيرطان؟ وما البردان؟ وقد أفردت لها بحثًا مستقلاً بعنوان: (أثر حديث خير البرية ﷺ في إثراء العربية)[1]، درست فيه التطور الدلالي للألفاظ التي تفرّد بها ﷺ. ويعدّ هذا البحث مكملاً له، أفردته لما أُثر عنه ﷺ من التراكيب التي تفرّد بها، ولم يسبقه غيره إليها، ولكثرة ما ورد من هذا ومن نظائره. قال أبو عبيدة: معمر بن المثنىٰ: «أعيانا أن نعرف أو نحصي غريب حديث رسول لله ﷺ»[2].

وقال سفيان بن عيينة: «سألت عن تفسير الحديث خمسين سنة. قال أبو سليمان: وقد كان بقي عليه بعدُ ما لم يعرفه»[3]، وقال: «وبلغني أن أبا عبيد القاسم بن سلاّم مكث في تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عمّا أودعه

(١) أثر الحديث النبوي في إثراء العربية، د. تهاني بنت محمد الصفدي - الهند - جامعة كيرالا، ترونتبرام - المجلد الثاني - لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراساته ٢٠١٢م.

(٢) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٦٩).

من تفسير الحديث، والناس إذ ذاك متوافرون، والروضة أنف، والحوض ملآن... وقد بقي من وراء ذلك أحاديث ذات عدد لم أتيسر لتفسيرها، تركتها ليفتحها الله علىٰ من يشاء من عباده، ولكل قوم وقت، ولكل نشء علم»[1].

أسأل الله أن ينيلني وقارئ بحثي من فضله.

وقد حيرّت بعض تلك الألفاظ علماء العربية وجهابذتها. قال ابن الأثير: «فكأن الله ﷻ قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه، وجمع فيه من المعارف ما تفرّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه، وكان أصحابه -رضي الله عنهم- من يفد عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوا عنه فيوضحه لهم»[2]، وقال: «كم يكون فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم، جعلها الله سبحانه ذخيرة لغيري يظهرها علىٰ يده ليذكر بها، ولقد صدق القائل الثاني: كم ترك الأول للآخر»[3]، وقال الخطابي: «اعلم أن اللّهَ لما وضعَ رسوله موضع البلاغ من وَحْيه ونَصَبه مَنْصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربَها، ومن الألْسُن أفصحَها وأبينَها؛ ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف، ثم أمدَّه بجوامع الكَلم التي جعلها ردءاً لنبوته وعلما لرسالته،

(١) غريب الحديث، للخطابي (١/ ١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨).

(٣) مقدمة النهاية، لابن الأثير (١/ ١٤).

لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل علىٰ السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله، ومن تتبع الجوامع من كلامه لا يعدم بيانها، وقد وصفت منها ضروبا، وكتبت لك من أمثلتها حروفا تدل علىٰ ما وراءها من نظائرها وأخواتها، فمن القضايا والأحكام قوله: «المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم، وهم يد علىٰ من سواهم... ومنْ فصاحته وحسن بيانه أنه قد تكلّم بألفاظ اقْتَضَبَها، لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقَدّم كلامها كقوله: (مات حَتْف أَنْفه) و(حَميَ الوطيس) (لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحر مرَّتين)»[1].

ووصف الجاحظ كلام النبي ﷺ فقال: «هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلّف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيّ، ورغب عن الهجين السوقيّ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقىٰ الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الحروف، لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنىٰ، ولا أبين عن فحواه من

(١) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٤).

كلامه ﷺ»[1]. قال الزمخشري: «ثم إن هذا البيان العربي كأنّ الله عزَّتْ قدرته مَخَضه، وألقىٰ زُبْدته علىٰ لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام: فما من خطيب يقاومه إلا نكَص متفكّك الرجل، وما من مصقِع يُناهزه إلا رجع فارغ السَّجْل، وما قُرِن بمنطقه منطقٌ إلا كان كالبِرذَون مع الحصان المطَهَّم، ولا وقع من كلامه شيءٌ في كلام الناس إلا أشبه الوَضح في نُقْبة الأدْهم»[2].

وقال مجد الدين ابن الأثير «وقد عرفت – أيدك الله وإيانا بلطفه – أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأعذبهم نطقًا، وأسدّهم لفظًا، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلىٰ طريق الصواب، تأييداً إلهيًا، ولطفًا سماويًا، وعناية ربانية، ورعاية روحانية...»[3].

وقال مصطفىٰ صادق الرافعي: «ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقًا من الله، وتوفيقًا إذ ابتعثه للعرب، وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ثم هم مختلفون علىٰ تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلىٰ اختلاف مواطنهم..... فكان ﷺ يعلم كل ذلك علىٰ حقه، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها،

(١) البيان والتبيين (٢/ ١٧-١٨).

(٢) من مقدمة الفائق في غريب الحديث (١/ ٩).

(٣) مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨).

فيخاطب كلّ قوم بلحنهم، وعلىٰ مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لنقلوه وتحدثوا به، واستفاض فيهم»[1]. فصلَّىٰ الله علىٰ من خصَّهُ بِجَوامعِ الكَلِم وبدائعِ الْحِكَم؛ فربما جَمعَ أشتاتَ الْحِكَم والعُلومِ في كلمةٍ أو شَطرِ كلمةٍ «تأييداً إلهياً، ولطفاً سماوياً، وعناية ربانية، ورعاية روحانية»[2]. سارت أحاديثه ﷺ مسير الشمس، ودارت في الدنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطّه الشيطان من المسّ، وأجلها وأعظمها الجامع الصحيح.

وقد أجاز علماء العربية الارتجال؛ وهو القدرة علىٰ خلق ألفاظ، وإطلاق ما لم يسمع من قبل، إذا صدر من فصيح، قال ابن جني: «فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته، تصرّف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، فقد حكي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها»[3]. وعقد ابنُ جني في الخصائص فصلا عن: المسموعُ الْفَرُد هل يقبل ويحتجُّ به، وذكر له أحوالا[4]، وساق أمثلة مما تفرَّد بنقله عن العرب واحدٌ

(١) تاريخ العرب (٢/ ٢٨٣).

(٢) مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨).

(٣) الخصائص (٢/ ٢٤).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٨).

أحدها: أن يكون فرداً بمعنىٰ أنه لا نظير له في الألفاظ المسموعة مع إطباق العرب علىٰ=

من أئمة اللغة[1].

وأفرد السيوطي باباً لما انْفَرَدَ بروايته واحدٌ من أهل اللغة ولم ينقله أحدٌ غيره، وحكْمُه القبول إن كان المتفرّد به من أهل الضَّبْط والإتقان، واستشهد بأبي زيد والخليل والأصمعي وأبي حاتم وأبي عبيدة وأضرابهم، وذكر نبذة من أمثلتهم[2]. وحديث سيد البشر ﷺ أولىٰ، فقد ساق العلماء ألفاظاً وتراكيب كان النبي ﷺ أول من تكلم منها، ولم تُسْمع من عربيّ قبله، كقوله: (**مات**

=النُّطق به فهذا يَقْبَل ويحتجُّ به ويُقاس عليه إجماعاً، كما قيس علىٰ قولهم في شَنُوءة شَنَئِيّ مع أنه لم يُسْمع غيرُه؛ لأنه لم يُسْمع ما يخالفه وقَد أطبقوا علىٰ النُّطق به.

الحال الثانية: أن يكون فرداً، بمعنىٰ أن المتكلّم به من العرب واحد، ويخالف ما عليه الجمهور فينظر في حال هذا المنفرد به، فإن كان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القَدْر الذي انفرد به، وكان ما أورده مما يقبلُه القياسُ إلا أنه لم يَرد به استعمالٌ إلا من جهة ذلك الإنسان فإنّ الأَوْلىٰ في ذلك أن يحسن الظنّ به ولا يحمل علىٰ فساده.

الحال الثالثة: أن ينفرد به المتكلّم ولا يُسْمع من غيره لا ما يوافقه، ولا ما يخالفه، والقولُ فيه أنه يجب قبولُه إذا ثبتت فصاحته.

(١) الخصاص (٢/ ٢٨) منها: ما رواه أبو حاتم قال: سألت أمَّ الهيثم عن الحَبّ الذي يسمىٰ (أسفيوش) ما اسمه بالعربية، فقالت: منه حبَّات فأريتُها فأَفْكَرت ساعة ثم قالت: هذه البُحْدُق، ولم أسمَعْ ذلك من غيرها، الشَّمَل لغة في الشّمْل:

أنشد أبو زيد في نوادره لْلُبُعَيث: وقد يَنْعَشُ اللهُ الفَتَىٰ بعد عَثْرةٍ... وقد يَجْمعُ اللهُ الشَّتيتَ من الشَّمَلْ. قال أبو عَمْرو الجَرْمي: ما سَمعتُه بالتحريك إلا في هذا البيت.

(٢) ينظر: المزهر (١/ ٢٤٨-٢٥٥).

حَتْفَ أَنْفه)، وقوله: **(لا يَنْتَطح فيها عَنْزَان)**، وقوله:**(الآن حَمي الوَطيس)**، وقوله:**(لا يُلْدَغُ المُؤْمنُ من جَحْرٍ مرتين)**، وقوله: **(الحربُ خَدْعَة)**، وقوله: **(إيّاكم وخَضْراء الدِّمَن)**... إلىٰ غير ذلك مما يصعب حصره[1].

والارتجال حقيقة من حقائق اللغات جميعا- وهو وسيلة إثراء وإغناء، وقد أشار إليه في بعض الأحايين شراح الحديث وغريبه، نحو حديث: «المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانِه ويدِه»، قال القسطلاني: «وهذا من جوامعِ كلمه ﷺ التي لم يُسبق إليه»[2].

وقال ابن حجر العسقلاني معلّقاً علىٰ حديث «لا يُلسَع المؤمن من جحرٍ مرّتين»، وهذا الكلام مما لم يسبق إليه النبي ﷺ»[3]، إلىٰ غير ذلك مما سيذكر في ثنايا البحث. بيد أنهم لم يفردوا له أبواباً مستقلة.

قال أسامة بن منقذ: «كلام النبوة دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، فيه جوامع الكلم ومعجزات البلاغة والفصاحة». ثم ساق عدداً من جوامع كلمه ﷺ منها، فقال: حصر البليغ من كلام النبوة ممتنع معجز، لأنه كلّه بليغٌ فصيحٌ»[4].

---

(١) نفسه (١/ ٢٠٩).

(٢) إرشاد الساري (١/ ٢٤).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٣٥٠).

(٤) لباب الآداب (٢/ ٣٣٥).

وليس منهجي الوقوف علىٰ كلامه الموجز ﷺ، فإن جلّ كلامه جار هذا المجرىٰ، فقد كان ﷺ أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأعذبهم نطقًا، وأسدّهم لفظًا، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلىٰ طريق الصواب. إنما أردت الوقوف علىٰ ما لم تألف العرب له نظيراً، ولم تسمع به في متقدم كلامها، وما كانت تلك الكلم إلا توفيقًا من الله، «وتوفيقًا إذ ابتعثه للعرب، وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ثم هم مختلفون علىٰ تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلىٰ اختلاف مواطنهم... فكان ﷺ يعلم كل ذلك علىٰ حقه، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كلّ قوم بلحنهم، وعلىٰ مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأسدّهم لفظًا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لنقلوه وتحدثوا به، واستفاض فيهم»[1]. وكان من الكثرة والروعة ما شد إليه الأنظار واستحوذ علىٰ إعجاب العلماء؛ فحدت تراكيب الأحاديث المبتكرة أئمة اللغة إلىٰ محاولة جمع ما يقع إليهم منها.

وسأذكر من نص علىٰ تلك المجاميع النفيسة من علماء اللغة مرتبة إياهم حسب تاريخ الوفاة (المنهج التأريخي) في المبحث الثاني:

* * *

(١) تاريخ العرب (٢/ ٢٨٣).

المبحث الثاني
جهود أئمة اللغة وجهابذة العربية في الكشف عن تلك التراكيب الفريدة

أولاً: الجاحظ (متوفىٰ سنة: ٢٥٥هـ).

سبق ذكر وصف الجاحظ كلام النبي ﷺ الذي «حفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق، لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىٰ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ»[1].

كان الجاحظ من أوائل من عقد باباً في كتابه (البيان والتبيين) لما سمع عن النبي ﷺ ولم يسمع من غيره قبله، لكنه لم يستشهد إلا بثمانية أقوال علىٰ ما لم يسبق إليه الرسول ﷺ، ويبدو أنه عمل صعب المنال، أو مما يصعب الاتفاق عليه، وهو ما لحظته في بحثي هذا. قال الجاحظ: «وسنذكر من كلام الرسول ﷺ مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجميّ، ولم يدّع لأحد، ولا ادّعاه أحد مما صار مستعملاً ومثلا سائراً. فمن ذلك قوله: **(ياخيل الله اركَبي)**، وقوله: **(مات حَتْف أنفِه)**، وقوله: **(لا تنْطح فيه عنزْان)**، وقوله: **(الآن**

(١) البيان والتبيين (٢/ ١٧-١٨).

حميَ الوطيس). ولما قال عديّ بن حاتم في قتل عثمان: «لا تحبق فيه عَناق» قال له معاوية بن أبي سفيان بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه: «يا أبا طريف؟ هل حبِقت في قتل عثمان عناق؟ قال: أي والله، والتيس أكبر! فلم يصر كلامه مثلا، وصار كلامه ﷺ مثلاً. ومن ذلك قوله لأبي سفيان بن حرب: **(كلّ الصيد في جوف الفرا)** ومن ذلك قوله: **(هدنة علىٰ دخن، وجماعة علىٰ أقذاء)** ، ومن ذلك قوله: **(لا يلسع المؤمن من جحر مرتين)**[1].

قال الجاحظ: «والذي يدلّك علىٰ أن الله ﷻ قد خصّه بالإيجاز، وقلّة عدد الألفاظ مع كثرة المعاني قوله ﷺ: «نُصرت بالصّبا، وأُعطيتُ جوامعَ الكلم»»[2].

إيضاح الأحاديث التي ذكرها الجاحظ:

- **حديث: «ياخيلَ اللّه ارْكَبي»[3]:**

هذا علىٰ حذف المضاف أراد: يافُرْسانَ خَيْلِ اللّه ارْكَبوا. وهي من

(١) البيان والتبيين (٢/ ١٥-١٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٨).

(٣) هذا المثل جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٢) (ح٣٤٤٤) موقوفا علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكر ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٢١٦) أنه من مرسل ابن قتادة، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي، فَنَادَىٰ: يَا خَيْلَ اللهِ اِرْكَبِي».

أحسن المجازاتِ وأَلْطَفِها[1].

والخيل لا تَركب وإنما تُركب، وهذا علىٰ الإيجاز والاختصار، وكان وجه الكلام أن يقول: «يا فرسان خيل الله اركبي»، فاختصر؛ لأنه علم ما أراد، والخيول كلها لله، فأضاف الخيول إلىٰ الله ﷻ تبجيلاً وتعظيماً؛ كقولهم بيت الله، والبيوت كلّها لله، وشهر الله الأصمّ، وناقة الله ونحو ذلك[2].

▪ **حديث: «مات حتف نفسه»[3]:**

وهو أَنْ يَموتَ علىٰ فِراشِه، وإنما قيل ذلك؛ لأنّ نفسه تخرُج من فيه وأنفه فغُلِّب أَحَدُ الاسمَيْن[4]. قال في النهاية: «هُو أنْ يَموت علىٰ فِرَاشِه كأنه سَقَط لأنْفه فَمات. والحَتْف: الهلاك. كانوا يَتَخَيَّلُون أنّ رُوح المريض تَخْرُج

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٩).

(٢) المجتنىٰ (ص١٧).

(٣) هذا المثل جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند (٤/ ٣٦) (ح١٦٤١٤) بسند ضعيف. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتِيكٍ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ ـ ثُمَّ قَالَ: بِأَصَابِعِهِ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثِ: الْوُسْطَىٰ وَالسَّبَّابَةِ وَالإِبْهَامِ، فَجَمَعَهُنَّ وَقَالَ: وَأَيْنَ الْمُجَاهِدُونَ؟ فَخَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ وَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، أَوْ لَدَغَتْهُ دَابَّةٌ فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ. وَاللهِ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ قُتِلَ قَعْصًا فَقَدِ اسْتَوْجَبَ الْمَآبَ».

(٤) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ١٩١).

من أنْفه»[1]. نصّ ابن سلام علىٰ أنها كلمة لم تسمع من أحد من العرب قطّ قبل رسول الله ﷺ، قال: «ومن مات حتف أنفه، قال الذي سمع هذا الحديث من النبي ﷺ: إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قطّ قبل رسول الله ﷺ فقد وقع أجره علىٰ الله... قال أبو عبيد: أما قوله: حتف أنفه فإنه أن يموت موتًا علىٰ فراشه من غير قتل ولا غرق ولا سَبُع ولا غيره، وقال: كان يقول في السمك: ما مات حتف أنفه فلا تأكله، يعني الذي يموت منه في الماء كأنه كره الطافي»[2].

وقال ابن دريد: «قال علي رضوان الله عليه: ما سمعت كلمة عربية إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ سمعته يقول: مات حتف أنفه، وما سمعتها من عربيّ قبله ﷺ، قال أبو بكر: ومعنىٰ حتف أنفه: أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه؛ لأن الميت علىٰ فراشه من غير قتل يتنفس حتىٰ يقضي رمقه، فخص الأنف بذلك لأنه من جهته يتقضىٰ رمقه»[3]. بيد أن الأزهري ذكر أن هذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهلية، عن السَّمَوءلُ: «وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ»[4].

(١) النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٢٥).

(٢) غريب الحديث، لابن سلام (٢/ ٦٨).

(٣) المجتنىٰ (ص١٣).

(٤) تهذيب اللغة (حتف) (٢/ ٨٠).

أوجه الإعراب: انتصب حَتْفَ أنفْه علىٰ المصدر، ولا فعل لها كَبْهراً وويحـاً، كأنه قيل: موت أنفه[1]. قال الأزهري: «لم أسمع للحتف فعلاً[2]، وحكاه ابن القوطية فقال:(حَتَفَهُ) الله (يَحْتِفُهُ) (حَتْفًا) أي: من باب ضرب إذا أماته[3]، ونقل العدل مقبول»[4].

▪ **حديث: «لا يَنْتَطِح فيها عَنْزان»[5]:**

يضرب مثلاً للأمر يبطل ويذهب، فلا يكون له طالب، أي: لا يَلْتَقي فيها اثنان ضعيفان؛ لأن النِّطاح من شأن التُّيوس، والكِباش لا العُنوزِ. وهو إشارة

(١) الفائق في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٩٥).

(٢) تهذيب اللغة (حتف) (٢/ ٨٠).

(٣) الأفعال لابن القوطية (١/ ٣٨٠).

(٤) تهذيب اللغة (حتف) (٢/ ٨٠).

(٥) هذا المثل ذُكِر في حديث موضوع، ينظر: الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ٣٤)، وقصة المثل: حدثنا عبد الله بن الحارث بن فضيل عن أبيه قال: «كانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، قال: وزوجها يزيد بن حصن الحطمي، وكانت تحرض علىٰ المسلمين، وتؤذيهم، وتقول الشعر، فجعل عمير بن عدىٰ عليه نذرا لله لئن رد الله ﷺ رسوله سالما من بدر ليقتلنها، قال: فعدا عمير في جوف الليل فقتلها ثم لحق بالنبي، فصلىٰ معه الصبح، وكان النبي يتفحصهم إذا قام يدخل منزله، فقال لعمير بن عدىٰ: أقتلت عصماء؟قال نعم، قال فقلت يا نبىٰ الله هل علىٰ في قتلها شيء؟ فقال رسول الله: لا ينتطح فيها عنزان قال: فهي أول ما سمعت منه».

إلىٰ قَضية مخصوصة لا يَجْري فيها خُلْف ونِزاعٌ[1].

قال الجاحظ: «أولُ مَنْ تكلم به النبي ﷺ قاله حين قُتل عُمير بن عَديّ ابن عصماء»[2].

- **حديث: «الآن حَمِيَ الوطيس»[3]:**

يضرب مثلا للأمر إذا اشتدّ فيقال: حميَ الوطيس، وهو كناية عن شِدّة

(١) النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٦٢).

(٢) البيان والتبيين (٢/ ٢٨).

(٣) قصة المثل: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ علىٰ بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقىٰ المسلمون والكفار ولَّىٰ المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُرْكِض بغلته قِبَل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفُّها إرادةَ أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركابه، فقال رسول الله ﷺ أيْ عباسُ: نادِ أصحاب السَّمُرة، فقال عباس - وكان رجلا صَيِّتا - فقلت بأعلىٰ صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتُهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها، فقالوا يا لبيك يارسول الله يالبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة علىٰ بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو علىٰ بغلته كالمتطاول عليها إلىٰ قتالهم، فقال: هذا حينَ حَمِيَ الوَطِيسُ ثم أخذ رسول الله ﷺ حصياتٍ فرمىٰ بهنَّ وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا وربِّ محمد، فذهبت أنظر فإذا القتال علىٰ هيئته فيما أرىٰ، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرىٰ حدَّهم كليلا وأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. صحيح مسلم (٥/ ١٦٦-١٦٧).

الأمرِ واضْطِرام الحَرْب. و(الوطيس) جاء علىٰ معنيين: أحدهما: الضراب في الحرب. والآخر: تنور من حديد، وقيل قول ثالث: إنها حفرة يختبز فيها[1].

ونص ابن سيده في المحكم أنها كلمة لم تسمع إلا من الرسول ﷺ، قال: «والوَطِيسُ حَفِيرَةٌ تُحْفَرُ ويُخْتَبَزُ فيها ويُشْوَىٰ، وقيل هو تنورٌ من حَدِيدٍ، وبه شُبِّه حَرُّ الحَرْبِ، وقال النبيُّ ﷺ: الآن حَمِيَ الوَطِيسُ، وهي كلمة لم تُسْمَع إلا منه»[2].

وكذا في النهاية: «الوَطِيسُ: التَّنُّور وهو كناية عن شِدّة الأمرِ واضْطِرام الحَرْب. ويقال إنّ هذه الكلمة أوّلُ من قالها النبي ﷺ لمَّا اشتدّ البَأسُ يومئذ ولم تُسْمَع قَبْله وهي من أحْسن الاسْتِعارات»[3].

وهذه الاستعارة العجيبة لا يُعرف من تكلم بها قبل النبي ﷺ من العرب، ومنه تلقيت فصارت مثلاً في الأمر إذا اشتد، قال الخطابي: «هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي ﷺ من العرب، وهي مما اقتضبه وأنشأه»[4].

الأوجه الإعرابية:

• رواية: «هذا حينَ حميَ الوطيس» يجوز في حينَ البناء علىٰ الفتح؛ لأنه

(١) تهذيب اللغة (وطس) (٤/ ٣٠٧).

(٢) المحكم (وطس) (٨/ ٨٥٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٣٠).

(٤) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٩).

مضاف إلىٰ جملة مبنية، ويجوز فيه الضم، **فيكون في محل رفع، لأنه ظرف مبني علىٰ الفتح**، علىٰ أن يكون الحين خبر المبتدأ، وهذا علىٰ نحو قوله: * علىٰ حينَ عاتبتُ المشيبَ علىٰ الصّبا * روي بالفتح علىٰ الراجح، وروي بالخفض علىٰ الأصل.

• رواية: «الآن هذا حميَ الوطيس» الآن: ظرف من ظروف الزمان، وهو اسم للزمان الحاضر، والجمهور متفقون علىٰ بنائه علىٰ الفتح، إلا أنهم اختلفوا في علة بنائه علىٰ أقوال:

– أنه وجب بناؤه؛ لأنه وقع في أول أحواله معرّفا بالألف واللام، وسبيل ما دخلت عليه الألف واللام أن يكون منكوراً أولا، ثم يعرّف بهما، فلما خرج عن بنائه أشبه الحروف، والحروف مبنية، وهذا رأي ابن السراج[1]، والزمخشري[2].

– أنه إنما بني؛ لأن الألف واللام إنما يدخلان للعهد والجنس، فلما دخلا فيه علىٰ غير هذين الوجهين، ودخلا علىٰ معنىٰ الإشارة إلىٰ الوقت الحاضر، صار معناه: هذا الوقت، فأشبه اسم الإشارة وهو قول الزجاج، وابن مالك في أحد قوليه[3]، وابن هشام الأنصاري[4].

– أنه بني لشبهه الحرف شبها جموديًا حيث إنه لزم موضعًا واحداً، لا

(١) الأصول (٢/ ١٣٧).

(٢) همع الهوامع (١/ ٢٠٧).

(٣) شرح التسهيل (٢/ ٢١٩).

(٤) أوضح المسالك (١/ ١٩٠).

يثنّىٰ ولا يجمع ولا يصغر، وهو القول الآخر لابن مالك[1].

- أنه بني؛ لأنه منقول من الفعل الماضي؛ آن الشيء يئين إذا أتىٰ وقته، ثم دخلت عليه الألف واللام فترك محكيًا علىٰ ما كان عليه من الفتح، وهو مذهب الفراء في أحد قوليه[2]. ومن النحويين من ذهب إلىٰ أنَّ (الآن) معرب، وفتحته فتحة إعراب علىٰ الظرفية[3]، قال السيوطي: «والمختار عندي القول بإعرابه؛ لأنه لم يثبت النيابة علة معتبرة، فهو منصوب علىٰ الظرفية، وإن دخلته من جر، وخروجه علىٰ الظرفية غير ثابت»[4].

رواية: «هذا حميَ الوطيس». قال الطيبي: «هذا مبتدأ، والخبر محذوف، أي: هذا القتال حين اشتد الحرب، وهذا لفظ بديع لم يسمع بمثله [...] وهذه من الكلمات التي لم تسمع إلا منه ﷺ»[5].

- **حديث: (كُلُّ الصَّيْد في جَوْف الْفَرا)[6]:**

الفرأ: مَهْموز مَقْصور: حِمَار الوحَش، وجَمْعه: فِرَاء وأَفْراءٌ. وكُلُّ الصَّيْدِ في

(١) شرح التسهيل (٢/ ٢١٩).
(٢) همع الهوامع (١/ ٢٠٨).
(٣) شرح التسهيل (٢/ ٢١٩).
(٤) همع الهوامع (٣/ ١٨٤).
(٥) فيض القدير (٣/ ٢١٥)، عقود الزبرجد (١/ ٤١٤).
(٦) هذا المثل جزء من حديث مرسل، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٥١٥): «وسنده جيد لكنه مرسل».

جَوْفِ الفَرَا (بغيرِ هَمْزٍ؛ لأَنَّهُ مَثَلٌ والأَمْثالُ مَوْضوعَةٌ علىٰ الوَقْفِ) أي: كُلُّهُ دونَهُ[1]. وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لمَنْ يُفَضَّلُ علىٰ أَقْرانِه. أَيْ: مَنْ اصْطَادَ الْحِمَارَ الْوَحْشِيَّ كَأَنَّهُ صَادَ كُلَّ الصَّيُودِ، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَإِسْلَامُهُ سَبَبُ إِسْلَامِ الْكُلِّ. قال ابن دريد: «وهذا كلام خاطب به النبي ﷺ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، واسمه المغيرة حين جاءه مسلمًا، وكان قد هجا النبي ﷺ هجاء قبيحًا... والفرا: الحمار الوحشي، وهو أعظم ما يصاد، فكل صيد دونه، فالمعنىٰ: أنت أعظم من يأتيني من أهل بيتي؛ إذ كلهم دونك، كما أن الصيد كله دون الحمار»[2].

وأداة التعيين «أل» (هذه هي التي) للاستغراق؛ «لأن الاستغراق إما أن يكون باعتبار حقيقة الأفراد، أو باعتبار صفات الأفراد، فالأول: نحو: (وخلق الإنسان ضعيفا) أي: كلّ واحد من جنس الإنسان ضعيف. والثاني: نحو قولك أنت الرجل أي الجامع لصفات الرجال المحمودة. وضابط الأولىٰ أن يصح حلول كل محلها علىٰ جهة الحقيقة، فإنه لو قيل وخلق كل إنسان ضعيفًا لصح ذلك علىٰ جهة الحقيقة، وضابط الثانية أن يصح حلول كل محلها علىٰ جهة المجاز فإنه لو قيل أنت كلّ الرجل لصح ذلك علىٰ جهة المبالغة كما قال عليه السلام: كل الصيد في جوف الفرا»[3].

(١) القاموس المحيط (١/ ٦٠).

(٢) المجتنىٰ (ص١٥).

(٣) قطر الندىٰ (١/ ١١٣).

▪ **حديث: (هُدنةٌ علىٰ دَخَنٍ، وجماعةٌ علىٰ أقذاء)**[1]:

هَدن وهَدَأ أخوان بمعنىٰ سكن. يقال: هَدَن يَهْدِن هدونا ومَهْدَنة، ومنه قيل للسكون ما بين المتعاديين بالصلح والمُوَادعةَ هُدْنة. والدَّخَن: مصدر دَخِنت النار إذا أُلقىٰ عليها حَطَبٌ فكَثُر دخانها، وفَسدت.

ضربه النبي ﷺ مثلا لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصَّلاح الظاهر[2]. يُريدُ اجْتِماعَهم علىٰ فَسادٍ مِن القُلُوبِ.

▪ **حديث: (لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)**[3]:

وفي رواية [لا يُلْدَغ] اللَّسْع واللَّدْغ سَواء[4]. والجُحْر: ثَقْب الحَيَّة، وهو

---

(١) ... قلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ «فِتْنَةٌ وَشَرٌّ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ «يَا حُذَيْفَةُ تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ». ثَلاَثَ مِرَارٍ. قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ «هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ وَجَمَاعَةٌ عَلَىٰ أَقْذَاءٍ فِيهَا أَوْ فِيهِمْ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ الْهُدْنَةُ عَلَىٰ الدَّخَنِ مَا هِيَ قَالَ «لاَ تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَىٰ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ». قالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ النَّارِ فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جِذْلٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ». مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٣٨٦)، وسنن أبي داود (٤/ ٤٢٤٤).

(٢) الفائق (٤/ ٣٩٣).

(٣) هذا المثل أخرجه البخاري بلفظ «لَا يُلْدَغُ» في صحيحه (٥/ ٢٢٧١) (ح٥٧٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

(٤) الفائق (٣/ ٢٠٠).

اسْتِعارة ها هنا: أي لا يُدْهَىٰ المؤمِنُ مِنْ جِهَة واحِدَة مَرَّتَين فإنَّه بالأُولَىٰ يَعْتَبر. قيل: المراد بالمؤمن في هذا الحديث الكامل الذي قد أوقفته معرفته علىٰ غوامض الأمور حتىٰ صار يحذر مما سيقع، وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مراراً. ويُروَىٰ بضم العَيْن وكَسْرها. فالضمّ علىٰ وجْه الخبر، ومعناه: أنَّ المؤمن هو الكَيِّس الحازِم الذي لا يُؤتَىٰ من جِهة الغَفْلة فيُخْدَع مَرَّة بعد مَرَّة وهو لا يَفْطِنُ لذلك ولا يَشْعُر به، والمراد به الخِداع في أمرِ الدين لا أمْرِ الدنيا.

وأمَّا الكسر فَعَلىٰ وجْه النَّهْي: أي لا يُخْدَعَنَّ المؤمِنُ ولا يُؤْتَيَنَّ من ناحية الغَفلة فيَقَع في مكروه أو شَرٍّ وهو لا يَشْعُر به ولْيَكُن فَطِنًا حَذِراً. وهذا التأويل يَصْلح أن يكون لأمْرِ الدِين والدنيا معاً[1].

قوله:(لا يلدغ) علىٰ صيغة المجهول، والمؤمن مرفوع به علىٰ صيغة الخبر، قال الخطابي: هذا لفظه خبر ومعناه أمر أي: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا لا يؤتىٰ من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرىٰ، وقد يكون ذلك في أمر الدين، كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر. وقد روي بكسر الغين في الوصل فيتحقق معنىٰ النهي عنه. والمعنىٰ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، أن من أذنب ذنبًا فعوقب به في الدنيا لا يعاقب به في الآخرة.

قال ابن حجر: «وهذا الكلام مما لم يُسبق إليه النبي ﷺ، وأول ما قاله

(١) ينظر: النهاية (٤/ ٤٨٥).

لأبي عزة الجمحي وكان شاعرا، فأسر ببدر، فشكىٰ عائلة وفقرا، فمنّ عليه النبي ﷺ، وأطلقه بغير فداء، فظفر به بأُحد، فقال: من علي، وذكر فقره وعياله، فقال لا تمسح عارضيك بمكة، تقول سخرت بمحمد مرتين، وأمرّ به»[1].

ثانياً: المفضل بن سلمة (متوفىٰ سنة ٢٩٠هـ)[2]:

ذكر ابن النديم أنه كان من أوائل من استدركوا علىٰ العين، فقال بشأنه ما نصّه: «واستدرك علىٰ الخليل في كتاب العين وخطّأه وعمل في ذلك كتاباً، وتوفي المفضّل وله كتاب البارع في اللغة، والذي خرج منه الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء»[3]، وكان أيضاً من أوائل من نصّ من العلماء علىٰ ما لم تألف له العرب نظيراً في متقدم كلامها، ولم يسمع إلا من كلم الرسول ﷺ المفضل بن سلمة في كتابه (الفاخر)، فقد أورد ستة أحاديث من جوامع كلمه ﷺ هي: «ليس الخبر كالمعاينة» روي عن الرسول ﷺ أنه أوّل من قال ذلك، وكذا عنه أنه أوّل من قال: «يا خيل الله اركبي»، وكذا: «مات

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٥٠).

(٢) ابن عاصم، أبو طالب: لغوىٰ، عالم بالأدب. كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل. من كتبه (البارع) في اللغة، و(الفاخر) في الأمثال، و(الاستدراك علىٰ العين) للخليل ابن أحمد. ينظر: الفهرست (ص ١٠٩)، معجم الأدباء (٥/ ٤١٧).

(٣) الفهرست (ص١٠٩)، و ينظر: الاستدراك علىٰ المعاجم العربية لدىٰ اللغويين العرب- دراسة تطبيقية - تهاني الصفدي (١/ ١٥٤).

حتف أنفه» وكذا: «الآنَ حين حمي الوطيس»[1]. ثم ساق حديثين هما: «ما المسؤول أعلم بها من السائل»، قال: «أوّل من قال ذلك رسول الله ﷺ»[2]. وحديث: «لا ينتطح فيها عنزان».

ونصّ بقوله على أولية كلم الرسول ﷺ: «... فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي ﷺ»[3].

إيضاح الأحاديث التي أوردها المفضل بن سلمة:

- **حديث: «ليس الخبرُ كالمعاينة»[4].**

الخبر: خبران صادق لا يجوز عليه الخطأ، وهو خبر الله ورسوله ﷺ، ومحتمل وهو ما عداه. فإن حمل الخبر على الأول فمعناه ليس المعاينة كالخبر في القوة، أي: الخبر أقوى وآكد وأبعد عن الشكوك إذا كان خبراً لصادق، والمعاينة قد تخطئ فقد يرى الإنسان الشيء على خلاف ما هو عليه كما في قصة موسى والسحرة. وإن حمل على الثاني فمعناه ليس المعاينة كالخبر، بل هي أقوى وآكد؛ لأن المخبر لا يطمئن قلبه وتزول عنه الشكوك في خبر من يجوز

(١) الفاخر (ص٢٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٢).

(٣) المصدر السابق (ص٣١٣).

(٤) هذا المثل أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند (٣/ ٣٤١) (ح١٨٤٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ».

السهو عليه والغلط[1]، قال ابن دريد: «يريد أنه لا يهجم علىٰ قلب المخبر من الهلع بالأمر والاستفظاع له مثل ما يهجم علىٰ قلب المعاين»[2].

ثالثًا: ابن دريد (متوفىٰ سنة:٣٢١هـ)[3]:

أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد بن عَتاهية بن الحسن بن حِمامِي الأزديّ، العماني، البصري[4]. يعدّ ابن دريد من علماء اللّغة والأدب المبرّزين، فهو الّذي انتهىٰ إليه علم لغة البصريّين في عصره. كان شاعراً مجيداً، شديد الذّكاء، سريع الحفظ، تُقرأ عليه دواوين العرب، فيسابق إلىٰ إتمامها، قيل عنه إنّه: «أعلم الشّعراء، وأشعر العلماء»[5]، قال المسعودي في مروج الذهب: «كان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا في الشعر، وانتهىٰ في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وشعره أكثر من أن يحصىٰ»[6].

---

(١) فيض القدير (٥/ ٤٥٤).

(٢) المجتنىٰ (ص١٨).

(٣) الفهرست (٩٧).

(٤) ينظر ترجمته في المصادر التالية: الفهرست (ص٩١)، ونزهة الألباء (١٩١)، ومعجم الأدباء (١٨/ ١٢٧).

(٥) بغية الوعاة (١/ ٧٧)، خزانة الأدب (٣/ ١٢٠).

(٦) خزانة الأدب (٣/ ١٧١).

اشتمل كتاب (المجتنىٰ) لابن دريد علىٰ فنون شتىٰ من الأخبار الموثقة، والألفاظ المؤنقة، والأشعار الرائقة، والمعاني المحبّبة، والحكم المتناهية، والأحاديث المنتخبة. أتىٰ فيها بأحاديث النبي ﷺ التي فاقت أدبًا وبلاغةً، واشتهرت بجوامع الكلم حتىٰ ضربت الأمثال بتلك الكلمات، وإنما هي في الظاهر كلمة أو كلمتان، وفي الباطن عينان نضّاختان، تلمع كالنجوم في السماء، وقد شرحها ابن دريد وأظهر ما كان مكنونًا فيها من المعاني، وبيّن نكاتها الأدبية، ثم أتىٰ بشواهدها من كلام الشعراء والأدباء.

قال ابن دريد في مقدمة كتابه المجتنىٰ: «فأوّل ما نستفتح به ما جاءنا عن نبينا محمد ﷺ من ألفاظه التي لا يشوبها كدر الغيّ، ولا يطمس رونقها التكلّف، ولا يمحو طلاوتها التفيهق... «وكان من أوائل من أفرد بابًا لما سمع عن النبي ﷺ ولم يسمع من غيره قبله».

وقد شرح رحمه الله مجموعة نفيسة من الأحاديث الفريدة استحسنت ذكرها، وأشرت إلىٰ من سبقوه ذكراً، منها:

١ - حديث: (**لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزانِ**). سبق الحديث عنه.

٢ - حديث: (**مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ**). سبق ذكره.

٣ - حديث: (**حَمِيَ الْوَطِيسُ**) سبق ذكره.

٤ - حديث: (**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**)[1].

(١) هذا المثل أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٤٩٩) (ح٦٤٣٢).

«يقال: عهر إلىٰ المرأة يَعْهَرُ عهراً وعُهُوراً وعَهَرانـًا إذا أتاها لَيْلاً للفُجور بها»[1]، قال ابن دريد: «أراد ﷺ أن العاهر حجر لاشيء له في الولد، لهذا الكلام معنيان: إما أن يكون أراد أن حظه الغلظة والخشونة من إقامة الحدّ رجمـًا أو ضربـًا، أو أن يكون أراد بالحجر ما لا ينتفع به ولا محصول له؛ يريد به الخيبة»[2]، وفي النهاية: «أي الخَيْبة يعني أنّ الولد لِصاحب الفراش من الزّوْج أو السَّيد وللِزاني الخَيْبة والحِرْمان كقولك: مالَك عندي شيء غير التراب وما بِيَدِك غير الحجر... وذهب قوم إلىٰ أنه كَنىٰ بالحجَر عن الرّجْم، وليس كذلك؛ لأنه ليس كلّ زانٍ يُرْجَم»[3].

٥ - حديث: (**لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**). سبق ذكره.

٦ - حديث: (**كُلُّ الصَّيْد في جَوْف الْفَرا**). سبق ذكره.

٧ - حديث: (**الْحَرْبُ خَدْعَةٌ**)[4].

قالها النبي ﷺ يوم الأحزاب يوم بعث نعيم بن مسعود؛ ليخذل بين قريش وغطفان ويهود؛ يريد المماكرة في الحرب أنفع من المكاثرة والإقدام

(١) الفائق (٢/ ٤١٣).

(٢) المجتنىٰ (ص١٤).

(٣) النهاية (١/ ٣٣١).

(٤) هذا المثل أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٠٢) (ح٢٨٦٦) من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَرْبُ خَدْعَةٌ».

بغير علم[1]، وفي خدعة ثلاث لغات: اللغة العالية: خدعة بفتح الخاء، والثانية ضم فسكون والثالثة ضم. قال الخطابي: «سمعت ابن الأعرابي يذكر عن ابن أبي مسرة عن الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار، قال أهل العربية يقولون: خدعة بالنصب. وأخبرني أبو رجاء الغنوي أنبأنا أبو العباس ثعلب قال الحرب خدعة بلغنا أنها لغة النبي ﷺ. وقال بعض أهل اللغة معنىٰ الخدعة: المرة الواحدة أي من خدع فيها مرة لم يقل العثرة بعدها. وروىٰ يعقوب عن الكسائي وأبي زيد خدعة وخدعة، ويقال: إن الخدعة إنها تخدع الرجال وتمنيهم الظفر، ثم لا تفي لهم»[2].

٨ - حديث: (إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ).

أي: المرأة الحسناء في منبت سوء[3]، قال ابن دريد: «يريد المرأة الحسناء في المنبت السوء، وتفسير ذلك أن الريح تجمع الدمن؛ وهو البعر من الأرض ثم يركبه السافي، فإذا أصابه المطر نبت نبتا غضاً ناعماً يهتزّ وتحته الدمن الخبيث، يقول: فلا تنكحوا هذه المرأة لجمالها، ومنبتها خبيث كالدمن»[4].

وقال ابن سلام: «أراه أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رِشدة، وهذا

(١) المجتنىٰ (ص١٥).

(٢) غريب الحديث، الخطابي (٢/ ١٦٦).

(٣) أساس البلاغة (١/ ١٦٦).

(٤) المجتنىٰ (ص١٥-١٦).

مثل حديثه الآخر: تخيّروا لِنُطَفكم. وإنما جعلها خضراء الدمن تشبيها بالشجرة الناضرة في دِمنة البعر، وأصل الدمن: ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها، فربما نبت فيها النبات الحسن وأصله في دِمنة يقول: فمنظرها حَسَن أنيق ومنبتها فاسد»[1].

٩ - حديث: (وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ)[2].

في الحديث مثلان: ضرب أحدهما للمُفْرط في جمع الدنيا ومنع ما جمع من حقه، والمثل الآخر ضربه للمُقْتصِد في جمع المال وبذله في حقه. أما قوله ﷺ: «وإنَّ مِمَّا يُنبت الرَّبيعُ ما يَقْتلُ حَبَطًا» فهو مثل الحريص المُفْرط في الجمع والمنع، وذلك أن الرَّبيع يُنبت أحْرار العُشب التي تحْلُو ليّها الماشية فتستكثر منها حتىٰ تنتفخ بطونها وتهْلك، كذلك الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها ويَشحُّ علىٰ ما جمع حتىٰ يمنع ذا الحقِّ حقه منها، يهلك في الآخرة بدخول النار واستيحاب العذاب. وأما مثل المُقْتصد المحمود، فقوله ﷺ: «إلا آكلة الخضر» فإنها أكلت حتىٰ إذا امتلأت خواصرها استقبلت عين الشَمس فثَلَطت وبالت ثم رتعت، وذلك أن الخضر ليس من أحَرار البقول التي تستكثر منها الماشية فتُهلكه أكْلا، ولكنه من الجَنْبة التي ترْعاها بعد هَيْج العُشب ويبسه. وأكثر ما رأيتُ العرب يجعلون الخضر ما أخضرَّ من الحِليّ

(١) غريب الحديث، لابن سلام (١/ ٤٢٢)، وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣٢) (ح١٣٩٦).

الذي لم يَصْفر، والماشية ترتع منه شيئًا شيئًا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها عنه[1]. وفي الحديث «إن مما ينبت الربيع يقتل أو يلمّ»، حذف حبطًا وحذف ما، ولا بد من تقدير كلمة ما؛ لأن قوله ينبت الربيع فعل وفاعل، ولا يصلح أن يكون لفظ يقتل مفعولا إلا بتقدير ما[2].

١٠ - حديث: (**الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي**).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»[3].

أي: خاصَتي وموضِعَ سِرِّي، ضرب المثل بهما إرادة اختصاصهم به في أموره الظاهرة والباطنة[4]، والعرب تستعمل الكرش في كلامها موضع البطن والبطن مستودع مكتوم السر، وتَكْنِي عن القُلوب والصُّدور بالعِياب؛ لأنها مُسْتَوْدَع السَّرائر كما أن العِيَابَ مُسْتَوْدعُ الثِّياب[5]. استعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجترّ يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته، وأصل العيبة: الوعاء الذي يُجعل فيه الشيء النفيس الرفيع[6]. وقيل: أراد بالكرش

(١) تهذيب اللغة (٢/ ٥٦)، وانظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ١٨٨).

(٢) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٢).

(٣) هذا المثل جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٨٣) (ح٣٥٩٠).

(٤) غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ١٣٨).

(٥) النهاية (٣/ ٦١٧).

(٦) مقاييس اللغة (٤/ ١٦٤).

الجماعة أي جماعتي وصحابتي يقال عليه كرش من الناس أي جماعة. وكَرِش الرجُل: عيالُه وصغارُ ولدِهِ[1]. قال ابن دريد: «يريد أنهم معتمدي الذي أقوىٰ عليه وأقوىٰ به... وقوله: عيبتي يريد الذين أودعهم أسراري، وأرجع إليهم في مهمات أموري، كما أن الرجل إنما يودع عيبته نفيس متاعه وكسوته وذخيرته»[2].

١١ - حديث: (**يَا خَيْلَ اللهِ اِرْكَبِي**) تقدم ذكره[3].

١٢ - حديث: (**لا يجني علىٰ المرء إلا يدُه**)[4].

قال ابن دريد: «أراد لا يؤخذ بجناية غيره إن قتل أو جرح أو زنىٰ فبيده أصاب ذلك، أي فبيده الجانية عليه ولا يؤخذ بجناية يده غيره»[5].

١٣ - حديث: (**الشديدُ من غلبَ نفسَه**)[6].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٧٠).

(٢) المجتنىٰ (ص١٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٧).

(٤) قال عنه أحمد شاكر في تخريجه له في لباب الآداب (٣٣٢): لم أجد هذا الحديث، وأجدرْ به خبيرا.

(٥) المجتنىٰ (ص١٧).

(٦) هذا المثل أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٦٧) (ح٥٧٦٣) وغيره باللفظ التالي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».

قال ابن دريد: «يقول من ملك نفسه عند شهوته وعند غضبه فمنعها فهو الشديد»[1].

١٤ - حديث: (**لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ**)[2]. سبق ذكره.

١٥ - حديث: (**الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ**)[3].

الحديث نَدْبٌ إلىٰ تَرْك إعادة ما يَجْرِي في المجلسِ من قول أو فِعْل، فكأنَّ ذلك أمانةٌ عند من سَمعه أو رآه. والأمانة تقع علىٰ الطَّاعة والعِبادة والوديعة والثقةِ والأمانِ[4].

والباء في قوله: «المجالس بالأمانة» تتعلق بمحذوف، والتقدير تحسن المجالس، أو حسن المجالس، وشرفها بأمانة حاضريها علىٰ ما يقع فيها من قول وفعل فكأن المعنىٰ ليكن صاحب المجلس أمينا لما يسمعه أو يراه[5].

---

(١) المجتنىٰ (ص١٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٨).

(٣) قال عنه ابن حجر في فتح الباري (٨٢/ ١١): إسناده ضعيف، وحسنه الألباني بشاهد مرسل في صحيح الجامع برقم ٦٥٥٤، وله سند آخر من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ في مسند أحمد (٢٣/ ٤٥) (ح١٤٦٩٣) وغيره قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ مَجْلِسٌ يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ وَمَجْلِسٌ يُسْتَحَلُّ فِيهِ مَالٌ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ».

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٦).

(٥) فيض القدير (٢/ ٧٢١).

١٦ - حديث: (**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ**)[١].

العُلْيَا: المُعْطِيَة. وقيل: المَتَعَفِّفَة والسُّفْلَىٰ: السَّائِلة. وقيل: المَانِعَة[٢]، قال الخطابي: «وقد توهم كثير من الناس أن معنىٰ العليا أن يد المعطىٰ مستعلية فوق يد الأخذ يجعلونه من علوّ الشيء فوق الشيء، وليس ذلك عندي بالوجه، إنما هو من علاء المجد والكرم يريد به الترفع عن المسألة والتعفف عنها، وهذا الذي اختاره الخطابي وجه حسن ولا يمتنع ما أنكره؛ لأنه إذا حملت العليا علىٰ المتعففة لم يكن للمنفق ذكر وقد صحت لفظة المنفقة فكان المراد أن هذه اليد التي علت وقت العطاء علىٰ يد السائل هي العالية في باب الفضل. وقد زعم قوم مالوا إلىٰ الترفه أن اليد العليا هي الآخذة، والسفلىٰ هي المعطية، قال ابن قتيبة: ولا أرىٰ هؤلاء إلا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة والناس إنما يعلون بالمعروف والعطايا لا بالأخذ والسؤال والمعالي للصانعين لا للمصطنع إليهم»[٣].

---

(١) هذا المثل جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥١٨) (ح١٣٦١) وغيره عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَىٰ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ».

(٢) النهاية (٥/ ٦٩٣).

(٣) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٤٦).

١٧ - حديث: (**البلاءُ موكلٌ بالمنطق**)[١].

قال ابن دريد: «وقوله ﷺ: (إن البلاء موكلٌ بالمنطق) هذا كلام روي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث طويل. البلاء الاختبار ما كان من خير وشر[٢]. وكان الصديق كثيراً ما يتمثل بقوله: احذر لسانك أن تقول فتبتلي * إن البلاء موكل بالمنطق. ولما نزل الحسين بكربلاء، سأل عن اسمها، فقيل: كربلاء، فقال: كرب وبلاء، فجرىٰ ما جرىٰ»[٣].

١٨ - حديث: (**تَركُ الشرِّ صدقةٌ**)[٤].

قال ابن دريد: «يريد أن من ترك الشرّ وأذىٰ الناس فكأنّه قد تصدق عليهم، أي فضل ترك الشر كفضل الصدقة»[٥].

---

(١) هذا المثل جزء من حديث رُوي من طرق كلها موضوعة أو ضعيفة جدا، ينظر: الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٧/ ٣٩٤) (ح٣٣٨٢)، وغيرها.

(٢) المجتنىٰ (ص١٩).

(٣) فيض القدير (٤١٠).

(٤) ورد في صحيح البخاري (٢/ ٥٢٤) (ح١٣٧٦) وغيره عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ».

(٥) المجتنىٰ (ص١٩).

١٩ - حديث: (**الناسُ كأسنانِ المشط**)[١].

قوله: كأسنان المشط مثل، والمعنىٰ أنهم سواء في أصل الخلقة والجبلّة، كما أن أسنان المشط سواء لا يفضل سن منها سنا[٢]. وإنما يتفاضلون بالعافية، ولا خير في صحبة من لا يرىٰ لك مثل الذي ترىٰ له.

٢٠ - حديث: (**الْغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ**)[٣].

معنىٰ الحديث: ليس الغنىٰ الحقيقي المعتبر من كثرة المال، بل هو من استغناء النفس وعدم الحرص علىٰ الدنيا سواء كان الشخص متصفا بالمال الكثير أو القليل، ولهذا ترىٰ كثيراً من المتموّلين فقير النفس مجتهداً في الزيادة فهو لشدة شرهه وشدة حرصه علىٰ جمعه كأنه فقير، وأما غنىٰ النفس فهو من باب الرضا بقضاء الله لعلمه أن ما عند الله لا ينفد[٤]. قال ابن دريد: «يريد من كان غني النفس لم يحرص ولم يلحف في القلب»[٥].

---

(١) لم أجده.

(٢) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٥٦٠).

(٣) هذا المثل جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٦٨) (ح٦٠٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ».

(٤) عمدة القارئ (٣٣/ ٢١٢).

(٥) المجتنىٰ (ص١٩).

٢١ - حديث: (**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ الْبُخْلِ**)[١].

أدوىٰ: غير مهموز من دوىٰ إذا كان به مرض في جوفه، والصواب: أدوأ بالهمز؛ لأنّه من الداء فيحمل علىٰ أنهم سهلوا الهمزة. قال العيني: «يرويه المحدثون غير مهموز، والصواب أدوأ بالهمز؛ لأنه من الداء، والفعل منه داء يداء، مثل نام ينام فهو داء مثل جار، وأما غير المهموز فمن دوىٰ الرجل إذا كان به مرض في جوفه، مثل سمع فهو دو ودوىٰ، ومنه الحديث «وأي داء أدوىٰ من البخل» أي: عيب أقبح منه، والصواب أدوأ: بالهمزة، والبخل بضم الباء وسكون الخاء وبفتحها وهو أن يمنع المرء ما يجب عليه فلا يؤديه»[٢].

٢٢ - حديث: (**إنما الأعمال بالنيات**).

وهو أصلٌ في الأعمال الباطنة، وأنَّ كلّ عملٍ يتقرّب فيه إلىٰ الله لابدَّ أن يكون خالصاً لله، وأن يكون معتبراً بنيّته. وإنما: لفظة موضوعة للحصر تفيد إثبات المذكور وتنفي ما سواه، باتفاق المحققين. «والأعمال» جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول ويتجوز به عن حركة النفس، والمراد هنا عمل

---

(١) هذا المثل جزء من حديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١) (ح٢٩٦) عن جابر رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سَيدُكُم يَا بَني سَلَمَةَ؟»، قُلنا: جَدُ بن قَيسٍ، علىٰ أنَّا نُبَخلهُ. قال: «وَأَيُ دَاءٍ أَدوَىٰ مِنَ البُخلِ، بَلْ سَيِدُكُم: عَمرو بن الجَمُوح، وكانَ عَمرو عَلىٰ أَصنَامِهِم في الجَاهِلِيةِ، وكانَ يُولِمُ عَن رسولِ الله ﷺ إذا تَزوجَّ».

(٢) ينظر: فتح الباري (٦/ ٢٤٢)، وعمدة القارئ (٢٦/ ٢٧٩).

الجوارح وإلا لشمل النية، إذ هي عمل القلب فتفتقر لنية فيتسلسل. والأعمال المتقرَّب بها إلىٰ الله تعالىٰ، بدليل بقية الحديث. وهذا الحديث بحكم عمومه يتناولُ جميعَ أعمال الطَّاعات، فيدخل في ذلك الوضوء، والغُسل، وغير ذلك[1].

«والنيات» بشد المثناة تحت: جمع نية. وهي القصد. وإذا اتصلت (ما) الزائدة بـ(إنّ أو إحدىٰ أخواتها) أحدثت أمرين: الأول: كفها عن العمل. ولذا تسمىٰ (ما) الكافة. أي: المانعة للحرف الناسخ من العمل.

الثاني: إزالة اختصاصها بالأسماء وتهيئتها للدخول علىٰ الجملة الفعلية، ولذا تسمىٰ (ما) المُهَيِّئَةِ. قال سيبويه[2]: «واعلم أن كل موضع تقع فيه أنّ تقع فيه أنما، وما ابتدئ بعدها صلة لها كما أن الذي ابتدئ بعد الذي صلة له، ولا تكون هي عاملة فيما بعدها كما لا يكون الذي عاملاً فيما بعده» «فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3] «يريد أن الرجل إذا عمل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة أو باب من أبواب البر فنوىٰ ذلك لله لا رياء الناس كان ذلك العمل مقبولا، وفيه تحريض علىٰ إخلاص

(١) فيض القدير (١/ ٤٠).

(٢) الكتاب (٣/ ١٢٩).

(٣) من الآية (١١٠) من سورة الكهف، والآية (٦) من فصلت ونصها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

النية»[1].

٢٣ - حديث: (**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**)[2].

الحياء: تغير وانكسار عند خوف ما يعاب أو يذم؛ لأن مبدأه انكسار يلحق الإنسان مخافة نسبته إلىٰ القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير ومن ثمراته مشهد النعمة والإحسان فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه[3]. ولم يرد ﷺ الحياء... القاعد للمرء عن بلوغ الخطاب، والقصور عن تناول الحجة، إنما الحياء الرادع عن ارتكاب الحرام والمحارم والتلطخ بالمدانس»[4].

٢٤ - حديث: (**الْيَمِينَ الْفَاجِرَةَ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ**)[5].

بَلاقِعَ: أَيْ يَفْتَقِرُ الحَالِفُ، ويَذْهَبُ ما فِي بَيْتِهِ من المالِ. وقالَ غَيْرُهُ: هو أَنْ يُفَرِّقَ اللهُ شَمْلَه، ويُغَيِّرَ ما أَوْلاهُ من نِعَمِهِ[6]، «هذه نهي عن الإقدام عن

(١) المجتنىٰ (ص٢٠).

(٢) هذا المثل جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٦٤) (ح٣٧) فعن أَبي قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ قَالَ أَوْ قَالَ الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ».

(٣) فيض القدير (٣/ ٥٦٧).

(٤) المجتنىٰ (ص٢٠).

(٥) صححه الألباني في السلسلة الصحيحةِ (٢/ ٦٦٩) (ح ٩٧٨).

(٦) تاج العروس (٢٠/ ٣٥٩).

احتجاز أموال الناس بالأيمان»[1].

٢٥ - حديث: (**سيّدُ القومِ خادمُهم**)[2].

لأن السيد هو الذي يفزع إليه في النوائب فيتحمّل الأثقال عنهم، فلما تحمل خادمهم عنهم الأمور وكفاهم مؤونتهم وقام بأعباء ما لا يطيقونه كان سيدهم بهذا الاعتبار[3]. قال ابن دريد: «هذا كلام حث به علىٰ المكارم والتعاون وترك التكبر علىٰ الأصحاب في الأسفار، فجعل الخادم سيداً إذا كان يخدم أصحابه تكرماً لا لمنالة ولا جعالة فوجب له بذلك السؤدد علىٰ أصحابه»[4].

٢٦ - حديث: (**فضلُ العلمِ خيرٌ من فضلِ العبادة**)[5].

قال ابن دريد: «يريد ﷺ أن العالم، وإن كان منه تقصير في عبادته أفضل من جاهل مجتهد؛ لأن العالم يعرف ما يأتي وما يتجنب، والعابد الجاهل المتهول فربما أتىٰ الشيء هو يظنّ أنه مصيب وهو خاطئ»[6].

---

(١) المجتنىٰ (ص٢١).

(٢) هذا المثل رُوي من طرق كلها ضعيفة كما نبه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤/ ٩) (ح١٥٠٢).

(٣) فيض القدير (٤/ ١٦١).

(٤) المجتنىٰ (ص٢١).

(٥) صححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (ص ٦٨)، عن حذيفة، قال قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع».

(٦) المجتنىٰ (ص٢٢).

٢٧ - حديث: (**الخيلُ في نواصيها الخيرُ**)[١].

المراد: بالناصية هنا الشعر المسترسل علىٰ الجبهة، يقال فلان مبارك الناصية ومبارك الغرة أي الذات، وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتناؤها للغزو، وقتال أعداء الله، وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلىٰ يوم القيامة[٢].

٢٨ - حديث: (**عِدةُ المؤمنِ كأخذٍ باليد**)[٣].

«يريد أن المؤمن إذا وعد فالثقة بموعده كالثقة بالشيء إذا كان باليد»[٤].

٢٩ - حديث: (**أعجلُ الأشياءِ عقوبةً البغيُ**)[٥].

«وهذا نحو قوله دعوة المظلوم لا تحجب، والمبغي عليه مظلوم، والبغي أسرع الذنوب عقوبة»[٦].

٣٠ – حديث: (**إن من الشّعرِ لحكمًا، و إنّ من البيانِ لسحراً**)[٧].

---

(١) صحيح مسلم (٦/ ٣٢).

(٢) شرح النووي (١٣/ ١٦).

(٣) ضعفه الألباني، ضعيف الجامع (٣٦٨٩).

(٤) المجتنىٰ (ص٢٢).

(٥) في السلسة الصحيحة: «أعجل الشر عقوبة البغي» (٦٧٠).

(٦) المجتنىٰ (ص٢٣).

(٧) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند رقم (٢٤٢٤ج١)، ورواه أبو داود (٤/ ٤٦١).

الْبَيَانُ: إِظْهَارُ الْمَقْصُودِ بِأَبْلَغِ لَفْظٍ، وَهُوَ مِنَ الْفَهْمِ وَذَكَاءِ الْقَلْبِ، وَأَصْلُهُ الْكَشْفُ وَالظُّهُورُ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَهُوَ أَقْوَمُ بِحُجَّتِهِ مِنْ خَصْمِهِ فَيَقْلِبُ الْحَقَّ بِبَيَانِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ: لِأَنَّ مَعْنَىٰ السِّحْرِ قَلْبُ الشَّيْءِ فِي عَيْنِ الْإِنْسَانِ، وَلَيْسَ بِقَلْبِ الْأَعْيَانِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الْبَلِيغَ يَمْدَحُ إِنْسَانًا حَتَّىٰ يَصْرِفَ قُلُوبَ السَّامِعِينَ إِلَىٰ حُبِّهِ، ثُمَّ يَذُمُّهُ حَتَّىٰ يَصْرِفَهَا إِلَىٰ بُغْضِهِ[1].

٣١ – حديث: (**الصّحةُ والفراغُ نِعمتان**)[2].

قال ابن دريد: «يريد أن من أفضل النعم العافية والكفاية؛ لأن الإنسان لا يكون فارغًا حتىٰ يكون مكفيًا، والعافية هي الصحة فمن عوفي وكوفي فقد عظمت عليه النعمة»[3].

٣٢ – حديث: (**استعينوا علىٰ الحاجاتِ بالكتمانِ فإنّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ**)[4].

هذا مما أدب به ﷺ أمته؛ لأن الرجل ربما طلب الحاجة إلىٰ الرجل فيكون له عدواً أو حاسداً فيسعىٰ عليه فيفسد عليه مطلب حاجته.

---

(١) المجتنىٰ (ص٢٣).

(٢) فتح الباري شرح «صحيح البُخاريِّ» (١١/ ٢٣٠، ٢٣١)، «كِتَاب الرِّقَاقِ» (٨١)، «بَاب ما جاءَ فِي الرِّقاق وأن لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الْآخِرَةِ».

(٣) المجتنىٰ (ص٢٤).

(٤) حديث صحيح، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٥٣)، (٣/ ٤٣٦).

٣٣ - حديث: (**المكرُ والخديعةُ في النار**)[١].

«مَكْرُ اللهِ: إِيقَاعُ بَلَائِهِ بِأَعْدَائِهِ دُونَ أَوْلِيَائِهِ. وَقِيلَ: هُوَ اسْتِدْرَاجُ الْعَبْدِ بِالطَّاعَاتِ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ وَهِيَ مَرْدُودَةٌ. والْمَعْنَىٰ: أَلْحِقْ مَكْرَكَ بِأَعْدَائِي لا بِي. وَأَصْلُ الْمَكْرِ: الْخِدَاعُ. يُقَالُ: مَكَرَ يَمْكُرُ مَكْرًا»[٢].

قال ابن دريد: «يريد أن المكر والخداع لا يكونان في تقي ولا خائف لله؛ لأنه إذا مكر غدر وإذا خدع وبق، فهاتان لا تكونان في تقي، فكلّ خلّة جانبت التقيّ فهي في النار»[٣].

٣٤ - حديث: (**منْ غَشَّنا فليسَ منا**)[٤].

الغش: ضِدُّ النُّصْحِ، مِنَ الْغَشَشِ، وَهُوَ الْمَشْرَبُ الْكَدِرُ. وَقَوْلُهُ: لَيْسَ مِنَّا، أَيْ: لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِنَا وَلَا عَلَىٰ سُنَّتِنَا[٥]، قال ابن دريد: «ينهىٰ ﷺ بهذا الكلام عن الخيانة ويحضّ علىٰ البرّ، وذلك أن الغشّ فعل من أفعال اليهود، يقول:

---

(١) صححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٥٧)، (٣/ ٤٨).

(٢) النهاية (٤/ ٥٤٩).

(٣) المجتنىٰ (ص٢٤).

(٤) صحيح مسلم (١٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِيهَا، فَإِذَا فِيهِ بَلَلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ سَمَاءٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَهَلَّا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّىٰ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا.

(٥) النهاية (٣/ ٣٦٩).

من غشّ أهل الإسلام فقد تشبه بأعدائهم فكأنه ليس منهم»[1].

٣٥ - حديث: (**المستشارُ مؤتَمن**)[2].

«يريد ﷺ من أفضىٰ إليك بسرّه وأمنك علىٰ ذات نفسه فقد جعلك بموضع ثقته كالرجل الذي لا يأمن علىٰ ماله فلا تودعه إلا الثقة في نفسه، فالسرّ الذي ربما كان في إذاعته تلف النفس أولىٰ بأن لا يجعل إلا عند الموثوق به».

٣٦ - حديث: (**المؤمنُ خيرٌ من عمله**)[3].

«إن المؤمن ينوي أبواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك، فلعلّه يعجز عن بعض ذلك، وهو معقود النية عليه، فنيّته خير من عمله»[4].

٣٧ - حديث: (**الندمُ توبةٌ**)[5].

لأنه ليس الندم مع الإصرار توبة، إنما يكون الندم توبة، إذا كان مع الإقلاع والإخلاص[6].

---

(١) المجتنىٰ (ص٢٤).

(٢) جامع الترمذي (٢٨٢٣)، وأبو داود (٤/ ٤٩٥).

(٣) ذكره البيهقي في الشعب (١٦٠٤)، من جهة ثابت عن أنس به مرفوعا، وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

(٤) المجتنىٰ (ص٢٤).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٧٧) برقم (٦١٢).

(٦) المجتنىٰ (ص٢٤).

٣٨ - حديث: (**الدالّ علىٰ الخيرِ كفاعلِه**)[١].

«وهذا تحضيض علىٰ التعاون والبِر والحثّ عليه»[٢].

٣٩ - حديث: (**حبُّك للشيءِ يُعمىٰ ويُصمُّ**)[٣].

«يريد أن الرجل إذ غلب الحب علىٰ قلبه ولم يك له رادع من عقل أو دين أصمّه حبّه عن العذل وأعماه عن الرشد وهذا يكثر»[٤].

هذه جملة الأحاديث التي وقف عليها ابن دريد ﵀ ونصّ علىٰ أنها لم تسمع إلا من رسول الله ﷺ.

ثم قال ﵀ في نهاية إيراده: «وإنما اختصرنا منه ما يحتاج إليه في هذا الكتاب، وسيأتي علىٰ جمله في كتاب إيجاز المنطق وذخائر الحكمة»[٥].

رابعاً: الشريف الرضي (متوفىٰ: ٤٠٦هـ).

كان للشريف الرضي أكبر محاولة لتقصي تلك الأحاديث الفريدة في كتابه (المجازات النبوية) قال في المقدمة: «إنني بعون الله أورد من ذلك ما كان

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٦٧٠) عن أنس بن مالك أنه قال: أتىٰ النبي ﷺ رجلاً يستحمله، فلم يجد عنده ما يتحمله، فدله علىٰ آخر، فحمله، فأتىٰ النبي ﷺ فأخبره، فقال إن الدال علىٰ الخير كفاعله.

(٢) المجتنىٰ (ص ٢٤).

(٣) نسبه السيوطي لأحمد رقم (٢٢١٩٦).

(٤) المجتنىٰ (ص ٢٤).

(٥) المجتنىٰ (ص٢٤).

داخلا في باب الاستعارات اللغوية... مضيفاً إلىٰ ذلك ما يليق بهذا المعنىٰ من كلامه عليه السلام الموجز الذي لم يسبق إلىٰ لفظه، ولم يفترع من قبله، وجميع ذلك ممّا أتقنّا بعضه روايةً، وحصَّلنا بعضه إجازةً، وخرَّجنا بعضه تصفُّحًا وقراءةً، مستمدِّين في ذلك - وفي سائر الأنحاء والمرامي، والمطالب والمغازي - توفيقَ الله سبحانه الذي يهوِّن الشديد، ويقرِّب البعيد، ويذلِّل الصعب إذا أبىٰ، ويقوِّم المعوَّج إذا التوىٰ، وما توفيقنا إلّا بالله، عليه توكَّلنا، وإليه ننيب؟»[1].

وقد أورد ثلاثمائة وثلاثة وستين حديثًا تفرد بها الرسول ﷺ بتراكيب لم يسبق إليها، ولم تفترع من قبله، وقد شرح هذه الأحاديث الشريف الرضي مبيّنا ما فيها من استعارات ومجازات. أوردتها لإتمام الفائدة، وإن سبق بعضها، مقتصرة علىٰ ذكر متن الحديث، وتوثيقه في ملحق خاص يصلح لأن يكون موضوعًا لرسالة ماجستير أو دكتوراه؛ لأنّ تلك المجاميع النفيسة تعدّ أضخم محاولة جمعت نفائس كَلِمَهُ ﷺ، وقد شرحها الشريف الرضي شرحًا بيانيًا، محللاً ما فيها من استعارات وبلاغات. منها:

١ - «هذِهِ مَكَّةُ قَدْ رَمَتْكُمْ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا»[2].

(١) المجازات النبوية (ص٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧٠)، تاج العروس (٥/ ٣٨٧)، مادة (ف ل د) قال الزبيدي: «الأفلاذ من الأرض: كنوزها وأموالها، وقد جاء في حديث أشراط الساعة: وتقيء الأرض بأفلاذ كبدها».

٢ - «هذا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[١].

٣ - «المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِواهُمْ»[٢].

٤ - «ظُهُورُهَا حِرْزٌ، وَبُطُونُها كَنْزٌ»[٣].

٥ - ومن ذلك قوله ﷺ: «فِي الْجَنِينِ غُرَّةٌ؛ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ»[٤].

٦ - «يَفْتَحُ لَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ عَمَلاً صَالِحًا يُرضِي حتّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ»[٥].

٧ - «وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرّينَ»[٦].

٨ - «أَخْرِجَا مَا تَصُرَّانِ»[٧].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٢٢٣، ٢٢٥)، و(٥/ ٤٠)، و(٦/ ٢٠٧)، و(٨/ ١٥٣)، صحيح مسلم (٤/ ١١٤).

(٢) مسند أحمد (١/ ١٢٢)، سنن ابن ماجة (٢/ ٨٩٥) (٢٦٨٣)، سنن أبي داود (١/ ٦٢٥) (٢٧٥١).

(٣) نثر الدر (١/ ١٥٢).

(٤) مسند أحمد (٢/ ٤٣٨).

(٥) مسند أحمد (٤/ ٢٠٠).

(٦) مسند أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩).

(٧) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٣).

خامساً: الثعالبي (متوفى ٤٢٩هـ):

نص الثعالبي في كتابه «التمثيل والمحاضرة» علىٰ ألفاظ له ﷺ لم تسبقه العرب إليها، قال: «ومما يتمثل به من أقواله التي هي جوامع الكلم القليلة الألفاظ الكثيرة المعنىٰ من ذلك ألفاظ له ﷺ لم تسبقه العرب إليها»[١]، وقسم التراكيب الحديثية إلىٰ أقسام منها:

- التراكيب التي لم يسبق إليها النبي ﷺ.
- التراكيب التي أجراها في عرض كلماته غير قاصد بها ضرب مثل وإرسال فقرة فتمثل الناس به ومن ذلك تشبيهاته واستعاراته وسائر أمثاله وحكمه في مختلف الفنون.
- وسأقصر الكلام علىٰ التراكيب التي نص علىٰ أنها لم يسبق إليها النبي ﷺ[٢]- وإن سبقه إليها من قبله – فلم يضف إلىٰ من سبقه إلا «الإيمان قيّد الفتك»[٣]. «اشتدي أزمة تنفرجي»[٤]، وباقي ما ذكر سبق إليه من ذلك: «إياكم وخضراء الدّمن». «كل الصيد في جوف الفرا». «مات فلانٌ حتف أنفه». «لا تنتطح فيها عنزان». «هدنةٌ علىٰ دخن، وجماعةٌ علىٰ أقذاء». «إنّ المنبتَّ لا

(١) التمثيل والمحاضرة (ص١٢).

(٢) المصدر السابق (ص١٢).

(٣) سنن أبي داود (٢٧٦٩)، صححه الألباني – صحيح الجامع (٢٨٠٢).

(٤) ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٣٩١).

أرضـًا قطع، ولا ظهراً أبقىٰ»، يضرب لمن حمّل علىٰ دابته فوق طاقتها، فيبقىٰ منقطعـًا بـه. «نـصرت بالرّعـب». «أوتيـت جوامـع الكلـم». «الآن قـد حمـي الوطيس». «يا خيل الله اركبي».

سادسا: الميداني (متوفىٰ سنة:٥١٨هـ) صاحب مجمع الأمثال:

نصّ الميداني علىٰ مجموعة من الأحاديث النبوية صارت أمثالا، وأكّد أن أوّل من قالها النبي ﷺ، لكن لم يفرد الميداني ولا أبو عبيد ولا الزمخشري ولا من ألّف في الأمثال بابـًا بما لـم يسبق إليه الرسول ﷺ، واكتفىٰ الميداني بذكر ثلاثة أمثال نبوية ذكر فيها أن المفضل ذكر أن رسول الله ﷺ من قال: ليس الخبر كالمعاينة، وأضاف: «**مات حتف أنفه**»، و«**يا خيل الله اركبي**»[1].

ثم توالت الجهود مقتصرة علىٰ ذكر ما سبق. رحم الله علماءنا فقد تركوا من الآثار ما سيظل قبسـًا هاديـًا يستضيء به عشاق المعرفة وطلاب اللغة.

❊ ❊ ❊

(١) مجمع الأمثال (٢/ ٥٤٧).

المبحث الثالث

ذكر نماذج منتقاة من ألفاظ الرسول ﷺ التي لم يسبق إليها

وقد أشار إلىٰ بعضها بعض علماء الغريب وأئمة اللغة بقولهم: ولم نسمع بها إلا في هذا الحديث، أو لا أعرفه، أو فإنا لا نرىٰ هذا محفوظاً. وبعضهم كان يشكك في الروايات، وقلّ منهم من أشار إلىٰ أن قدرته ﷺ علىٰ ارتجال الألفاظ كقدرته ﷺ علىٰ إحاطته باللغة.

وقد حيرّت بعض تلك الألفاظ علماء العربية وجهابذتها، قال ابن الأثير: «فكأن الله ﷻ قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه، وجمع فيه من المعارف ما تفرّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه، وكان أصحابه رضي الله عنهم من يفد عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوا عنه فيوضحه لهم»[1].

قال ابن الأثير: «كم يكون فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم، جعلها الله سبحانه ذخيرة لغيري يظهرها علىٰ يده ليذكر بها، ولقد صدق القائل الثاني: كم ترك الأول

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨).

للآخر»[1]، أماّ منهجي في كشف الألفاظ التي لم يسبق إليها الرسول ﷺ، فهو:

- ذكر الشاهد من الحديث النبوي.
- إيراد ما قاله علماء غريب الحديث.
- إيراد ما قاله بعض أصحاب المعاجم العربية من المتقدمين.

أمثلة من ألفاظ الارتجال:

- **الشاهد: «الإلّ».**

الحديث يروىٰ عن محمد بن عمرو يرفعه عن النبي ﷺ: «عجب ربكم من إلّكُمْ وقُنُوطكم»[2]، ورواه بعض المحدثين: من أزلكم. الإلُّ: شدة القُنوط، ويجوز أن يكون من رَفْع الصوت بالبكاء. يقال: ألَّ يئِلّ ألاًّ. قال أبو عبيد: «رواه بعض المحدثين: من أزلكم. وأصل الأزل: الشدة، وأراه المحفوظ، فكأنه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم، فإن كان المحفوظ قوله من إلّكم - بكسر الألف - فإني أحسبها: من ألّكم بالفتح، وهو أشبه بالمصادر، يقال منه ألّ يؤلّ ألاّ وألا وأليلا، وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء ويجأر فيه»[3]، قال الزمخشري: «عجب رَبُّكم من أَلِّكُمْ وقُنُوطِكم وسُرْعَة إجابته إياكم، والمعنىٰ: أن إفراطكم في الجؤار والنحيب فعل القانطين من رحمة الله، مستغرب مع ما

(١) مقدمة النهاية، لابن الأثير (١/ ١٤).

(٢) غريب الحديث، للهروي (١/ ٣٥٥)، والفائق، للزمخشري (١/ ٤٧).

(٣) غريب الحديث، للهروي (١/ ٣٥٥).

ترون من آثار الرأفة عليكم، وشدة الاستجابة لأدعيتكم»[1]. وقال ابن الجوزي: «عجب ربكم من إلّكم». المحدثون يقولونه بكسر الألف، والأجود: فتحها»[2]. وقال ابن الأثير: «المحدّثون يروونه بكسر الهمزة، والمحفوظ عند أهل اللغة: الفتح، وهو أشبه المصادر»[3].

وفي محيط اللغة أَلِّكُم، بالفتح: وأَلَّ الرَّجُلُ في الدُّعَاءِ: جَأَرَ فيه، وفي الحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّكُم من أَلِّكُم وقُنُوْطِكُم»، وفي مقاييس اللغة: «الأُلُّ رفع الصوت بالدُّعاء والبكاء». أما الأزهري فقد ذكر الإلّ: القرابة، والألّ: بالفتح: الحربة، ولم يورد البناء المذكور في الحديث[4].

• **الشاهد: «الأَعْزب».**

الحديث: عن عوف بن مالك، قال كان النبي ﷺ: «إذا جاء الفيء قسمه من يومه، فأعطىٰ الآهل حظّين، وأعطىٰ الأعزب حظّا»[5]. الآهل: الذي له زوجة وعيال. والأعْزَب: الذي لا زوجة له. قال ابن الأثير: «وهي لغة رديئة، واللغة الفصحىٰ عزَبٌ. يريد بالعطاءنصيبهم من الفيء»[6]. ولم يذكر بناء أعزب

(١) الفائق في غريب الحديث (١/ ٤٧).

(٢) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٣٦).

(٣) النهاية (٦٣).

(٤) تهذيب اللغة (١٥/ ١٣٥).

(٥) رواه أبو داود في: الإمارة (١٤)، وأحمد (٦/ ٢٥).

(٦) النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٤).

في المحيط، واكتفىٰ بقوله: «رَجُلٌ عَزَبٌ، وامرأة عَزَبٌ، وعَزَبَة أيضًا، وقد عَزَبَ عُزُوْبَةً. ومُعَزِبَةُ الرَّجُل: امرأتُه؛ لأنها تَعَزِبه: أي تَذْهَب بِعُزُوبته. والمِعْزَابَةُ: الذي طالَتْ عُزُوبَتُه حتىٰ مالَه حاجَة في الأهْل». أما الأزهري فلم يجز بناء أعزب، قال نقلا عن أبي حاتم: «رَجُلٌ عَزَبٌ، ويقال للمرأة أيضًا عَزَبٌ، قال: ولا يقال رجل أعزب، وأجازه غيره»[1]. وأهمل الجوهري بناء أعزب في صحاحه، ولم يستدركه عليه الفيروزآبادي في القاموس، ولم يجز وقوعه إلا في القليل، قال: «عَزَبٌ محركةً: مَنْ لا أهْلَ له كالمِعْزابَةِ والعَزيبِ، ولا تَقُلْ أعْزَبُ أو قليلٌ، ج: أعْزابٌ، وهي عَزَبَةٌ وعَزَبٌ والاسْمُ: العُزْبَةُ والعُزُوبةُ مضمومتينِ والفِعْلُ: كَنَصَر»[2]. قال ابن منظور: «ويروىٰ الأعزب، وهي لغة رديئة، واللغة الفصحىٰ العزب»[3].

وهكذا نرىٰ أصحاب المعاجم حكموا علىٰ كلمة (أعزب) بأنها لغة رديئة، ولم يلتفتوا إلىٰ ورودها علىٰ لسان خير البشر ﷺ.

- **الشاهد: «أَجَادِب»:**

الحديث: عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٤٧).

(٢) ينظر: الصحاح والقاموس المحيط (عزب).

(٣) لسان العرب (١١/ ٣٠).

والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء...»[1].

الأجادب: من الجدْب، وهو القحط، والأجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا، وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها. جمع أجدُب، وأجدُب: جمع جدْب مثل كلْب وأكلُب وأكالب.

خطأ الخطابي: رواية (أجادِب) وجعلها غلطًا وتصحيفًا من الراوي، وكأنه يريد أن اللفظة أجارد بالراء والدال.

قال: «أما أجادِب فهو غلط وتصحيف، وكأنه يريد أن اللفظة أجارد بالراء والدال، وكذلك ذكره أهل اللغة والغريب، قال وقد روىٰ أحادِب بالحاء المهملة»[2].

أما ابن الأثير في النهاية فقد أورد قول الخطابي، وعلّق عليه بأن الرواية في الصحيحين أجادب، فكيف تكون تصحيفًا؟ قال: «الأجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعًا، وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها مأخوذ من الجدْب، وهو القحط، كأنه جمع أجدُب، وأجدُب: جمع جدْب مثل كلْب وأكلُب وأكالب، قال الخطابي: أما أجادِب فهو غلط وتصحيف، وكأنه يريد أن اللفظة أجارد بالراء والدال، وكذلك ذكره أهل اللغة والغريب، قال وقد روىٰ أحادِب بالحاء المهملة، قلت: والذي جاء في الرواية أجادِب بالجيم، وكذلك

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٢).

(٢) غريب الحديث (١/ ٤٠٠).

جاء في صحيح البخاري ومسلم»[1].

قال ابن سيدة في المحكم: «الأجدب: اسم للمجدب، وفي الحديث على أن أجادب قد يكون جمع أجدب، الذي هو جمع جدب، وأرض جدب مجدبة، والجمع جدوب، وقد قالوا أرضون جدب كالواحد فهو على هذا وصف بالمصدر»[2]. ولم يذكر الأزهري بناء أجادب في تهذيب اللغة [3]. وكذلك لم يوردها الجوهري[4]. واستدركها الفيروزآبادي على الجوهري، فقال: ««وكانت فيه أجادب» قيل: جمع أجدب جمع جدب، وفلاة جدباء مجدبة والمجداب الأرض التي لا تكاد تخصب»[5].

• **الشاهد «الكَيّول»:**

الحديث: «حديث النبي ﷺ أن رجلا أتاه، وهو يقاتل العدو، فسأله سيفا يقاتل به، فقال له: فلعلك إن أعطيتك أن تقوم في الكيّول. فقال: لا. فأعطاه سيفا، فجعل يقاتل به وهو يرتجز، ويقول:

إني امرؤ عاهدني خليلي * أن لا أقوم الدهر في الكيول

(١) النهاية في غريب الأثر (١/ ٢٣٥).

(٢) المحكم (حكم).

(٣) تهذيب اللغة (١/ ١٣٥).

(٤) الصحاح (جدب) (١/ ٩٧).

(٥) القاموس المحيط (جدب).

أضرب بسيف الله والرسول

فلم يزل يقاتل حتىٰ قتل. قوله الكيول يعني مؤخر الصفوف»[1]. الكيول: آخر الصفوف في الحرب، وقيل: الكيول مؤخر الصفوف، قال أبو عبيد: «ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث»[2].

فأبو عبيد من أئمة اللغة وجهابذتها، ونجده يصرح بأنه لم يسمع بهذه الكلمة إلا في الحديث.

قال الأزهري: «قال أبو عبيد: قوله في الكيول: هو مؤخر الصفوف، ولم أسمع هذا الحرف إلا في الحديث قلت: والكيّول في كلام العرب: فيعول من كال الزند يكيل كيلا إذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر صفوف الحرب به، لأن ما كان فيه لا يكاد يقاتل»[3].

وفي لسان العرب «الكيّول آخر الصفوف في الحرب وقيل الكيّول مؤخر الصفوف، الكيّول: فيعول من كال الزند إذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل، وقيل: الكيّول: الجبان، والكيول: وما أشرف من الأرض يريد تقوم فوقه فتنظر ما يصنع غيرك، والكيّول: في كلام

(١) غريب الحديث، للهروي (١/ ٣٤٣). ينظر: الفائق (٢/ ٤٣٨)، والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٢١٩).

(٢) غريب الحديث، للهروي (١/ ٣٤٣).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٥٧).

العرب ما خرج من حر الزند مسوداً لا نار فيه»[1].

• **الشاهد «الجُعْثُل»:**

الحديث: قال أبو سليمان في حديث ابن عباس أنه قال: «ستة لا يدخلون الجنة، فذكر الجوّاظ، والجعثل، والقتّات، فقيل له: ما الجعثل؟ قال: الفظّ الغليظ»[2].

الجعثل: العظيم البطن. لم يثبت بناء (الجعثل) الخطابي، وقال: إنما هو العجثل، وأورد الحديث ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ثم عقّب بقوله: «قيل: هو مقلوب الجثعل، وهو العظيم البطن، وقال الخطابي إنما هو العجثل، وهو العظيم البطن، وكذلك قال الجوهري»[3]. ولم يذكره ابن فارس في مجمل اللغة، ولم يذكر الأزهري بناء جعثل، وكذلك لم يذكره الجوهري في بناء (جعثل) إنما ذكره في بناء (عثجل) قال: «العثجل مثل الأثجل، وهو العظيم البطن»[4]. وفي لسان العرب: «في حديث ابن عباس ستة لا يدخلون الجنة منهم الجعثل فقيل: ما الجعثل؟ فقال: هو الفظ الغليظ، وقيل: هو مقلوب العثجل؛ وهو: العظيم البطن»[5].

---

(١) (١١/ ٦٠٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٣/ ٣١٢)، والصحاح (٥/ ١٧٥٨).

(٥) لسان العرب (١١/ ١١٣).

• **الشاهد «العِيفَة»:**

حديث المغيرة: «لا تحرّم العَيفة، قيل: وما العَيفة؟ قال: المرأة تلد فيحصر لبنها في ضرعها فترضعه جارتها»[1]. العيفة: من عافت الطير تعيف عيفا، وتعوف عوفا، والاسم: العيَفة. والعيوف من الإبل: الذي يشمّ الماء فيدعه وهو عطشان، وعيوف امرأة.

قال أبو عبيد: «وأما حديث المغيرة بن شعبة: «لا تحرم العيفة» فإنا لا نرىٰ هذا محفوظًا، ولا نعرف العيفة في الرضاع، ولكن نراها العُفّة، وهي بقية اللبن في الضرع بعد ما يمتكّ أكثر ما فيه»[2].

قال الأزهري: «العيفة صحيح، وسميت عيفة من عفت الشيء أعافه إذا كرهته»[3]. وأهمل البناء الجوهري، وذكر العيفة: من عافت الطير تعيف عيفا؛ إذا كانت تحوم علىٰ الماء أو علىٰ الجيف وتتردد ولا تمضي تريد الوقوع[4]. وخطأ الفيروزآبادي قول أبي عبيد وقال بأنه قصور منه، قال: «وقول المغيرة: لا تحرم العيفة هي أن تلد المرأة فيحصر لبنها في ثديها فترضعها جارتها المرة والمرتين، لينفتح ما انسد من مخارج اللبن في ضرع الأم ميت عيفة، لأنها تعافه

(١) غريب الحديث، للهروي (١/ ٤٠٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ٢٣٠).

(٤) الصحاح (عيف).

وتقذره، وقول أبي عبيد: لا نعرف العيفة، ولكن نراها العفة قصور منه»[1].

أما ابن منظور فقد اكتفىٰ بالنقل[2].

• **«الشاهد بَرَهْرَهة»[3]:**

الحديث: عن أبي ذر قال: «[...] ثم دعا بالسكينة كأنها برهرهة بيضاء، فأدخلت قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاط بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي...»[4].

البرهرهة حيرت أئمة اللغة فلم يعرفوا معناها، قيل: سكينة بيضاء جديدة صافية، ويروي: رهرهة، أي: رحرحة واسعة. أما الخطابي فقد سأل الأزهري صاحب تهذيب اللغة عن معنىٰ كلمة البرهرهة الواردة في حديث المبعث فأجابه إجابة لم يطمئن إليها، وقرر إهمالها، ثم اختار أنها السكين. قال: «وأما البرهرهة: فقد أكثرت السؤال عنها فلم أجد فيها قولا يليق بمعنىٰ الحديث يقطع بصحته، وإنما أصلها في اللغة أن الجارية البيضاء الناعمة التي ترتج لرطوبتها، يقال لها: البرهرهة. وكتبت فيها إلىٰ الأزهري، فكان من جوابه أنه تصحيف من بعض النقلة، وإنما هو من الحديث الذي يروي: «أنه شق قلبه ثم

(١) القاموس المحيط (١/ ١٠٨٦).

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٦٢).

(٣) النهاية (٢/ ٢٥٦).

(٤) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٧٥).

غسل في طست رهرهة»، فعرف الرهرهة، وجعله البرهرهة، فأفسده، قال: ويقال للطست الواسع الذي لا قعر له طست رهره ورحرح. وكنت قد عزمت علىٰ أن أهمل هذا الحرف، ولا أتكلم في تفسيره، إلىٰ أن وجدت هذه القصة بغير هذا اللفظ علىٰ نحو ما أرويه لك [...] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله كيف علمت أنك نبي؟ قال: ما علمت حتىٰ أعلمت ذلك يا أبا ذر. أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فقال أحدهما: أهو هو، قال: فزنه برجل فوزنت برجل فرجحته، قال فزنه بعشرة فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزنني بمائة فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف وزنني بألف فرجحتهم، ثم قال أحدهما للآخر: لو وزنته بأمته رجحها. ثم قال أحدهما للآخر: شقّ بطنه فشق بطني فأخرج منه فغم الشيطان، وعلق الدم، فطرحها، فقال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم دعا بالسّكينة كأنها برهرهة بيضاء، فأدخلت قلبي، ثم قال: أحدهما لصاحبه خط بطنه، فخاط بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي، فما هو إلا وليا عني كأنما أعاين أو فكأنما أعاين الأمر معاينة. وزاد ابن معمر في حديثه، فجعلوا ينثرون علي من كفة الميزان[1].

قال ابن الأثير: «... البرهرهة، قيل: هي سكينة بيضاء جديدة صافية من قولهم امرأة برهرهة كأنها ترعد رطوبة، ويروي: رهرهة أي رحرحة واسعة. قال

(١) غريب الحديث للخطابي (١/ ٦٧٥).

الخطابي قد أكثرت السؤال عنها فلم أجد فيها قولا يقطع بصحته ثم اختار أنها السكين»[1].

قال الأزهري: «البرهرهة: الجارية البيضاء، والبرهرهة التي كأنها ترعد من الرطوبة، والبرهرهة الرقيقة الجلد»[2]. وفي الصحاح: «البرهرهة: المرأة التي كأنها ترعد رطوبة»[3]. وذكر ابن منظور خلاف العلماء في برهرهة، ولم يرجح أي رأي منها[4].

- **الشاهد «رَهرْهة»:**

الحديث: «في حديث المبعث فشقّ عن قلبه وجيء بطست رهرهة...»[5].

الطست الرهرهة: الواسعة. لم يعرف أكابر اللغويين كالأصمعي، وأبي حاتم «رهرهة»، وخرّجوه على أنه من باب البدل من رحرحة.

قال ابن قتيبة: «وفي حديث آخر ذكر فيه أنه شقّ عن قلبه، وجيء بطست رهرهة، قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن ذلك فلم يعرفه، ولست أعرفه أنا أيضًا، وقد التمست لهذا الحرف مخرجًا فلم أجده إلا من مخرج واحد، وهو

(١) النهاية (٢/ ٢٥٦).
(٢) تهذيب اللغة (٦/ ٢٩٥).
(٣) الصحاح (بره) (٦/ ٢٢٢٧).
(٤) لسان العرب (١٣/ ٤٩٣).
(٥) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٦٧٥).

أن تكون الهاء فيه مبدلة من حاء وهي تبدل منها لقرب مخرجها تقول مدحته ومدهته، وهذا الأمر مهم لي ومحم بمعنىٰ واحد، فكأنه أراد: جيء بطست رحرحة، وهي الواسعة فأبدل من الحاء هاء، يقال إناء رحراح إذا كان واسعا»[1]. وقال ابن الأنباري: «هذا خطأ؛ لأن الهاء لا تبدل من الحاء إلا في مواضع معروفة ولا يقاس عليها، وإنما هو درهرهة فأسقط الراوي الدال»[2].

كذلك نقل ابن الأثير قول ابن قتيبة، ولم يشرح معنىٰ رهرهة: «في حديث المبعث فشق عن قلبه وجيء بطست رهرهة: قال القتيبي: سألت أبا حاتم عنها فلم يعرفها، وقال: سألت الأصمعي عنها فلم يعرفها، قال القتيبي: كأنه أراد بطست رحرحة بالحاء، وهي الواسعة فأبدل الهاء من الحاء كما قالوا: مدهت في مدحت. وقيل يجوز أن يكون من قولهم: جسم رهرهة، أي: أبيض من النَّعمة، يريد: طستا بيضاء متلألئة، ويروىٰ برهرهة»[3]. قال الأزهري في التهذيب: «طست رحْرح، ورهْرهة، ورحْراح، ورهراء إذا كان واسعا قريب القعر»[4].

أما الجوهري فأهمل ذكرها. قال ابن منظور: «الرهرهة: حسن بصيص

(١) غريب الحديث، لابن قتيبة (١/ ٣٨٠).

(٢) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٤٢٦).

(٣) النهاية (٢/ ٢٥٦).

(٤) تهذيب اللغة (٥/ ٣٩٣).

لون البشرة وأشباه ذلك، وطست رهرهة: صافية براقة»[1].

• **الشاهد: «الزمّارة»:**

الحديث: عن النبي ﷺ: «أنه نهىٰ عن كسب الزمارة»[2] الزمارة: الزانية. وقيل: هي التي تزمر. قال أبو عبيد: «فمعنىٰ قوله هذا مثل قوله: «إنه نهىٰ عن مهر البغي» والتفسير في الحديث، ولم أسمع هذا الحرف إلا فيه، ولا أدري من أي شيء أخذ؟ وقال بعضهم: الرمّازة، وهذا عندي خطأ في هذا الموضع، أما الرمّازة في حديث آخر، وذلك أن معناها مأخوذ من الرمز، وهي التي تؤمئ بشفتيها أو بعينيها، فأي كسب لها ههنا ينهىٰ عنه؟ولا وجه للحديث إلا ما قال الحجاج الزمارة، قال أبو عبيد: وهذا عندنا أثبت ممن خالفه، إنما نهىٰ رسول الله ﷺ عن كسب الزانية، وبه نزل القرآن في قوله: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا** ﴾[3]. فهذا العرض: هو الكسب وهو مهر البغي وهو الذي جاء فيه النهي وهو كسب الأمة، كانوا يكرهون فتياتهم علىٰ البغاء ويأكلون كسبهن»[4]. وكذلك ابن الأثير قال: «فيه نهي عن كسب الزمارة: هي الزانية، وقيل: هي بتقديم الراء علىٰ الزاي من الرمز، وهي

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٩٤).

(٢) ذكره الزمخشري في الفائق (٢/ ٩٢، ٩٣).

(٣) سورة النور، الآية (٣٣).

(٤) غريب الحديث، للهروي (١/ ٢٠٤).

الإشارة بالعين أو الحاجب أو الشفة، والزواني يفعلن ذلك والأوّل الوجه، قال ثعلب: الزمارة هي البغي الحسناء، والزمير الغلام الجميل، وقال الأزهري: يحتمل أن يكون أراد المغنية، يقال غناء زمير: أي حسن، وزمر إذا غنىٰ، والقصبة التي يزمر بها زمارة»[1]. وقال الأزهري: «قال أبو عبيد: قال الحجاج: الزمارة: الزانية، قال: وقال غيره: إنما هي الزمارة، وهي التي تومئ بشفتيها أو بعينيها، وذكر قول القتيبي الرمازة[2]. ثم رجح قول أبي عبيد بأنها الزمارة، كما جاء في الحديث، قال: «وقول أبي عبيد عندي الصواب»[3]. قال الجوهري: «الرمازة: الزانية؛ لأنها تومئ بعينيها»[4]. وقال في بناء زمر: «يقال للمرأة: زامرة، ولا يقال زمّارة»[5].

●الشاهد «العِسَاء»[6]:

في الحديث: «أفضلُ الصدقةِ المنيحةُ تغدو بعِساء، وتروح بعِساء»، العساء: العُسّ الكبير.

(١) النهاية في غريب الأثر (٢/ ٢٨٢).

(٢) غريب الحديث، لابن قتيبة (٢/ ٦٣٨).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/ ٢٠٧).

(٤) الصحاح (رمز) (٣/ ٨٨٠).

(٥) الصحاح (زمر) (٢/ ٦٧١).

(٦) النهاية في غريب الأثر (٣/ ٢١٥)، البيهقي (٤/ ١٨٤).

قال الخطابي: «قال الحميدي: العِساء العسُّ الكبير، قال أبو سليمان ولم أسمعه إلا في هذا الحديث والحميدي من أهل اللسان، ورواه ابن المبارك فقال: تغدو برفد وتروح برفد. وكان ذلك شاهداً لقول الحميدي؛ لأن الرفد القدح الكبير، وأول الأقداح الغمر وهو الذي لا يبلغ الري، ثم القعب وهو قدر ري الرجل، ثم القدح وهو يروي الاثنين والثلاثة، ثم العسّ يعبّ فيه الجماعة، ثم الرفد أكبر منه، ثم الصحن أكبر منه، ثم التبن وهو أكبرها، ثم أكبر منها الجنبة تعمل من جنب البعير»[1].

قال ابن الأثير: «قال الخطابي، قال الحميدي: العساء العُسُّ، ولم أسمعه إلا في هذا الحديث، والحميدي من أهل اللسان، ورواه أبو خيثمة، ثم قال: لو قال بعساس كان أجود. فعلىٰ هذا يكون جمع العس أبدل الهمزة من السين»[2]. قال الزمخشري: العِساء: العِساس جمع عُسّ»[3]. أهمل الأزهري «عساء»[4]. وكذلك الجوهري[5].

- **الشاهد الإسْتاَرة:**

في الحديث: «أيما رجل أغلق بابه علىٰ امرأة وأرخىٰ دونها إستارة فقد تمّ

(١) غريب الحديث، للخطابي (١/ ٥٠٨).
(٢) النهاية في غريب الأثر (٣/ ٢١٥).
(٣) الفائق (٣/ ٢٦٢).
(٤) تهذيب اللغة (٣/ ٨٥).
(٥) الصحاح (٦/ ٢٤٢٥) عسا.

صداقها»[1]. الإستارة: الستارة. قال ابن الأثير: «الإستارة: من الستر كالستارة، وهي: كالإعظامة من العظامة. قيل: لم تستعمل إلا في هذا الحديث. ولو رويت أستاره جمع ستر لكان حسنا»[2].

وقال الأزهري عن شمر: الإستارة من الستر، ولم نسمعها إلا في هذا الحديث[3]. ولم يذكر الجوهري الإستارة[4].

• **الشاهد «قُعْبر»:**

الحديث: «أن رجلا قال: يارسول الله من أهل النار؟ قال: كل شديد قعبري، قيل وما القعبريّ؟[5]. قال: الشديد علىٰ الأهل، الشديد علىٰ العشيرة، الشديد علىٰ الصاحب. قال الهروي: سألت عنه الأزهري، فقال: لا أعرفه[6]. وقال الزمخشري: «أرىٰ أنه قلب عبقريّ، يقال: رجل عبقريّ، وظلم عبقريّ، والشديد الفاحش والقلب في كلامهم كثير» ولم يذكر الجوهري قعبر[7]. أما الأزهري فأهمل البناء.

---

(١) النهاية في غريب الأثر (٢/ ٣٤١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ٣٨٣).

(٤) الصحاح (ستر) (٢/ ٦٧٦).

(٥) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٦/ ١٨٨).

(٦) النهاية (٤/ ٨٦).

(٧) الصحاح (٢/ ٧٩٧).

• **الشاهد «الِهراء»:**

الحديث: أنه ﷺ قال: «ذاك الهِراءُ شيطانٌ وكِّلب النفوس»[1]. قال ابن الأثير: «لم يسمع الهراء أنه شيطان إلا في هذا الحديث، والهراء في اللغة: السمح الجواد، والهذيان»[2].

فقد وردت كلمة هراء علىٰ معنىٰ لم تألفه العرب ولم يسبق بها أحد رسول الله ﷺ.

• **الشاهد: «أَمِه»:**

في حديث الزهري: «منْ امتحنَ في حدٍّ فأَمِهَ ثم تبَرّأ فليستْ عليه عُقوبة»[3].

قال أبو عبيد: «قوله: أَمِه هو ههنا الإقرار، ولم أسمعه - الأمه بمعنىٰ الإقرار- إلا في هذا الحديث، والأمه في غير هذا الموضع النسيان»[4].

قال ابن الأثير: «أَمِهَ أي أقرّ، ومعناه أن يعاقب ليقرّ فإقراره باطل[5]. فقد وردت كلمة (أَمِهَ) علىٰ معنىٰ لم تألفه العرب، ولم يسبق بها أحد رسول الله

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفائق (٣/ ١٦٣)، وغريب الحديث، للهروي (٢/ ٤٤٨).

(٤) غريب الحديث، للهروي (٢/ ٤٤٨).

(٥) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ١٧٣).

ﷺ، قال الجوهري: وهي لغة غير مشهورة»[1].

• **الشاهد «جَمّ الغَفِير»:**

الحديث: عن أبي ذرّ «قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر وفي رواية وثلاثة عشر جمّ الغفير»[2]. الجمّ: الكثير. قال ابن الأنباري: «الصواب جمّاء غفيرا، والجمّاء الغفير بيضة الحديد التي تجمع شعر الرأس، والجماء: من الجمام والجمة، وهو اجتماع الشيء. والغفير من قولك غفرت المتاع إذا سترته وغطيته»[3]. وقلل مجيئها الزمخشري، قال: «لم تقل العرب الجمّاء إلا موصوفًا، ويقال جاءوا جمًا غفيراً، والجمّاء الغفير، والجمّ الغفير، وعن بعضهم جمّ الغفير، وجمّاء الغفير، وجمّاء الغفيرة وجماء الغفيرىٰ»[4].

أنكر ابن الأثير ضعف الرواية، وقال: «يقال جاء القوم جمّا غفيرا، والجمّاء الغفير، وجمء الغفير، وجمّاء غفيرا، أي مجتمعين كثيرين، والذي أُنكر من الرواية صحيح، فإنه يقال جاؤوا الجمّ الغفير ثم حذف الألف واللام وأضاف من باب صلاة الأولىٰ، ومسجد الجامع، وأصل الكلمة: من الجموم

(١) النهاية (١/ ٧٣).

(٢) النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٠٠).

(٣) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ١٧٣).

(٤) الفائق (١/ ٢٣٣).

والجمّة: وهو الاجتماع والكثرة، والغفير: من الغفر، وهو التغطية والستر، فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة، ولم تقل العرب الجماء إلا موصوفًا، وهو منصوب علىٰ المصدر كطرّاً وقاطبة، فإنها أسماء وضعت موضع المصدر[1].

أهمل الأزهري بناء الجمّ، ولم يذكره في التهذيب، كذلك الجوهري في الصحاح[2]. وفي لسان العرب أن الذي أُنكر من الرواية صحيح، فإنه يقال جاؤوا الجم الغفير، ثم حذف الألف واللام وأضاف من باب صلاة الأولىٰ ومسجد الجامع»[3].

●الشاهد «صِير الباب»:

الحديث: «من اطَّلع من صِير باب ففقئت (ففُقِأَت) عينُه فهي هَدر»، فتفسيره في الحديث أن الصير هو الشق في الباب، قال أبو عبيد: لم يسمع هذا الحرف إلا في الحديث[4].

أما اللغويون فقد أوردوا «صير الباب» بناء علىٰ ما ورد في الحديث[5].

---

(١) النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٠٠).

(٢) (١٠/ ٥١٧).

(٣) لسان العرب (١٢/ ١٠٩).

(٤) غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٣٤٨)، النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٥٧).

(٥) الصحاح (٢/ ٧١٨)، ولسان العرب (صير).

• **الشاهد «مُهْرَودتين»:**

في حديث عيسىٰ عليه السلام: «أنه ينزل بين مهرودتين»[1]. أي: في شقتين أو حلتين، وقيل: الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة.

قال ابن قتيبة: «هذا عندي خطأ من بعض نقلة الحديث، ولا أراه إلا مَهْروَّتين يريد ملاءتين صفراوين، يقال: هريت العمامة إذا لبستها صفراء، وكأن (فعلت) منه هروت... وإن كانت الرواية: (مهرودتين) فلا أعلم لها وجها، إن لم يكن منسوبا إلىٰ نبات يصبغ به، إلا أن يجعل من الهَرد، والهرد والهرت: الشق»[2]. وخُطئ ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه، وكان ممن خطأه ابن الأنباري، قال: «القول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروىٰ بالدال والذال، أي: بين ممصرتين علىٰ ما جاء في الحديث، ولم نسمعه إلا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا في الحديث، والممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة، وقيل المهرود: الثوب الذي يصبغ بالعروق، والعروق يقال لها الهرد»[3]. قال الزمخشري في الفائق مضْعِفا قول ابن قتيبة: «والصواب ألا يعرج علىٰ رأيه»[4].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢٣).

(٢) غريب الحديث، لابن قتيبة (١/ ٣٨٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢٣).

(٤) الفائق (١/ ٣٩٦).

قال الأزهري: «قرأت بخط شمر لأبي عدنان، أخبرني العالم من أعراب باهلة أن الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة، فذلك الثوب المهرود. ويروىٰ في ممصرتين، ومعنىٰ الممصرتين والمهرودتين واحد، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران أو غيره [...] وقال القتيبي: هو عندي خطأ من النقلة، وأراه مهروتين أي صفراوين، يقال: هريت العمامة إذا لبستها صفراء، وفعلت منه هروت. قال فإن كان محفوظا بالدال فهو من الهرد: الشق. ثم قال: والقول عندنا في الحديث: مهرودتين – بالدال والذال – أي بين ممصرتين علىٰ ما جاء في الحديث، ولم نسمعه إلا في الحديث»[1].

• **الشاهد «الجُلْهُمة»:**

في حديث أبي سُفْيان: «ما كدْتَ تأْذَنُ لي حتَّىٰ تأْذَنَ لحجارة الجُلْهُمَتين».

قال أبو عبيدة: أراد جانبي الوادي وقال: لم أسمعْ بالجُلْهمة إلا في هذا الحديث، وما جاءت إلا ولها أصل[2]. كذلك ذكر الجوهري في الصحاح.

❊ ❊ ❊

(١) تهذيب اللغة (٦/ ١٩٠) بتصرف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٨٠)، وانظر: الصحاح، للجوهري (٥/ ١٨٨٩) (جلهم).

الخاتمة

التراكيب الفريدة من كلم الرسول ﷺ صنعت تاريخـًا، وأقامت مجداً، وأعلت صرحـًا، لما كان لها من سحر عظيم، ومعنىً شريف، ولفظ كريم. هي مصابيح الهداية، ومبادئ إنسانية مرشدة، وإرث إنساني خالد، فعلت فعلها في المجتمع الإسلامي.

كيف لا؟ والكلمة البليغة الواعية هي أعظم قائد للحياة الإنسانية في معركة الفكر وصنع التاريخ، فكيف إذا كانت من أعظم قائدٍ في تاريخ الإنسانية علىٰ الإطلاق؟ أفلا تغير مجرىٰ حياة؟؟

وأختم البحث بأننا مسؤولون عن تبليغِ جَوامِعِ الكَلِمِ التي وَهبَها الله نَبيَّنا ﷺ في مَنطقِه وتبليغِه الرسالة، والكشف عن البلاغة القريبة البعيدة النفّاذة، والفصاحة المعجزة الرائعة الأخّاذة، والنمط الغريب، والطريقة المحكمة، والنظم العجيب. ومسؤولون أن نلفت نظر طلابنا وطالباتنا لفصاحة حديث رسول الله ﷺ وأثرها العظيم علىٰ لغة المتلقين، بدراسة علمية مبنية علىٰ النصوص والواقع المشاهد.

* * *

الخلاصة

- تلك هي بعض من عديد التراكيب حَمَلهَا الحديث النبوي بصياغاته المحكمة الفريدة إلىٰ الميدان اللغوي فحيرت أئمة اللغة وجهابذة العربية علىٰ علو كعبهم في الفصاحة وتفوقهم البلاغي، إذ لم يجدوا لها أثراً فيما عرفوه من لغتهم، مما يجعل ارتجالها من الرسول ﷺ هو التوجيه الأمثل، مع ما يتفق مع قدرته ﷺ، وإحاطته باللغة.
- المادة اللغويّة التي حفل بها حديث رسول الله ﷺ أساس للتطوّر اللغوي، وركن مهمًا في العربية. وفي ذلك منحة للعربية ورافد مهم في تعميق مجراها وتوسيعه.
- حصر البليغ من كلام النبوة ممتنع معجز، لأنه كلّه بليغٌ فصيحٌ، بهر العرب برونقه، وخلب ألبابهم بجرسه ووقعه، وملك نفوسهم بما فيه من جمال اللفظ، وبراعة الصورة، وسمو البيان، وروعة الأداء، وحسن التقسيم، ودقة الصوغ، وسرعة التأثير، والنفاذ إلىٰ أعماق القلوب.
- من أوائل من نصّ من العلماء مما سمع عن النبي ﷺ ولم يسمع من غيره قبله الجاحظ، أورد ثمانية أقوال، من جوامع كلمه ﷺ.
- أورد ابن دريد في كتاب (المجتنىٰ) مجموعة نفيسة من الأحاديث الفريدة، وأفرد باباً لما سمع عن النبي ﷺ ولم يسمع من غيره قبله.

- كان للشريف الرضي أكبر محاولة لتقصي تلك الأحاديث الفريدة في كتابه (المجازات النبوية) وقد أورد ثلاثمائة وثلاثة وستين حديثًا تفرد بها الرسول ﷺ بتراكيب لم يسبق إليها.
- نص الثعالبي في كتابه «التمثيل والمحاضرة» علىٰ ألفاظ له ﷺ لم تسبقه العرب إليها، وأضاف إلىٰ من سبقه «الإيمان قيّد الفتك». «اشتدي أزمة تنفرجي».
- لم يفرد الميداني، ولا أبو عبيد، ولا الزمخشري، ولا من ألف في الأمثال بابًا فيما لم يسبق إليه الرسول ﷺ، واكتفىٰ الميداني بذكر ثلاثة أمثال نبوية نقلها عن المفضّل.
- أغفل أصحاب المعاجم بعض الأبنية التي أوردها أصحاب المعلقات، وهي وقفة جديرة بالدارسة المستفيضة.

وبعد، فإن هذا العمل جهد بشري يعتريه النقص والخلل، وحسبي أني بذلت فيه جهدي وطاقتي أسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن يجعل ما سُطِّر في هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به... إن أصبت ففضل من الله وكرم، وإن أخطأت فقصور فيّ ونقص.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: مصادر البحث:

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ). ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، لبنان. ط٢-٢٠٠٩م.

(٢) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) الأصول في النحو، ابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي. ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٤) الأفعال، ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ). تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

(٥) الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ). قدم له وضبطه وشرحه وعلق علىٰ حواشيه وفهرسه: أحمد سليم الحمصي، ومحمد أحمد قاسم. ط ١.

(٦) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين، ط ٥، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الجيل، بيروت.

(٧) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر. ط ٧، ١٩٩٧م، عالم الكتب، القاهرة.

(٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدِّين السُّيوطي (ت ٩١١هـ). حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، المكتبة العصرية، بيروت.

(٩) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ط ٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٠) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ). ط ١، ١٣٠٦هـ، مكتبة الحياة، بيروت.

(١١) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٦هـ / علىٰ التقريب)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار. ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت.

(١٢) تاريخ آداب العرب، مصطفىٰ صادق الرافعي. ط٢، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(١٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك أبي عبد الله جمال الدين محمد ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ). تحقيق: محمد كامل بركات. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، مصر.

(١٤) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ). تحقيق: عدد من المحققين. ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. المؤسسة المصرية العامة، الدار المصرية.

(١٥) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي. ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م اللجنة الوطنية بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، العراق.

(١٦) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ). تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض.

(١٧) الخصائص، عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ). تحقيق محمد علي النجار. ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٨) دراسات لأسلوب القرآن العظيم، محمد عبد الخالق عضيمة. دار الحديث، القاهرة.١٣٩٢هـ.

(١٩) سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة.١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

(٢٠) سنن أبي داوود، دار الكتاب العربي ـ بيروت. (١٣١٧هـ - ١٩٥٢م).

(٢١) سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين. القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

(٢٢) سنن الدارمي. دار الكتاب العربي بيروت. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

(٢٣) شرح التسهيل لابن مالك. تحقيق عبد الرحمن السيّد، ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، مطابع سجل العرب.

(٢٤) شرح السنّة، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

(٢٥) الصاحبي، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسىٰ البابي، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢٦) صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢٧) صحيح البخاري، تحقيق أبي صهيب القرامي. دار بيت الأفكار، لبنان، ٢٠٠٥هـ.

(٢٨) صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الجامع الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني. الناشر، المكتب الإسلامي. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣٠) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، اعتنىٰ به: محمد بن إبراهيم الرشودي وعلىٰ نفقة الشيخ إبراهيم الخريجي، مصر، ط ١. ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٣١) عقود الزبرجد في إعراب الحديث النيوي، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ). تحقيق: د. سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابىٰ الحنفىٰ بدر الدين العينىٰ. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٣) غريب الحديث، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) المجلد الخامس، تحقيق ودراسة د. سليمان بن إبراهيم العايد، رسالة دكتوراه، طبع مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أمّ القرىٰ، ١٤٠٢هـ.

(٣٤) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق محمد عبدالمعيد خان، ط١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٣٥) غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ). تحقيق د. عبد الله الجبوري. مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٣٦) غريب الحديث لابن الجوزي، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر.(تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي) (الناشر: دار الكتب العلمية)، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٣٧) غريب الحديث- للإمام أبي سلمان حمد بن محمد الخطابي(ت: ٣٨٨هـ). تحقيق: عبد الكريم الغرباوي. جامعة أم القرىٰ، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣٨) الغريب المصنّف، أبو عبيد القاسم بن سلاَّم (ت ٢٢٤هـ). حقّقه د. محمد المختار العبيدي. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. ط٢، ١٤١٦هـ.

(٣٩) الفاخر، للمفضل بن سلمة (ت: ٢٩١هـ). تحقيق: عبد العليم الطحاوي، محمد علىٰ النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٤م.

(٤٠) الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، طيبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٤٢) فهارس كتاب سيبويه، محمد عبد الخالق عضيمة. ط١. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٤٣) الفهرست، أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب بن النَّديم (ت ٣٨٠هـ). دار المعرفة بيروت، لبنان.

(٤٤) في أصول النحو العربي، سعيد الأفغاني. دار الفكر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

(٤٥) فيض القدير، للمناوي. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤٦) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ). إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي. ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤٧) القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، خالد بن سعود العصيمي. ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار التدمرية، الرياض.

(٤٨) قطر الندى، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري. تحقيق: علي ابن سالم باوزير أبو الحسن، دار الوطن. ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤٩) كتاب الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) حققه عبد المجيد قطامش. ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.

(٥٠) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ). تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، ط١٤١١،١هـ - ١٩٩١م، دار الجيل - بيروت.

(٥١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين البرهان فوري (ت٩٧٥هـ). مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ.

(٥٢) لباب الآداب، الأمير أسامة بن منقذ (ت: ٤٨٤هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٥٣) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدِّين محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ). دار صادر، بيروت، ط١٤١٠،١هـ - ١٩٩٠م.

(٥٤) المجازات النبوية، للشريف الرضي (٤٠٦هـ). تحقيق مهدي هوشمند. دار الحديث للطباعة والنشر ١٤٢٢هـ.

(٥٥) المجتنىٰ، لابن دريد الأزدي البصري (ت: ٣٢١هـ). مطبعة مجلس المعارف النظامية، حيدر آباد. سنة١٣٤٢هـ.

(٥٦) مجمع الأمثال، للميداني (ت:٥١٨هـ). تحقيق محمد محيي الدين. (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان) (لا يوجد تاريخ الطبع).

(٥٧) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، عليّ بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: مصطفىٰ السَّقَّال وحسين نصَّار. معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة، ط١، ١٩٩٨م.

(٥٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدِّين السُّيوطي(ت ٩١١هـ). تحقيق محمّد أحمد جاد المولىٰ وزميليه. دار الفكر. (لا يوجد تاريخ طبع).

(٥٩) المستدرك علىٰ الصحيحين، للإمام النيسابوري. تحقيق: عبد السلام علوش، دار المعرفة بيروت، لبنان. ١٤١٨هـ.

(٦٠) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومجموعة من العلماء – مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٦١) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٦٢) المعجم العربي(نشأته وتطوره)، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٦٣) معجم المقاييس في اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ). حقّقه عبدالسلام هارون. ط١، ١٤١١هـ، بيروت، دار الجيل.

(٦٤) المفصل في علم العربية، للزمخشري، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصّل، لمحمد بدر الدين الحلبي. دار الجيل- بيروت.(لا توجد سنة النشر).

(٦٥) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية شرح ألفية ابن مالك، الشاطبي: الإمام أبو إسحاق (٧٩٠هـ)، تحقيق: د. عياد الثبيتي. ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. مكتبة التراث، مكة المكرمة.

(٦٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ). دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٨ جزءا (في ٩ مجلدات)، ١٣٩٢هـ.

(٦٧) الموطأ، للإمام مالك -رواية يحيىٰ الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - عيسىٰ البابي - مصر، ١٣٨٠هـ.

(٦٨) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.

(٦٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدِّين عبدالرّحمن بن محمّد ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ). تحقيق: د. إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٧٠) النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدِّين أبو السّعادات المبارك بن محمّد ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ). تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٧١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م. دار البحوث العلمية، الكويت.

ثانياً: البحوث والمقالات:

(٧٢) الاستدراك على المعاجم العربية لدى اللغويين العرب، دراسة تطبيقية. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إعداد تهاني بنت محمد بن سليم الصفدي، إشراف أ. د. عبدالعزيز الحميد.

(٧٣) أثر الحديث النبوي في إثراء العربية، تهاني بنت محمد الصفدي. ورقة عمل مقدمة لـ«الندوة الدولية للبحوث في لغة وفلسفة وتدريس الحديث النبوي بكيرالا» ٢٠١٢هـ.

(٧٤) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين، الجنابي، د. أحمد نصيف. ضمن أبحاث ندوة (المعجمية العربية) المجمع العلمي العراقي ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م بغداد.

(٧٥) من موارد العين للفراهيدي، الجبوري، د. عبدالله: مجلة الذخائر، ص ٢٦٥، العدد الرابع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

1st: Research Sources:

(1) Irshad As-Saari Lisharh Saheeh Al-Bukhari, by Shihabuddin Abi Al-Abbas Al-Qustalani (died: 923H). edited and corrected by Muhammad Abdul Aziz Al-Khaalidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Lebanon. 2nd ed. – 2009.

(2) Asas Al-Balaghah, Jaarullah Abu Al-Qaasim Mahmoud Bin Umar Az-Zamakhshari (died 538H), edited by: Muhammad Baasil Uyoon As-Sood, 1st ed., 1419H – 1998.

(3) Al-Usool fi An-Nahou, Ibn As-Siraaj (died 316H), edited by: Dr Abdul Husain Al-Fatali. 1st ed., 1405H – 1985. Ar-Risalah Foundation, Beirut, Lebanon.

(4) Al-Afaal, (The Verbs), Ibn Al-Qootiyyah (died 367H). edited by: Ali Foudah, Al-Khaanji Bookstore Cairo, 2nd ed., 1993.

(5) Al-Iqtirah fi Uloom An-Nahou, (The Suggestion in The Grammatical Sciences), As-Siyouti, Jalaluddin (died 911H). introduced, corrected, explained, and commented on by: Ahmad Saleem Al-Himsi, and Muhammad Ahmad Qaasim, 1st ed.

(6) Awdhah Al-Masaalik ila Alfiyyat Ibn Maalik, by Ibn Hisham Al-Ansari, Abdullah Bin Yusuf (died: 761H), edited by: Muhammad Muhyiddin, 5th ed., 1399H – 1979, Dar Al-Jeel, Beirut.

(7) Al-Bahth Al-Lughawi Inda Al-Arab, (Linguistic Research Among The Arabs), Dr Ahmad Mukhtar Umar. 7th ed., 1997, Aalam Al-Kutub, Cairo.

(8) Bughyat Al-Wuaat fi Tabaqat Al-Lughawiyyeen wa An-Nuhat, Jalaluddin As-Siyouti (died 911H). edited by: Muhammad Abu Al-Fadhl Ibrahim, 1st ed., Al-Asriyyah Bookstore, Beirut.

(9) Al-Bayan wa At-Tabyeen, Abu Uthman Amr Bin Bahr Bin Mahboob Al-Jaahith (died 255H), 5th ed., 1405H – 1985, Al-Khaanji Bookstore, Cairo.

(10) Taaj Al-Aroos min Jawahir AL-Qamoos, Muhammad Az-Zubaidi (died 1205H). 1st ed., 1306H, Al-Hayat Bookstore, Beirut.

(11) Taj Al-Lughah wa SIhah Al-Arabiah, Ismaeel Bin Hammad Al-Jawhari (died 396H/approx.), edited by: Ahmad Abdul Ghafoor Attar. 3rd ed., 1404H – 1984, Dar Al-Ilm Lil Malayeen, Beirut.

(12) Taareekh Adaab Al-Arab, Mustafa Saadiq Ar-Raafie. 2nd ed., 1394H – 1974 Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

(13) Tasheel Al-Fawa'id wa Takmeel Al-Maqasid, by Ibn Maalik Abu Abdullah Jamaluddin Muhammad Ibn Maalik (died: 672H). edited by: Muhammad Kaamil Barakat. 1387H – 1967, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Egypt.

(14) Tahtheeb Al-Lughah, Abu Mansoor Muhammad Bin Ahmad Al-Azhari (died 370H). edited by: a number f editors. 1st ed., 1384H – 1964. General Egyptian Foundation, Ad-Dar Al-Masriah.

(15) Al-Hadeeth An-Nabawi Ash-Shareef wa Atharuh fi Ad-Dirasat Al-Lughawiyyah wa An-Nahawiyyah, (The Noble Hadeeth and its Effect on Linguistic and Grammatical Studies), Dr Muhammad Dhari Hammadi. 1st, 1402H – 1982 The National Rectory of the 15th Hijhi Century, Baghdad, Iraq.
(16) Khizanat Al-Adab wa Lubb Lubab Lisan Al-Arab, Abdur Qaadir Bin Umar Al-Baghdadi (died 1093H). edited by: Abdus Salam Haroom, 1st ed, 1403H – 1983, Dar Al-Khaanji, Cairo, Dar Ar-Raafie, Riyadh.
(17) Al-Khasaa'is, (The Characteristics), Uthman Bin Jinny (died 392H), edited by Muhammad Ali An-Najjar. 1371h – 1952, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.
(18) Dirasat li Usloob Al-Quraan Al-Atheem, Muhammad Abdul Khaaliq Adheemah. Dar Al-Hadeeth, Cairo. 1392H.
(19) Sunan Ibn Majah, edited by Muhammad Fuaad Abdul Baqi, Cairo. 1372H – 1952.
(20) Sunan Abi Dawood, Dar Al-Kitaab Al-Arabi – Beirut. (1317H – 1952).
(21) Sunan At-Tirmithi. Edited by Ahmad Muhammad Shaakir and others. Cairo, 1356H – 1937.
(22) Sunan Ad-Daarimi. Dar Al-Kitaab Al-Arabi Beirut. Edited by: Husain Sulaim Asad Ad-Darani: Dar Al-Mughni Publishers and Distributors, Saudi Arabia – 1st ed, 1412H – 2000.
(23) Sharh At-Tasheel by Ibn Maalik. Edited by Abdur Rahman As-Syed, 1st ed., 1394H – 1974, Sijjil Al-Arab Press.
(24) Sharh As-Sunnah, Al-Husain Bin Masood Al-Baghawi (died 516), 1403H – 1983, 2nd ed., edited by Shuaib Al-Arnaoot, Muhammad Zuhair Ash-Shaweesh, Al-Maktab Al-Islami, Damascus, Beirut.
(25) As-Saahibi, Ahmad Bin Faaris (died 395H) edited by: As-Syed Ahmad Saqr, Isa Al-Babi, Cairo, 1977.
(26) Saheeh Ibn Hibban. Edited by Shuaib Al-Arnaoot, Ar-Risalah Foundation, Brirut, 1st ed., 1408H – 1988.
(27) Saheeh Al-Bukhari, edited by Abi Suhaib Al-Qarami. Dar Bayt Al-Afkar, Lebanon, 2005.
(28) Saheeh Al-Bukhari, Muhammad Zuhair Bin Nasir An-Nasir. Dar Tawq An-Najat, 1st ed., 1422H.
(29) Saheeh Al-Jami As-Sagheer wa Ziyaadatuh, Dhaeef Al-Jami As-Sagheer wa Ziyadatuh (Al-Jami Al-Kabeer), Muhammad Nasiruddin Al-Albani. Publisher, Al-Maktab Al-Islami. 1408H – 1988.
(30) Saheeh Muslim, by Imam Abi Al-Husain Muslim Bin Al-Hajjaj Al-Qushairi (died 261H), took care of it: Muhammad Bin Ibrahim Ar-Rushoodi and paid for by Ibrahim Al-Khuraiji, Egypt, 1st ed. 1434H – 2013.
(31) Uqood Az-Zabarjad fi I'rab Al-Hadeeth An-Nabawi, Jalaluddin As-Siyouti (died: 911H). edited by: Dr Sulaiman Al-Qudhat, Dar Al-Jeel, Beirut 1414H – 1994.
(32) Umdat Al-Qaari Sharh Saheeh Al-Bukhari, Badruddin Al-Aini Al-Hanafi Umdat Al-Qaari Sharh Saheeh Al-Bukhari, by Abi Muhammad Mahmoud Bin Ahmad Bin Musa Bin Ahmad Bin Husain Al-Gheetabi Al-Hanafi Badruddin Al-Aini. Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut.

(33) Ghareeb Al-Hadeeth, Abu Ishaq Ibrahim Bin Ishaq Al-Harbi (died 285H) 5th vol., edited and studied by Dr Sulaiman Bin Ibrahim Al-Aayid. A Ph.D thesis, printed by The Scientific Research and Cultural Revival Center at Umm Al-Qura University, 1402H.
(34) Ghareeb Al-Hadeeth, Abu Ubaid Al-Qaasim Bin Sallam (died 224H), edited by Muhammad Abdul Mueed Khan, 1st ed., 1396H – 1976. Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon.
(35) Ghareeb Al-Hadeeth, Abdullah Bin Muslim Bin Qutaibah (died 276H). edited by Dr Abdullah Al-Jaboori, Al-Aani Press, Baghdad 1397H – 1977.
(36) Ghareeb Al-Hadeeth by Ibn Al-Jawzi, by Abi Al-Faraj Abdur Rahman Bin Ali Bin Muhammad Bin Ali Bin Ubaidullah Bin Hammadi Bin Ahmad Bin Jaafar. (edited by: Dr Abdul Muti Amin Qalaji) (Pulisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah), Beirut, 1st ed., 1985.
(37) Ghareeb Al-Hadeeth – by Imam Abu Salman Hamad Bin Muhammad Al-Khattabi (died: 388H). edited by: Abdul Kaeem Al-Gharbawi. Umm Al-Qura University, 2nd ed., 1422H – 2001.
(38) Al-Ghareeb Al-Musannaf, Abu Ubaid Al-Qaasim Bin Sallam (died 224H). edited by Dr Muhammad Al-Mukhtar Al-Ubaidi. The Tunisian Complex for Sciences and Arts. 2nd ed., 1416H.
(39) Al-Faakhir, by Al-Mufaddal Bin Salamah (died: 291H). edited by: Abdul Aleem At-Tahawi, Muhammad Ali An-Najjar, The General Egyptian Book Authority. 1974.
(40) Al-Faa'iq fi Ghareeb Al-Hadeeth, Jaarullah Az-Zamakhshari. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1417H – 1996.
(41) Fath Al-Bari Bisharh Saheeh Al-Bukhari, Ahmad Bin Hajar Al-Asqalani. Edited by: Nathar Bin Muhammad Al-Faariyaabi, Taybah, 1426H – 2005.
(42) Faharis Kitab Seebawaih, Muhammad Abdul Khaaliq Adheemah. 1st ed. 1395H – 1975.
(43) Al-Fahrast, Abu Al-Faraj Muhammad Bin Abi Yaaqub Bin An-Nadeem (died 380H). Dar Al-Maarifah Beirut, Lebanon.
(44) Fi Usool An-Nahu Al-Arabi, Saeed Al-Afghani. Dar Al-Fikr, 1383H – 1963.
(45) Faydh Al-Qadeer, by Al-Mannawi. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah Beirut, Lebanon. 1st ed., 1415H – 1994.
(46) Al-Qamoos Al-Muheet, Muhammad Bin Yaaqub Al-Fairuzabadi (died: 817H). Prepared and presented by: Muhammad Abdur Rahman Al-Marashli. 1st ed., 1417H – 1997, Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, Beirut.
(47) Al-Qararat An-Nahwiyyah wa At-Tasreefiyyah li Mujamma Al-Lughah Al-Arabiyyah Bil Qaahirah, (The Grammatical Decisions of The Arabic Language Complex in Cairo), Khalid Bin Saud Al-Usaimi. 1st ed., 1423H – 2002, Dar At-Tadmuriyyah, Riyadh.
(48) Qatr An-Nada, Jamaluddin Abdullah Bin Yusuf Bin Hisham Al-Ansari. Edited by: Ali Bin Saalim Bawazir Abu Al-Hasan, Dar Al-Watan. 1st ed., 1420H – 1999.

(49) Kitab Al-Amthal, Abu Ubaid Al-Qasim Bin Sallam (died 224H) edited by Abdul Majeed Qatamish. 1st ed., 1400H – 1980. Dar Al-Maamoon for Culture, Damascus, Beirut.
(50) Kitab Seebawaih, Abu Bishr Amr Bin Uthman Bin Qanbar (died 180H). edited and explained by: Abdus Salam Muhammad Haroon, 1st ed., 1411H – 1991, Dar Al-Jeel – Beirut.
(51) Kanz Al-Ummal fi Sunan Al-Aqwal wa Al-Afaal, by Al-Allamah Alaauddin Al-Burhanphuri (died 975H). Ar-Risalah Foundation, Beirut 1409H.
(52) Lubab Al-Aadab, Al-Ameer Usamah Bin Munqith (died: 484H). edited by: Ahmad Muhammad Shakir. As-Sunnah Bookstore, 1408H – 1987.
(53) Lisan Al-Arab, Abu Al-Fadhl Jamaluddin Muhammad Bin Mukarram Bin Manthoor (died 711H). Dar Saadir, Beirut, 1st ed., 1410H – 1990.
(54) Al-Majazat An-nabawiyyah, by Ash-Shareef Ar-Radhiy (406H). edited by Mahdi Hushmand. Dar Al-Hadeeth Printers and Publishers 1422H.
(55) Al-Mujtana, by Ibn Duraid Al-Azdi Al-Basri (died: 321H). Majlis Al-Maarif An-Nithamiyyah Press, Hyderabad. 1342H.
(56) Mujamma Al=Amthal, by Al-Maydani (died: 518H). edited by Muhammad Muhyiddin. (published by Al-Hayat Bookstore – Beirut – Lebanon) (no publication date).
(57) Al-Muhakkam wa Al-Muheet Al-Aatham fi Al-Lughah, Ali Bin Ismaeel Bin Seedah (died 485H) edited by: Mustafa As-Saqqal and Husain Nassar. Transcripts Institute at The League of Arab States, 1st ed., 1998.
(58) Al-Muzhir fi Uloom Al-Lughah wa Anwa'iha, (The Bloom in The Science of Language and its Kinds), Jalaluddin As-Siyooti (died: 911H). edited by Muhammad Ahmad Jaad Al-Mawla wa Zameelayh. Dar Al-Fikr. (no publication date).
(59) Al-Mustadrak Ala As-Saheehayn, by Al-Imam An-Naysaboori. Edited by: Abdus Salam Alloosh, Dar Al-Maarifah Beirut, Lebanon. 1918H.
(60) Musnad Ahmad, by Imam Ahmad Bin Hanbal, edited by: Shuaib Al-Arnaoot an a group of scolars – Ar-Risalah Foundation, Beirut, 1420H.
(61) Mishkat Al-Masabeeh, Muhammad Bin Abdullah Al-Khateeb At-Tabreezi. Edited by Muhammad Nasiruddin Al-Albani The Islamic Office, Beirut, 1st ed., 1405H – 1985.
(62) Al-Mujam Al-Arabi (Nash'atuh Tatawwuruh), (The Arabic Dictionary (Origins and Development)), Dr Husain Nassar, Dar Misr Printers 1408H – 1988.
(63) Mujam Al-Maqayees fi Al-Lughah, Abu Al-Husain Ahmad Bin Faaris (died 395H). edited by: Abdus Salam Haroon. 1st ed., 1411H, Beirut, Dar Al-Jeel.
(64) Al-Mufassal fi Ilm Al-Arabiyyah, (The Detailed in The Knowledge of Arabic) by Az-Zamakhshari, and attatched to it is Al-Mufaddal fi Sharh Abyat Al-Mufassal, by Muhammad Badruddin Al-Halabi. Dar Al-Jeel – Beirut. (no publication date).
(65) Al-Maqasid Ash-Shafiyah fi Sharh Al-Khulasah Al-Kaafiyah Sharh Alfiyyat Ibn Maalik, Ash-Shaatibi: Al-Imam Abu Ishaaq (790H), edited by: Dr Ayyad Ath-Thubaiti. 1st ed., 1417H – 1996. At-Turath Bookstore, Makkah.

(66) Al-Minhaj Sharh Saheeh Muslim Bin Al-Hajjaj by Abi Zakariyya Muhyiddin Yahya Bin Sharaf An-Nawawi (died 676H). Dar Ihya At-Turath Al-Arabi – Beirut, 2nd ed., 18 parts (in 9 volumes), 1392H.
(67) Al-Muwatta, by Imam Maalik – narration of Yahya Al-laithi, edited by: Muhamamd Fuaad Abdul Bari – Isa Al-Babi – Egypt, 1380H.
(68) Mawqif An-Nuhat min Al-Ihtjaj Bil-Hadeeth Ash-Shareef, (The Position of Grammarians from Using The Noble Ahadeeth as Evidences), Dr Khadijah Al-Hudaithi, a Ministry of Culture and Media publication, Iraq, Dar Ar-Rasheed Publishers 1981.
(69) Nuzhat Al-Albaa fi Tabaqat Al-Udabaa, Abu Al-Barakat Kamaluddin Abdur Rahman Bin Muhammd Ibn Al-Anbari (died 577H). edited by: Dr Ibrahim As-Saamirraie, Al-Manar Bookstore, Jordan, 1st ed., 1405H – 1985.
(70) An-Nihayah fi Ghareeb Al-Hadeeth wa Al-Athar, Majduddin Abu As-Saadaat Al-Mubarak Bin Muhammad Bin Al-Atheer (died: 606H), commentary by: Salah Bin Muhammad Bin Uwaidah, 1st ed., 1418H – 1997. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.
(71) Hama Al-Hawami Sharh Jama Al-Jawami, by As-Siyooti, edited by Abdul Al-Aal Saalim Mukarram. 1394H – 1975. Dar Al-Buhooth Al-Ilmiyyah, Kuwait.

2nd: Researches and Articles:

(72) Al-Istidrak Ala Al-Maajim Al-Arabiyyah Inda Al-Lughawiyeen Al-Arab, An empirical study. A study presented for a Ph.D thesis, prepared by Tahani Bint Muhammad Bin Saleem As-Safadi, supervised by Dr Abdul Aziz Al-Hameed.
(73) Athar Al-Hadeeth An-Nabawi fi Ithraa' Al-Arabiyyah, (The Effect of The Noble Hadeeth in Enriching The Arabic Language), Tahani Bint Muhammad As-Safadi. A worksheet presented to: (The International Symposium of Research in The Language, Philosophy, and Teaching of the Hadith in Karela) 2012.
(74) Manhaj Al-Khalil fi Dirasat Ad-Dalalah Al-Quraaniyyah fi Kitab Al-Ain, Al-Janabi, Dr Ahmad Naseef. From the researches of (The Arabic Dictionary) the Scientific Iraqi Complex 1412H – 1992 Baghdad.
(75) Min Mawarid Al-Ain by Al-Faraheedi, Al-Jaboori, Dr Abdullah: Ath-Thakhair Journal, 265, no. 4, 1421H – 2000.

❋ ❋ ❋

صيغة أفعل التفضيل مؤولة بمشتق
دراسة في الشواهد والآراء

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد
د. عبدالله حسن أحمد الذنيبات

أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

abdullahhasan24@yahoo.com

صيغة أفعل التفضيل مؤولة بمشتق «دراسة في الشواهد والآراء»

المستخلص: تتبعت الدراسة آراء النحاة واللغويين والمفسرين في إمكانية خروج بناء أفعل التفضيل عن معنىٰ المشاركة وتأويلها بدلالة مشتق آخر.

ولاستجلاء هذه الفكرة؛ جاءت الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة، حيث رصدت في الفصل الأول آراء النحاة والمفسرين في إمكانية خروج صيغة أفعل عن معنىٰ المشاركة وتأويلها بدلالة بمشتق، حيث وقفت علىٰ ثلاثة آراء: مؤيد، ومعارض، ومقتصر علىٰ ما سمع عن العرب دون القياس عليه.

وجاء الفصل الثاني للوقوف علىٰ هذه التأويلات وتصنيفها حسب الصيغة المؤولة إليها صيغة أفعل، وإبداء الرأي فيها ما أمكن، وقد أيدت الدراسة عدة معان ودلالات تخرج إليها دلالة «أفعل» لم يكتب لبعضها الشيوع مثل: أن صيغة «أفعل» تأتي إيجابا للأول ونفيا عن الثاني، وقال به نفطويه، وتدل أن المفضل متباعد في أصل الفعل عن المفضل عليه، متزايد إلىٰ كماله فيه، وقال بهذا المعنىٰ الكفوي، وتأتي أيضا لمجرد الوصف بحيث يثبت الصفة للطرف المذكور وقال به مجمع اللغة العربية في القاهرة.

الكلمات المفتاحية: أفعل، التفضيل، التأويل، المشتقات.

***

The Preference Noun Supported by a Derivative
A Study of Evidences And Opinions

Abstract: The study traced the views of grammarians, linguists and interpreters on the possibility of interpreting the preference noun style an interpretation other than that of participation.

In order to study this idea, this paper consists of an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter lists down the opinions of grammarians and interpreters on the possibility of the preference noun being given another interpretation with the assistance of a derivative wherein opinions were divided into supporters, opposers, and a third group limited their support to what we know from the Arabs without using it a measure.

The second chapter examines and chategorises these interpretations depending on the style being used to support the preference noun, and provides an opinion where possible. This study has also supported several meanings and indications that are not widely known but can be used with the preference noun such as where the preference noun affirms the first and negates the second (Niftawaeh). This indicates that the preferred is distanced in the origin of the verb from the preferred over, and closer to perfection (AlKafawi), and it can also be used in a descriptive capacity in such a way that the adjective is affirmed to the party mentioned (The Arabic Language Organisation, Cairo).

Keywords: Af'al- preference- interpretation- derivatives.

❊ ❊ ❊

تقديم

شكلت دلالة «أفعل» التفضيل نقطة خلاف عند النحاة والمفسرين قديما وحديثا، فحصرها كثير منهم في دلالة المشاركة، أي أن طرفين اشتركا في صفة معينة، وزاد المفضل علىٰ المفضل عليه في تلك الصفة، إلا أن بعض النحاة ذهب إلىٰ تأويلها بدلالات مختلفة بما يخرجها عن معنىٰ المشاركة أحيانا.

وظلت الشواهد المختلف في دلالتها متناثرة في بطون كتب النحو والتفسير يتجاذبها النحاة والمفسرون كلٌ حسب رؤيته في هذه القضية، فمنهم من أولها علىٰ المشاركة ولو تقديرا بحيث لا تخرج عنه، فمنعوا عروَّها عن هذا المعنىٰ وأولوا ما أخرجه بعض النحاة عن ذلك، فظهر التكلف في تأويلهم أحيانا، ومنهم من تعامل مع هذه الشواهد بصفتها مسموعة لا يقاس عليها، ومنهم من ذهب إلىٰ أن خروجها عن معنىٰ المشاركة مطرد يقاس عليه.

وبعد دراسة الآراء والشواهد المختلف في دلالتها وجدت أن من أبرز الحالات التي تخرج عنها دلالة أفعل التفضيل - عند من يرون جواز ذلك- هي:

١ - اختلاف الصفة، وشاهدها المشهور عند النحاة «العسل أحلىٰ من الخل».

٢ – الخروج لدلالة سياقية كالتهكم والاستنكار والتقرير.

٣ – تأويل صيغة «أفعل» بدلالة مشتق آخر، كـ: «فعيل وفاعل وفَعَل وفَعِل ومفعول وفِعال».

وبعدما رأيت أن شواهد بناء أفعل التفضيل المؤولة بصيغ أخرىٰ تشكل نقطة خلاف عند النحاة واللغويين، ولم أطلع علىٰ دراسة مستقلة تناولت ذلك علىٰ وجه الخصوص، عزمت علىٰ أن أجمع هذه الشواهد وأصنفها حسب الصيغة المؤولة إليها صيغة أفعل بهدف استعراض مدىٰ مطابقة الصيغة المؤولة إليها صيغة «أفعل» لدلالة اللفظة داخل السياق.

لقد سبقت هذه الدراسة بدراسات تناولت صيغة أفعل التفضيل بشكل عام دون أن تتناول الجزئية التي سنتناولها علىٰ وجه الخصوص، ومن هذه الدراسات: صيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم (دراسة نحوية) إعداد الدكتور أحمد إبراهيم الجدبة منشور في مجلة الجامعة الإسلامية غزة، المجلد العشرون العدد الثاني رجب ١٤٣٣هـ، وهذه دراسة نحوية تناولت أقسام أفعل التفضيل الثلاثة، والتفضيل بخير وشر ومنع «صيغة أفعل التفضيل» من الصرف مع إحصاء عدد المرات التي تكررت فيها هذه الشواهد، ورسالة أخرىٰ بعنوان: اسم التفضيل في القرآن الكريم – دراسة دلالية – رسالة تقدم بها رياض يونس خلف الجبوري إلىٰ مجلس كلية التربية في جامعة الموصل، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية بإشراف الدكتور

هاني صبري ٢٠٠٥م، وهي دراسة تناولت شواهد التفضيل في القرآن الكريم وتتبع دلالاتها عند المفسرين، وقد اختلفت دراستي عن هذه الدراسة في أنها مختصة بجزئية من هذه الدلالة مع تتبع آراء اللغويين والنحاة والمفسرين فيها، واختلاف في وجهات النظر في بعض التفاصيل، ثم إن ميدان بحثي يشمل القرآن وشواهد الشعر والأمثال العربية.

وقد اعتمدت هذه الدراسة علىٰ بعض المراجع اللغوية ككتاب سيبويه ومقتضب المبرد وكتاب المفصل للزمخشري وشرحه لابن يعيش، وبعض مؤلفات شراح الألفية وحواشيها، وأفادت بشكل أكبر من التفاسير اللغوية القديمة كتفسير الطبري والزمخشري وابن عطية والرازي والقرطبي وأبي حيان وغيرها، ولا تزعم الدراسة أنها جمعت كل شواهد «أفعل» المؤولة بدلالة مشتق آخر، بل حاولت أن تجمع ما يسمح لها باستجلاء الفكرة العامة من هذا البحث وهي فكرة تأويل «أفعل» بدلالة مشتق آخر، ومدىٰ مطابقتها لدلالة الصيغة المؤولة إليها صيغة «أفعل»، وإذا كان في الشاهد عدة آراء قدمنا النص الذي يؤولها بمشتق، ثم سردنا بعض الآراء الأخرىٰ إن كان ذلك ممكنا، محاولين ترتيبها وفق التسلسل التاريخي لقائليها، مع الإشارة إلىٰ أن الدراسة قد حذفت بعض الشواهد المكررة التي يغني عنها شاهد واحد مثل: شواهد «أعلم» و«أحسن» و«أحق» وغيرها من الشواهد.

* * *

الفصل الأول

التفضيل: مفهومه وإمكانية تأويل دلالته عند النحاة والمفسرين

تأتي صيغة أفعل في العربية علىٰ أوجه مختلفة منها فعلية واسمية، وصيغة أفعل الاسمية تأتي اسم تفضيل وصفة مشبهة وصيغة تعجب، وما يهمنا في هذا الفصل باب التفضيل عند اللغويين والنحاة مع تركيز علىٰ دلالته وآراء العلماء في خروجه عن معنىٰ المشاركة، وقسمت هذا الفصل إلىٰ مبحثين: مفهوم اسم التفضيل، وخروج أفعل التفضيل عن معنىٰ المشاركة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
مفهوم اسم التفضيل

إن موضوع التفضيل واسع في العربية، منه ما يكون مخصوصا بأسلوب معين تناوله النحاة، ومنه ما هو متروك لبلاغة المتكلم ومقدرته البلاغية في تفضيل شيء علىٰ شيء غيره بأساليب مختلفة.

وقد تناول النحاة الأوائل أسلوب التفضيل دون أن يسموه مقتصرين علىٰ وزنه الصرفي أحيانا، مع ربطه بموضوعات أخرىٰ كالتعجب، يقول سيبويه: «والمعنىٰ من: أفعلْ به، وما أفعلَه واحد، وكذلك أفعَلَ منه»[1] وهنا نلحظ أن سيبويه يربط بين دلالة التّفضيل والتعجب ثم نراه يعقد له بابا بعنوان: «هذا باب ما جرىٰ من الأسماء التي تكون صفة، مجرىٰ الأسماء التي لا تكون صفة، وذلك أفعل منه ... وأفعل شيء نحو: خير شيء، وأفضل شيء، وأفعل ما يكون، وأفعل منك»[2].

وفي الأسماء التي يأتي منها التفضيل ربط سيبويه التعجب بالتفضيل أيضا، يقول: «وما لم يكن فيه(ما أفعلَه)، لم يكن فيه (أفعلْ به رجلا) ولا (هو

(١) سيبويه، الكتاب (٤/ ٩٧).

(٢) سيبويه، الكتاب (٢/ ٢٤).

أفعلَ منه)»[1].

وقد جمع المبرد صيغة أفعل بوجهيها تحت باب واحد سماه: «باب مسائل أفعل مستقصاة»[2] حيث إن (أفعل) يقع على وجهين: «أحدهما: أن يكون نعتا قائما في المنعوت نحو: أحمر، وأصفر، وأعور، والوجه الآخر: أن يكون للتفضيل، نحو: هذا أفضل من زيد، وأكبر من عبدالله، فإن أردت هذا الوجه لم يكن إلا أن تقول: من كذا وكذا أو بالألف واللام: الأصغر والأكبر»[3] وبذلك لا يكون التفضيل عند المبرد إلا بوجود «من التفضيلية» أو أن يكون «معرفا بأل».

ويسميه الزمخشري أفعل التفضيل: أفعل التفضيل قياسه أن يصاغ من الثلاثي غير مزيد فيه، مما ليس بلون ولا عيب[4]، ولم تأت تعريفات القدامى اللاحقة بجديد يذكر في هذا المجال[5]، إلا أنهم فصّلوا في شروط صياغته، وفي

(١) سيبويه، الكتاب (٤/ ٩٧).

(٢) المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٥).

(٤) انظر: الزمخشري، المفصل (١/ ٢٩٧).

(٥) انظر تعريفه في: الرضي، شرح الرضي على الكافية (٣/ ٤٤٧)، ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى (٣١٢)، الأزهري، شرح التصريح على التوضيح (٢/ ١٠٠)، الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (٢/ ٥٠)، ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص (٢٢٧).

الشواهد المُشكلة[1].

واستمرت كثير من تعريفات المحدثين على النسق نفسه[2]، وقد أورد بعضهم تعريفات أشمل لاسم التفضيل فعباس حسن يعرفه بـ: «اسم مشتق على وزن أفعل يدل في الأغلب على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه»[3] حيث تنبه بقوله: «على الأغلب» إلى بعض الدلالات الأخرى وبعض الصيغ المستحدثة.

وبناء أفعل موجود في العربية منذ القدم ويستعمل استعمالات متعددة، لكنه حينما يكون للتفضيل فإن له خصوصية عند برجشتراسر فهو بناء مرتجل

(١) وهذا يخالف شرط بعض علماء اللغة في صياغة اسم التفضيل، وللتوسع في شروط العلماء في صياغة اسم التفضيل انظر: سيبويه، الكتاب (٤/ ٩٨) وابن السراج، الأصول في النحو (٣/ ١٥٢)، وابن جني، اللمع (١٣٨، ١٣٩)، والزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب ص (٢٧٧)، ابن يعيش، شرح المفصل (٦/ ٩٤)، وابن القيم، بدائع الفوائد ص (١٢٠)، والأشموني، شرح الأشموني (٢/ ٢٨٤)، الأزهري، شرح التصريح (٢/ ٩٢)، الصبان، حاشيته على شرح الأشموني (٣/ ١٢)، والخضري حاشيته (٢/ ٤٠).

(٢) أورد المحدثون تعريفات عدة يصعب حصرها انظرها في موضعها في: الحملاوي، شذى العرف في فن الصرف (٥٤)، والغلاييني، جامع الدروس العربية (١/ ١٣٩)، والأنطاكي، المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها (١/ ٢٤٣).

(٣) عباس حسن، النحو الوافي (٣/ ٣٩٥).

في العربية، يقول: «لا يوجد في أية لغة من اللغات السامية، حتىٰ الحبشية، فهو مرتجل في العربية جديد، فأفعل إذا كان للتفضيل، هو أكثر تخصيصا وتحديدا، من بين سائر أبنية الاسم؛ فاختراع العربية له، من علامات ميلها إلىٰ التخصيص والتعيين»[1].

* * *

(١) برجشتراسر، التطور النحوي (١٠٤-١٠٥).

المبحث الثاني
خروج أفعل التفضيل عن معنى المشاركة

اختلف النحاة حول إمكانية خروج أفعل التفضيل عن معنىٰ المشاركة، وانقسموا في ذلك إلىٰ رأيين: مؤيد، ومعارض، وذهب بعضهم فيما بعد إلىٰ الاقتصار علىٰ ما سمع دون القياس عليه، وقد حاولت أن أجمع آراء العلماء من اللغويين والمفسرين من خلال تطرقهم لتفسير آيات القرآن الكريم وبعض الشواهد اللغوية في مصنفاتهم:

أولا: المؤيدون:

لقد كان الرأي السائد عند النحاة الأوائل في مسألة دلالة «أفعل التفضيل» أنها لا تخرج عن معنىٰ المشاركة، إلا أن بعض النحويين واللغويين والمفسرين يرون أن صيغة أفعل قد تدل علىٰ غير المشاركة أحيانا، فاسم التفضيل إذا اقترن بـ«من التفضيلية»، أو عرف «بأل» لا يغادر دلالة المشاركة عند النحاة، ولذلك نجد من اللغويين والمفسرين القدامىٰ من يؤول صيغة أفعل بمشتق في غير الحالتين السابقتين، فأبو عبيدة النحوي[1] يجمع بعض

(١) هو معمر بن المثنىٰ التيمي، ولد في سنة ١١٠هـ، نسب له المؤرخون عشرات المؤلفات وأهمها مجاز القرآن والخيل، للتفصيل انظر: ابن خلكان (٢/ ١٥٦)، أخبار النحويين=

الشواهد التي خرجت عن معنىٰ المشاركة فهو يرىٰ في تفسيره لقولنا: «الله أكبر» بأن معناها كبير[1].

ويرىٰ المبرد أن أسلوب التفضيل لا بد له أن يكون مقترنا بمن التفضيلية أو أن يكون معرفا بأل، وما خرج عن هاتين الحالتين فإن له تأويلا آخر قد يخرجه عن دلالة التفضيل الحقيقية، يقول: «فإن أردت هذا الوجه –يقصد التفضيل– لم يكن إلا أن تقول من كذا وكذا، أو بالألف واللام، نحو هذا الأصغر والأكبر» ومن تأويلاته لما خرج عن الحالتين السابقتين تأويله صيغة «الله أكبر»: بكبير، وتأويل صيغة أفعل قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم:٢٧): بمعنىٰ هيّن، حيث لا يمكن أن يكون شيء أهون عليه من شيء[2].

وأشار أبو حيان الأندلسي وغيره إلىٰ رأيٍ نفطويه في دلالة التفضيل حيث يقول: «قال إبراهيم بن عرفة[3] لَفْظَةُ التَّفْضيل تَجيءُ في كَلَام الْعَرَب إيجَابًا للأوَّل، وَنَفْيًا عَن الثَّاني»[4]، وهذا رأي متقدم لم نجده عند غيره من

=للسيرافي (٦٧).

(١) انظر مزيدا من الشواهد المؤولة عنده في: مجاز القرآن (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر هذه التأويلات وغيرها عند: المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٥).

(٣) هو الإمام الحافظ النحوي العلامة أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي، المشهور بنفطويه صاحب التصانيف. انظر ترجمته عند: ابن الأثير في البداية والنهاية (١٥/ ٩٢).

(٤) أبوحيان، البحر المحيط (١/ ٤١٨).

النحاة، فكثير من النحاة يصرون علىٰ دلالة المشاركة بين طرفي التفضيل بزيادة أحدهما علىٰ الآخر أو تفوقه علىٰ غيره من جنسه، لكن أن تنتفي المشاركة بينهما فتكون إيجابا لطرف ونفيا عن آخر فهذا – كما قلت – رأي متقدم.

وقد أورد أبو بكر الأنباري بعض الشواهد علىٰ عروّ أفعل التفضيل عن معنىٰ المشاركة[1].

ويذهب ابن عصفور في تفسيره لمقولة: الناقص والأشج أعدلا بني مروان: أي العادلان، ولا عدل في غيرهما[2]، وهو بذلك ينفي معنىٰ المشاركة عن صيغة أفعل في هذا الشاهد.

ويفصل الكفوي في دلالة أفعل التفضيل فأصل التفضيل عنده: «أن يكون أفعل موضوعا لمشتركين في معنىٰ واحد أحدهما يزيد علىٰ الآخر في الوصف به كقولك «زيد أفضل الرجلين» فزيد والرجل المضموم إليه مشتركان في الفضل إلا أن فضل زيد يزيد علىٰ فضل المقرون به»[3].

ومن المعاني الأخرىٰ التي يفيدها التفضيل عند الكفوي التجاوز والتباعد أو التفضيل المطلق يقول: «تجاوز صاحبه وتباعده عن غيره في الفعل، لا بمعنىٰ تفضيله بالنسبة إليه بعد المشاركة في أصل الفعل، بل بمعنىٰ

(١) انظر الشواهد مفصلة في كتابه: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٣).

(٢) ابن عصفور، المقرب (١/ ٢١٢).

(٣) انظر: الكفوي، الكليات (١/ ٩٦).

أن صاحبه متباعد في أصل الفعل، متزايد إلىٰ كماله فيه علىٰ وجه الاختصار، فيحصل كمال التّفضيل»[1].

والتفضيل قد يفيد المبالغة عند ابن عاشور يقول: «يأخذوا بأحسنها: وصف مسلوب المفاضلة مقصود به المبالغة في الحسن»[2].

وقد درس مجمع اللغة العربية مسألة دلالة اسم التفضيل وأقر بصحة خروج دلالته عن معنىٰ المفاضلة إلىٰ معان يقدرها السياق فهو يقول في قراره: «ترىٰ اللجنة جواز قول الكاتب: فعل كذا أكثر من واحد، وما أشبهه لأن أفعل التفضيل قد يخرج عن الدلالة علىٰ المشاركة بين أمرين في أصل المعنىٰ مع زيادة أحدهما علىٰ الوجه الآخر فيه، فيدل علىٰ مجرد الوصف بأصل المعنىٰ، وقد جاء أفعل التفضيل علىٰ هذا الوجه في آيات من القرآن الكريم، مثل قوله تعالىٰ: أفمن يهدي إلىٰ الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدىٰ)»[3].

ويذهب فاضل السامرائي في تفسير دلالة التفضيل في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ** ﴾ (الأنعام:١٥٢)، وقوله

(١) الكفوي، الكليات (١/ ٩٦).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩/ ١٠٠).

(٣) صدر بالجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في الدورة التاسعة والثلاثين، وفي الجلسة السادسة والعشرين من المجلس في الدورة نفسها. انظر كتاب الألفاظ والأساليب الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص (٥٢).

تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥) فليس المقصود هنا التّفضيل علىٰ شيء معين، بل المراد من كل ذلك الزيادة في الحسن، «ولا يمتنع تقدير مفضل عليه كأن تقول: وجادلهم بالتي هي أحسن من غيرها ونحو ذلك»[١].

ويذهب إبراهيم السامرائي في تفسيره لآية ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾ (طه:٤) أن العلىٰ بمعنىٰ العالية[٢].

ويؤيد هادي نهر بعض النحاة السابقين في تأويلهم لكلمة «الأبتر» في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ (الكوثر:٣) أي المبتور[٣].

وذهب عبدالفتاح الحموز إلىٰ أن صيغة أفعل تنوب عن بعض المشتقات مثل الصفة المشبهة وصيغة المبالغة إلا أن تأويلها بالمصدر نادر[٤].

---

(١) السامرائي، فاضل، معاني النحو (٤/ ٦٨٥).

(٢) انظر: السامرائي، إبراهيم، من بديع لغة التنزيل، دار الفرقان، ط١، عمان، ومؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٤م، ص (٢١١).

(٣) سيأتي التفصيل فيها في الفصل الثاني، انظر: نهر، هادي، التراكيب اللغوية في العربية، دراسات وصفية تطبيقية، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٩٨٧م، ص (٨٥).

(٤) انظر: الحموز، عبدالفتاح، ظاهرة التعويض في العربية وما حمل عليها من المسائل، ط١، دار عمار، ١٩٨٧م، ص (١٢٣-١٢٤).

يقول عبدالرحمن تاج: «إن دلالة الصيغة – ويقصد أفعل – على المفاضلة بين أمرين بزيادة أحدهما على الآخر في المعنى المشترك بينهما ليست الحكم الوحيد لأفعل التفضيل، وإنما ذلك إذا لم يقصد به شيء آخر غير تلك المفاضلة، فإذا قصد به معنى آخر غير تلك المفاضلة، فإن غاية ما يستفاد من الصيغة إنما ثبوت المعنى للطرف الذي يطلق عليه اسم التفضيل، ولا تفيد اشتراك الطرف الآخر في هذا المعنى»[1].

ثانيا: الممانعون:

ذهب شراح الألفية إلى أن «أفعل» لا تغادر معنى التفضيل، يقول ابن مالك:

وأفعلُ التفضيلِ صِلهُ أبدًا * تقديراً او لفظاً بـ«من» إن جردا[2]

يقول ابن مالك: «ولا يخلو المقرون بـ«من» في غير تهكم من مشاركة المفضل في المعنى أو تقدير مشاركته»[3].

وقال الشاطبي: «قوله: أبدا فيه تنكيت، وتنبيه على أن المجرد لا يأتي بمعنى اسم الفاعل مجرداً من معنى من قياساً أصلاً، خلافاً للمبرد القائل بأنه

(١) أعمال لجنة الأصول، مجمع اللغة العربية في القاهرة، البحوث والمحاضرات، الدورة (٣٢)، لسنة ١٩٦٦م، ص (٥٣-٥٤).

(٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك (٣/ ١٧٩).

(٣) ابن مالك، تسهيل الفوائد (١٣٣).

جائز قياساً، فيجوز عنده أن تقول: زيد أفضل، غير مقصودٍ به التفضيل علىٰ شيءٍ، بل بمعنىٰ فاضل»[1].

وتقتصر دلالة اسم التفضيل عند ابن مالك: علىٰ ثبوت المزيّة للأول علىٰ المتفاضلين[2]، يقول ابن عقيل في معرض مناقشته لرأي المبرد: «وهل ينقاس ذلك؟ - يقصد قياسية الخروج عن معنىٰ المفاضلة- قال المبرد ينقاس، وقال غيره لا ينقاس وهو الصحيح»[3].

وقد ناقش أبو حيان مسألة خروج أفعل التفضيل عن معنىٰ المفاضلة في قوله تعالىٰ: «﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠)»، فجمع بعض آراء سابقيه، حيث أجاز بعض المفسرين ومنهم أبو عبيدة النحوي أن تكون أعلم بمعنىٰ عالم، ورأىٰ بعضهم أنها باقية علىٰ التفضيل[4].

ولكن أبا حيان لا يسلم بهذا الأمر، حيث أشار في رده علىٰ رأي من ذهب إلىٰ تأويلها باسم الفاعل إلىٰ وجود مثلبتين، وهما: أن النحاة لا يرون أن «أفعل» تؤول «بفاعل وفعيل» باستثناء أبي عبيدة النحوي وبعض المتأخرين،

---

(١) انظر: الشاطبي، المقاصد الشافية (٤/ ٥٨١ وانظر رأيه في: البغدادي، خزانة الأدب (٣/ ١٩٢).

(٢) ابن مالك، شرح التسهيل (١٣٤).

(٣) ابن عقيل، شرحه علىٰ ألفية بن مالك ص (٣/ ١٨٣).

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

والثانية أن القائلين بجواز خروج أفعل التفضيل للدلالة علىٰ اسم الفاعل أو الصفة المشبهة لا يعملونه عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة[1].

ونلحظ أن أبا حيان عاب علىٰ أبي عبيدة هذا التأويل، واتهمه بالتضعيف في النحو في قوله: «وَلا مُبَالاةَ بخلاف أَبي عُبَيْدَةَ لأَنَّهُ كَانَ يُضَعّفُ في النَّحْو، وَلا بخلاف بَعْض الْمُتَأَخّرينَ لأَنَّهُمْ مَسْبُوقُونَ بمَا هُوَ كَالإجْمَاع منَ الْمُتَقَدّمينَ»[2]، لكن أبا حيان رغم تضعيفه لرأي أبي عبيدة قد أورد رأي أبي العباس المبرد دون تعليق أو وقوف عنده، فعدّ موقف النحاة الأوائل إجماعا دون مبالاة لرأي المبرد، ثم إن إعمال أفعل التفضيل عمل «فاعل وفعيل» لا يلزم في رأيي؛ لأن الأمر لا يعدو أن يكون تشابها أو تقاربا في الدلالة أحيانا عند النحاة والمفسرين.

أما عن موقف أبي حيان نفسه: فإنه يتبنىٰ الرأي القائل بلزوم «أفعل» للتفضيل ولو تقديرا، حيث يقول: «وَالصَّحيحُ مَا ذَهَبَ إلَيْه النَّحْويُّونَ الْمُتَقَدّمُونَ منْ كَوْن «أَفْعَلَ» لا يَخْلُو منَ التَّفْضيل»[3].

لكن هذا الاختيار النحوي عند أبي حيان لا يتطابق مع تفسيره لكثير من الآيات التي وردت فيها صيغة التفضيل؛ حيث أشار إلىٰ جواز خروج المعنىٰ

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

(٣) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

أحيانا، وفي مواضع أخرىٰ أكد فيها خروج أفعل عن معنىٰ المفاضلة منفردا عن غيره من المفسرين[1].

وحول ورود بعض التأويلات لصيغة «أفعل» بـ«فاعل» و«فعيل» يقول أبو حيان: «ولو سلمنا إسماع ذَلكَ منَ الْعَرَب، فَلا نُسَلّمُ اقْتيَاسَهُ،لأَنَّ الْمَوَاضعَ الَّتي أُوردَتْ دَليلًا عَلَىٰ ذَلكَ في غَايَةٍ منَ الْقلَّة، مَعَ أَنَّهَا قَدْ تؤولت»[2].

وهذا أيضا لا يتطابق مع ما ذهب إليه في تفسيره «البحر المحيط»، حيث رصدت الدراسة ما يقرب من مائة موضع في تفسيره وحده حيث أيّد خروجه أو عده وجها مقبولا أو ارتضىٰ رأيا لسابقه، وتنوعت أسباب الخروج، فمنها بسبب تأويلها بصيغة مشتقة وهو ما نحن بصدده، ومنها ما خرج لاختلاف الصفة بين المفضل والمفضل عليه، ومنها لأسباب أخرىٰ كالتقرير والإنكار وغيرها.

وعلىٰ ذلك كان تفسيرهم لقولنا «الله أكبر» أي أكبر من كل شيء، فحذفت «من»؛ لأن أفعل خبر، كما تقول «أبوك أفضل وأخوك أعقل» فمعناه أعقل وأفضل من غيره[3].

(١) سيرد – في الفصل القادم – بعض الشواهد مسلوبة الدلالة علىٰ المفاضة مؤولة بفعيل وفَعِل وغيرها من الأبنية.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (١/ ٢٣٣).

(٣) الأشموني، شرح الألفية (٣/ ٥١).

وقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ (الإسراء:٥٤) أنها للتفضيل، «أي أعلم بكم من غيره العالم ببعض أحوالكم، فالمشاركة في مطلق عام[١]، ورأوا في قول الشنفرىٰ «أعجلهم» أن لا مانع من جعله للتفضيل، وقالوا في صيغتي «أعز وأطول»[٢] المراد بالبيت بيت المجد والشرف وقوله: «أعز وأطول»: من دعائم كل بيت وعلىٰ هذا هما للتفضيل عنده[٣].

ويرىٰ الصبان أن اسم التفضيل المقترن بمن لا يصح تجريده عن معنىٰ التفضيل أصلا لا قياسا ولا سماعا؛ لأن «من» هذه هي الجارة للمفضول[٤].

ويخالف الصبان ابن مالك في إمكانية خروج أفعل التفضيل للتهكم حيث يقول: والأوجه ما قدمناه من تقدير المشاركة في التهكم أيضا[٥]، وتقدير المشاركة في هذه المواضع يجافي المعنىٰ العميق من مقصود النص.

والأصح عند ابن مالك قصر خروج أفعل التفضيل عن معنىٰ المشاركة علىٰ السماع في حالة حذف «من التفضيلية» من النص حيث يقول: «واستعماله

(١) انظر: الصبان، حاشيته علىٰ شرح الأشموني (٣/ ٧٤).

(٢) البيت للفرزدق ديوانه (٤٤٩)، يقول فيه:

إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنىٰ لَنَا * بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

(٣) انظر: الصبان، حاشيته علىٰ شرح الأشموني (٣/ ٧٤).

(٤) انظر: الصبان، حاشيته علىٰ شرح الأشموني (٣/ ٧٢).

(٥) انظر: الصبان، حاشيته علىٰ شرح الأشموني (٣/ ٧٢).

عاريا دون «من» مجردا عن معنىٰ التفضيل مؤولا باسم الفاعل أو الصفة المشبهة مطرد عند أبي العباس والأصح قصره علىٰ السماع»[1].

* * *

(١) انظر: ابن مالك، التسهيل (١٣٤).

الفصل الثاني
دراسة شواهد «أفعل التفضيل» المؤولة بمشتق

أولاً: أفعل مؤولة بدلالة فعيل:

تأتي صيغة فعيل للدلالة علىٰ الصفة المشبهة لتدلّ علىٰ الثبوت أو علىٰ المبالغة، يقول ابن فارس: «وتكون الصفات اللازمة للنفوس علىٰ فعيل، نحو: شريف وخفيف، وعلىٰ أضدادها نحو: وضيع وكبير وصغير»(١)، وعند ابن القيم: أن بناء «فعيل» من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة كـ: طويل وقصير وكريم وعظيم وحليم وجميل(٢).

ومما ورد علىٰ صيغة أفعل مؤولا بصيغة فعيل ما يلي:

١ - ألدّ:

يقول تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ (البقرة:٢٠٤)، ذهب بعض المفسرين إلىٰ أن (ألد) هنا بمعنىٰ لديد الخصومة(٣)، ويصر الزمخشري علىٰ أن «ألد» هنا علىٰ

(١) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة (١/ ١٧١).

(٢) انظر: ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد (٢/ ١٨٨).

(٣) انظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٦٦).

بابها من التفضيل يقول في تأويلها: «وهو أشد الخصوم خصومة»[1].

وفي رأيي أن سياق الآية يستدعي أن تكون «ألدّ» اسم تفضيل، فهي أولىٰ من أن تكون مؤولة بصيغة فعيل، فصيغة فعيل تثبت الصفة علىٰ نحو اللزوم والثبات، وهذا المعنىٰ يشترك كثيرا مع مقصود الآية، لكنه لا يطابقها تمام المطابقة، فصيغة أفعل تثبت الصفة لكنها تضيف دلالة أزيد وأقوىٰ من غيرها من الصيغ.

٢- أعلم:

وردت صيغة أعلم في القران الكريم في مواضع كثيرة، واختلف المفسرون في دلالتها فمنهم من أبقاها علىٰ دلالة المفاضلة، ومنهم من أولها بمشتق، فمثلا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ (النساء:٤٥): يرىٰ أبو حيان أن أفعل علىٰ بابها من التفضيل أي أعلم بأعدائكم منكم، وجوّز أن تكون: بمعنىٰ عليم[2].

ويقصر الزمخشري دلالتها علىٰ التفضيل، يقول: «وَاللهُ أَعْلَمُ منكم بأَعْدائكُمْ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء، وأطلعكم علىٰ أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم»[3].

(١) الزمخشري، الكشاف (١/ ٢٥١).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٣/ ٢٦١).

(٣) الزمخشري، الكشاف (١/ ٥١٦).

وفي رأيي أن لا وجه لتأويل أعلم بعليم، فالمعنىٰ واضح وغير مشكل، حيث إنه أعلم منكم بأعدائكم، وليس شرطا أن يدل التفضيل علىٰ اتسام الطرفين بالعلم وأن أحدهما زاد قليلا عن الآخر، بل إن التفضيل هنا جاء ليدل علىٰ بعد الفاضل عن المفضول وتجاوزه، فالآية تذكير للمؤمنين بسعة علم الله الخالق المدبر في موقف ظنوا فيه أنهم علىٰ اطلاع كامل علىٰ أعدائهم.

٣ - أعظم:

يقول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ (التوبة: ٢٠).

يرىٰ الزمخشري في تفسيره: هم أَعْظَمُ دَرَجَةً عنْدَ الله من أهل السقاية والعمارة[١]، ويجوّز أبو حيان بقاء «أعظم» علىٰ بابها من التفضيل، علىٰ اعتقاد المشركين أن في سقايتهم للحجاج خير وعمارتهم حسب معتقدهم، أو أن يكون التقدير: عَظيمُونَ درجة[٢].

وفي رأيي أن ما ألجأ النحاة والمفسرين إلىٰ تأويلها بـ«عظيمون» انتفاء المشاركة، حيث إن سقاية المشركين للحجاج ليس فيها فضيلة عندهم، وفي رأيي أن الآية علىٰ التفضيل لتدل علىٰ بعد الفاضل عن المفضول وتكامله، فهي هنا جاءت تأكيدا للأول ونفيا عن الآخر المحذوف، بدليل أن الفوز كان

(١) الزمخشري، الكشاف (٢/ ٢٥٦).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ٣٨٩).

للفاضل لا المفضول.

٤ - أشد وأجدر:

يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٩٧)، يرىٰ ابن عاشور جواز أن يكون «أشد وأجدر» مسلوبَيْ المفاضلة مستعملين لقوة الوصفين في الموصوفين بهما[١]، فالمعنىٰ أن كفرهم شديد التمكن من نفوسهم ونفاقهم كذلك، من غير إرادة أنهم أشد كفراً ونفاقًا من كفار أهل المدينة ومنافقيها[٢]، وهذا المعنىٰ لم يقل به كثير من المفسرين القدامىٰ ورغم وجاهته، فإننا لا ننكر إمكانية بقائه علىٰ المفاضلة.

٥ - أحق:

وردت كلمة أحق في مواضع في القرآن الكريم، وأول المفسرون «أحق» بـ«حقيق» بوجه من الوجوه المحتملة:

يقول تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:١٠٨).

يقول أبو حيان: «أحق بمَعْنَىٰ حَقيقٌ، وَلَيْسَتْ أَفْعَلَ تَفْضيلٍ، إذْ لا اشْتِرَاكَ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١/ ١٢).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١/ ١٢).

بَيْنَ الْمَسْجدَيْن في الْحَقّ»[1]، وجاءت الآية: «لزيَادَة بَيَان أَحَقّيَّة الْمَسْجد الْمُؤَسَّس عَلَىٰ التَّقْوَىٰ بالصَّلَاة فيه، وَبَيَانُ أَنَّ تَفْضيلَ ذَلكَ الْمَسْجد في أَنَّهُ حَقيقٌ بالصَّلَاة فيه»[2].

وبذلك يكون التَفْضيل «مَسْلُوبَ الْمُشَارَكَة؛ لأَنَّ مَسْجدَ الضّرَار لَيْسَ حَقيقًا بالصَّلَاة فيه بَعْدَ النَّهْي، لأَنَّ صَلَاةَ النَّبي ﷺ لَوْ وَقَعَتْ لَأَكْسَبَتْ مَقْصدَ وَاضعيه رَوَاجًا بَيْنَ الْأُمَّة وَهُوَ غَرَضُهُمُ التَّفْريقُ بَيْنَ جَمَاعَات الْمُسْلمينَ»[3].

ومنهم من أبقاها علىٰ المشاركة التقديرية يقول القرطبي «وَأَحَقُّ هُوَ أَفْعَلُ منَ الْحَقّ، وَأَفْعَلُ لا يَدْخُلُ إلَّا بَيْنَ شَيْئَيْن مُشْتَرَكَيْن، لأَحَدهمَا في الْمَعْنَىٰ الَّذي اشْتَرَكَا فيه مَزيَّةٌ عَلَىٰ الآخر فَمَسْجدُ الضّرَار وَإنْ كان باطلا لاحق فيه، فَقَد اشْتَرَكَا في الْحَقّ منْ جهَة اعْتقَاد بَانيه، أَوْ منْ جهَة اعْتقَاد مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ الْقيَامَ فيه جَائزٌ للْمَسْجدية، لَكنَّ أَحَدَ الاعْتقَادَيْن بَاطلٌ بَاطنًا عنْدَ الله، وَالْآخَرُ حَقٌّ بَاطنًا وَظَاهرًا»[4].

وفي رأيي أن أحق هنا جاءت تأكيدا للأول ونفيا عن الثاني فهي للزيادة

(١) أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ٥٠٥).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١/ ٣٤).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١/ ٣٤).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٦١٦).

المطلقة دون المشاركة، والله أعلم.

وما ينطبق علىٰ الآية السابقة ينطبق علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا** ﴾ (البقرة:٢٢٨)؛ فالآية حكم خاص فيمن كان طلاقها دون الثلاث، حيث إن حق إعادة الزوجة المدخول بها والمطلقة قبل انقضاء العدة خاص بالزوج دون الزوجة[١].

والتفضيل عند أبي حيان هنا ليس علىٰ بابه بل هو مؤول بمشتق، فَكَأَنَّهُ قيلَ: وَبُعُولَتُهُنَّ حَقيقُونَ برَدّهنَّ[٢].

وأول القرطبي التفضيل في الآية أن: حَقَّ الزَّوْج في مُدَّة التَّرَبُّص أَحَقُّ منْ حَقّهَا بنَفْسهَا، فَإِنَّهَا إِنَّمَا تَمْلكُ نَفْسَهَا بَعْدَ انْقضَاء الْعدَّة[٣].

وحاول ابن عاشور تأويلها بالمفاضلة بين حقين هما: «حَقُّ الزَّوْج في الرَّجْعَة إِنْ رَغبَ فيهَا، وَحَقُّ الْمَرْأَة في الامْتنَاع منَ الْمُرَاجَعَة إِنْ أَبَتْهَا، فَصَارَ الْمَعْنَىٰ: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ برَدّ الْمُطَلَّقَات، منْ حَقّ الْمُطَلَّقَات بالامْتنَاع وَقَدْ نَسَجَ التَّرْكيبَ عَلَىٰ طَريقَة الْإيجَاز»[٤].

ومقصود الآية كسابقتها في تأكيد حق الزوج ونفي حق غيره فهي للزيادة

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٠).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٢/ ٤٥٨).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٣).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢/ ٣٩٥).

المطلقة دون المشاركة والله أعلم.

٦ - أهون:

يقول تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم:٢٧)، ذهب بعض العلماء والمفسرين في تفسير كلمة أهون بمعنىٰ الهين[١]، يقول أبو حيان: «وليست (أهون) أفعل تفضيل لأن لا تفاوت عند الله في النشأتين الإبداء والإعادة»[٢].

يقول القرطبي: وقاله ابن عباس ووجهه أن هذا مثل ضربه الله تعالىٰ لعباده يقول: إعادة الشيء علىٰ الخلائق أهون من ابتدائه؛ فينبغي أن يكون البعث لمن قدر علىٰ البداية عندكم وفيما بينكم أهون عليه من الإنشاء[٣].

أما ابن عاشور فقد ذهب إلىٰ أنها اسم تفضيل باقية علىٰ بابها للتفضيل وهي لإقامة الحجة علىٰ المنكر في معتقد البشر، فإحياء الميت أهون من خلقه من جديد، يقول: أهون اسم تفضيل، وموقعه موقع الكلام الموجَّه، فظاهره أن أهون مستعمل في معنىٰ المفاضلة علىٰ طريقة إرخاء العنان والتسليم الجدلي،

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/ ٤٧٧)، والبغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٨/ ٢٧٦).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٨/ ٣٨٦).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٢).

أي الخلق الثاني أسهل من الخلق الأول[1].

وهو أهون عليه مجرد تقريب لأفهامهم لقصد التقريب لأفهامكم[2]، علىٰ أن رب العزة سواء عليه النشأتان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلىٰ احتذاء علىٰ مثال ولا استعانة بحكيم، ولا نظر في مقياس، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته، وكشفا عن صفحة جهله[3].

وأرىٰ أن ما ذهب إليه الزمخشري فيه وجاهة؛ لكونه أقرب لسياق الآية التي تقيم الحجة علىٰ المنكر والجاحد، فبذلك تكون أفعل التفضيل علىٰ بابها ولكن من معتقد البشر، ثم إن من أولها بفعيل أراد أن يخرج من لبس عقدي حيث لا تفاوت في قدرة الله، والله أعلم.

٧ - أسوأ:

يقول تعالىٰ: ﴿ **لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ (الزمر:٣٥).

يرىٰ بعض المفسرين أن كلمة «أسوأ» في هذه الآية يؤول بفعيل، يقول الألوسي أن صيغة أفعل هنا جاءت لتدل علىٰ: «الزيادة المطلقة من غير نظر

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢١/ ٨٣).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/ ٣٢).

(٣) الزمخشري، الكشاف (٣/ ٣٢).

إلىٰ مفضل عليهً»[1]، يقول أبو حيان: «والظاهر أن أسوأ أفعل تفضيل، وإذا كفر أسوأ أعمالهم فتكفير ما هو دونه أحرىٰ، وقيل: أفعل ليس للتفضيل، أي سيّء الذي عملوا»[2].

أقول إن تفسير كلمة أسوأ بسيئ أو أفعل بفعيل هنا لا يدل تمام الدلالة علىٰ مقصود النص، وأرىٰ أن ما ذهب إليه أبو حيان في البداية أوجه؛ فالكرم الإلهي يتجاوز التكفير عن سيّء الذنوب إلىٰ التكفير عن أكثرها سوءا، فتكفير أسوأ الذنوب يعني ضمنيا تكفير السيئ، وهذا والله أعلم.

٨ – الأتقىٰ والأشقىٰ:

يقول تعالىٰ: ﴿ **لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى** ﴾ (الليل:١٥ – ١٧)، يقول القرطبي: وَسَيُوَقَّىٰ صليَّ النَّار الَّتي تَلَظَّىٰ التَّقيُّ، وَوُضعَ أَفْعَلُ مَوْضعَ فَعيلٍ[3].

وفي رأيي أن الآية غاية في التفضيل، فهي من الموازنة بين حالين عظيمين، فثمة فوارق بين: «الذين اتقوا»، و«التقي»، و«الأتقىٰ»، فهم علىٰ درجات من التقوىٰ أقواها وأعلاها الأتقىٰ، ومثل هذا ينطبق علىٰ الأشقىٰ.

(١) الألوسي، روح المعاني (١٢/ ٢٦٠).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٩/ ٢٠٤).

(٣) انظر: الطبري (ت٣١٠)، جامع البيان (٢٤/ ٤٧٨).

٩ - أعز وأطول:

يقول الفرزدق[١] في مطلع قصيدة له يصف فيها بيته[٢]:

إنّ الـذي سَـمَكَ الـسّماءَ بَنـىٰ لَنَـا * بَيْتـًا، دَعَائِمُـهُ أعَـزُّ وَأطْـوَلُ

ومقصود البيت أن الله بنىٰ لهم بيتًا عزيزًا طويل الدعائم، والشاهد فيه قوله: «أعز وأطول» حيث استخدم الشاعر صيغة أفعل غير مقصود بها التفضيل[٣].

ويرىٰ الزمخشري أن البيت علىٰ التفضيل بتقدير «من» محذوفة، يقول: «اعلم أنهم قد يحذفون «مِنْ» من «أفعل» إذا أريد به التفضيل، ومعنىٰ الفعل، وهم يريدونها، فتكون كالمنطوق بها»[٤] ويرىٰ ابن يعيش أن: الشاهد فيه حذفُ

---

(١) هو همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمىٰ. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولىٰ، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. انظر الفرزدق، ديوانه، ص (٥)، ترجمته في: الأعلام (٨/ ٩٣).

(٢) الفرزدق، ديوانه (٤٨٩)، أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٠)، ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣١).

(٣) انظر: تأويله بـ«عزيزة وطويلة» عند أبي بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٠)، وعند القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢١).

(٤) الزمخشري، المفصل (١/ ٢٩٧)، وانظر: ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣١).

«مِنْ»، أي أعزّ من غيره، وأطول من غيره، «وأطول» ها هنا من «الطَّوْل» الذي هو الفضل، لا من «الطُّول» الذي هو ضدّ القِصَر، ودلّ علىٰ إرادة «مِنْ» امتناعه من الصرف. يصف قومه وبيته، وأنّ دعائم بيته أعزُّ دعامة وأكرمُها»[1].

وأرىٰ أن التفضيل هنا يجعل لخصمه «جرير» بيتا عزيز الجانب يشارك بيت الفرزدق في العزة وطول الدعائم، فالشاعر لم يشأ أن يثبت لجرير بيتا دعائمه عزيزة وطويلة وأن بيت الفرزدق تفوق علىٰ بيت جرير فبيت الفرزدق بيتُ عزٍ وكرمٍ، وبذلك فالمشاركة غير مقصودة هنا، بل المقصود من صيغة أفعل وصف عزة بيته – بيت العز والكرم- وطول دعائمه ورسوخ أركانه بشكل مبالغ فيه دون أدنىٰ ذكر لبيت جرير.

وأرىٰ أن تأويلها «بعزيزة» و«طويلة» يفقد صيغة «أعز وأطول» بعض دلالتها السياقية، فبيت الفرزدق أكثر عزة ومبالغة مما تؤديه صيغة فعيل، والله أعلم.

١٠ - ألأم:

يقول الفرزدق:

إذا غاب عنكم أسود العين كنتم ❊ كرامًا وأنتم ما أقام ألائم[2]

(١) الزمخشري، المفصل (١/ ٢٩٧) ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣٤).

(٢) انظر الشاهد عند: أبي بكر البغدادي، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٣٢)، شرح الأشموني (٢/ ٣٠٨)، خزانة الأدب (٨/ ٢٧٧)، أمالي القالي (١/ ١٧١).

ومعناه لا يمكن أن تكونوا بين الكرام حتىٰ يزول هذا الجبل (أسود العين) من مكانه، فأنتم والبخل صنوان علىٰ مر الزمان[1].

والشاهد فيه قوله أن: «ألائم» لم يقصد به المفاضلة، بل هي مؤولة بصيغة فعيل (لئيم) وهي من الصفة المشبهة اللازمة، يقول البغدادي: فألائم جمع ألأم بمَعْنىٰ لئيم[2] وَحمله الْفَارسي علىٰ أَنه جمع لئيم كقطيع وأقاطيع وَحَديث وَأَحَاديث[3]، وفي رأيي أن صيغة «أفعل» هنا جاءت للوصف فقط، بدليل أن «ألائم» تقابل «كراما» في النص للدلالة علىٰ الثبوت، ويدعم ذلك مقصودُ البيت أن اللؤم لن يغادرهم ما دام هذا الجبل قائما.

١١ - أصغر وأكبر:

قال أبو نواس:

كأنّ صُغرَىٰ وكُبرىٰ من فَقَاقعها * حصباءُ دُرٍّ علىٰ أرض من الذَهَب[4]

---

(١) انظر تفصيل شرح مفرداته عند: عبدالسلام هارون، في تحقيقه لخزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٢٧٧).

(٢) البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٧٧).

(٣) انظر رأيه في: خزانة الأدب (٨/ ٢٧٧)، ولم يتسن لي الاطلاع عليه من مصدره.

(٤) انظر الشاهد في: ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣٧)، البغدادي، خزانة الأدب (٥/ ٣١٥)، ابن الأثير، البداية والنهاية (١٤/ ٦٠١)، الأشموني، شرح الأشموني (٢/ ٣٠٥).

وكثرت تأويلات النحاة لهذا البيت فمنهم من رأىٰ أن التعبير صحيح[1]، ومنهم من ذهب إلىٰ تخطئة التعبير، والواجب فيه الإفراد والتذكير كونه خلا من التعريف والإضافة[2]. وللعلماء تأويلات عدة منها: أنه استُعمل استعمال الأسماء لكثرة ما يجيء منه بغير تقدم موصوف[3]، والرأي الآخر: أن فعلىٰ مؤولة بمشتق، يقول الزمخشري: «يجوز أن يكون لم يُرد فيه التفضيل، بل معنىٰ الفاعل، كأنّه قال: كأنّ صغيرة وكبيرة من فقاقعها»[4].

وجوز ذلك ابن يعيش أيضا يقول: «ويجوز أن يكون لم يرد فيه التّفضيل بل معنىٰ الفاعل»[5].

وذهب المبرد وغيره في تفسير قول الشاعر:

قُبّحـــتُم يـــا آلَ زيـــدٍ نفـــرا * ألأمَ قـــومٍ أصـــغرا وأكْبَـــرا[6]

(١) الأشموني، شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك (٢/ ٣٠٥).

(٢) ينظر:الخضري، حاشية الخضري (٢/ ٥٢-٥٣).

(٣) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣٩).

(٤) انظر: الزمخشري، المفصل، (١/ ٢٩٧)، ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣٩)، وإلىٰ ذلك يذهب الخضري، انظر:الخضري، حاشية الخضري (٢/ ٥٣).

(٥) الزمخشري، المفصل (١/ ٢٩٧)، ابن يعيش، شرح المفصل (٤/ ١٣٩)، ويقصد باسم الفاعل الصفة المشبهة باسم الفاعل بدلالة تأويله لها بـ: صغيرة وكبيرة.

(٦) من الرجز غير منسوب في البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦)، الفيومي، المصباح المنير (٢/ ٧٠٩).

يريد صغيراً وكبيراً[1]، حيث يرىٰ بعض النحاة ممن تناول هذا الشاهد أن الشاعر قصد صغيرا وكبيرا، حيث لا وجه للتفضيل فيه إلا بتكلف، والمعنىٰ أنهم منسوبون إلىٰ أشد اللؤم في حالة صغرهم وكبرهم[2]، وتأويلهم أصغر بصغير سليم في رأيي؛ لأنها جاءت لمجرد الوصف.

وفي المثل العربي: «المرء بأصغريه»[3] أي بصغيريه فهو بمعنىٰ الصفة المشبهة[4]، فالمفاضلة في رأيي غير مقصودة هنا والقصد مجرد الوصف والله أعلم.

ثانياً: أفعل التفضيل مؤولة بدلالة «فَعَل»:

وهو وزن يكثر في المصدر ويقل في الصفات[5]، وقد أول المفسرون صيغة أفعل بفَعَل في صيغة واحدة مكررة للدلالة علىٰ الصفة، وهي:

١ - أحسن:

وردت صيغة أحسن في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وقد أولها بعض

(١) المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٧)، البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦).

(٢) المبرد، الكامل (٦/ ٩٦)، والمبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٧).

(٣) الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ٢٩٤).

(٤) انظر: الحموز، ظاهرة التعويض (١٢٣-١٢٤).

(٥) انظر: سيبويه، الكتاب (٣/ ٦٢٩)، وانظر أيضاً: شرح الشافية (١/ ١١٩).

المفسرين بصيغة فعل: يقول تعالىٰ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

أول بعض المفسرين صيغة أفعل بفعل: ذكر الأحسن ترغيبًا في عمله، وإن كانت المجازاة علىٰ الحَسن والأحسن[١]، وقيل: الأحسن هنا بمعنىٰ الحَسَن، فليس أفعل التي للتفضيل[٢]، وقيل: أحسن هنا ليست أفعل تفضيل، بل المعنىٰ: حَسَنها... فعلىٰ هذا أمروا بأن يأخذوا بحسنها، وهو ما يترتب عليه الثواب دون المناهي التي يترتب عليها العقاب[٣].

وأرىٰ أن تأويلها بفَعَل تأويل سليم إلىٰ حد ما إذا أبقينا علىٰ المستوىٰ الدلالي للمفردة، لكن ثمة فوارق في القوة الدلالية تظهر في التركيب.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت:٧)، اختلف المفسرون في دلالة «أحسن» حيث يرىٰ ابن عطية أن الآية فيها حذف مضاف تقديره: ثواب أحسن الذي كانوا يعملون[٤]. ويخالفه في ذلك أبو حيان حيث يقول: وهذا التقدير لا

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ٥٩١).

(٢) الزجاجي، الجمل (٢/ ٥٨٨)، البحر المحيط (٦/ ٥٩١).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ١٧٢).

(٤) انظر رأي ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٧). انظر: أبو حيان البحر المحيط (٧/ ١٤١- ١٤٢).

يسوغ؛ لأنه يقتضي أن أولئك يجزون ثواب أحسن أعمالهم، وأما ثواب حسنها فمسكوت عنه، وهم يجزون ثواب الأحسن والحسن، إلا إن أخرجت (أحسن) عن بابها من التفضيل فيسوغ ذلك[1].

أما الزمخشري فيذهب في تفسيره للآية إلىٰ أحد وجهين:

١ - إما أنه يريد قوما مسلمين صالحين قد أساءوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم، فهو يكفرها عنهم، أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون، أي: أحسن جزاء أعمالهم.

٢ - وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات، فالله ﷻ يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي، ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام[2].

وفي كلا الحالين كرم إلهي، حيث يجازيهم علىٰ أحسن أعمالهم بإسقاط ما دون الأحسن من حسن ومندوب وسيء، أو أنه يجازيهم أحسن الجزاء؛ ثوابا لأعمالهم، يقول أبو حيان: «لِيَجْزِيَهُمْ جَزَاءَ أَحْسَنِ أَفْعَالِهِمْ. أو أَنَّ الْأَحْسَنَ صِفَةٌ لِلْجَزَاءِ أَيْ: يَجْزِيَهُمْ جَزَاءً هُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَجَلُّ وَأَفْضَلُ، وَهُوَ الثَّوَابُ[3] لكن أبا حيان يرجح أن الأحسن صفة للعمل وليس للجزاء وهذا أوجه

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٧/ ١٤١- ١٤٢).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/ ٤٤١).

(٣) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ٥٢٤).

في رأيي، يقول: وَإِذَا كَانَ الْأَحْسَنُ من صفَة الْجَزَاء فَكَيْفَ أُضيفَ إِلَىٰ الْأَعْمَال وَلَيْسَ بَعْضُهَا منْهَا؟ وَكَيْفَ يَقَعُ التَّفْضيلُ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ الْجَزَاء وَبَيْنَ الْأَعْمَال؟»[1].

ثالثًا: أفعل مؤولة بدلالة فَعِل:

وهو وزن يدل علىٰ الكثرة والتكرار والمبالغة، وقد أول النحاة والمفسرون صيغة أفعل بفَعِل للدلالة علىٰ المبالغة ومن ذلك:

١ - أوجل:

قال الشاعر مَعْن بنُ أَوْس المُزَني[2]:

لعَمْرُكَ ما أَدري -وإنّي لأَوْجَلُ- ❊ علىٰ أَيّنا تَعْدُو المَنيَّةُ أَوَّلُ[3]

أراد: إني لوَجِل[4] ويرىٰ الْعَيْنيّ أن «أوجل» فعل مضارع فَقَالَ: قَوْله:

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط (٥/ ٥٢٤).

(٢) معن بن أَوْس الْمُزنِيّ هُوَ ابْن أَوْس بن نصر بن زِيَاد بن إِسْعَدْ، شَاعِر مجيدٌ فَحل من مخضرمي الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلَام أوردهُ ابْن حجر فِي المخضرمين من الْإِصَابَة وله مدائح فِي أَصْحَاب النَّبِي ﷺ وَعمر إِلَىٰ أَيَّام الْفِتْنَة بَين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم. انظر ترجمته في: معن بن أوس المزني، ديوانه ص (٢٣) وما بعدها، البغدادي، خزانة الأدب (٧/ ٢٦٠-٢٦١).

(٣) معن بن أوس المزني، ديوانه ص (٩٣)، المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٦). وانظر: البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦)، الشنقيطي، أضواء البيان (٤/ ٤٧٥).

(٤) المبرد، المقتضب (٣/ ٢٤٦). وانظر: البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦)، الشنقيطي،=

لأوجل أي: لأخاف من وَجِل يوجل[1].

٢ - أعجل:

قال الشنفرىٰ[2] الأزدي في لاميته:

وَإِنْ مُدَّت الْأَيْدي إِلَىٰ الزَّاد لَمْ أَكُنْ * بِأَعْجَلهمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْم أَعْجَلُ[3]

أَيْ: لَمْ أَكُنْ بالْعَجل منْهُمْ يقول البغدادي[4]: «وأجشع: أفعل تَفْضيل من الجشع بفتْحَتَيْن وَهُوَ أَشد الْحرْص وَفعله من بَاب فَرح، وَأعجل الأول بمَعْنىٰ عَجل بفَتْح فَكسر، لَا أَنه أفعل تَفْضيل كالثاني؛ لأَن مُرَاده أَن يَنْفي العجلة كَبير مدح».

وأرىٰ أن تأويلها بفَعل علىٰ سبيل المبالغة أقوىٰ دلالة من بقائها علىٰ

=أضواء البيان (٤/ ٤٧٥).

(١) انظر رأيه في: البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٩٠) ولم أهتد إلىٰ موقعه.

(٢) هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: «أعدىٰ من الشنفري» وهو صاحب «لامية العرب». انظر ترجمته في: الشنفرىٰ الأزدي، ديوانه ص (٩)، الزركلي، الأعلام (٥/ ٨٥).

(٣) الشنفرىٰ الأزدي، ديوانه ص (٥٩)، المقتضب (٣/ ٢٤٦). وانظر: البغدادي، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦).

(٤) انظر: المقتضب (٣/ ٢٤٦)، وانظر: خزانة الأدب (٨/ ٢٤٦).

التفضيل؛ فدلالة التفضيل هنا أنه ليس الأعجل، ولكنه قد يكون عَجلا وغيره أعجل منه، أما تأويلها بـ«فَعل» للمبالغة فهي تنفي صفة العجلة كلها عنه. هذا والله أعلم.

رابعًا: «أفعل» مؤولة بدلالة «فاعل»:

أول بعض النحاة المفسرين صيغة «أفعل» بـ«فاعل» في مواضع من القرآن الكريم، وبعض الشواهد الأخرىٰ:

١ - أعلم:

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠) حيث يرىٰ العكبري أن «أَعَلَمُ» هُنَا بمَعْنَىٰ عَالِمٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بأَعْلَمَ: أَعْلَمَ منْكُم[١].

٢ - أعلىٰ:

وقد وردت صيغة أعلىٰ مؤنثة مجموعة في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴾ (طه:٤) والعلىٰ مؤولة باسم الفاعل أي: العالية[٢]، لكنني أرىٰ أن صيغة «العلىٰ» أكثر علوا من صيغة العالية، والله أعلم.

(١) انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان (١/ ٤٨).

(٢) إبراهيم السامرائي، من بديع لغة التنزيل (٢١١).

٣ - أوحد:

وقد أول النحاة والمفسرون صيغة أوحد بواحد في قول الإمام الشافعي:

تَمَنَّىٰ رجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ * فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيهَا بأَوْحَدِ[1]

والمعنىٰ فيه: لست بواحد، وهذا تفسير يفقد النص جزءاً من دلالته الدقيقة؛ فلفظة «أوحد» تعطي دلالة وصفية دقيقة لا تطابقها لفظة «واحد».

٤ - أشعر:

وفي «نصيب أشعر الحبشة» وتريد شاعرهم إذ لا شاعر فيهم غيره[2] وهنا نقف علىٰ نقطتين: الأولىٰ لا يمكننا أن ننفي أو أن نثبت أن في الحبشة شاعرا آخر غير نصيب فذلك سبيل وعر، والأخرىٰ لماذا استعملت العرب هنا «أفعل» وأرادت «فاعل»؟، وأرجح هنا أن أفعل دلت علىٰ الزيادة المطلقة التي تأتي إيجابا للأول ونفيا عن الآخر وهي من المعاني الأصيلة التي تؤديها صيغة أفعل كما مر بنا سابقا.

---

(١) الإمام الشافعي، ديوانه ص (٥١)، القرطبي (٢٠/ ٨٠)، البحر المحيط (٧/ ٤٢٨)، خزانة الأدب (٨/ ٢٤٨

(٢) انظر: الفيومي، المصباح المنير (٧٠٩)، الحموز، ظاهرة التعويض (١٢٤).

٥ - أعدل:

أول بعض النحاة والمفسرين قول العرب: «الناقص والأشج[١] أعدلا بني مروان» بـ«عادلا» بني مروان إذ لا عدل فيهم سواهما، فذهبوا إلىٰ أن إضافة اسم التّفضيل لمجرد التخصيص - تخصيص الموصوف أنه من بني مروان ليعرف أنه منهم- لا للتفضيل عليهم، إذ لا عادل فيهم سواهما[٢]، في رأيي أن ما ذهب إليه بعض النحاة والمفسرين يمكن أن يرد عليه بما يلي:

١ - أنه يمكننا تأويلها بـ«أنهما أكثر الناس عدلا في قومهم» وبذلك تبقىٰ علىٰ التفضيل.

٢ - كون حجة «أن لا عادل فيهم سواهما» حجة مستندة إلىٰ رؤية يصعب إثباتها.

٣ - أن «أفعل» تأتي إيجابا للأول ونفيا عن الآخر، وبذلك تدل علىٰ الزيادة المطلقة وهو من معاني أفعل الأساسية.

---

(١) الناقص: هو يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؛ لقب بذلك لأنه نقص أرزاق الجند. والأشج: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ولقب بذلك لشجة كانت برأسه من ضرب دابة. للتفصيل في ترجمتهما انظر: ابن الأثير، البداية والنهاية (١٢/ ١٧٦)، (١٣/ ١٨٣).

(٢) انظر: شرح الأشموني (٢/ ٣٠٦)، المقرب (١/ ٢١٢)، حاشية الصبان (١/ ٣٤)، حاشية الخضري (٢/ ٥٢).

٦ - أميل:

أول بعض النحاة والمفسرين قول الأحوص[١]:

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي * قَسَمًا إِلَيْكَ، مَعَ الصُّدُودِ لأَمْيَلُ[٢]

أَرَادَ: المائل[٣]، فالشاعر رغم صدوده عن محبوبته عاتكة، ليعبر عن حالة من الصبابة لا يمكنه إخفاءها، فهو يقسم أن قلبه إليها رغم الصدود لأميل، ولذلك جاءت «أميل» بعد قسم ولام مؤكّدة للدلالة علىٰ المبالغة في وصف الميل في قلبه. والله أعلم.

خامسًا: صيغة «أفعل» مؤولة بدلالة «مفعول»:

١ - الأبتر:

يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣)، يفسرها ابن الأثير:

---

(١) هو الأحوص: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. انظر ترجمته في: الأحوص الأنصاري، ديوانه ص (٩) وما بعدها. وانظر: الزركلي، الأعلام (٤/ ١١٦).

(٢) انظر: الأحوص الأنصاري، ديوانه ص (٢٠٩)، هو الشاهد رقم (٩٠) في كتاب خزانة الأدب. انظر: خزانة الأدب (٢/ ٤٨).

(٣) انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن (٢/ ١٢١)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢١)، خزانة الأدب (٨/ ٤٢٢).

بالمبتور أَي الْمَقْطُوعُ الذّكْر بَعْدَهُ، وَلَوْ خَلَفَ أُلُوفًا من النَّسْل وَالذُّرّيَّة، وَلَيْسَ الذّكْرُ وَالصّيتُ وَلسَانُ الصّدْق بكَثْرَة الْأَوْلَاد وَالْأَنْسَال وَالْعَقب[1].

٢ - أكسىٰ:

يقال في المثل العربي: «فلان أكسىٰ من البصلة»[2] أولها الفراء بمكسوّ كقولك: «ماء دافق وعيشة راضية»[3] ويقول الميداني: «فإذا أخذت بقول الفراء: كان «أَكْسَىٰ» «أفعل» من «المفعول»، وهو قليل شاذ»[4].

ولا أرىٰ لذلك وجها لسببين:

١ - ورود «من» التفضيلية فيها.

٢ - وضوح دلالة المفاضلة بين كساء البصلة وكساء الشخص للدلالة علىٰ كثرة لبس الثياب أو أكثر قدرة علىٰ إخفاء ما به من البصلة؛ لكثرة كسائها. والله أعلم.

٣ - أودّ:

يرىٰ الميداني «أن كلمة «أود» بمعنىٰ مودود في المثل القائل: أَوْدُّ مِنْ

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٥٨)، وانظر: هادي نهر، التراكيب اللغوية في العربية ص (٨٥).

(٢) الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ١٦٩).

(٣) انظر رأي ابن سيده والفراء عند ابن منظور، لسان العرب مادة «كسا»، وعند الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ١٦٩).

(٤) الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ١٦٩).

عَيْشكَ شَوْكُ العُرْفُط[1] حيث يقول: يقول: أفْعَلُ من المفعول، وهو المودود ومثل هذا يشذُّ، يعني أن يُبْنَي أفعلُ من المفعول، والعُرْفُط: من العَضَاه، يريد شَوْكُ العرفط ألينُ وألذُّ من عَيْشك»[2].

وفي هذا المثل أيضا أرىٰ أن المفاضلة واضحة؛ لورود «من» التفضيلية والمعنىٰ - وإن كان علىٰ سبيل المبالغة - أن المعيشة مع شوك العُرفظ أكثر مودة من العيش معك. والله أعلم.

سادسًا: صيغة «أفعل» مؤولة بـ«فِعال»:

١ - أعاظم:

وإلا فمن آل المرار فإنهم * ملوك عظام من ملوك أعاظم[3]

يقول الرضي: «إن أعاظم هنا بمعنىٰ عِظام»[4]، وعند البغدادي: «ملوكٌ عظامٌ من ملوكٍ أعاظم علىٰ أَن أعاظم بمَعْنىٰ عِظَام وَهُوَ جمع «أعظم» بمَعْنىٰ عَظيم غير مُرَاد به التَّفْضيل، وَلَو كَانَ مرَادا للَزمَ الإفْرَاد والتذكير»[5].

(١) الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ٣٧٣).

(٢) الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ٣٧٣).

(٣) شرح الرضي علىٰ الكافية (٢/ ٧٨١)، وانظره عن: البغدادي الشاهد رقم (٦٢٢) في الخزانة (٨/ ٢٨٢).

(٤) شرح الرضي علىٰ الكافية (٢/ ٧٨١).

(٥) البغدادي، الخزانة الأدب (٨/ ٢٨٢).

وأظن أن ما دفع الرضي لتأويلها بـ«عظام» أن الشاعر لا يريد تفضيل أجداد ممدوحيه علىٰ أحفادهم، فكلهم عظماء برأيه، فلو قصد الشاعر التفضيل لكان بمثابة هجاء لهم، وهو ما لم يقصده الشاعر في رأيي، ودلالة «أعاظم» هنا الوصف دون المفاضلة.

سابعًا: صيغة «أفعل» مؤولة بـ«فُعْل»:

١ - أشأم:

العرب تقول «أشأم كل امرئ بين لحييه»(١)، قال: أشأم بمعنىٰ «الشُؤْم» يعني اللسان(٢).

قال أبو الهيثم(٣): «للعرب أشياء جاءُوا بها علىٰ أفعل، هي كالأسامي عندهم في معنىٰ فاعل أو فَعيل أو فَعلٍ، كقولهم: أشأمُ كل امرئ بين لحييه، بمعنىٰ شُؤْم»(٤).

(١) مثل عربي انظره في: الميداني، مجمع الأمثال (١/ ٣٦٩).

(٢) ابن منظور، لسان العرب مادة «شأم».

(٣) هو أبو الهيثم الرازي اللغوي، اشتهر بكنيته، تصدر بالري الإفادة، ومن تلاميذه أبو الفضل المنذري، ومن مؤلفاته زيادات معاني القرآن للفراء، توفي سنة (٢٢٦)، انظر ترجمته في: نزهة الألبا ص (١١٨)، وأنباه الرواة (٤/ ١٨٨).

(٤) انظر: الميداني، مجمع الأمثال (١/ ٣٦٩).

وقد أورد الثعالبي في الفصل الرابع والثمانين «في أفعل لا يراد به التَّفضيل»: أشأم بمعنىٰ شؤم[1] ويؤيد ذلك عبدالفتاح الحموز؛ حيث يرىٰ أيضا أن تأويل أفعل التفضيل بالمصدر نادر[2]، وكذلك أولوا أشأم في قولهم في المثل: جرىٰ له طائر أشأم بـ:شؤم[3]، وهو تأويل صحيح في نظري إلا أنني ألمح مزيدا من المبالغة في كلمة «أشأم» عنها في كلمة «شؤم».

❊ ❊ ❊

(١) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: الحموز ظاهرة التعويض في اللغة العربية (١٢٤).

(٣) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية (١/ ٢٦٨)، وانظر: الحموز ظاهرة التعويض في اللغة العربية (١٢٤).

الخاتمة

لقد حاولت الدراسة استجلاء فكرة تأويل، صيغة «أفعل» بدلالة مشتق واللغويين والمفسرين بهدف:

١ – رصد آراء النحاة والمفسرين في إمكانية خروج صيغة أفعل عن معنىٰ المشاركة لتؤول بمشتق.

٢ – الوقوف علىٰ هذه التأويلات وتصنيفها حسب الصيغة المؤولة إليها صيغة أفعل وإبداء الرأي فيها.

٣ – الوقوف علىٰ أسباب تأويل صيغة أفعل بدلالة غيرها من المشتقات.

وقد وجدت الدراسة في الهدف الأول ما يلي:

١ – اختلف النحاة والمفسرون في إمكانية خروج أفعل عن دلالة المشاركة إلىٰ مؤيد، وممانع، ومقتصر علىٰ المسموع دون اقتياسه.

٢ – أن دلالة أفعل عند المفسرين لم تتجاوز ما هي عليه عند النحاة.

٣ – رصدت الدراسة آراء النحاة والمفسرين في دلالة «أفعل» عدة معانٍ عند النحاة تدل عليها صيغة «أفعل» ورد بعضها في تضاعيف سطور المؤلفات القديمة، ولم يكتب لها الشهرة، ومنها:

– تدل علىٰ أن المفضل متباعد في أصل الفعل عن المفضل عليه، متزايد

إلىٰ كماله فيه، وهذا كمال التفضيل، وقال بهذا المعنىٰ الكفوي.

- أن صيغة «أفعل» تأتي إيجابا للأول ونفيا عن الثاني، وقال به نفطويه.

- تأتي لمجرد الوصف بحيث تثبت الصفة للطرف المذكور، وقال به مجمع اللغة العربية.

- تأتي للزيادة المطلقة للمفضل دون مشاركة المفضل عليه، وقال به الألوسي وغيره من المفسرين.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) الأزهري، خالد بن عبدالله، (ت ٩٥٠هـ)، **شرح التصريح علىٰ التوضيح أو التصريح**، ت محمد باسل، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

(٤) الأشموني، نور الدين علي بن محمد (ت ٩٠٠هـ)، **شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

(٥) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ت حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٦) الأنباري، أبو البركات كمال الدين (ت ٥٧٧هـ)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ت إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

(٧) الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٨) الأنطاكي، محمد، **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، ط٣، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.

(٩) برجستراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

(١٠) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ت عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

(١١) الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩)، **فقه اللغة وسر العربية**، ت عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م

(١٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٢٩٢هـ)، **الخصائص**، ت محمد النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

(١٣) حسن، عباس، **النحو الوافي**، ط٤ دار المعارف، القاهرة، د.ت.

(١٤) الحملاوي، أحمد بن محمد، **شذا العرف في فن الصرف**، مراجعة وشرح حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(١٥) الحموز، عبدالفتاح، **ظاهرة التعويض في العربية وما حمل عليها من المسائل**، ط١، دار عمار، ١٩٨٧م.

(١٦) الخضري، محمد بن مصطفىٰ الشافعي (ت ١٢٨٧هـ)، **حاشية علىٰ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك**، الطبعة الأخيرة، مصطفىٰ بابي الحلبي، مصر ١٩٤٠م.

(١٧) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (ت إحسان عباس، دار صادر – بيروت د.ت.

(١٨) الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، **شرح الكافية**، ت يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا ١٩٧٥م.

(١٩) الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، **شرح شافية ابن الحاجب**، ت محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٢٠) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ) **الأعلام**، دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

(٢١) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٢٢) السامرائي، إبراهيم، **من بديع لغة التنزيل**، دار الفرقان، ط١، عمان، ومؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٤م.

(٢٣) السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢٤) ابن السراج، أبوبكر محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، ت عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢٥) سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، **الكتاب**، ت عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣، ١٩٨٨م.

(٢٦) السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ)، **أخبار النحويين البصريين**، ت طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي الطبعة ١٩٦٦م.

(٢٧) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.

(٢٨) الصبان، أبوالعرفان محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ)، **حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.

(٢٩) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد(ت ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت عبد الله بن عبد الحسين التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

(٣٠) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ): **التحرير والتنوير، تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

(٣١) أبوعبيدة، معمر بن المثنىٰ (ت ٢٠٩هـ)، **مجاز القرآن**، ت محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجىٰ – القاهرة، ١٣٨١هـ.

(٣٢) ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن مؤمن بن محمد (ت ٦٦٩هـ)، **المقرب ومعه مُثُل المقرب**، ت عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣٣) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن(ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣٤) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، ت علي محمد البجاوي، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

(٣٥) ابن فارس، أبو الحسين أحمد الرازي (ت ٣٩٥هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م.

(٣٦) الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ت عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط١، د.ت.

(٣٧) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ت أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

(٣٨) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، **إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة**، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

(٣٩) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٤٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ت عبد الله ابن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٧م.

(٤١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسىٰ، (ت١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ت عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٨م.

(٤٢) ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان (ت٦٧٢)، **أسرار النحو**، ت أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمان، د.ت.

(٤٣) ابن مالك، جمال الدين محمد (ت٦٧٢)، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، ت محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للنشر القاهرة، ١٩٦٨م.

(٤٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، ت محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

(٤٥) مجمع اللغة العربية في القاهرة، **أعمال لجنة الأصول، البحوث والمحاضرات**، الدورة (٣٢)، لسنة ١٩٦٦م.

(٤٦) مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، ت حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٤٧) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٤٨) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، ت محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ت.

(٤٩) نهر، هادي، **التراكيب اللغوية في العربية، دراسات وصفية تطبيقية**، مطبعة الإرشاد بغداد، د.ط، د.ت.

(٥٠) ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف، (ت٧٦١هـ) **شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ**، ت محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ.

(٥١) ابن يعيش، أبوالبقاء موفق الموصلي (ت: ٦٤٣هـ)، **شرح المفصل للزمخشري**، ت إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

(1) The Holy Quraan.

(2) Al-Aloosy, Shihabuddin Mahmoud Bin Abdullah (died 1270H), Rooh Al-Maani fi Tafseer Al-Quraan Al-Atheem wa As-Sabaa Al-Mathani, edited by Ali Abdul Bari Attiah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah Beirut, 1st ed., 1415H.

(3) Al-Azhari, Khalid Bin Abdullah, (died 950H), Sharh At-Tasreeh ala At-Tawdheeh aw At-Tasreeh, edited by Muhammad Basil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah – Beirut – Lebanon, 1st ed., 2000.

(4) Al-Ashmooni, Nooruddin Ali Bin Muhammad (died 900H), Sharh Al-Ashmooni ala Alfiyyat Ibn Malik, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed, 1998.

(5) Al-Anbari, Abu Bakr Muhammad Bin Al-Qasim (died 328H), Az-Zahir fi Maani Kalimat An-Naas, edited by Haatim Adh-Dhamin, Ar-Risalah Foundation Beirut, 1st ed, 1992.

(6) Al-Anbari, Abu Al-Barakat Kamaluddin (died 577H), Nuzhat Al-Alibba fi Tabaqat Al-Udaba, edited by Ibrahim As-Saamiraaie, Al-Manar Bookstore, Az-Zarqaa – Jordan, 3rd ed., 1985.

(7) Al-Andalusi, Abu Hayyan Atheeruddin Muhammad Ibn Yusuf (died: 745H), Al-Bahr Al-Muheet fi At-Tafseer, edited by Sidqi Muhammad Jameel, Dar Al-Fikr – Beirut, 1420H.

(8) Al-Antaki, Muhammad, Al-Muheet fi Aswat Al-Arabiah wa Nahwiha wa Sarfiha, 3rd ed., Dar Ash-Sharq Al-Arabi, Beirut, n.d.

(9) Bridgester, At-Tatawwur An-Nahawi li Al-Lughah Al-Arabiah, corrected and commented on by Ramadhan Abdul Tawwab, Al-Khanji Bookstore, Cairo, 1982.

(10) Al-Baghdadi, Abdul Qadir Bin Umar (died 1093H), Khizanat Al-Adab wa Lubb Lubab Lisan Al-Arab, edited by Abdus Salam Muhammad Haroon, Al-Khanji Bookstore, Cairo, 4th ed., 1997.

(11) Ath-Thaalabi, Abu Mansour Abdul Malik Bin Muhammad Bin Ismaeel (died 429H), Fiqh Al-Lughah wa Sirr Al-Arabiah, edited by Abdur Razzaq Al-mahdi, Ihya At-Turath Al-Arabi, 1st ed., 2002.

(12) Ibn Jinny, Abu Al-Fath Uthman (died 292H), Al-Khasaais, edited by Muhammad An-Najjar, 4th ed., The General Egyptian Book Authority, n.d.

(13) Hasan, Abbas, An-Nahu Al-Wafi, 4th ed., Dar Al-Maarif, Cairo, n.d.

(14) Al-Hamlawi, Ahmad Bin Muhammad, Shatha Al-Urf fi Fann As-Sarf, revised and explained by Hajar Aasi, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1999.

(15) Al-Hamouz, Abdul Fattah, Thaahirat At-Taaweedh fi Al-Arabiah wa ma Hamal Alaiha min Al-Masail, 1st ed., Dar Ammar, 1987.

(16) Al-Khudhari, Muhammad Bin Mustafa Al-Shaafie (died 1287H), Haashiyat ala Sharh Ibn Aqeel li Alfiyyat Ibn Malik, last ed., Mustafa Babi Al-Halabi, Egypt, 1940.

(17) Ibn Khillikan, Abu Al-Abbas Shamsuddin Ahmad Bin Muhammad Bin Ibrahim (681H), Wafiyyat Al-A'yan wa Anba Abna' Az-Zaman (edited by Ihsan Abbas, Dar Sadir – Beirut, n.d.

(18) Ar-Radhiy, Muhammad Bin Al-Hasan Al-Istirabathi (died 686H), Sharh Al-Kaafiyah, edited by Yusuf Hasan Umar, Qar Yunus University, Libya 1975.

(19) Ar-Radhiy, Muhammad Bin Al-Hasan Al-Istirabathi (686H), Sharh Shafiyat Ibn Al-Haajib, edited by Muhammad Muhyiddin Abdul Hameed, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1975.

(20) Az-Zarkali, Khairuddin Bin Mahmoud Bin Muhammad (died 1396H) Al-Aalam, Dar Al-Ilm Lil Malayeen, Fifteenth 2002.

(21) Az-Zamakhshari, Jaarullah Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Amr (died 538H), Al-Kashaf an Haqaiq Ghwamidh At-Tanzeel, Dar Al-Kitab Al-Arabi – Beirut, 3rd ed., 1407H.

(22) As-Saamirraie, Ibrahim, Min Badee Lughat At-Tanzeel, Dar Al-Furqan, 1st ed., Amman, and Ar-Risalah Foundation Beirut, 1984.

(23) As-Saamirraie, Faadhil Saleh, Maani An-Nahu, Al-Aatik for Book Making, Cairo, 2003.

(24) Ibn As-Siraaj, Abu Bakr Muhammad Bin Sahl, Al-Usool fi An-Nahu, edited by Abdul Husain Al-Fatali, Ar-Risalah Foundation, Beirut, 1987.

(25) Seebawaih, Abu Bishr Amr Bin Uthman (died 180H), Al-Kitab, edited by Abdus Salam Haroon, Al-Khanji Bookstore, Cairo, 3rd ed., 1988.

(26) As-Seerafi, Al-Hasan Bin Abdullah Bin Al-Mirziban (died 368H), Akhbar An-Nahwiyyeen Al-Basriyyeen, edited by Taha Muhammad Az-Zaini, and Muhammad Abdul Munim Khafaji, Mustafa Al-babi Al-Halabi Press ed. 1966.

(27) Ash-Shanqeeti, Muhammad Al-Ameen Bin Muhammad Al-Mukhtar (died 1393H), Adhwa Al-Bayan fi Eedhah Al-Quraan Bil Quraan, Dar Al-Fikr Printers Publishers and Distributors Beirut – Lebanon, 1995.

(28) As-Sabban, Abu Al-Irfan Muhammad Bin Ali (died 1206H), Haashiyat As-Sabban ala Sharh Al-Ashmooni li Alfiyyat Ibn Malik, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah Beirut – Lebanon, 1997.

(29) At-tabari, Muhammad bin Jarir Bin Yazeed (died 310H), Tafseer At-Tabari, Jami Al-Bayan an Ta'weel Ay Al-Quraan, edited by Abdullah Bin Abd Al-Husain At-Turki, Dar Hajr Printers and Publishers, 2001.

(30) Ibn Aashoor, Muhammad At-Taahir (died 1393H): At-Tahreer wa At-Tanweer, Tahreer Al-Maana As-Sadeed wa Tanweer Al-Aql Al-Jadeed min Tafseer Al-Kitab Al-Majeed, Ad-dar At-Tunisiyyah Press – Tunis, 1984.

(31) Abu Ubaidah, Muammar Bin Al-Muthanna (died 209H), Majaz Al-Quraan, edited by Muhammad Fuaad Sizkeen, Al-Khanji Bookstore – Cairo, 1381H.

(32) Ibn Asfour Al-Ishbeeli, Abu Al-Hasan Mumin Bin Muhammad (died 669H), Al-Muqarrab wa Ma'ahu Muthul Al-Muqarrab, edited by Aadil Ahmad Abdul Mawjood, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed., 1418H.

(33) Ibn Atiyyah, Abu Muhammad Abdul Haqq Bin Ghaalib Bin Abdur Rahman (died 542H), Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz, edited by Abdus Salam Abdul Shafi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah – Beirut, 1st ed., 1422H.

(34) Al-Akbari, Abu Al-Baqa Abdullah Bin Al-Husain (died 616H), At-Tibyan fi I'rab Al-Quraan, edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi, Isa Al-Babi Al-Halabi and Partners, n.d.

(35) Ibn Faaris, Abu Al-Husain Ahmad Ar-Raazi (died 395H), As-Saahibi fi Fiqh Al-Lughah Al-Arabiah wa Masailiha wa Sunan Al-Arab fi Kalamiha, Muhammad Ali Baydhoun, 1st ed., 1997.

(36) Al-Fiyoumi, Abu Al-Abbas Ahmad Bin Muhammad (died 770H), Al-Misbah Al-Munir fi Ghareeb Ash-Sharh Al-Kabeer, edited by Abdul Atheem Ash-Shanawi, Dar Al-Maarif, 1st ed., n.d.

(37) Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad Bin Ahmad (died 671H), Al-Jaami li Ahkam Al-Quraan, edited by Ahmad Al-Bardouni, Dar Al-Kutub Al-Masriah – Cairo, 2nd ed., 1964.

(38) Al-Qafti, Jamaluddin Abu Al-Hasan Ali Bin Yusuf Al-Qafti (died 646H), Inbah Ar-Ruwat ala Anbah An-Nuhat, edited by Muhammad Abu Al-Fadhl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi – Cairo, 1st ed., 1982.

(39) Ibn Al-Qayyim, Muhammad Bin Abi Bakr Bin Ayyoob, (died 751H), Badaie AL-Fawaid, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

(40) Ibn Katheer, Abu Al-Fadda Ismaeel Bin Umar (died 774H), Al-Bidayah wa An-Nihayah, edited by Abdullah Bin Abdul Muhsin At-Turki, Dar Hajar Printers and Publishers, 1st ed., 1997.

(41) Al-Kafawi, Abu Al-Baqa Ayyoob Bin Musa (died 1094), Al-Kulliyyat Mujam fi Al-Mustalahat wa Al-Furooq Al-Lughawiyyah, (Al-Kulliyyat A Dictionary in Terms and Linguistic Differences), edited by Adnan Darwish and Muhammad Al-Masri, Ar-Risalah Foundation – Beirut 1998.

(42) Ibn Kamal Basha, Shamsuddin Ahmad Bin Sulaiman (died 672H), Asrar An-Nahu, edited by Ahmad Hasan Haamid, Dar Al-Fikr, Amman, n.d.

(43) Ibn Maalik, Jamaluddin Muhammad (died 672H), Tasheel Al-Fawaid wa Takmeel Al-Maqasid, edited by Muhammad Kaamil Barakat, Dar Al-Kitaab Al-Arabi Press Cairo, 1968.

(44) Al-Mubarrid, Abu Al-Abbas Muhammad Bin Yazeed (died 285H), Al-Muqtadhib, edited by Muhammad Abdul Khaaliq Adheemah, Aalam Al-Kutub, Beirut, n.d.

(45) Mujamma Al-Lughah Al-Arabiah in Cairo, Works of The Usool Committee, Research and Lectures, seminar (32), year 1966.

(46) Makki Bin abi Taalib (died 437H), Mushkil I'rab A;-Quraan, edited by Haatim Saleh Adh-Dhaamin, Ar-Risalah Foundation – Beirut, 2nd ed., 1405H.

(47) Ibn Manthoor, Jamaluddin Muhammad Bin Mukarram (died 711H), Lisan Al-Arab, Dar Saadir – Beirut, 3rd ed., 1414H.

(48) Al-Maydani, Abu Al-Fadhl Ahmad Bin Muhammad (died 518H), Mujamma Al-Amthal, edited by Muhammad Muhyiddin Abdul Hameed, Dar Al-Maarifah – Beirut, Lebanon, n.d.

(49) Nahar, Hadi, At-Tarakeeb Al-Lughawiyyah fi Al-Arabiah, Dirasat Wasfiyyah Tatbeeqiyyah (Arabic Language Structures, Descriptive Empirical Studies), Al-Irshad Press Baghdad, n.d.

(50) Ibn Hisham, Jamaluddin Abdullah Bin Yusuf, (died 761H) Sharh Qatr An-Nada wa Ball As-Sada, edited by Muhammad Muhyiddin Abdul Hameed, Cairo, 11th ed., 1383H.

(51) Ibn Yaeesh, Abu Al-Baqaa Muwaffaq Al-Mawsili (died: 643H), Sharh Al-Mufassal by Az-Zamakhshari, edited by Imeel Badee Yaaqub, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 2001.

❊ ❊ ❊

دراسة حجاجية لخطب الشيخ سعود الشريم
(خطبة مفهوم الحرية نموذجا)

مجلة العلوم الشرعية و اللغة العربية
Journal of Shari'ah Sciences and The Arabic Language

إعداد
د. ليلى بنت عبد الرحمن الجريبة

أستاذ الأدب المساعد، بقسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

laaljuraiba@pnu.edu.sa

دراسة حجاجية لخطب الشيخ سعود الشريم
(خطبة مفهوم الحرية نموذجا)

المستخلص: يتناول البحث خطبة مفهوم الحرية في الإسلام للشيخ سعود الشريم تناولا حجاجيا، فالخطابة في المجتمع المسلم معلم ديني ومكون ثقافي واجتماعي، والحجاج نظرية حديثة لها جذورها الضاربة في عمق التاريخ منذ أرسطو وأفلاطون وحتىٰ العصر الحديث، وهي تختلف عن الحجاج الفلسفي العقلي الذي يمكن تسميته بالبرهنة، فهو حجاج يعتمد علىٰ استخدام اللغة وفق السياق والمقام وهو أسلوب من أساليب الخطاب، ويهدف البحث إلىٰ تقييم الخطبة المدروسة، وتزويد الخطباء بوسائل الحجاج واستراتيجياته وعوامله وروابطه وسلالمه، ويحتوي علىٰ تمهيد يوضح معنىٰ الحجاج ومصطلحاته، كما يضم ثلاثة مباحث هي آليات الحجاج من أدوات بلاغية ولغوية، وأدوات شبه منطقية، واستراتيجية الخطاب الحجاجي، والخاتمة وفيها أهم التوصيات والنتائج.

الكلمات المفتاحية: الخطب، الحجاج اللغوي، سعود الشريم، الحرية.

***

A Study of The Sermons Delivered by Sheikh Saud AlShuraim (The Concept of Freedom)

Abstract: This research discusses the sermon given on the concept on freedom in Islam by Sheikh Saud AlShuraim in a deliberative manner, as sermon-giving in the Muslim community is a religious landmark and a cultural and social component, whereas debate and deliberation is a modern theory with deep historical roots since Aristotle, Plato, and even in modern times. It is different from logical philosophical debate which can be called requiring proof.

Keywords: sermons- linguistic debate – Saud AlShuraim- freedom.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلىٰ آله وصحبه الطاهرين الطيبين، أما بعد:

فقد حفلت المجالات اللسانية واللغوية باتجاهات ومدارس حديثة، تمكن للنقد الأدبي الاستفادة من معطياتها، واكتساب طرائق علمية جديدة تساعد في تطوير النقد وتقنينه، ومن تلك المدارس التداولية التي ربطت اللغة بوظيفتها التأثيرية، والتداولية في أبسط تعريفاتها هي دراسة الاتصال اللغوي في السياق، وهذا ما يسمح بدراسة أثر السياق، وتشكيل الخطاب، ومرجع الرموز اللغوية، ومعانيها كما يقصدها المتكلم[1]. ومن النظريات المهمة في التداولية نظرية الحجاج اللغوي.

ونظرا لما تحمله الاتجاهات الجديدة من مجالات مفتوحة للتجريب والمحاولة، فقد عزمت - بإذن الله - علىٰ دراسة خطب الشيخ سعود الشريم دراسة حجاجية، وأحسب أن إيلاء الخطابة نصيبا من البحث والدراسة أمر مستحسن في المجتمع المسلم، الذي تشكل الخطابة فيه معلما دينيا ومكونا

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص (٢٢).

ثقافيا واجتماعيا، موروثا ومتطورا وفق مستجدات الواقع، كما أن فضيلة الشيخ سعود الشريم يمتاز بقوة الأسلوب، وبلاغة الخطاب، ومتانة اللغة، مما يجعل خطبه مجالا خصبا للدراسة.

ولذا «يمكن مدارسة النص الأدبي سواء أكان سردا أم مسرحية أم نصا شعريا في ضوء المقاربة الحجاجية، عن طريق استكشاف الروابط الحجاجية اللغوية، التي تتحكم في بناء النص وترابطه، مع تبيان البعد الحجاجي والإقناعي في النص، وذلك بالتشديد على السلم الحجاجي، الذي يعنى بدراسة مسار الحجاج، انطلاقا من قول الحجة إلى نتيجتها، ... إلخ»[1].

وتنطلق الدراسة من عدة تساؤلات هي: ما وسائل الشيخ سعود الشريم الحجاجية في خطبة مفهوم الحرية؟ ما روابط الحجاج وعوامله؟ كيف بنى الخطيب سلالمه الحجاجية؟ ما استراتيجيات الحجاج لدى الشيخ سعود الشريم؟

وتقوم فرضية البحث على وجود استراتيجية حجاجية واضحة ومنظمة لخطب الشيخ سعود الشريم، وعلى وجود آليات حجاجية مؤثرة، وسلالم حجاجية، وعوامل، وروابط، تقوم بدورها في إقناع المتلقين.

وتهدف الدراسة إلى: استكشاف وسائل الحجاج، وعوامله، وروابطه،

(١) قصيدة الجبار في ضوء المقاربة القرائنية، الحمداوي.

واستراتيجياته، لدىٰ الشيخ سعود الشريم من خلال هذه الخطبة، وإلىٰ تقديم يد العون للخطباء للاستفادة من عناصر الحجاج وأدواته اللغوية.

وقد قدمت عدة دراسات حول الحجاج بشكل عام، والحجاج في الخطابة بشكل خاص، ومنها:

١ - الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال الخطابة الجديدة، ليبرلمان وتيتيكا، ترجمة عبد الله صولة، تونس، ١٩٩٨م.

٢ - الحجاج في الخطب النبوية، جمعان الغامدي، مجلة أم القرىٰ، العدد العاشر، رجب، ١٤٣٤هـ.

٣ - حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدىٰ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كمال الزماني، عالم الكتب الحديث، أربد، ٢٠١٢م.

٤ - الحجاج في الخطابة النبوية، عبد الجليل عشراوي، عالم الكتب الحديث، أربد، د. ت.

٥ - من وسائل الإقناع اللغوية في الخطبة، مها الميمان، الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، الرياض، ٢٠١١م.

وسوف تعتمد الدراسة - بإذن الله - منهجا حجاجيا تحليليا لإحدىٰ خطب الشيخ سعود الشريم، وهي خطبة مفهوم الحرية في الإسلام، وتشمل الدراسة تمهيدا يوضح معنىٰ الحجاج ومصطلحاته، كما تضم ثلاثة مباحث هي: الأدوات البلاغية واللغوية، والأدوات شبه المنطقية، وأخيرا استراتيجية

الخطاب الحجاجي، وبعدها الخاتمة.

* * *

تمهيد
(تعريف الحجاج)

أولاً: المفهوم اللغوي:

اشتقت كلمة الحجاج من المادة اللغوية (ح. ج. ج)، وتدور حول عدة معان لغوية هي: القصد، والسبر، والظهور، فالقصد مثل حج البيت، أي قصده بالأعمال المشروعة فرضا أو سنة، والسبر مثل حج الجرح، ليعرف عمقه ويسمىٰ المسبار محجاجا، والظهور مثل قولهم حجاج العين، وحجاجا الشمس، والمحجة البيضاء، وغيرها[1].

وهذه المعاني اللغوية تجتمع في الحجاج اللغوي؛ فالمتكلم يقصد التأثير علىٰ المتلقي فيكون الحجاج قصدا، وهو يستخدم أساليب متعددة فيسبر الأمر حتىٰ يتيسر له الإقناع، والظهور هو غاية عند المتكلم فهو يسعىٰ جاهدا لإظهار رأيه وقوله.

وقد فطن علماء البلاغة قديما لبعض أنواع الحجاج وأساليبه، فتعددت الأسماء التي أطلقوها عليه، وتباينت تعريفاتهم له، فأبو حيان الأندلسي يسميه

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢/ ٢٢٦-٢٣٠).

(الاحتجاج النظري) وكذلك ابن النقيب[1]، بينما سماه الزركشي (إلجام الخصم بالحجة)، وأما بقية البلاغيين فقد أسموه بـــ (المذهب الكلامي) اعتمادا علىٰ تسمية الجاحظ له ابتداء[2].

وعرفه القدماء بأنه: «إيراد حجة للمطلوب علىٰ طريقة أهل الكلام، وذلك يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة مستلزمه للمطلوب، وقيل هو احتجاج المتكلم علىٰ خصمه بحجة تقطع عناده، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم»[3].

ومن خلال النماذج التي وردت في كتب العرب قديما تتضح رؤيتهم لهذا الأسلوب، القائم علىٰ تداول الخطاب، ووجود عناصره من مرسل، ومرسل إليه، ورسالة، وسياق، ومقام، وقد ساقوا نماذج متعددة في كتبهم، ونظروا إليها من خلال العلاقة الحجاجية، وفصلوا في الحجة، وقسموها إلىٰ قسمين هما: الحجة المنطقية أي القطعية البرهانية، والحجة الظنية، وبعبارة واضحة إن هذه النظرية لها جذورها العربية الراسخة.

وأما في العصر الحديث فالحجاج «نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية،

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب، محمد ابن النقيب، ص (٢١-٢٢).

(٢) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم ابن أبي الإصبع، ص (١٠-١١).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطلوب، ص (٥٧-٦١).

وبإمكانات اللغات الطبيعية، التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه، وجهة تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير»[1]. وبناء عليه فالنص الحجاجي هو «نص تهيمن فيه الوظيفة الإقناعية، التي تتوسل بمجموعة من الحجج من أجل إقناع المتلقي بالأطروحة المقترحة»[2].

ويعود الاهتمام بنظريات الحجاج إلىٰ «فاعليتها في فك مغاليق الخطاب، وإلىٰ قدرتها الاختراقية للمناطق القصية من النص»[3]، كما أن هذه النظرية ليست محصورة في بعد واحد؛ بل هي متشعبة الفروع، وما انفك أصحابها يطورونها ويعدلونها[4]، فتبوأت مكانة مهمة في الدرس اللغوي التداولي.

ثانيًا: آليات الحجاج:

لا تزال الدراسات الحديثة غير متفقة علىٰ الآليات التي يستخدمها الباث لتشكيل الخطاب الحجاجي في اللغة العربية، أو لإضفاء الصبغة الحجاجية التي تزيد في فعالية الخطاب وتأثيره علىٰ المتلقي، وتتجاذب تلك الدراسات أمواج البلاغة العربية القديمة، فتجعل من علم البيان والمعاني والبديع وفنونها

(١) اللغة والحجاج، العزاوي، ص (١٨).

(٢) لحويدق، ٢٠١٠، (٣/ ٣٦١).

(٣) المناويل الحجاجية وتخصيب الدرس اللغوي، الجديع.

(٤) انظر: مغامرة المعنىٰ من النحو إلىٰ التداولية، الحباشة، ص (٣١).

آليات حجاجية، ولا عجب فإن البلاغة هي مراعاة الكلام لمقتضىٰ الحال، وهي تهدف في الأساس إلىٰ إيصال المعنىٰ والتأثير علىٰ المتلقي، وفي المقابل يدخل علم المنطق والجدل والفلسفة ليتداخل مع البلاغة في صناعة الحجاج، وتصنف بعض الآليات بما يسمىٰ شبه المنطق كالسلالم اللغوية.

ومع تركيز الدراسة علىٰ الآليات المنبثقة من الاستخدام اللغوي؛ فإن الباحث لا يستطيع الفصل بين اللغة ومحتواها، والحجاج لا يمكن أن يستغني عن الفلسفة والمنطق؛ إذ إن الخطاب الحجاجي موجه للعقل والقلب معا، ويجمع بين الحجة العقلية والهزة الوجدانية، وتتآزر فيه الصور البلاغية مع التراكيب اللغوية والتبرير العقلي، وإذا كانت الصور البلاغية تقنيات تستدعيها جمالية الأسلوب؛ فإنها غير قادرة علىٰ الصمود أمام نفاذ العقل وتوقد الشك ما لم تعزز بحجج قوية تحقق الإقناع[1].

ويقصد بآليات الحجاج كل عامل يقوم بدور للتأثير علىٰ المتلقي، ولذا فالآليات كثيرة في اللغة العربية وغير محدودة، والمحتوىٰ الذي تعبر عنه اللغة (المضمون أو المكون الإخباري) ليس هو الآلية الحجاجية؛ بل إن الآلية تنبع من البنية اللغوية نفسها وما يشتغل فيها من أدوات ووسائل[2].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، مدقن، ص (٧٢).

(٢) انظر: الحجاج في اللغة، العزاوي.

المبحث الأول
(الأدوات البلاغية واللغوية)

تحفل البلاغة العربية بعدد من الأساليب التي تسهم في إضفاء السمة الحجاجية علىٰ النص؛ بل يكاد بعض المشتغلين في البلاغة أن يحيلوا الحجاج كله ليكون بلاغة جديدة، وباستقراء الخطبة المدروسة نلحظ شيوع بعض الألوان البلاغية، التي تعتمد علىٰ ثلاثة مبادئ أساسية هي: التقابل، والإطناب، والأساليب الخبرية والإنشائية، كما تظهر بعض الأساليب المشتركة بين النحو والبلاغة، وهي: التعليل، والتخصيص، وتفصيلها كالآتي:

أولاً: الحجاج بالتقابل:

يعد التقابل من الأسس التعبيرية الخفية التي تتحكم في التعبير، وما الظواهر البلاغية إلا تفريعات تبين الفروق الدقيقة بين لون وآخر، ويمكن من خلال التقابل جمع بعض الظواهر البلاغية، وتحليلها وفقا لمبدأ التقابل الذي يقوم بدور رئيس في العملية الحجاجية[1].

ولعل أهم الأنواع الظاهرة في الخطبة: التقابل بالصورة، والتقابل بالشواهد والاقتباسات، والتقابل بتقسيم الكلام، وذلك علىٰ النحو الآتي:

(١) انظر: الأساس التقابلي في البلاغة العربية مقاربة تأويلية، بازي.

١ - التقابل بالصورة: التقابل بالصورة هو أسلوب من الأساليب الحجاجية المهمة، وإذا كان أوليفي روبول قد استنتج أن الصورة تسهل الحجاج وتشارك فيه؛ فإن الجرجاني قد خصص فصلا في كتابه دلائل الإعجاز للحديث عن حجاجية كل من الكناية والاستعارة والتمثيل[١].

وتنبثق حجاجية الصورة من كونها تجمع بين الطرفين (المشبه والمشبه به)، فتجعلهما متآلفين، يقاس أحدهما علىٰ صاحبه، فهي تقوم علىٰ التقابل بينهما في ذهن المرسل[٢]، والقياس حجة، فهو عملية قياس منطقي تستهدف الإقناع بالمعنىٰ، ولا تختلف الاستعارة عن الكناية أو التشبيه إلا بكونها درجات متفاوتة للإثبات، فالاستعارة أقواها والتشبيه أدناها[٣].

والخطبة المدروسة ليست بعيدة عن الأسلوب العربي الأصيل، الذي يحتفي بالصورة في كافة درجاتها، ابتداء بالتشبيه المجمل والمفصل، ومرورا بالتشبيه البليغ والتشبية التمثيلي، وانتهاء بالاستعارة والمجاز والكناية، وقد رصدت الدراسة الصور الحجاجية في الخطبة فكانت علىٰ النحو الآتي (جدول رقم ١):

- بلغت الصور الواردة في الخطبة بضع عشرة صورة يغلب عليها

(١) انظر: البلاغة والخطاب، مشبال، ص (٢٩٤).

(٢) انظر: الأساس التقابلي في البلاغية العربية مقاربة تأويلية، بازي.

(٣) انظر: البلاغة والخطاب، مشبال، ص (٢٩٤).

الكناية، ثم التشبيه، ثم الاستعارة، ولأن الكناية جزء من الاستعارة[1]، فهذا يعني غلبة الأسلوب الاستعاري بنوعيه الكناية والاستعارة على صور الخطيب، والأسلوب الاستعاري يكسب الحجاج قوته؛ لأن المتكلم في الاستعارة يفترض وجود مشبه به مسبق، مسلم به، يتخيله، ويبني عليه الخطاب، ويأتي بصفة من صفاته، وهذا يقطع على المتلقي الاعتراض الذي قد يرد عليه، ويجعل المعنى القائم على التشبيه حقيقة متفقا عليها.

- غلبت الصور التقليدية على الصور المبتكرة لدى الخطيب مما يدل على أن هذه الصور هي أصداء لنصوص قديمة، استدعتها الثقافة اللغوية، ولم يعمد إليها الخطيب ولم يتكلفها، إذ الابتكار في الصور يتطلب خيالا واسعا وتعمقا في الكلام.

والخلاصة أن التقابل بالصورة في الخطبة قد أحدث تأثيرا واضحا، لأنه يعطي المتلقين الحرية في الاختيار، ومساحة من التفكير الناقد، للمقارنة بين المعنى الحقيقي والمعنى الجديد، والموازنة بينهما لمعرفة المحاسن والمساوئ، في طريقة سهلة ميسرة، بل إن المقارنة من أهم أساليب المنطق الحجاجي.

٢ - التقابل بالشواهد والاقتباسات: تمثل الشواهد والاقتباسات غير

(١) انظر: علم المعاني والبيان والبديع، عتيق، ص (٤١٤).

المباشرة والنصوص المناصة مظاهر للتقابل الذي يصنعه الخطاب الحجاجي، فغالبا ما تكون المرويات بكافة أنواعها، وأشكال استخدامها وسيلة حجاجية قوية، فهي تعرض الفكرة متقابلة مع الشاهد، وهذا التقابل يتيح للمتلقي استكشاف العلاقة بين المعنىٰ أو الدعوىٰ أو النتيجة، وبين الشاهد أو الدليل أو الحجة.

ويقوم التقابل بالشواهد بوظيفة حجاجية حيث يمثل نوعا من التحاور مع السابقين، واستدعاء المشاعر، والتأكيد علىٰ الحجج أو النتائج، وقد استخدمه الخطباء قديما وحديثا وعني به البلاغيون، وله نمطان أو صورتان، الأولىٰ: الطريقة الظاهرة بالتضمين والحكاية والشرح والاقتباس والنقل والتعليق، والثانية: الطريقة الخفية حيث ينشئ المرسل نصه عبر نصوص سابقة أو معاصرة مماثلة أو مباينة[1].

والاستشهاد بوجه عام يقوم بإضفاء القبول علىٰ فكرة ما باللجوء إلىٰ الشهادات القولية المأثورة كما يسميه ابن سينا[2]، وقد يطلق عليه الحجاج الشاهدي نسبة للشاهد، وهو من دعامات الحجاج القوية متىٰ ما وضع في السياق المناسب، وكلما قويت سلطته - كالقرآن مثلا - منح المتكلم قوة

(١) انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن، ص (٤٧).

(٢) انظر: الأداء الحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سينا، عبد الرحيم، ص (٦٣).

سلطوية، وأسبغ علىٰ خطابه القوة، إذ يستمد منه قوته وسلطته[1]. وباستقراء النماذج الواردة في الخطبة (جدول رقم٢) نتبين ما يأتي:

- كثرة الآيات القرآنية إذ بلغت إحدىٰ عشرة آية، تلتها الأحاديث فبلغت تسعة أحاديث، ثم الآثار المروية عن الصحابة والتابعين والعلماء.

- ورود الشواهد بعد القضية المطروحة مقرونة بلام التعليل أو الفاء أو لأن، ونادرا ما تأتي قبل النتيجة أو الأطروحة.

وإضافة إلىٰ ما سبق من الشواهد المباشرة نجد الاقتباس غير المباشر يتجلىٰ في تأثيرات أسلوبية متفرقة، ومن خلال الجدول (رقم٣) نتبين ما يأتي: تأثر الخطيب بأسلوب القرآن الكريم حيث ورد في سبعة مواضع، وتأثر الخطيب بالسنة النبوية، وتأثر الخطيب بالشعر العربي، وتأثر الخطيب بأسلوب الأديب مصطفىٰ صادق الرافعي.

٣ - التقابل بتقسيم الكلام: يتم التقابل بالتقسيم بناء علىٰ تصور المتكلم، الذي يتصور في ذهنه تصورا ذهنيا تقابليا ثنائيا أو ثلاثيا أو غير ذلك[2]، وقد ظهر التقابل في البلاغة العربية قديما تحت مظلة علم البديع، وعد من المحسنات البديعية وسمىٰ بالسجع، ويرىٰ البلاغيون أن «الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: الأساس التقابلي في البلاغية العربية مقاربة تأويلية، بازي.

والنفس تميل إليه بالطبع»، وقد اشترطوا أن يكون المعنىٰ تابعا للفظ، قائدا له بلا تكلف[1].

وأما اللسانيون المعاصرون فقد أطلقوا علىٰ التقابل اسم التوازي، وفصلوا في أنواعه، وقد آثرت الدراسة اختيار مصطلح التقابل؛ لأن التقابل وسيلة من وسائل الحجاج، وما هذه التفريعات والأقسام إلا مظهر من مظاهره الشكلية.

أقسام التقابل:

أ: التقابل الثنائي: التقابل الثنائي نوعان أولهما التقابل المتعاكس، وهو تقابل ثنائي قائم علىٰ التضاد[2]، وأطلقوا عليه اسم الثنائيات المتقابلة (contrastive pairs)، وقديما سماه البلاغيون الطباق والتطبيق والتضاد[3].

وأما النوع الثاني من التقابل فيكون علىٰ صورتين: الصورة الأولىٰ: التكرار اللفظي أو المعنوي الذي يشكل أداة حجاجية، فهو يقوم علىٰ إضفاء التماسك النصي، وتنبع قوته من كونه ينشئ في ذهن المتلقي نوعا من الحضور والتخيل للموضوع، وكأنه يعيش في الواقع وعندها يحدث التأثير[4].

(١) انظر: علم المعاني والبيان والبديع، عتيق، ص (٦٣٣).

(٢) انظر: البلاغة والخطاب، مشبال، ص (٢٢٤).

(٣) انظر: علم المعاني والبيان والبديع، عتيق، ص (٤٩٤-٤٩٨).

(٤) انظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، يعمرانن، ص (٢٦).

وقد شغل التكرار الحجاجي العربي تفكير عدد من المستشرقين ومنهم باربرا، الذي يرىٰ بأن العرض اللغوي للدعاوىٰ الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات متناغمة، هو أحد الوسائل الحجاجية، ويسميها باستراتيجية الإقناع بالتكرير وبالصياغة الموازية[1].

الصورة الثانية: تقوم علىٰ تعديد أجزاء أو أقسام وهو ما يعرف قديما بالتقسيم والتعديد.

وباستقراء الخطبة يتبين ما يأتي (جدول رقم ٤ و٥):

- شيوع التقابل الثنائي علىٰ مستوىٰ اللفظ والتركيب وغلبته علىٰ التقابل الثلاثي والرباعي، وكثرة الثنائيات وغلبتها علىٰ أسلوب الخطيب الذي يحدث في النص انسجاما في الإيقاع[2]، وبخاصة إذا ما كان بين تلك الثنائيات تناسبا صوتيا علىٰ مستوىٰ اللفظة أو التركيب، وهو غالب في الخطبة.

- قلة التقابل الثنائي لفظيا وتركيبيا القائم علىٰ التضاد، وغلبة الترادف والتعديد والتقسيم علىٰ الثنائيات، فالخطيب يجنح لها كثيرا لتأكيد المعنىٰ أو استيفاء أجزائه وهذه إحدىٰ أهم الأدوات الفاعلة في صبغ الخطبة بصبغة حجاجية.

(١) انظر: التكرار في الدراسات الحجاجية، محفوظي.

(٢) انظر: المرجع السابق.

ب: التقابل الثلاثي: كثيرا ما يعمد الخطيب لاستخدام ثلاث جمل متوالية تكون بينها روابط معنوية ولفظية، ويرىٰ أتكينسون أن القوائم الثلاثية هي الأكثر شيوعا، وهي توحي بالاكتمال والوحدة، كما أن التكرار اللفظي والتقطيع المتوازي للجمل، يعمل علىٰ تقوية الإيقاع الصوتي، مما يقوي المعنىٰ ويجعله مؤثرا[1]، وقد عني البلاغيون قديما وحديثا بهذا النوع البلاغي، ففصلوا في السجع؛ بل أشار البلاغيون إلىٰ التناسب بين الثلاثيات، فجعلوا أفضل السجع ما كان متساويا في مقداره، أو كانت الجملة الأولىٰ أقل طولا من الثانية، والثانية أقل طولا من الثالثة، واستشهدوا بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر والنثر، كما خصصوا فصلا للتقسيم وعدوه فنا بديعيا معنويا بخلاف السجع، وهو يقوم علىٰ استيفاء أقسام أمر ما، بحيث لا يبقىٰ شيء منه[2]، وهذا يتسق مع أراء أتكينسون في الثلاثيات وسماتها[3]. وقد تبين من خلال النماذج في الجدول رقم (٦ و٧) ما يأتي:

- قلة الرباعيات علىٰ مستوىٰ اللفظة والتركيب.

- توالي الحجج أو النتائج بشكل ثلاثي متدرج، فالأولىٰ أقصر من الثانية، والثانية أقصر من الثالثة، علىٰ الهيئة المستحسنة من البلاغيين القدماء

(١) انظر: البلاغة والخطاب، مشبال، ص (٢١٨).

(٢) انظر: علم المعاني والبيان والبديع، عتيق، ص (٦٣٨/ ٥٥٥).

(٣) انظر: البلاغة والخطاب، مشبال، ص (٢١٨).

ومن الحجاجيين المحدثين.

- غلبة التقسيم التدرجي الذي يبدأ من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ مشكلا سلما حجاجيا تصاعديا، بخلاف التنازلي فهو قليل في الثلاثيات والرباعيات.

- وجود التعديد وهو فن قديم يقوم علىٰ تعديد الصفات بلا فاصل وبلا أداة عطف، وهو من لوازم الحجاج، فالخطيب حين يعدد ثلاث صفات أو أكثر بلا فاصل وبلا أداة ربط، يعطي السامع حجة مقنعة بتتابع الأوصاف وإثارة الانتباه.

وبهذا يتضح أن التقابل سمة من سمات الحجاج عند الشيخ سعود الشريم، سواء أكان تقابلا بالصورة، أو بالشواهد، أو بالثنائيات والثلاثيات، مما يعكس عقلية منظمة تعتمد علىٰ تصور ذهني واضح.

ثانيًا: الحجاج بالإطناب (التفسير والتعريف):

«الإطناب هو استفاضة وإسهاب، وبسط وتفصيل، وتقص لأجزاء المراد»، ومن أغراضه تأكيد المعنىٰ، وإيضاحه، والإحاطة بكل جوانبه، بحيث تغلق منافذ الالتباس، وعدم الفهم[1]، فتحقيق الإقناع لدىٰ المتلقين يحتم علىٰ المرسل - في كثير من الأحيان - تعريف القضية التي يدور حولها النص، والتعريف هنا - ليس التعريف العلمي - أي الحد المانع الجامع كما يعرف

(١) انظر: نحو المعاني، الجواري، ص (١٦٩).

عنه؛ وإنما هو تعريف خطابي يناسب النص، وقد يكون التعريف في بعض الموضوعات محتاجا لتفسيرات تدفع الفهم الخاطئ عن ذهن المتلقين، وتجيب عن استفهامات قد ترد على الطرف الآخر[1].

ومن النماذج الكثيرة الواردة في خطب الشريم تعريفه للحرية حيث يقول: «ولكن الحرية الحقة - عباد الله - دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على تحمل المشاق....» فهذا التعريف ليس تعريفا علميا قد اصطلح عليه؛ ولكنه تعريف يطرحه المرسل في لغة حجاجية مستفيضة، ومع التعريف يأتي التفسير الذي يدفع الفهم القاصر فيقول: فحسبها (الحرية) بعضهم في اللهث وراء الدنيا بزينتها وزخرفها.../ مفهوم الحرية عنده إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب.../ الحرية أن تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء...

فهذه مفاهيم مغلوطة عن الحرية جاهلية التصور، ولذا يسوق المرسل التفسير الصحيح للحرية فيقول: إن من أساسيات الحرية أن يؤدي المرء حق الله على ما أراد وأن يؤدي حق العباد وفق ما شرع الله/ لا حرية مطلقة في المال/ لا حرية مطلقة في النفس/ لا حرية مطلقة في الدين/ الحرية ترابط بين أفراد المجتمع.

(١) انظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، يعمرانن، ص (٢٩).

وتتعدد طرائق الخطيب الشريم في استخدامه التفسير والتعريف، بحسب غموض المفاهيم أو وضوحها، ولذا لحظت الدراسة أن التعريف والتفسير أخذ حيزا كبيرا من الخطاب في موضوع الحرية؛ لكونه موضوعا شائكا محفوفا بالمفاهيم المغلوطة، التي تحتاج لتصحيح وتغيير، كما أن التقابل الثلاثي التركيبي قد ظهر فيه وجود جمل تفسر جملا سابقة لها، وهو نوع من أنواع الإطناب.

ثالثًا: أساليب الخبر والإنشاء ونظرية الأفعال الكلامية:

لقد عني علماء البلاغة قديما وحديثا بمراد الباث ومقصده بعد النظر في شكل اللغة أو الأسلوب المستخدم في الكلام، ويسمىٰ بالمقام، فقسموا الكلام إلىٰ الخبر والإنشاء، ثم فصلوا أكثر فجعلوا الخبر ثلاثة أنواع، خبر ابتدائي، وخبر طلبي، وخبر إنكاري وفقا للمقام، كما قسموا الأساليب الإنشائية إلىٰ أقسام، كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتعجب، وغيرها وفقا للشكل التركيبي للجملة، ثم قسموا الإنشاء إلىٰ قسمين، طلبي وغير طلبي، فكان الاستفهام حقيقيا تارة، وإنكاريا تارة، وتعجبا تارة أخرىٰ، وغيرها كثير.

وبهذا لم تكن وظيفة اللغة عند البلاغيين العرب مجرد وظيفة إعلامية وإبلاغية بالمضمون؛ بل هناك وظائف أخرىٰ، وهذا قريب من وظيفة اللغة في نظرية الأفعال الكلامية، فالفعل الكلامي هو «إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل، وذلك من أجل صناعة

مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، ومن ثم التأثير على المتلقي عن طريق حمله على فعل ما أو تركه»[1].

والأفعال الكلامية تحقق وظيفة حجاجية؛ لأنها توحي بالتخاطب والتحاور، وتعكس التفاعل بين شخصين، كما أنها تؤدي إلى استقصاء دقائق الموضوع، مما يشكل تصورا شموليا يتبعه اقتناع المتلقين وتغيرهم[2]، وإحساسهم بالاحترام والتقدير والحرية المرهونة بالعقل، ومن خلال استقراء الخطبة نلحظ ما يأتي:

- غلبة الأسلوب الخبري، ويعود ذلك لموضوع الخطبة، فهو موضوع يحتاج لبيان وتفصيل وخبر، يعتمد فيه الأسلوب على الخبر لا على الإنشاء، فتشيع فيه الجمل الاسمية، التي تعبر عن الحقائق الثابتة في وضوح وبيان.

- ارتباط الأساليب الطلبية بالدعاء، فالخطبة الدينية تتطلب وجود الدعاء بشكل مكثف، مما أدى إلى شيوع الأساليب الطلبية بصيغة الأمر، أو بصيغة الخبر، المقصود به الدعاء، مقرونة بالنداء (اللهم وربنا).

- ارتباط الأساليب الخبرية المقصود بها الوعظ، والإرشاد، وما جرى في فلكها؛ لكونها الأساس في الخطابة الدينية.

---

(١) انظر: الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، لعور، ص (٥٦).

(٢) انظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، مدقن، ص (١٥٥).

وخلاصة القول: إن الأساليب الإنشائية والخبرية قد برزت في الخطبة المدروسة، واستخدمت بشكل مباشر، متناسبة مع طبيعة الخطبة، المائلة للسهولة، واليسر، والمباشرة.

رابعًا: الحجاج بالتعليل:

التعليل أسلوب حجاجي، يعتمد علىٰ علاقة العلية أو ما يسمىٰ بالمنطق التعليلي، ومن أبرز أدواته: لام التعليل التي تلحق بالفعل، وكي، ولأن، وإذ، والسبب، وحتىٰ، ومن أجل، ولئلا، ولكي، وكيما، وكيلا، وكل ما دل علىٰ التبرير والتعليل، وتقوم هذه الأدوات بالوظيفة التعليلية التبريرية، وفي الوقت ذاته تقوم بالربط بين الحجة والنتيجة، فتكون روابط حجاجية، ويندرج استخدام الشرط الصريح والمضمر تحت مظلة التعليل[1]، فالشرط يقود المتلقي إلىٰ صياغة الجواب بطريقة حتمية، لأنه يقوم علىٰ التلازم بين فعل الشرط وجوابه، كما أن فعل الشرط يتضمن مؤشرات لغوية توجه المتلقي إلىٰ جهة الجواب المرغوب فيه[2]، مما يجعل المتلقي يستشعر حرية التفكير واستقلالية القرار، وباستقراء الخطبة (جدول رقم٨) نلحظ بعض السمات الآتية:

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، (١/ ٨٢).

(٢) انظر: الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء نموذجا)، درنوني، الفصل الثالث.

- غلبة الأسلوب الشرطي علىٰ أسلوب التعليل.
- غلبة التعليل بحرف اللام، وهو أسلوب شائع.
- غلبة الحجج الجاهزة في التعليل، وبخاصة الآيات والأحاديث.

خامسًا: القصر أو التخصيص:

يعرف القصر بأنه تخصيص أمر بأمر مخصوص، وله عدة صور: القصر بـ(إنما)، والقصر بـ(ما وإلا)، والقصر بتقديم ما حقه التأخير، والقصر بـ(لا) و(لكن) و(بل)[1]. وقد عني به البلاغيون والمفسرون ففرقوا بين استخدام (إنما) واستخدام (ما وإلا) فالأولىٰ تستخدم للأمر الذي يعلمه المتلقي ولا ينكره، والثانية تستخدم للأمر الذي يجهله المتلقي وينكره؛ إلا أن للغة العربية طاقة تعبيرية خاصة فالعلم بالشيء وعدم العمل به يعد جهلا، فيقوم الباث بإنزال العالم أحيانا منزلة الجاهل، كما يمكن أن ينزل الجاهل منزلة العالم، لتأكيد المعنىٰ وقطع المتلقي عن التشكك في الأمر، وعرضه علىٰ أنه حقيقة لا تقبل الجدل، وبذا يتشكل الحجاج، ولذلك اشترط القدماء لاستخدام التقديم وسيلة للقصر شروطا؛ تعتمد أساسا علىٰ الموقف اللغوي الذي ينظر إلىٰ المتلقي والسياق والباث جميعا، وإجمالا فإن أسلوب القصر يراد به تنبيه المتلقي إلىٰ المعنىٰ، سواء أكان جاهلا حقيقة أو في منزلة الجاهل فيوجد

(١) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، عباس، ص (٣٥٨-٣٧٢).

اعتراضا واحتجاجا[1].

ويرىٰ المحدثون أن القصر يقوم بدور حجاجي في النص؛ حيث يحصر الإمكانيات ويقيدها عن طريق النفي، أو استخدام أدوات القصر، وهي تختلف عن الروابط التي سيتم الحديث عنها في المبحث التالي، لأن الروابط تربط بين الحجة والنتيجة أو بين نتيجتين أو حجتين أو أكثر، وأما القصر فيحصر ويقيد مما يكسبه قوة حجاجية في النص؛ بل إن القصر يكسب النص قوة حجاجية؛ لأنه يصبح مسلما به وغير محتاج إلىٰ حجة تثبته[2]. ومن خلال استقراء الخطبة نلحظ ما يأتي (جدول رقم ٩):

- تعدد أساليب القصر والتخصيص وتنوعها؛ إلا أنها لم تكن كثيرة في الخطبة.

- غلبة التخصيص بالتقديم علىٰ هذه الأساليب، وهو أبسط تركيبا من القصر بالاستثناء.

وخلاصة القول أن التخصيص بالقصر أو بالتقديم أسلوب حجاجي، لم تخل منه الخطبة المدروسة لأهميته ودوره في بناء الحجج والتأثير علىٰ المتلقين، كما يتضح مما سبق ميل الخطيب نحو الأساليب البسيطة غير

(١) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، عباس، ص (٣٥٨-٣٧٢).

(٢) انظر: اللغة والحجاج، العزاوي، ص (٢٧).

المتكلفة، التي تمليها طبيعة الموضوع والمقام والسياق، من تقابل وإطناب وأساليب خبرية وإنشائية وتعليل وقصر وتخصيص.

* * *

المبحث الثاني
(الأدوات شبه المنطقية: السلم الحجاجي)

السلم الحجاجي هو «فئة حجاجية موجهة»[1]، أو هو «علاقة تراتيبية للحجج تحدد بموجباتها مراتب القولات ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجية»[2]. ومعنىٰ ذلك أن النص اللغوي يتشكل من وحدات لغوية حجاجية، ترتبط ببعضها بروابط حجاجية، ولما كانت الحجج قد تتعدد، وتتعارض، وتتساوق كان لكل فئة حيز خاص، يمكن أن نطلق عليه السلم الحجاجي، الذي يربط المجموعة، ثم تنتظم تلك المجموعات في الخطاب اللغوي.

ويعود الفضل - بعد الله - في تقنين السلم الحجاجي لديكرو، إلا أن اللغويين العرب القدماء والأصوليين قد تمثلوا في وعيهم السلم الحجاجي، فقد صنفوا الأحكام في سلم، فجعلوا الواجب والحرام في طرفي السلم، ويتوسطهما المندوب والمكروه، وبينهما المباح[3].

(١) اللغة والحجاج، العزاوي، ص (٦٠).

(٢) الاستدلال الحجاجي والتداولي، الرقبي، ص (٩٦).

(٣) انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن، ص (١٠٦).

وللسلالم الحجاجية خصوصيتها حيث إن المتكلمين يختلفون في بناء منظومة السلالم الحجاجية، فهي تعكس طريقتهم في التفكير[1]، كما أنها تستمد قوتها التأثيرية من ترتيبها، حيث تسير عادة في اتجاه تصاعدي مع وجود تلك العلاقة المنطقية بينها[2]. وللتعرف علىٰ السلم الحجاجي في الخطبة، يتوجب الحديث عن عدة عناصر هي:

أولاً: الروابط الحجاجية:

وهي «وحدة مورفولوجية تصل بين ملفوظين، أو أكثر، جرىٰ سوقهما في إطار استراتيجية واحدة»[3]، وتكمن أهمية هذه الروابط بكونها إشارات موجهة لاستراتيجيات الخطاب، ولها أهمية في اقتناص المتلقي وشد انتباهه[4]، كما أنها تبين ترتيب الحجج وفق قوتها وضعفها.

وإضافة لذلك فالروابط الحجاجية عنصر من عناصر اللغة الطبيعية، ولها وظائفها المعنوية، التي لا تقوم النصوص إلا بها.

وتنقسم الروابط إلىٰ قسمين، القسم الأول يربط بين القولات، أي بين الحجة والنتيجة أو بين حجتين أو أكثر، ومنها أدوات الاستئناف (الواو والفاء

(١) انظر: آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الإبراهيمي.

(٢) انظر: اللغة والحجاج، العزاوي، ص (١٦٠-١٠٧).

(٣) الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء نموذجا)، درنوني، ص (٢٣٤).

(٤) انظر: الحجاج منطلقاته وتقنياته ومفاهيمه. السومري.

وثم) ولكن وحتىٰ وبل، وأما القسم الثاني فيسمىٰ العوامل، وهو يعمل داخل القولة نفسها، مثل أدوات القصر والنفي ومنذ وتقريبا وعلىٰ الأقل، وكل ما جرىٰ مجراها[1].

وتجدر الإشارة إلىٰ أن الحجاج يختلف عن الفلسفة بكون الثاني يتميز بالتصريح بالحجة والنتيجة؛ ولذا تظهر الروابط الحجاجية بشكل مباشر، أما الحجاج ففيه الحجة المضمرة والنتيجة غير المباشرة، مما يؤدي إلىٰ إضمار الحجة أو النتيجة وفق السياق، وبإضمارها يضمر الرابط الحجاجي معها.

وقد خلص أبو بكر العزاوي إلىٰ أن القول الاستعاري يتميز بعدم ورود رابط من روابط التعارض الحجاجي بعده مثل لكن وبل، لأنه لا يرد بتاتا في سياق الإبطال أو التعارض الحجاجي، وكأنه حقيقة مؤكدة قد فرغ منها[2].

وتتعدد أنواع الروابط وأقسامها، فهناك الروابط التي تدرج الحجج، وتنقسم إلىٰ روابط ضعيفة وروابط قوية وفق قوة الحجة أو ضعفها، كما تنقسم من حيث الوظيفة إلىٰ روابط للتعارض الحجاجي وروابط للتساوق الحجاجي، والروابط قد تنظم تنظيما مكانيا أو زمانيا أو عدديا. وباستقراء النص (جدول رقم ١٠) نلحظ ما يأتي:

(١) انظر: الاستدلال الحجاجي والتداولي، الرقبي، ص (١٠٣).

(٢) انظر: اللغة والحجاج، العزاوي، ص (١٦٠-١٠٧).

- كثرة استخدام أدوات الاستئناف المعروفة (الواو وثم والفاء) في الربط الحجاجي، فهي تربط بين الحجة والنتيجة المنطقية المتساوقة مع الحجة، أو تربط بين حجتين متساوقتين أو أكثر.

- ورود (بل) في مواضع كثيرة للتساوق وللتعارض، والوضع الطبيعي أن تكون النتيجة تابعة للحجة متساوقة معها، إلا أن بعض الحجج تتخذ طابعا مختلفا، فتكون النتيجة متعارضة مع الحجة، فتثير الانتباه والشعور وتدهش المتلقي، وتعد النتيجة أو الحجة التي تأتي بعد (لكن) هي الأقوى في السلم الحجاجي.

- ترد (لكن) في سياق تصحيح بعض المفاهيم والمصطلحات، وقد تأتي (بل) بمعناها ولكن في مواضع قليلة.

ثانيـاً: أنواع السلالم الحجاجية:

وباستقراء الخطبة المدروسة يظهر نوعان من السلالم الحجاجية، وهما: السلم التصاعدي، والسلم التنازلي.

أولاً: السلم التصاعدي: وهو السلم الذي يتكون من عدة حجج، تبدأ بالحجة الأولية، ثم ما ينتج عنها، وهكذا دواليك، في اتجاه صاعد نحو النتيجة، وهذا النوع هو الوضع الأساسي للسلم الحجاجي، ومن صورها قول الخطيب: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ ﴾ (البقرة:٢٢٩)، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ ﴾ (الطلاق:١)، ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ (النساء: ١٣ - ١٤).

فقد ساق الخطيب ثلاث آيات قرآنية، فالأولىٰ تنهىٰ عن تعدي حدود الله، والحجة أن المتعدي لحدود الله ظالم لنفسه، ثم يسوق الحجة الأقوىٰ وهي أن المعتدي يدخل النار.

ومن السلالم الحجاجية السلم الذي ساقه الخطيب لإثبات النتيجة المقدمة، وهي «ألا فليتق الله أولئك الظالمون المتهورون»، وساق الحجج المتوالية الآتية: يصوبون فوهات بنادقهم وأسلحتهم إلىٰ صدور إخوانهم وبني مجتمعهم. / يقتلون ويسرفون في القتل. / يرتكبون أبشع الجرائم والمجازر.

فهذه الحجج تبدأ بالأدنىٰ وهو التهديد ثم القتل والإسراف ثم المجازر والجرائم.

ثانيًا: السلم التنازلي: ومن أبرز أمثلته استخدام صيغة المبالغة، فهي تبرز الحجة الأقوىٰ، ثم تدل دلالة ضمنية غير مباشرة علىٰ الحجج الأدنىٰ.

وقد غلب علىٰ الخطب استخدام السلالم الحجاجية القصيرة، لاعتماد الخطب علىٰ الاتصال المباشر بالمخاطبين حيث يستحسن قصر السلم الحجاجي؛ حرصا علىٰ وصول الفكرة، وبخاصة أن المخاطبين جمهور من الناس المختلفين في إدراكهم وتمييزهم، وبهذا التنوع في بناء السلالم

الحجاجية يتميز أسلوب الخطيب، فينعكس علىٰ الخطاب، مكسبا إياه القوة والقدرة علىٰ التأثير علىٰ المتلقين، كما يعكس ذاتية الباث وطريقة تفكيره.

* * *

المبحث الثالث
(المسار الحجاجي)

أولاً: البناء الحجاجي للخطبة:

يجدر بالدراسة أن تعرض البناء الحجاجي الكلي للخطبة المدروسة، وتقسيمها إلىٰ عدة أجزاء، واستكشاف العلاقات التي تربط كل جزء بما حوله، ففي الخطبة الأولىٰ يمكن حصر الأفكار الرئيسة فيها علىٰ النحو الآتي:

المقدمة (التحميد، التشهد، الصلاة علىٰ النبي محمد ﷺ والأمر بالتقوىٰ) / المدخل الفكري (التذكير بنعمة الإسلام) / بناء التصورات (أهمية الحرية في حياة الفرد) / دور الشريعة الإسلامية في حفظ الحريات بضوابطها وقيودها وأنها مبنية علىٰ العدل والرحمة/ وسطية الإسلام في السمو بالإنسان/ أسباب وضع الشريعة في الحياة البشرية/ التخبط في فهم معنىٰ الحرية / تصحيح مفهوم الحرية وأساسياتها / ارتباط حرية الفرد بالحدود والعقوبات الشرعية وقياس الحرية الحقة / خلاصة لمفهوم الحرية / الحرية تكفل العدالة الاجتماعية بين الناس / خاتمة الخطبة (الأمر باتقاء الحدود الشرعية والدعاء والاستغفار).

وفي الخطبة الثانية: المقدمة (التحميد والصلاة علىٰ النبي ﷺ والأمر

بالتقوىٰ) / أهمية الحفاظ علىٰ حياة الإنسان وحرمة قتل النفس المعصومة / تعظيم أمر القتل / تصوير الظالمين المتهورين القتلة / تصوير مآل القاتل في الدنيا والآخرة / خاتمة الخطبة (الأمر بالتقوىٰ والصلاة علىٰ النبي ﷺ والدعاء والتسبيح والتحميد).

ومن خلال استعراض ما سبق، ومن خلال الجدول الأخير نخلص إلىٰ عدة نتائج:

- التزام الشيخ سعود الشريم بضوابط الخطابة الدينية، فالخطبة الأولىٰ أطول من الثانية، ومقدمة الأولىٰ أطول من مقدمة الثانية، في حين تطول خاتمة الثانية باشتمالها علىٰ الدعاء، وكل هذه من آداب الخطبة في الإسلام.

- تحول تركيز الخطبة الثانية إلىٰ قتل النفس المعصومة، وكانت الخطبة الأولىٰ قد ارتكزت علىٰ مفهوم الحرية في الإسلام، وهذا يوحي بأن عنوان الخطبة ليس من وضع الخطيب نفسه؛ بل هو عنوان أطلق عليها من قبل آخرين، ولذا يصعب استخدام العنوان عتبة للدخول للنص، أو جعله عنصرا يعتمد عليه، كما أن الخطب ليست من النصوص التي يوضع لها عناوين عادة، ولكن لخصوصية العصر الحديث، واعتماده علىٰ الإعلام بشكل كبير، أصبح من الواجب اختيار عنوان مناسب من قبل الخطيب، ليكون مدخلا صادقا للخطبة، ولذا فالدراسة لم تعول علىٰ العنوان في تحليل النص ولم تستخدمه.

- بدا ترتيب الأفكار وترابطها منطقيا نوعا ما، عدا الجزء الخاص

بتحديد مفهوم الحرية، وقد يكون السبب في ذلك انفعال الخطيب، ومحاولاته المختلفة لإقناع المخاطبين بمعنىٰ الحرية الصحيح، وقد انطلق من مفهوم أن العبودية لله هي الحرية الحقيقية، وهذا المفهوم الذي يعتمد علىٰ الجمع بين النقيضين يحتاج لحجاج قوي، فهو كمن ينتقل من أدنىٰ السلم إلىٰ أعلاه في المفهوم، وهذا يعكس فيما يظهر عمق التفكير، وسعة نظر الخطيب وعمق تجربته، وعندما يكون الحجاج علىٰ هذه الصورة يحدث للنص الحجاجي تخلخل في الشكل الظاهر.

- استخدم الخطيب الحجج الجاهزة، أو الشواهد المباشرة بطريقة واحدة، وهي أن تكون تالية للقضية المطروحة أو للنتيجة المرجوة، مستخدما التعليل المباشر في اللام (لأن الله يقول...)، والجملة الخبرية (وقد قال...)، والفاء نحو (فالنبي ﷺ يقول:...).

- بين المسار الحجاجي للأفكار كثرة الشواهد، وتنوعها، وهذا ينطلق من أرضية مشتركة بين الخطيب وجمهوره، الذي يعظم النصوص الشرعية، وأقوال العلماء، والتابعين.

ثانياً: استراتيجية الحجاج:

احتلت استراتيجية الحجاج في العصر الحديث مكانة مهمة، وبخاصة حينما يستهدف الخطاب مجتمعا كبيرا متنوعا، فاختلاف المتلقين، وتعددهم، وتنوع مستوياتهم الثقافية، والعقلية، والاجتماعية، والوجدانية، يفرض اختيار

طرق متعددة واستراتيجيات ذكية، ويمكن تعريف الاستراتيجية الحجاجية أو المسار الحجاجي بأنه «فن توزيع مختلف الوسائل الحجاجية، واستخدامها لتحقيق الإقناع عبر مراحل متدرجة، زمنيا ومنطقيا»[1]. وإذا كانت أنواع الحجاج قد تتشابه في بعض النصوص، أو تتماثل؛ فإن لكل مساره الحجاجي الخاص، الذي يتأثر بقدرات المتكلم، والسياق النفسي، والاجتماعي للمتلقين، ويحقق تفرده من خلال عرض تلك الحجج، وتنظيمها، وتماسكها، والملائمة بين النص والسياق[2].

وفي الخطبة المدروسة يصبح الخطيب ذا سلطة قوية تتمثل في وجوب الإنصات من المتلقين، وهذا الإنصات واجب شرعي، وإذا تحقق الإنصات كان حريا بالخطيب أن ينال فرصة العرض، والتوضيح، والتبيين، وأخذ مساحة واسعة لطرح الحجج، والبراهين، والاستنتاج، والاستدلال، والاستشهاد، كما يمثل المكان دورا بارزا في منح المرسل سلطة قوية، فالمسجد الحرام وما يمثله في قلوب المسلمين من مكانة يعطي الخطيب علىٰ منبره قدرا عاليا من السلطة، كما أن الخطيب ليس شخصا عابرا؛ بل هو إمام المسجد الحرام يؤمهم في بعض الصلوات يوميا مما يكسبه هيبة وقوة.

(١) دروس الحجاج الفلسفي، أبو الزهراء، ص (١٢).

(٢) انظر: الحجاج في الخطب النبوية، الغامدي، ص (٢٨٧).

وكان العلماء المسلمون القدماء قد فصلوا في الحديث عن قواعد التخاطب، ومن تلك القواعد قاعدة الإخلاص، التي تتفق مع مبدأ التأدب، الذي فصلته لاكوف، وجعلته مشتملا على ثلاث قواعد، هي: التعفف، والتشكك، والتودد[1]. والخطيب يتسم بهذه الصفات في خطبه، فيبتعد عن الطلب الصريح؛ إلا أن يكون طلبا مسلما به من قبل المسلمين، وواجبا شرعيا، صريحا، أو محرما من المحرمات الكبار، وهذا التحرز من الطلب المباشر هو مؤشر على التعفف، الذي سبق ذكره، ولم يقتصر الخطيب على التعفف؛ بل استخدم أسلوب التشكك، ليعطي المخاطب حرية الاختيار، فيقول: (قد قلت ما قلت، إن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان).

ومن قواعد التأدب في التخاطب التي سبق ذكرها التودد، الذي ظهر في التضامن بين المتكلم، والسامعين، وإظهار الصداقة، ومعاملة الند للند، وإن مبدأ التعاون بين المرسل والمتلقي يقتضي من المحاجج شد انتباه المستمع لما يطرحه، ليصل إلى النتيجة المرجوة بعيدا عن لغة الفرض والإجبار[2]، وهذا ما لمسته الدراسة في الخطبة بشكل واضح، وأحيانا يطلق على هذا النوع

(١) انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن، ص (٢٤٠-٢٥٢).

(٢) انظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجا، دحمان، ص (١٠٢-١٠٣).

الاستراتيجية التضامنية، وهي تعني تأسيس علاقة بين المرسل والمخاطب والمحافظة عليها، ومن محاسن هذه الطريقة أنها توحي للمخاطبين بالحرية في الاختيار، مما يحفز علىٰ القبول والتفاعل؛ إلا أنه يشترط فيها الإخلاص[1].

ومن مظاهرها في الخطب ما يأتي:

- المشاركة في الدعاء، يقول: (بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم)، ويقول داعيا بلسان الجماعة: (اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وولاة أمورنا).

- المشاركة في الفعل، يقول: (هذا وصلوا رحمكم الله علىٰ خير البرية) فيأمرهم بالصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم يبدأ بنفسه فيعمل بما يأمرهم به فيقول: (اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك محمد).

ولم يقتصر المرسل علىٰ استخدام الاستراتيجية التضامنية فحسب؛ بل كان لابد من استخدام الاستراتيجية التوجيهية، التي تعد ركيزة الخطابة الدينية في الإسلام، فمن مظاهرها الأمر والنهي المباشرين وغير المباشرين، والخطب تزخر بالأوامر الصريحة والنواهي الواضحة.

ومن الاستراتيجيات الخطابية الأساسية الاستراتيجية الاستمالية، أو الاستثارة العاطفية، والوجدانية، وهي أس الخطابة الدينية في القديم

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص (٢٤٢-٢٨٠).

والحديث، وقد وقف بعض الحجاجيين موقفا سلبيا من العواطف، وعدوها من المغالطات في الحجاج؛ إلا أن ميخائيل جيلبار كتب مقالة عام ٢٠٠٤م يعيد فيها للعواطف مكانتها من الحجاج، مستدلا على ذلك بأن العواطف تحتل جزءا كبيرا من التواصل البشري، ولذا لا يمكن تجاهلها أو إقصاؤها من الحجاج الدائر بين الناس[1]. والخطبة المدروسة تتجلى فيها الاستثارة الوجدانية بشكل يتناسب مع إيقاع العصر، فالعاطفة تبلغ ذروتها في بعض المواضع التي تستحق الانفعال، ولكنه انفعال كاف مناسب ومقبول، ومن نماذج الاستثارة العاطفية الجمع بين وسيلتين حجاجيتين أو أكثر، يقول: (تالله وبالله فإن هذا لهو البوار والخسران)، فجمع بين القسم في لفظتين مع إن واللام، فدل ذلك على شدة الانفعال، ومحاولة تشنيع جريمة القتل، وتقبيحها.

ومن نماذج الاستثارة الوجدانية اعتراض الجمل بالنداء، أو الدعاء، وذلك يحدث أثرا انفعاليا مثل قوله: (فاتقوا الله – عباد الله – واعلموا أن حفظ بنيان المسلم من أعظم المصالح)، فالأمر بالتقوى مع التذكير بالعبودية يحدث استمالة للسامعين، واحتجاجا ضمنيا.

ومن نماذج الاستثارة الوجدانية قلة استخدام السلم التصاعدي، فمن المنطقي البدء بالحجة الأدنى وصولا للحجة الأعلى، ولكن عندما يبدأ

(١) انظر: منزلة العواطف في نظريات الحجاج، عبيد، ص (٢٥٥-٢٥٧).

الخطيب بالحجة الأعلىٰ فهذا يدل عادة علىٰ ثوران العاطفة، وحماس المتحدث عن القضية المطروحة، يقول: (فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، فبدأ بالحجة الأعلىٰ وهي معرفة الله بإشارات العين التي تعتمد علىٰ الخيانة، وهي أمر واضح دال علىٰ ما دونه من مشاعر تخفيها الصدور، فبدأ به ثم ثنىٰ بمعرفة الله ﷻ وعلمه بما تخفيه الصدور من مشاعر، وأسرار، ونوايا، وغيرها.

ومن نماذج الاستثارة الوجدانية تحسين الأطروحة التي يسعىٰ الخطيب لاستمالة المتلقين إليها، فحين يساوي بين الحرية والعبودية يجمع بين شيئين بعيدين، ثم يحسن العبودية والحرية فيقول: (الحرية رضا بالله وبالإسلام وبمحمد ﷺ وقناعة وثقة واستمداد العون....).

وبهذه النماذج يتضح دور الاستمالة العاطفية، والاستثارة الوجدانية في استراتيجية الخطبة، واعتمادها علىٰ الجمع بين وسيلتين حجاجيتين فأكثر، والاعتراض بالنداء أو الدعاء، واستخدام السلم الحجاجي التنازلي، وتحسين الأطروحة وتجميلها، فهذه الاستراتيجيات المتعددة تآزرت لتصبغ خطب الشيخ سعود الشريم بصبغة حجاجية، تكفل الإقناع للمتلقين والتأثير عليهم تأثيرا عقليا ومنطقيا.

* * *

الخاتمة

وبعد فإن من أهم نتائج الدراسة ما يأتي:

١ - يمثل توالي الاستشهادات سمة لازمة للشيخ سعود الشريم، وهو استخدام حجاجي يؤدي إلىٰ الإقناع، وليس مجرد زينة لفظية أو استعراض للمحفوظ من النصوص.

٢ - قلة الأوامر المباشرة في الخطبة، وذلك تأدبا مع المخاطبين واحتراما لحرياتهم، ولإعطائهم الحرية العقلية في اختيار ما يريدون؛ غير أنه عندما يكون الفعل المنهي عنه أو المأمور به من أساسيات الدين ومن المتفق عليها، التي يعظم أجرها أو وزرها فإنه يستخدم الطلب المباشر المؤكد المكرر المقترن بالنداء أو القسم.

٣ - برز تودد الخطيب للمتلقين والتعاون معهم وإظهار المشاركة، سواء في الطلب أو الخبر أو الدعاء، وهذا التودد من أصول التأدب في الحجاج.

٤ - لم تخل خطب الشيخ سعود الشريم من الحجاج العاطفي، فالاستثارة الوجدانية من خصائص الخطب، وهذه الاستثارة التزمت بمعايير كالمقبولية والمناسبة والكفاية.

وانطلاقا من هذه النتائج توصي الدراسة بما يأتي:

- إدخال الحجاج في مقررات التدريس العام، لصقل قدرات الطلاب الحجاجية، وتوجيههم نحو بناء نصوصهم، وحواراتهم بناء حجاجيا منطقيا، وهي تجربة رائدة لدول المغرب العربي.

- توجيه الباحثين نحو الدراسات الحجاجية، التي يمكن أن تسخر لتحقيق الحوار المجتمعي الناجح.

- تأسيس مراكز للتدريب علىٰ الأساليب الحجاجية للخطباء، والقادة، والأدباء، والإعلاميين، وشرائح المجتمع كافة.

وأخيرا أسأل الله القبول والتوفيق، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المصطفىٰ الهادي الأمين، وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

الجداول

* جدول رقم (١) التقابل بالصورة:

م	الحقيقة	الصورة	العلاقة والنوع
١	الإنسان بلا قانون الشريعة الإسلامية	كالكرة التي تتخطفها مضارب اللاعبين	تشبيه ويعكس حالة الضياع والتخبط بلا شريعة تكفل الحقوق والواجبات في المجتمع.
٢	القيود الشديدة التي تمنع الإنسان من الحرية	فلم يضع في عنقه غلا (أي قيدا من حديد أو جلد)	استعارة حيث استعار الغل في العنق للقيود التي تمنع الإنسان من الحرية بشكل كبير ومؤلم وحيواني.
٣	القيود الشديدة التي تمنع الإنسان من الحرية	ولا في رجله قيدا	استعارة حيث استعار القيد في الرجل للقيود والحدود الشديدة التي تمنع الإنسان من الحرية بشكل كبير ومؤلم وحيواني.
٤	إن لم تظلم ظلمك الناس	إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب	تشبيه تمثيلي حيث شبه الإنسان بالذئب الذي لو لم يأكل ابتداء صار مأكولا من الذئاب الأخرى.
٥	إن لم تبدأ بظلم الناس فسيظلمونك	إن لم تتغد بزيد تعشى بك	تشبيه تمثيلي حيث يتم الصورة السابقة، فهو إن لم يتغد بزيد من

م	الحقيقة	الصورة	العلاقة والنوع
	فيما بعد		الناس فسيكون عشاء وهذه تتمة للتشبيه السابق.
٦	تتكلم فيمن تشاء دون قيود	وتتكلم فيمن تشاء دون زمام ولا خطام	استعارة حيث استعار الزمام والخطام وهما خيطان يشدان علىٰ الحيوان لقيادته للحدود والقيود في الكلام.
٧	من أدرك وعاش نعيم الإيمان أدرك نعيم الحرية	من ذاق طعم الإيمان ذاق طعم الحرية	استعارة حيث شبه الإيمان والحرية بالشيء الذي يؤكل وحذف المشبه به وأتىٰ بشيء من لوازمه وهو الطعم، وهي استعارة مأخوذة من حديث «ذاق طعم الإيمان من.....»
٨	من أراد أن يحكم حدود الحرية فليستمع لقول النبي ﷺ....	من أراد أن يحسن سياج الحرية فليستمع إلىٰ قول النبي ﷺ...	استعارة حيث شبه الحرية بالمكان الذي يوضع حوله سياج لصيانته وضبط حدوده.
٩	بعيدا عن معاني المقاييس الدنيوية المادية وشرورها	بعيدا عن معاني الدينار والدرهم وحمامهما	استعارة حيث استعار معاني الدينار والدرهم وحمامهما للمقاييس المادية البشرية الخالصة.
١٠	ليرفع الإنسان	ليرفع بذلك الشيء	كناية عن إنزال كل إنسان في منزلته

م	الحقيقة	الصورة	العلاقة والنوع
	النفيس ويخفض الإنسان الخسيس	النفيس ويخفض الشيء الخسيس	التي يستحقها، حيث كنىٰ بالشيء عن الإنسان.
١١	لا أن يبرز الإنسان الطالح ويخفىٰ الإنسان الصالح	لا أن يطفو الخشاش والحشاش ويسفل الدر والجوهر	كناية تتم أو تؤكد ما سبق فقد كنىٰ عن الإنسان الصالح بالدر والجوهر وكنىٰ عن الإنسان الطالح بالخشاش والحشاش.
١٢	حفظ حياة المسلم من أعظم المصالح...	حفظ بنيان المسلم من أعظم المصالح... وقتل النفس المحرمة جزء من ذلكم	استعارة حيث شبه حياة المسلم بالبنيان المادي المحسوس، وقتل النفس جزء من انتهاك هذا البنيان.
١٣	أخذ الإنسان من متع الحياة بلا حساب	شرب الهيم من الماء بلا حساب	تشبيه بين صورتين متقابلتين تثير الاشمئزاز.

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٢) التقابل بالحجج الظاهرة:

م	الحجة الظاهرة	نوعها
١	قوله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا.....) رواه مسلم	حديث نبوي
٢	قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون آية ١١٥	قرآن كريم
٣	يقول الشاطبي: (اتفقت الأمة علىٰ أن الشريعة وضعت للمحافظة علىٰ الضرورات الخمس، وهي.....	أثر
٤	قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ سورة المائدة آية ٣	قرآن كريم
٥	قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ سورة النحل آية ١١٦	قرآن كريم
٦	قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ سورة آل عمران آية ٨٥	قرآن كريم
٧	قوله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث....) رواه مسلم	حديث نبوي
٨	قوله ﷺ: (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها....) رواه الدار قطني وغيره	حديث نبوي
٩	فإن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا منحرفين ولا متماوتين، وكانوا ينشدون الأشعار.....) رواه البخاري	حديث نبوي

م	الحجة الظاهرة	نوعها
١٠	قوله تعالىٰ: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ ﴾ سورة البقرة آية ٢٢٩	قرآن كريم
١١	قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ سورة الطلاق آية ١	قرآن كريم
١٢	قوله تعالىٰ: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾ ... ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا﴾ سورة النساء آية ١٣-١٤	قرآن كريم
١٣	قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك)	أثر
١٤	قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا ﴾ سورة النساء آية ٩٣	قرآن كريم
١٥	قوله ﷺ: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم). رواه الترمذي	حديث نبوي
١٦	قوله ﷺ: (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار) رواه الترمذي وصححه الألباني	حديث نبوي
١٧	قوله ﷺ: (يجيء المقتول يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه تشخب أوداجه في قبل عرش الرحمن يقول: سل هذا فيم قتلني) رواه أحمد	حديث نبوي
١٨	قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ سورة العنكبوت آية ١٣	قرآن كريم
١٩	قوله ﷺ: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما) رواه البخاري	حديث نبوي

م	الحجة الظاهرة	نوعها
٢٠	قال ابن عمر رضي الله عنه: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله).	أثر
٢١	قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ سورة الأحزاب آية ٥٦	قرآن كريم
٢٢	قوله ﷺ: (من صلىٰ علي صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرا) رواه أحمد	حديث نبوي
٢٣	قوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٠١	قرآن كريم

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٣) التقابل بالحجج غير الظاهرة وهي الاقتباسات غير المباشرة أو التناص:

م	النص الحاضر	النص الغائب
١	الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد	قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ سورة الإخلاص آية ١-٤
٢	وجاهد في الله حق جهاده	قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ سورة الحج آية ٧٨
٣	فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور	قوله تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ سورة غافر آية ١٩
٤	شرع لنا من الدين ما وصىٰ به نوحا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدا – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – فأقيموا الدين	قوله تعالىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ سورة الشورىٰ آية ١٣
٥	وأستغفر الله إنه كان غفارا	قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ سورة نوح آية ١٠
٦	وعند الله تجتمع الخصوم	قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلىٰ الديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم
٧	إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب	منسوب لأبي العلاء المعري: إذا لم تكن ذئبا علىٰ الأرض أجردا * كثير الأذىٰ بالت عليك الثعالب

م	النص الحاضر	النص الغائب
٨	إن لم تجهل يجهل عليك	قول عمرو بن كلثوم: ألا لا يجهلن أحد علينا ❊ فنجهل فوق جهل الجاهلينا
٩	لأنه يحمل في نفسه معنىٰ الناس لا معنىٰ ذاته	قول الرافعي رحمه الله: «ولو أدرك الشباب أن أول حق الوطن عليه أن يحمل في نفسه معنىٰ الشعب لا معنىٰ نفسه».
١٠	ورعتها حق رعايتها	قوله تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ سورة الحديد آية ٢٧
١١	سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.	قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة الصافات آية ١٨٠-١٨٢

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٤) الثنائيات علىٰ مستوىٰ الجمل:

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	التركيب والعلاقة
١	العاقل يأكل ليعيش	الأحمق يعيش ليأكل	مقابلة
٢	التماس مظان رضا الله	اجتناب مظان سخطه	مقابلة
٣	سار في غير مسارها	التمسوها في غير مظانها	ترادف
٤	إن كان صوابا فمن الله	وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان	مقابلة
٥	أعز الإسلام والمسلمين	اخذل الشرك والمشركين	مقابلة
٦	أن يؤدي المرء حق الله علىٰ ما أراد الله سبحانه	أن يؤدي حق العباد وفق ما شرعه الله له	تقسيم فالحقوق قسمان لله ثم للخلق
٧	ينشدون الأشعار في مجالسهم	ويذكرون أمر جاهليتهم	تقسيم فالشعر والقص قسيمان
٨	إن حفظ بنيان المسلم من أعظم المصالح التي دل عليها الشارع الحكيم	وأن انتهاكه من أعظم المفاسد التي حذر منها	مقابلة
٩	خائنة الأعين	ما تخفي الصدور	تقسيم فخائنة العين سلوك يراد ظاهر لبعض الناس وأما ما تخفي الصدور فلا يعلمه أحد إلا الله

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	التركيب والعلاقة
١٠	بلغ الرسالة	أدىٰ الأمانة	ترادف.
١١	ليرفع بذلك الشيء النفيس	ويخفض الشيء الخسيس	مقابلة
١٢	أن يطفو الخشاش والحشاش	ويسفل الدر والجوهر	مقابلة
١٣	هذا حلال	وهذا حرام	مقابلة
١٤	يقتل قصاصا	يصلب حرابة	تقسيم فالقتل يكون قصاصا والصلب حدا للحرابة
١٥	جلد في القذف	رجم في الزنا	تقسيم فحد القذف الجلد وحد الزنا للمحصن الرجم
١٦	تقطع اليد في سرقة	يعزر امرؤ في غصب مال	تقسيم فالسرقة في السر والغصب يكون علانية
١٧	بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم	ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم	علاقة كل بجزء فالانتفاع بالآيات جزء من بركة القرآن
١٨	الخير الذي يأمر الله به عباده تعود غايته لإسعاد	الشر الذي نهاهم عنه ليس إلا وقاية لهم من أذىٰ	مقابلة

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	التركيب والعلاقة
	النـــــاس في آجلهـــــم وعاجلهم	قريب أو بعيد	
١٩	القاتل مسجون ولـو كـان طليقا	مهموم ولو بدت نواجذه	تقـسيم فالـسجن للبـدن والهم للنفس

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٥) الثنائيات علىٰ مستوىٰ اللفظ:

م	الألفاظ	نوعها وعلاقاتها
١	الحرية والكرامة	تعديد
٢	زمام ولا خطام	ترادف
٣	حق الله وحق رسوله	تقسيم
٤	طعم الإيمان وطعم الحرية	تعديد
٥	الشهوة والمصانعة	تقسيم
٦	معنىٰ الناس لا معنىٰ ذاته	تقسيم
٧	الشارع الحكيم	تعديد
٨	العظيم والسوقة	تضاد
٩	الخشاش والحشاش	ترادف
١٠	إخوانهم وبني مجتمعهم	ترادف
١١	الظالمون المتهورون	تعديد
١٢	الغني والفقير	تضاد
١٣	الجلال والإكرام	تعديد
١٤	تحبه وترضاه	ترادف
١٥	البوار والخسران	ترادف
١٦	الحرية والاستقلال	ترادف
١٧	الواجبات والحقوق	تضاد
١٨	خير البرية وأزكىٰ البشرية	ترادف

م	الألفاظ	نوعها وعلاقاتها
١٩	وحبه وخشيته	تضاد
٢٠	شرعة الله وصبغته	ترادف
٢١	بزينتها وزخرفها	ترادف
٢٢	أمور الدين والعقيدة	تعديد
٢٣	قناعة بالمقسوم وثقة بالخالق	تعديد
٢٤	عبدا ولا أسيرا	ترادف
٢٥	مركزك ومنصبك	ترادف
٢٦	التحليل والتحريم	تضاد
٢٧	منحرفين ومتماوتين	تعديد
٢٨	الشريف والوضيع	تضاد
٢٩	الدر والجوهر	ترادف
٣٠	الجرائم والمجازر	ترادف
٣١	الظلم والنكاية	ترادف
٣٢	الدينار والدرهم	ترادف
٣٣	أئمتنا وولاة أمورنا	تقسيم
٣٤	الأقوال والأعمال	تعديد
٣٥	عبدك ورسولك	تعديد
٣٦	الإسلام والدين	ترادف
٣٧	الموانع والمحاذير	ترادف

م	الألفاظ	نوعها وعلاقاتها
٣٨	الحوض والشفاعة	تعديد
٣٩	الرحمة والعدل	تعديد
٤٠	التصور الإيجابي والتصور الرخيص	شبه ترادف

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٦) الثلاثيات والرباعيات علىٰ مستوىٰ الجمل:

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	الجملة الثالثة	الجملة الرابعة	العلاقة
١	أدىٰ الأمانة	ونصح الأمة	وجاهد في الله حق جهاده		تعديد تدرجي فأداء الأمانة أدىٰ إلىٰ نصح الأمة والثانية أدت إلىٰ الجهاد.
٢	إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب	إن لم تجهل يجهل عليك	إن لم تتغد بزيد تعشىٰ بك		تعديد مفسر فالجملة الثانية تفسر الأولىٰ والثالثة مرادفة لما قبلها.
٣	تقول ما تشاء	تفعل ما تشاء	تكتب ما تشاء	تتكلم فيمن تشاء	الجملة الأولىٰ والثانية بينهما تضاد في الفعل والقول والثالثة والرابعة تفسران الأولىٰ والثانية.
٤	لا يعتدي بعضهم علىٰ بعض	لا يظلم بعضهم بعضا	لا يبغي بعضهم علىٰ بعض		تعديد تدرجي فالاعتداء قد يجر إلىٰ الظلم والظلم قد يتحول إلىٰ بغي.
٥	علىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين	علىٰ أصحابه الغر الميامين	علىٰ التابعين	ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين	تعديد تدرجي فأولا أهل بيته ﷺ ثم صحابته ثم التابعين ثم تابعيهم إلىٰ يوم الدين.

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	الجملة الثالثة	الجملة الرابعة	العلاقة
٦	فرج هم المهمومين من المسلمين	ونفس كرب المكروبين	وفك أسر المأسورين		تعديد تدرجي فالهم أقل من الكرب والأسر أشد منهما.
٧	لا حرية مطلقة في المال	لا حرية مطلقة في النفس	لا حرية مطلقة في الدين		تعديد لثلاث من الضرورات الخمس.
٨	حمل النفس علىٰ المكاره	وجبلها علىٰ تحمل المشاق	وتوطينها لملاقاة البلاء		تقسيم فحمل النفس علىٰ المكاره يؤدي إلىٰ تحمل المشاق والثانية تؤدي إلىٰ إعداد النفس لملاقاة البلاء.
٩	رضا بالله ربا	وبالإسلام دينا	وبمحمد ﷺ رسولا		تقسيم تدرجي فالرضا بالله يؤدي للرضا بالإسلام والثانية تؤدي إلىٰ الرضا بمحمد ﷺ رسولا.
١٠	يحاور	ويأخذ	ويعطي		تعديد يفسر الفعل السابق يشارك.

م	الجملة الأولىٰ	الجملة الثانية	الجملة الثالثة	الجملة الرابعة	العلاقة
١١	جلد في المسكر	أو قتل في المخدرات	أو تعزير في إفساد الفكر		تعديد لأحكام شرعية محتملة.
١٢	يقتلون	ويسرفون في القتل	ويرتكبون أبشع الجرائم		تعديد تدرجي فارتكاب أبشع الجرائم أشد من الإسراف في القتل والثانية أشد من القتل المجرد.
١٣	خافك	واتقاك	واتبع رضاك		تعديد تدرجي فالخوف يؤدي للتقوىٰ والتقوىٰ تؤدي لاتباع رضا الله.

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٧) الثلاثيات والرباعيات علىٰ مستوىٰ اللفظ:

م	الألفاظ	نوعها وعلاقاتها
١	عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه	خمس صفات متصلة بواو العطف وهي تبدأ بالأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ
٢	حرا كريما عزيزا	ثلاث صفات تؤدي كل واحدة لما بعدها
٣	ربه ودينه وبني ملته	تعديد
٤	روحا وجسدا وعقلا وقلبا	تقسيم مكونات الإنسان
٥	نوحا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدا	تعديد لأولي العزم من الرسل
٦	عفوك وجودك وكرمك	ثلاث صفات كل واحدة مؤدية لما بعدها
٧	دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك	تعديد
٨	السر والعلن والخلوة والجلوة	الترادف والتضاد
٩	صبيا وشابا وكهلا وشيخا	تقسيم مراحل الحياة
١٠	المؤمن الصادق الموصول بربه	ثلاث صفات متوالية بلا عطف
١١	أفراد المجتمع وأسره وبيوتاته	تقسيم للمجتمع
١٢	دم ولا مال ولا ولد	تعديد
١٣	الواحد الأحد الصمد	ثلاث صفات متوالية بلا عطف

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٨) التعليل:

م	الموضع	نوعه	التوجيه الحجاجي
١	فاتقوا الله وراقبوه في السر والعلن والخلوة والجلوة، فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور	التعليل بجملة جواب الشرط	الأطروحة هي الأمر بالتقوى والحجة علم الله الشامل.
٢	يتاح له مساحة واسعة من الحرية والاستقلال ليشارك ويحاور ويأخذ ويعطي	التعليل بلام التعليل	الحجة إتاحة مساحة من الحرية والنتيجة يشارك ويحاور.....
٣	فهو حر - صبيا وشابا وكهلا وشيخا - في حرية مطلقة ما لم يخل بواجباته تجاه ربه ودينه وبني ملته	التعليل بما الشرطية	العلاقة عكسية فإن أخل بواجباته لن يكون حرا والعكس صحيح لو لم يخل بواجباته لأصبح حرا.
٤	.... وما لم ينتهك من الموانع والمحاذير ما يوقف عنه هذه الخصيصة التي يتطلع إليها	التعليل بما الشرطية	العلاقة عكسية فإن انتهك الموانع لن يكون حرا وهي سبب لنتيجة سابقة ومعطوفة على سبب سابق.
٥	فمن حقق العبودية لله فلن يكون عبدا لهواه	التعليل بمن الشرطية	العلاقة عكسية فتحقيق العبودية سبب يحقق الحرية ويمنع عبودية الهوى.
٦	لا تحكمه الشهوة ولا المصانعة	التعليل	الحجة أن المؤمن يحمل في نفسه

م	الموضع	نوعه	التوجيه الحجاجي
	ولا يوجهه مبدأ كم تملك وما مركزك ومنصبك لأنه يحمل في نفسه معنىٰ الناس لا معنىٰ ذاته	بـــلام التعليل	معنىٰ الناس والنتيجة أن المقاييس الدنيوية والمصالح لا تحكمه ولا توجهه وبذا يكون حرا.
٧	فمن أراد الحرية الحقة – عباد الله– فلينظر مدىٰ توافقها مع شرعة الله وصبغته	التعليل بمـــن الشرطية	الحجة هي النظر في الأمور وقياس مدىٰ توافقها مع الشريعة والنتيجة هي الحرية الحقة.
٨	فلا حرية في التحليل والتحريم لأن الله ﷻ يقول:...	التعليل بـــلام التعليل	الحجة جاهزة وهي آية قرآنية والنتيجة نفي الحرية في التحليل والتحريم أي التشريع عامة.
٩	فلا حرية مطلقة في الدين فإن الله ﷻ يقول:...	التعليل بفـــاء السببية	الحجة جاهزة وهي آية قرآنية والنتيجة نفي الحرية في التحليل والتحريم أي التشريع عامة.
١٠	ومـــن أراد أن يحـــسن ســـياج الحرية فليستمع إلىٰ قول النبي ﷺ: «إن الله تعـــالىٰ فـــرض فرائض.....	التعليل بمـــن الشرطية	الحجة هي أن الاستماع لقول النبي ﷺ سبب في إحسان سياج الحرية وضبطها.
١١	إن كان صوابا فمن الله	التعليل بـــإن الشرطية	الحجة أن يكون الله هو الملهم والنتيجة يكون القول صوابا.

م	الموضع	نوعه	التوجيه الحجاجي
١٢	وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان	التعليل بإن الشرطية	الحجة أن تكون النفس والشيطان ملهمين والنتيجة يكون القول خطأ.
١٣	فلا يرعون حرمة دم ولا مال ولا ولد كل ذلك لأجل عرض من الدنيا زائل	التعليل بلام التعليل	الحجة حب القتلة لعرض الدنيا الزائل والنتيجة أنهم لا يرعون حرمة دم ولا مال ولا ولد.
١٤	إن القاتل مسجون ولو كان طليقا ومهموم ولو بدت نواجذه لأن الرسول ﷺ يقول.....	التعليل بلام التعليل	الحجة جاهزة وهي حديث نبوي وأثر عن صحابي والنتيجة أن القاتل مهموم ومسجون في جميع أحواله.

❊ ❊ ❊

* جدول رقم (٩) التخصيص والقصر:

م	الجملة	نوعها
١	لا إله إلا الله	الاستثناء بإلا
٢	لا نعمة أعظم ولا أبلغ في النفوس من نعمة الإسلام والدين	التخصيص بالتقديم
٣	إن الإنسان إنما يعيش لنفسه ومتاع الدنيا	القصر بإنما
٤	تواطأ الناس على البحث عن الحرية والكرامة... غير أن كثيرا منهم سار في غير مسارها	الاستثناء بغير
٥	ولا حرية مطلقة في المال	التخصيص بالتقديم
٦	بمثل هذا يتصل ما بين العظيم والسوقة والشريف والوضيع والغني والفقير.	التخصيص بالتقديم
٧	لا سلطان لأحد عليه غير سلطان الشريعة	الاستثناء بغير
٨	وأن الشر الذي نهاهم عنه ليس إلا وقاية لهم من أذى	الاستثناء بإلا
٩	العاقل منهم بهذا التصور الرخيص إنما يأكل ليعيش	القصر بإنما
١٠	فلا حرية في التحليل والتحريم	التخصيص بالتقديم
١١	ولا حرية مطلقة في النفس	التخصيص بالتقديم

* * *

* جدول رقم (١٠) الحجج والروابط:

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
١	الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.	الحمد لله.	الرابط مضمر بين الحجة والنتيجة لكمال الاتصال، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم تصاعدي فهو سبحانه واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد والأقوىٰ من ذلك أنه لم يكن له كفوا أحد.
٢	شرع لنا من الدين ما وصىٰ به نوحا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدا.	فأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.	الرابط حرف (الفاء) العاطفة وهي تفيد السببية.	الحجة بسيطة.
٣	أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه.....	صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آل بيته الطيبين....	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم الحجاجي تصاعدي فالرسول أعلىٰ من العبد والصفي أعلىٰ من الرسول والخليل أعلىٰ من الرسول.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
٤	أدىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده	تابع للأطروحة السابقة	الرابط مضمر والرابط بين الحجج حرف (الواو)	السلم الحجاجي تنازلي فنصح الأمة أعلىٰ من أداء الأمانة والجهاد أعلىٰ منهما.
٥	إن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.	فاتقوا الله وراقبوه في السر والعلن والخلوة والجلوة	الرابط حرف (الفاء) وهو حرف عطف يفيد السببية، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم الحجاجي تصاعدي فما يظهر في حركة العين أوضح مما تخفيه الصدور.
٥	يتاح له مساحة من الحرية والاستقلال.	ليشارك ويحاور ويأخذ ويعطي.	الرابط حرف (اللام)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم تنازلي فالمشاركة أعلىٰ من المحاورة وكلاهما أعلىٰ من الأخذ والعطاء.
٦	واعلموا أن ما بكم من نعمة فمن الله	الأطروحة مضمرة يفسرها ما قبلها	الرابط الأول مضمر مع	والسلم الحجاجي تصاعدي حيث

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	ولا نعمة أعظم ولا أبلغ في النفوس من نعمة الإسلام والدين	من الأمر بالتقوىٰ	الأطروحة والرابط الثاني حرف (الواو).	بدأ بالعام وهو نسبة النعم جميعا لله ﷻ ثم تخصيص نعمة الإسلام والدين بكونها أعظم النعم.
٧	والانقياد لأمر الله ورسوله والتماس مظان رضا الله واجتناب مظان سخط الله	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام إثبات أعظم النعم.	الرابط مضمر والحجج المتوالية يربطها حرف (الواو).	السلم الحجاجي تصاعدي فالتماس الرضا واجتناب السخط أعلىٰ من مجرد الانقياد.
٨	نجد أن شريعتنا الغراء قد كفلت لكل مسلم هذه الأمنية.	فجعلته حرا عزيزا كريما لا سلطان لأحد عليه غير سلطان الشريعة.	الرابط حرف (الفاء) وهي حرف عطف تفيد السببية.	السلم الحجاجي للنتائج تصاعدي فالحرية تورث العزة والعزة تورث الكرامة والكرامة تورث

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
				الاستعلاء إلا علىٰ الشريعة.
٩	ما لم يخل بواجباته تجاه ربه ودينه وبني ملته. وما لم ينتهك من الموانع والمحاذير ما يوقف عنه هذه الخصيصة التي يتطلع إليها.	فهو حر صبيا وشابا وكهلا وشيخا في حرية مطلقة.	الرابط حرف (ما) الشرطية، وحرف (الواو) بين الحجتين.	السلم الحجاجي تنازلي فالقيام بالحقوق أعظم من انتهاك الموانع والمحاذير.
١٠	فالنبي ﷺ يقول: لا تحاسدوا ولا تناجشوا.....	الأطروحة مضمرة يفسرها ما قبلها من اقتران الحرية بأداء الواجبات وعدم انتهاك المحاذير.	الرابط حرف (الفاء).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ الشاهد.
١١	والخير الذي يأمر الله به غايته إسعاد	الحرية هي سر الأمان لضمان	الرابط حرف (الواو) وربطت	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التقسيم

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	الناس في آجلهم وعاجلهم. وأن الشر الذي نهاهم عنه ليس إلا وقاية لهم من أذىٰ قريب أو بعيد.	الصالح العام، وهي مبنية علىٰ الرحمة والعدل.	كذلك بين الحجج.	(الخير والشر).
١٢	فلم يضع في عنقه غلا، ولا في رجله قيدا، ولم يحرم عليه طيبة، ولم يدعه كالكرة تتخطفها مضارب اللاعبين.	فقد سما الإسلام بالمسلم روحا وجسدا وعقلا وقلبا.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التصوير الحسي المترادف فالغل في العنق والقيد في الرجل وتحريم الطيبات مترادفات ويأتي التشبيه موضحا لما سبق.
١٣	ولم يدعه كالكرة تتخطفها مضارب اللاعبين فتهوي به	حتىٰ تقنعه بأن الإنسان إنما يعيش لنفسه ومتاع	الرابط (حتىٰ) وتفيد الغاية.	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التشبيه.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	في كل اتجاه.	الدنيا.		
١٤	فإذا كان الأحمق منهم يعيش ليأكل.	فإن العاقل منهم بهذا التصور الرخيص إنما يأكل ليعيش.	الرابط حرف (الفاء) الواقعة في جواب الشرط.	حجة بسيطة تعتمد على قلب المفهوم.
١٥	أما المؤمن الصادق الموصول بربه وحبه وخشيته.	فإنه يستحضر قوله تعالىٰ:» أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا....»	الرابط حرف (الفاء) الواقعة في جواب الشرط.	السلم تصاعدي فالمؤمن يتحول لشخص صادق والصادق موصول بربه يحبه ويخشاه.
١٦	يقول الشاطبي رحمه الله: «اتفقت الأمة علىٰ أن الشريعة وضعت للمحافظة علىٰ الضرورات الخمس وهي..... وعلمها عند الأمة كالضروري».	الأطروحة مضمرة ويفسرها السياق وهي أهمية العلم بالشريعة وحفظها للضرورات الخمس.	الرابط مضمر مع الأطروحة.	حجة بسيطة تعتمد علىٰ الشاهد.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
١٧	لقد تواطأ الناس علىٰ البحث عن الحرية والكرامة.	غير أن كثيرا منهم سار في غير مسارها، والتمسوها في غير مظانها.	الرابط (غير) للتعارض الحجاجي وهي أداة استثناء.	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التعارض.
١٨	فحسبها بعضهم في اللهث وراء الدنيا، والعب منها كما الهيم، بل ذهب بعضهم ليصير مفهوم الحرية عنده إن لم تكن ذئبا.....	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في بيان مفهوم الحرية الخاطئ.	الرابط حرف (الفاء) حيث ربط بين الحجة والنتيجة، وربط حرف (الواو) بين الحجة الأولىٰ والثانية، واستخدم (بل) التي بمعنىٰ حرف (الواو) للربط بين الحجة الثانية والثالثة.	السلم تصاعدي بين النتائج فاللهث وراء الدنيا أهون من العب منها والثانية أهون من أن يكون الإنسان ذئبا ظالما.
١٩	إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب،	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق	الرابط حرف (الواو) ربط بين	السلم تنازلي فالحرية في

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	وإن لم تتغدى بزيد تعشى بك، وإن لم تجهل يجهل عليك.	وهي تقبيح التصور الخاطئ للحرية.	الحجج وأما النتيجة فمضمرة مع رابطها.	المفهوم الخاطئ تجعل الإنسان ذئبا يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به ويجهل عليهم قبل أن يجهلوا عليه.
٢٠	إن الحرية عندهم أن تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء وتكتب ما تشاء وتتكلم فيمن تشاء دون زمام ولا خطام	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق وهي تقبيح التصور الخاطئ للحرية.	الرابط الحجاجي مضمر مع الحجة والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم غير متسق فالقول جاء مرادفا للفعل ثم جاء الكلام والكتابة وهي تكرار للقول أو صيغة أخرى له.
٢١	ولكن الحرية الحقة دين يتبعه عمل وصبر... وحفظ الحدود... والتسليم للشريعة	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق، في مقام إثبات مفهوم الحرية الصحيح.	الرابط حرف (الواو) العاطفة، و(لكن) حيث ربطت بين الحجة والنتيجة، بينما	السلم تصاعدي فالعمل والصبر يورثان حفظ الحدود والثاني يورث التسليم

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	والتمسك بها... والحرية رضا... وقناعة بالمقسوم... وثقة بالخالق... واستمداد العون منه.		ربط حرف (الواو) بين النتائج..	بالشريعة والتمسك بها، والثالث يورث الرضا والقناعة ومن ثم الثقة بالخالق واستمداد العون منه.
٢٢	الحجة تأسيسا علىٰ ما سبق من عرض التصور الصحيح للحرية.	فالحر من آثر الباقي علىٰ الفاني.	الرابط حرف (الفاء).	حجة بسيطة
٢٣	ومن ذاق طعم الإيمان.	ذاق طعم الحرية.	الرابط مضمر.	حجة بسيطة
٢٤	من حقق العبودية لله.	فلن يكون عبدا لهواه ولا أسيرا لأحد من الناس حيث لا تحكمه الشهوة ولا	الرابط حرف (الفاء) الواقعة في جواب الشرط، والرابط بين النتائج حرف	السلم تنازلي فالعبودية أقوىٰ من الأسر.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
		المصانعة.	(الواو).	
٢٥	لأنه يحمل في نفسه معنىٰ الناس لا معنىٰ نفسه.	ولا يوجهه مبدأ كم تملك وما مركزك ومنصبك.	الرابط حرف (اللام) للتعليل، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	حجة بسيطة.
٢٦	الحجة تأسيسا علىٰ ما سبق من آثار العبودية علىٰ الإنسان.	ليصبح حرا بهذا التصور الإيجابي.	الرابط حرف (اللام).	حجة بسيطة.
٢٧	من أساسيات الحرية أن يؤدي الإنسان حق الله.. وأن يؤدي حق العباد...	فلا حرية في التحليل والتحريم.	الرابط حرف (الفاء).	السلم تنازلي فحق الله أولا ثم حقوق العباد.
٢٨	لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم...» ويقول:	فلا حرية في التحليل والتحريم.	الرابط حرف (اللام) للتعليل، والرابط بين	السلم تنازلي فإكمال الدين أقوىٰ من الافتراء

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	«ولا تقولوا..»		الحجج حرف (الواو).	علىٰ الله.
٢٩	فقد يترتب علىٰ ذلك جلد في القذف أو رجم في الزنا.	وليس لمخلوق الحرية فيما يخص أعراض الناس.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (أو).	السلم تصاعدي فالرجم أقوىٰ من الجلد.
٣٠	فقد يترتب علىٰ ذلك جلد في المسكر أو قتل في المخدرات أو تعزير في إفساد الفكر.	ولا فيما يخص العقل.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (أو).	السلم تصاعدي فالجلد في المسكر أهون من القتل في ترويج المخدرات وهما أهون من حكم شرعي يترتب علىٰ إفساد الفكر والتضليل.
٣١	فقد تقطع اليد في السرقة أو يعزر امرؤ في غصب مال.	ولا حرية مطلقة في المال.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (أو).	السلم تصاعدي فحد السرقة أهون من حد الغصب أو النهب.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
٣٢	فقد يقتل قصاصا أو يصلب حرابة.	ولا حرية مطلقة في النفس.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (أو).	السلم تصاعدي فالقصاص أهون من حد الحرابة.
٣٣	فإن الله جلا وعلا يقول: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا...»	ولا حرية مطلقة في الدين.	الرابط حرف (الفاء).	حجة بسيطة تعتمد على الشاهد.
٣٤	فلينظر مدى توافقها – أي الحرية – مع شرعة الله.	فمن أراد الحرية الحقة.	الرابط حرف (الفاء).	حجة بسيطة.
٣٥	فليستمع إلى قول النبي ﷺ: «إن الله تعالى فرض...»	من أراد أن يحسن سياج الحرية	الرابط حرف (الفاء).	حجة بسيطة تعتمد على الشاهد.
٣٦	يشتركون في الحقوق والواجبات،	وحاصل الأمر أن الحرية ترابط وثيق بين أفراد	الرابط مضمر والرابط بين الحجج حرف	السلم تصاعدي فالاعتداء عام والظلم خاص

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	لا يعتدي بعضهم علىٰ بعض، ولا يظلم بعضهم بعضا، ولا يبغي بعضهم علىٰ بعض، أمامهم فسحة من المباحات.	المجتمع.	(الواو).	والبغي أخص من الظلم.
٣٧	فإن أصحاب رسول الله ﷺ: «لم يكونوا منحرفين ولا متماوتين وكانوا ينشدون....».	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام وصف علاقات أفراد المجتمع المسلم.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ الشاهد.
٣٨	بمثل هذا كله (ما سبق من أثر الحرية الحقة علىٰ الناس)	يتصل ما بين العظيم والسوقة، والشريف والوضيع، والغني	الرابط حرف (الباء)، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التقسيم والتعديد.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
		والفقير بعيدا عن معاني الدرهم والدينار (أي العدالة الاجتماعية)		
٣٩	الحجة مضمرة يفسرها السياق وهي تابعة لأثر الحرية الحقة على الناس.	ليرفع بذلك الشيء النفيس ويخفض الخسيس، لا أن يطفو الخشاش والحشاش ويسفل الدر والجوهر	الرابط حرف (الباء)، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد على التقسيم والتعديد.
٤٠	فإن الله ﷻ يقول: «تلك حدود الله فلا تعتدوها.... ويقول سبحانه: «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه... وقال ﷻ:	ليتق الجميع حدود الله.	الرابط حرف (الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم تصاعدي فالأمر بعدم تعدي حدود الله عام ووصف المتعدي بالظالم لنفسه وهذا أخص وتوعد المعتدي

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	«تلك حدود الله ومن يطع الله....			بالعذاب بعد ذلك.
٤١	وقتل النفس المحرمة جزء من ذلك.	واعلموا أن حفظ بنيان المسلم من أعظم المصالح التي دل عليها... وأن انتهاكه من أعظم المفاسد التي حذر منها...	الرابط حرف (الواو)، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	السلم تنازلي فحفظ بنيان المسلم من أعظم المصالح وانتهاكه من أعظم المفاسد، وقتل النفس جزء من ذلك الانتهاك المذموم.
٤٢	وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك».	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام تعظيم قتل النفس الإنسانية.	الرابط حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ الشاهد.
٤٣	فقد قال ﷺ: «ومن يقتل مؤمنا	قتل النفس المعصومة من	الرابط حرف (الفاء)، والرابط	السلم تنازلي يبدأ بالحجة الأعلىٰ

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	متعمدا..... وقد قال النبي ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله..... وقال صلوات الله وسلامه عليه: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا.... وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «يجيء المقتول يوم القيامة....».	كبائر الذنوب.	بين الحجج حرف (الواو).	وهي أن جزاء القاتل النار ثم إن زوال الدنيا بما فيها أهون عند الله من قتل المسلم، ثم إن اشتراك أهل الأرض وأهل السماء في قتل المسلم يدخلهم النار جميعا، ثم تأتي الحجة الأخيرة لتصور المقتول يجيء يوم القيامة ورأسه في يمينه يقول سل هذا أي القاتل فيم قتله.
٤٤	الظالمون،	ألا فليتق الله.	الرابط (أولئك)،	والسلم الحجاجي

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	المتهورون، الذين يصوبون...، فيقتلون، ويسرفون..، ويرتكبون أبشع الجرائم والمجازر.		والرابط بين الحجج حرف (الواو).	تصاعدي يبدأ بالأدنىٰ وينتهي بالأعلىٰ فالقتل يتلوه الإسراف في القتل ثم يتلوهما ارتكاب أبشع الجرائم.
٤٥	كل ذلك لأجل عرض من الدنيا زائل.	فلا يرعون حرمة مال ولا دم ولا ولد.	الرابط حرف (اللام).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التقسيم.
٤٦	قدموا مصالحهم علىٰ حرمات العباد.	حتىٰ لقد صار إهراق الدم عندهم أهون من قتل البعوضة.	الرابط (حتىٰ).	السلم تصاعدي فكلمة أهون علىٰ وزن أفعل تدل علىٰ أن إهراق الدم هين والأعظم منه أنه أهون من قتل البعوضة.
٤٧	وتالله وبالله.	فإن هذا لهو البوار	الرابط حرف	حجة بسيطة تعتمد

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
		والخسران.	(الفاء)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	على القسم.
٤٨	«وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون».	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام النهي عن القتل.	الرابط مضمر مع الأطروحة.	حجة بسيطة تعتمد على الشاهد.
٤٩	إن القاتل مسجون ولو كان طليقا ومهموم ولو بدت نواجذه.	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام النهي عن القتل.	الرابط مضمر مع الأطروحة، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم تنازلي فالمسجون مقيد الحركة ومهموم وهو أقوى من المهموم فقط.
٥٠	لأن النبي ﷺ يقول: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما». وقد قال ابن عمر	إن القاتل مسجون ولو كان طليقا ومهموم ولو بدت نواجذه.	الرابط حرف (اللام)، والرابط بين الحجج حرف (الواو).	السلم تصاعدي فمن لم يصب دما حراما فهو في فسحة من دينه وأما من سفك دما حراما فقد أوقع

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	ﷺ: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله».			نفسه في ورطة كبيرة.
٥١	وعند الله تجتمع الخصوم.	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام النهي عن القتل.	الرابط حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ الشاهد.
٥٢	ألا فليتق الله الذين يقتلون إخوانهم.. ألا فليتقوا الله، ألا فليتقوا الله.	الأطروحة مضمرة يفسرها السياق في مقام النهي عن القتل.	الرابط مضمر مع الأطروحة.	حجة بسيطة تعتمد علىٰ التكرار.
٥٣	فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه..... فقد قال ﷻ: «يا أيها الذين آمنوا... وقال	صلوا رحمكم الله علىٰ خير البرية وأزكىٰ البشرية	الرابط حرف (الفاء) وحرف (الواو) و(الفاء) بين الحجج.	السلم تنازلي فقد أمرهم بالصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم بين فضلها وجزاء

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
	صلوات الله وسلامه عليه: «من صلىٰ علي صلاة...			فاعلها.
٥٤	بعفوك وكرمك وجودك. يا أرحم الراحمين.	وارض اللهم عن خلفائه.... وعنا معهم	الرابط حرف (الباء)، والرابط بين الحجج والنتائج حرف (الواو).	السلم الحجاجي تصاعدي فالعفو أدنىٰ والكرم أعلىٰ وأعلىٰ منهما الجود، ثم النداء بصفة أرحم الراحمين.
٥٥	دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.	اللهم أعز الإسلام والمسلمين..... اللهم انصر دينك وكتابك	الرابط مضمر، والرابط بين الحجج والنتائج حرف (الواو).	السلم تصاعدي فالدعاء يستجلب النصر للدين وهو دين الله ثم للكتاب والسنة والقائمين بها، وقد أضيفت كلها للضمير (الكاف).

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
٥٦	يا ذا الجلال والإكرام. يا رب العالمين.	اللهم فرج هم المهمومين.....	الرابط مضمر، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	السلم تنازلي فصفة (ذو الجلال والإكرام) أقوىٰ في استجلاب الإجابة؛ لأن النبي ﷺ قال ألظوا بذي الجلال والإكرام، ثم تأتي الصفة الثانية وهي الربوبية.
٥٧	يا رب العالمين.	اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح....	الرابط مضمر، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ النداء باسم يناسب المطلوب فالتدبير وإصلاح الأمور من خواص الرب المدبر الرازق الخالق.

م	الحجة	النتيجة أو الأطروحة	الرابط الحجاجي	السلم الحجاجي
٥٨	يا حي يا قيوم. يا ذا الجلال والإكرام.	اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه.... اللهم أصلح له بطانته....	الرابط مضمر، والرابط بين النتائج حرف (الواو).	حجة بسيطة تعتمد علىٰ النداء باسم يناسب المطلوب فالتدبير وإصلاح الأمور من خواص الرب المدبر الرازق الخالق، ثم باسم ذي الجلال والإكرام لفضلها المعروف.
٥٩	يا رب العالمين.	اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان...	الرابط مضمر.	حجة بسيطة تعتمد علىٰ النداء باسم يناسب المطلوب فالتدبير وإصلاح الأمور من خواص الرب المدبر الرازق

❊ ❊ ❊

قائمة المراجع والمصادر

(١) **الأداء الحجاجي وبلاغته في كتاب الخطابة لابن سينا.** عبد الرحيم، منتصر أمين، مجلة اللسانيات العربية، الرياض، العدد الأول، يناير ٢٠١٥م.

(٢) **الأساس التقابلي في البلاغية العربية مقاربة تأويلية.** بازي، محمد، شبكة الألوكة، ٢٠١٢م، تاريخ المشاهدة ٢٦/ ١/ ١٤٣٧هـ على الرابط:
http://www.alukah.net/publications_competitions/0/41922/

(٣) **الاستدلال الحجاجي والتداولي.** الرقبي، رضوان، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر ديسمبر ٢٠١١م.

(٤) **استراتيجيات الخطاب.** الشهري، عبد الهادي ظافر، بيروت، دار الكتاب الجديدة، ٢٠٠٤م.

(٥) **استراتيجية الخطاب الحجاجي.** دفة، بلقاسم، مجلة المخبر، الجزائر، جامعة بسكرة، العدد العاشر، ٢٠١٤م.

(٦) **أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى** عليه السلام. خراف، ابتسام، مجلة كلية الآداب، الجزائر، جامعة باتنة، ٢٠١٣م.

(٧) **آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان.** إبراهيمي، إبراهيم، ٧/ ٨/ ٢٠٠٩م، مكتبتنا العربية، تاريخ المشاهدة ٢٥/ ٥/ ١٤٣٥هـ. على الرابط:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=1639

(٨) **البلاغة فنونها وأفنانها.** عباس، فضل، عمان، دار الفرقان، ١٤٠٩هـ.

(٩) **البلاغة والخطاب.** مشبال، محمد، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٤م.

(١٠) **تاريخ نظريات الحجاج.** بروتون، فيليب وجوتييه، جيل، (ترجمة: محمد الغامدي)، جدة، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١١م.

(١١) **تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجا.** دحمان، حنان، رسالة ماجستير، جامعة الأخضر، باتنة، نسخة الكترونية، ٢٠١٣م.

(١٢) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر.** ابن أبي الإصبع، عبد العظيم، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت.

(١٣) **تداولية الاستعارة الحجاجية لنص الرثاء.** لحمادي، فطومة، ووشن، دلال، مجلة المخبر، الجزائر، بسكرة، العدد الخامس، ٢٠٠٩م.

(١٤) **التداولية والحجاج مداخل ونصوص.** الحباشة، صابر، دمشق، دار صفحات، ٢٠٠٨م.

(١٥) **التكرار في الدراسات الحجاجية.** محفوظي، سليمة، مجلة سطور، تشرين ٢٠١١م، تاريخ المشاهدة ٢٥/ ٥/ ١٤٣٥هـ. على الرابط:
http://www.sutuur.com/all-articles/2429-salema.html

(١٦) **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.** بوبلوطة، حسين علي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الخضر، باتنة، نسخة الكترونية، ٢٠١٠م.

(١٧) **الحجاج في الخطب النبوية.** الغامدي، جمعان، مجلة جامعة أم القرى، العدد العاشر، رجب ١٤٣٤هـ.

(١٨) **الحجاج في اللغة.** العزاوي، أبو بكر، مجلة الجابرية، العدد ٦١ سبتمبر ٢٠٠٤م، تاريخ المشاهدة ١٥/ ١/ ١٤٣٥هـ. الرابط:
http://www.aljabriabed.net/n61_05%20azzaoui.htm

(١٩) **الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء نموذجا).** درنوني، إيمان، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، نسخة الكترونية، ٢٠١٣م.

(٢٠) **الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير.** يعمرانن، نعيمة، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، نسخة إلكترونية، ٢٠١٢م.

(٢١) **الحجاج منطلقاته وتقنياته ومفاهيمه.** السومري، عبد الرزاق، أنفاس نت، ٢٠١٠م، تاريخ المشاهدة ٢٥/ ٥/ ١٤٣٥هـ. على الرابط:
http://www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/3747-2010-07-04-11-24-55

(٢٢) **الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي).** مدقن، هاجر، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة ورقلة، نسخة الكترونية، ٢٠٠٣م.

(٢٣) **الخطاب والحجاج.** العزاوي، أبو بكر، بيروت، دار الرحاب، ٢٠١٠م.

(٢٤) **دروس الحجاج الفلسفي.** أبو الزهراء، الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨م، تاريخ المشاهدة ٢٥/ ٥/ ١٤٣٥هـ. على الرابط:
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_625.pdf

(٢٥) **علم المعاني والبيان والبديع.** عتيق، عبد العزيز، بيروت، دار النهضة، د. ت.

(٢٦) **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.** عبد الرحمن، طه، ط٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

(٢٧) **قصيدة الجبار في ضوء المقاربة القرائنية.** حمداوي، جميل، مجلة الرافد، الشارقة، العدد ديسمبر ٢٠١٢م، نسخة إلكترونية على الرابط:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=31163

(٢٨) **كتاب السنن الكبرىٰ.** البيهقي، أبو بكر، بيروت، دار المعرفة، (د. ت).

(٢٩) **اللغة والحجاج.** العزاوي، أبو بكر، الدار البيضاء، دار الأحمدية، ٢٠٠٦م.

(٣٠) **مصطلح الحجاج وبواعثه وتقنياته.** حشاني، عباس، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد٩، ٢٠١٣م.

(٣١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.** مطلوب، أحمد، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٣م.

(٣٢) **مغامرة المعنىٰ من النحو إلىٰ التداولية.** الحباشة، صابر، دمشق، دار صفحات، ٢٠١١م.

(٣٣) **مقدمة تفسير ابن النقيب.** ابن النقيب، محمد، تحقيق: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣٤) **المناويل الحجاجية وتخصيب الدرس اللغوي.** الجديع، خالد، المجلة الثقافية، العدد٣١٨، ٢٨ شوال ١٤٣١هـ.

(٣٥) **منزلة العواطف في نظريات الحجاج.** عبيد، حاتم، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر وديسمبر ٢٠١١م.

(٣٦) **نحو المعاني.** الجواري، أحمد عبد الستار، بيروت، الدار العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٦م.

❊ ❊ ❊

List of Sources and References

(1) Al-Adaa Al-Hajjaji wa Balaghatuh fi Kitab Al-Khitabah by Ibn Sina, (The Performance and Eloquence of Debate in The Book of Prose by Ibn Sina). Abdur Raheem, Muntasir Ameen, The Journal of Arabic Linguistics, Riyadh, 1st issue, January 2015.

(2) Al-Asas At-Taqabuli fi Al-Balaghah Al-Arabiah Muqarabah Ta'weeliyyah (The Basis of Opposites in Arabic Rhetoric An Interpretive Approach). Bazi, Muhammad, Shabakat Al-Alookah, 2012, date watched 26/1/1437H on link: http://www.alukah.net/publications_competitions/0/41922/

(3) Al-Istidlal Al-Hijaji wa At-Tadawuli, (Orbital and Deliberative Reasoning). Ar-Raqabi, Ridhwan, Aalam Al-Fikr Journal, 2nd issue, October December 2011.

(4) Istirateejiyyat Al-Khitaab, (The Strategies of Prose). Ash-Shihri, Abdul Hadi Thaafir, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadeedah, 2004.

(5) Istirajiyyat Al-Khitab Al-Hijaji, (Written Debate Strategies). Daffah, Balqasim, Al-Mukhbir Journal, Algeria, Baskarah University, 10th issue, 2014.

(6) Afaal Al-Kalam fi Qissat Kaleem Ar-Rahman Musa. Kharraf, Ibtisam, College of Arts Journal, Algeria, Batinah University, 2013.

(7) Aliyyat Tashakkul Al-Khitab Al-Hijaji Bayn Nathariyyat Al-Bayan wa Nathariyyat Al-Burhan. Ibraheemi, Ibrahim, 7/8/2009, Our Arabic Library, date watched 25/5/1435H on link: http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=1639

(8) Al-Balaghah Funoonuha wa Afnanuha, (The Art of Eloquence). Abbas, Fadhl, Amman, Dar Al-Furqan, 1409H.

(9) Al-Balaghah wa Al-Khitab, (Eloquence and Prose). Mishbal, Muhammad, Rabat, Dar Al-Aman, 2014.

(10) Taareekh Nathariyyat Al-Hijaj. Bruton, Philip and Joteeh, Jill, (translation: Muhammad Al-Ghamidi), Jeddah, Centre for Scientific Publication at King Abdul Aziz University Jeddah, 2011.

(11) Tajaliyyaat Al-Hijaj fi Al-Quraan Al-Kareem Surah Yusuf as a Model. Dahman, Hanan, a masters thesis, Al-Akhdhar University, Batinah, a digital copy, 2013.

(12) Tahreer At-Tahbeer fi Sinaat Ash-Shiir wa An-Nathr. Ibn Abi Al-Isbi', Abdul Atheem, edited by: Hanafi Muhammad Sharaf, Committee of Islamic Cultural revival, n.d.

(13) Tadawuliyyat Al-Istiaarah Al-Hijajiyyah li Nass Ar-Rithaa. Hamadi, Fatoomah, and Washan, Dalal, Al-Mukhbir Journal, Algeria, Baskarah, 5th issue, 2009.

(14) At-Tadawuliyyah wa Al-Hijaj Madakhil wa Nusoos. Al-Habashah, Saabor, Damascus, Dar Safahat, 2008.

(15) At-Tikrar fi Ad-Dirasat Al-Hijajiyyah. Mahfoothi, Saleemah, Sutoor Journal, June 2011, date watche 25/5/1435H on link: http://sutuur.com/all-articles/2429/salema.html

(16) Al-Hijaj fi Al-Imtaa' wa Al-Mu'anasah by Abi Hayyan At-Tawheedi. Bubalootah, Husain Ali, a masters thesis, Al-Hajj Al-Khidr University, Batinah, a digital copy, 2010.
(17) Al-Hijaj fi Al-Khutab An-Nabawiah, (Debate in The Prophetic Speeches). Al-Ghamidi, Jamaan, Umm Al-Qura University Journal, 10th issue, Rajab 1434H.
(18) Al-Hijaj fi Al-Lughah, (Linguistic Debate). Al-Azzawi, Abu Bakr, Al-Jaabiriyyah Journal, 61st issue September 2004, date watched 15/1/1435H on link: http://www.aljabiriabed.net/n61_05%20azzaoui.htm
(19) Al-Hijaj fi An-Nas Al-Quraani (Surat Al-Anbiya Namoothajan), (Debate in the Quranic Text (Surat Al-Anbiya as a Model). Darnooni, Iman, a masters thesis, Al-Haj Al-Akhdar University, Batinah, a digital copy, 2013.
(20) Al-Hijaj fi Kitab Al-Mathal As-Saa'ir by Ibn Al-Atheer, (Debate in The Book Al-Mathal As-Saa'ir by Ibn Al-Atheer). Ya'muranin, Naeemah, a masters thesis, Mawlood Muammari University, Algeria, a digital copy, 2012.
(21) Al-Hijaj Muntalaqatuh wa Taqniyatuh wa Mafaheemuh, (Debate Technicalities and Concepts). As-Sawmari, Abdur Razzaq, Anfas website, 2010, date watched 25/5/1435H on link: http://www.anfasse.org/2010-12-30-16-04-13/2010-12-05-17-29-12/3747-2010-07-04-11-24-55
(22) Al-Khitab Al-Hijaji Anwa'uh wa Khasa'isuh (Dirasah tatbeeqiyyah fi Kitab Al-Masakeen by Ar-Raafie), (The Book of Debate Types and Characteristics (An Empirical Study on The book of Masakeen by Ar-Raafie)). Mudgen, Hajar, a masters thesis, Algeria, Warqalah University, a digital copy, 2003.
(23) Al-Khitab wa Al-Hijaj, (Prose and Debate). Al-Azzawi, Abu Bakr, Dar Ar-Rihab, 2010.
(24) Duroos Al-Hijaj Al-Falsafi, (Philosophical Lessons on Debate). Abu Az-Zahraa, The Complete Tarbiah Network, 2008, date watched 25/5/1435H on link: http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_625.pdf
(25) Ilm Al-Maani wa Al-Bayan wa Al-Badee. Ateeq, Abdul Aziz, Beirut, Dar An-Nahdha, n.d.
(26) Fi Usool Al-Hiwar wa Tajdeed Ilm Al-Kalam. Abdur Rahman, taha, 2nd ed., Casablanca, The Arabic Cultural Centre, 2000.
(27) Qaseedat Al-Jabbar fi Dhaw' Al-Muqarabah Al-Quraaniyyah. Hamdawi, Jameel, Ar-Rafid Journal, Sharjah, isuue December 2012, digital copy available here: http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=31163
(28) Kitab As-Sunan Al-Kubra. Al-Bayhaqi, Abu Bakr, Beirut, Dar Al-Maarifah, (n.d).
(29) Al-Lughah wa Al-Hijaj, (Language and Debate). Al-Azzawi, Abu Bakr, Casablanca, Dar Al-Ahmadiyyah, 2006.
(30) Mustalah Al-Hijaj wa Bawa'ithuh wa Taqniyatuh, (The Concept and Technicalities of Debate). Hashani, Abbas, Al-Mukhbir Journal, Baskarah University, issue 9, 2013.

(31) Mujam Al-Mustalahat Al-Balaghiyyah wa Tatawwuraha, (Dictionary of Rhetorical Terminologies and Their Development). Matloob, Ahmad, Baghdad, The Scientific Complex Iraq, Baghdad, 1983.
(32) Mughmarat Al-Maana Min An-Nahuw Ila At-Tadawuliyyah. Al-Habashah, Sabir, Damascus, Dar Safahat, 2011.
(33) Muqaddimat Tafseer Ibn An-Naqeeb. Ibn An-Naqeeb, Muhammad, edited by: Zakaria Saeed Ali, Al-Khaanji Bookstore, Cairo, 1415H – 1995.
(34) Al-Manaweel Al-Hijajiyyah wa Takhseeb Ad-Dars Al-Lughawi. Al-Jadee, Khalid, The Cultural Journal, issue 318, 28th Shawwal 1431H.
(35) Manzilat Al-Awatif fi Nathariyyat Al-Hijaj. Ubaid, Hatim, Aalam Al-Fikr Journal, Second issue, October and December 2011.
(36) Nahwa Al-Maani. Al-Jawari, Ahmad Abdus Sattar, Beirut, Ad-Dar Al-Arabiah for Research and Publication, 2006.

❊ ❊ ❊